

العقيد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي

محمد سعيد العريان

المحضر الثاني



العقود الفريدة

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبدنزيه الإندلسي

المتوفى سنة ٥٣٢٨

بتحقيق

محمد سعيد العرابي

الجزء الثالث

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

كتاب الجوهرة في الأمثال

للإمام عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولنا في العلم والآدب وما يتولّد منهما ويُنسبُ إليهما من الحكم
النادرة ، والفِطَنِ البارعة .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال ، التي هي وشى الكلام وجوهر
اللفظ ، وحلى المعاني ، والتي تَخَيَّرَها العرب ، وقَدَّمَتِها المعجم ، ونطَقَ بها كُلُّ زمان
وعلى كل لسان . فهي أبقى من الشعر ، وأشرفُ من الخطابة ، لم يَسِرْ شيءٌ في مسيرها ،
ولا عَمَّ عُمومها ، حتى قيل : أَسِيرُ من مَثَل .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مَثَلٌ سائرٌ . يَعْرِفُهُ الجاهِلُ والخايرُ

وقد ضرب الله عن وجل الأمثال في كتابه ، وضربها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كلامه . قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبُ مَثَلٍ
فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ . ومثل هذا كثير في
آي القرآن :

فأول ما نبدا به : أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمثال العلماء ،
ثم أمثال أئمة بن صيفي ويزيد جهر الفارسي ؛ وهي التي كان يستعملها جعفر بن يحيى
في كلامه ؛ ثم أمثال العرب التي رواها أبو عبيد ، وما أشبهها من أمثال العامة ؛ ثم
الأمثال التي استعملها الشعراء في أشعارهم في الجاهلية والإسلام .

أمثال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ضرب الله مثلاً صراطاً مُستقيماً ، وعلى جنبي الصراط أبوابٌ مفتحة ، وعلى الأبواب ستورٌ مرخية ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوجوا . فالصراط الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، والداعي القرآن .

وقال صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كالخامة من الزرع : يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا . ومثل الكافر مثل الأرزة المجلجلة على الأرض ، يكون انجفافها بمنة .

وسأله حذيفة : أبعد هذا الشر خير يا رسول الله ؟ فقال : جماعة على أقداء ، ومهنة على دخن .

- وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها ، فقال : إن مما يُبْتِ الرِّيحُ ما يَقْتُلُ حَبِطاً أو يُلِمُّ .

وقال لأبي سفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا : كلُّ الصيد في جرف الفرا .

وقال حين ذكر الغلو في العبادة : إن المُنْبِتَ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

وقال صلى الله عليه وسلم : لما تم وخضراء الدِّمَنِ . قالوا : وما خضراء الدِّمَنِ ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وذكر الربا في آخر الزمان ، واغتتان الناس به ، فقال : من لم يأكلهُ أصابه غباره .

وقال الإيمانُ قيدَ الفتك .

وقال صلى الله عليه وسلم : الولد للنراش وللعاقر الحجر .

وقال في فرس : وجدته بجراً .

وقال : إن من البيان لسحراً .

لوقال : لا ترفع عصاك عن أهلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين .

وقال : الحرب خدعة .

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : أمثال كثيرة غير هذه ، ولكننا لم نذهب

- في كل باب إلى استقصائه ، وإنما ذهبنا إلى أن نكتفي ببعض ، ونستدل بالقليل
على الكثير ، ليكون أسهل مأخذاً للحفظ ، وأبرأ من الملالة والهرب . وتفسيرها :
أما المثل الأول ، فقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله « المؤمن كالحامة والكافر كالأرزة » ، فإنه شبه المؤمن في تصرف

- الأيام به وما يناله من بلائها ، بالحامة من الزرع يقلبها الرِّيح مرة كذا ومرة كذا -
والحامة في قول أبي عبيد : القصبه الرطبة من الزرع ؛ والأرزة : واحدة الأرز ،
وهو شجر له ثمر يقال له الصنوبر . والمجذبة : الثابتة ، وفيها لغتان : جذا يجذو ،
وأجذى يُجذى . والانجفاف : الانقلاع ، يقال جَعَفَت الرجل ، إذا قلعت وصرعته
وضربت به الأرض .

وقوله الحذيفة : هُدنة على دخن وجعاعة على أقداء . أراد ما تنطوى عليه القلوب

- من الضغائن والأحقاد ، فشبه ذلك بإغضاء الجفون على الأقداء . والدخن : مأخوذ
من الدخان ، جُعلا مثله لما في الصدور من الغل .

وقوله : إنَّما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِم . فالحبط - كما ذكر أبو عبيدة

- عن الأصمعي : أن تأكل الدابة حتى ينتفخ بطنها وتمرض منه ، يقال : حبطت
الدابة تحبط حبطاً . وقوله : أو يُلِم . معناه : أو يقرب من ذلك . ومنه قوله : إذ ذكر
أهل الجنة فقال : إن أحدهم إذا نظر إلى ما أعدَّ الله له في الجنة فلولا أنه شيء
قضاء الله له لآلم أن يذهب بصره ، يعني لما يرى فيها . يقول : لقرب أن
يذهب بصره .

وقوله لأبي سفيان : كل الصيد في جوف الفرا . فعناه أنك في الرجال كالفرا

في الصيد ، وهو الحمار الوحشي ، وقال له ذلك يتألفه على الإسلام .

وقوله حين ذكر الغلو في العبادة : إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .
يقول : إن المُنْعَدَّ في السير إذا أفرط في الإغذاء عَطِبَتْ راحلته من قبل أن يبلغ حاجته أو يقضى سفره ، فشبه بذلك مَنْ أفرط في العبادة حتى يبق حسيراً .
وقوله في الربا : من لم يأكله أصابه غباره . إنما هو مثل لما ينال الناس من حرمة ، وليس هناك غبار .

وقوله : الإيمان قيد الفتك . أى منع منه كأنه قيد له . وفي حديث آخر : لا يفتك مؤمن .

وقوله في فرس : وجدته بحراً . وإن من البيان لسحراً : إنما هو تمثيل لا على التحقيق .

وكذلك قوله : الولد للفراش وللعاشر الحجر . معناه أنه لاحق له في نسب الولد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ترفع عصاك عن أهلك . إنما هو الأدب بالقول ، ولم يرد ألا ترفع عنها العصا .

وقوله : لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين . معناه أن لدغ مرة يحفظ من أخرى .

وقوله : الحرب خدعة . يريد أنها بالمكر والخدعة .

أمثال روتها العلماء

ابن بشير على
منبر الكوفة

خطب النعمان بن بشير على منبر بالكوفة فقال : يا أهل الكوفة ، إني وجدتُ
مَثْلِي وَمَثَلَكُمْ كَالضَّيْعِ وَالنَّعْلِبِ أَتَيَا الضَّبَّ فِي جُحْرِهِ ، فَقَالَا : أَبَا حَسَلٍ . قَالَ :
أَجَبْتُكُمْ^(١) قَالَا : جَنَّاتِكَ نَخْتَصِمُ . قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤَوَّى الْحَكَمُ . قَالَتِ الضَّبْعُ : فَتَحْتُ
عَيْنِي^(٢) ، قَالَ : فَعَلِ النِّسَاءُ فَعَلَتِ . قَالَتْ : فَلَقَطْتُ تَمْرَةً . قَالَ : حُلُوّاً جَنَيْتِ .

(١) في بعض الأصول : ، أجبتنا ، .

(٢) في بعض الأصول : ، عيني ، .

قالت : فاخطفها ثُمالة . قال : نفسه بَغَى^(١) . ثُمالة اسم الثعلب ، الذَّكَرُ والْإُنْثَى .
قالت : فلطمته لطمه . قال حقًا قضيت . قالت : فلطمني أخرى . قال : كان
حُرًّا فانتصر . قالت : فاحكم الآن بيننا . قال حدث امرأة حديثين فإن لم
تفهم فأربعة^(٢) .

- وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق : ودِدْتُ والله لو أن لي بكم من أهل
الشام صَرَفَ الدينار بالدرهم . قال له رجل منهم : أتدري يا أمير المؤمنين
مماثَلُنَا ومثلكم ومثل أهل الشام ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : ما قاله أعشى بكر
حيث يقول :

ابن الزبير
وأهل العراق

عُلِقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِقْتُ رَجُلًا . غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

- أحيناك نحن ، وأحييت أنت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك
ابن مروان .

مثل في الرياء

- يحيى بن عبد العزيز : قال : حدثني نعيم عن اسماعيل عن رجل من ولد
أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، عن وهب بن منبه قال : نَصَبَ رجل من
بنى إسرائيل فَنَحًا ، فجاءت عصفورة فتزلت عليه ، فقالت : مالي أراك مُنَحِنًا ؟
قال : لكثرة صلاتي انحنيت . قالت : فمالي أراك بادية عظامك ؟ قال : لكثرة
صيامي بدت عظامي . قالت : فمالي أرى هذا الصُّوفَ عليك ؟ قال : لزهادتي
في الدنيا ليست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها
وأقضي بها حوائجي . قالت : فما هذه الحبة في يدك ؟ قال : قُرْبَانُ إنْ مَرَّ بي
مسكينٌ ناولته إياه . قالت : فإني مسكينة ! قال : تخذيها . فدنّت قُبِضَتْ على الحبة ،
فإذا الفخ في عنقها . فجعلت تقول : قَمِي قَمِي . تفسيره : لا غرقي ناسك مُرَاءٍ
بغلك أبدا .

فخ الإسرائيل
والمصفورة

(١) في مجمع الأمثال : « لنفسه بغى الخير » .

(٢) ويروى : « فأربع » أي كب .

داود بن أبي هند عن الشعبي : أن رجلاً من بني إسرائيل صاد قُبْرَةً ، فقالت : اسرايلى وقبرة ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك فأكلك ! قالت : والله ما أشقي من قَرَمٍ ولا أُغني من جُوع ، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلتي : أما الواحدة فأعلمكها وأنا في يدك ، والثانية إذا صرتُ على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل .
 ٥ فقال: هاتِ الأولى ، قالت : لا تلهفن على ما فاتك . فخلّي عنها ؛ فلما صارت فوق الشجرة قال : هاتِ الثانية . قالت : لا تُصدّقن بما لا يكونُ أنه يكونُ . ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت : يا شقي ! لو ذبحتني لأخرجتَ من حوصَلتي دُرّة فيها زنة عشرين مثقالاً . قال : فعصّ على شفّتيه وتلفّف ثم قال : هاتِ الثالثة . قالت له : أنت قد نسيتِ الاثنين ، فكيف أعلمك الثالثة ؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ؟ فقد تلهفتِ ! على إذ فُتّك ، وقلت لك . لا تصدقن بما لا يكون ، أنه يكون ! فصدقتِ ! أنا وعظمى وريشى لا أزن عشرين مثقالاً ، فكيف يكون في حوصَلتي ما يزنها ؟

وفي كتاب للهند : مثل الدنيا وآفاتُها ومخاوفُها والمعاد الذي إليه . من أمثال الحكماء
 مصير الإنسان :

١٥ قال الحكميم : وجدتُ مثل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات ، مثل رجل ألجأه خوف إلى برّ تدلّى فيها وتعلق بغصنين ثابتين على شفير البرّ ، ووقعت رجلاه على شيء فذهما . فنظر فإذا بحيّات أربع قد أطلعن رؤوسهنّ من جُحورهنّ ، ونظر إلى أسفل البرّ فإذا بشعبان فاغر فاه نحوه ، فرفع بصره إلى الغصن الذي يتعلق به فإذا في أصله جُرذان أبيض وأسود يفرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛
 ٢٠ فبينما هو مغتم بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته ، إذ نظر فإذا بجانب منه جُحر نحل قد صنعن شيئاً من عسل ، فطاعم منه فوجد حلاوته ، فشغلكه عن الفكر في أمره وأنفاس النجاة لنفسه ، ولم يذكر أن رجله فوق أربع حبات لا يدري من تُساوره منهنّ ، وأن الجرذين دائبان في قرص الغصن الذي يتعلق به ، وأنهما إذا قطعاه وقع في لهوة التنين . ولم يزل لاهياً غافلاً حتى هلك .

قال الحكميم : فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف بالبر : وشبهت
الاخلاط التي بنى جسد الإنسان عليها ، من المِزتين والبلغم والدم بالحيات الأربع
وشبهت الحياة بالغصنين اللذين تعلق بهما وشبهت الليل والنهار ودورانهما في إفتاء
الأيام والأجيال بالجرذين الأبيض والأسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛
وشبهت الموت الذي لا بد منه بالتنين الفاجر فاه : وشبهت الذي يرى الإنسان ويسمع
ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مصيره بالعسيلة التي تطاعمها .

✓ من ضرب به المثل من الناس

قالت العرب : أسخى من حاتم ، وأشجع من ربيعة بن مُكْدَم ، وأدهى^(١)
من قيس بن زهير . وأعز من كليب بن وائل . وأوفى من السموأل . وأذكى
من إياس بن معاوية . وأسود من قيس بن عاصم . وأمنع من الحارث بن
ظلم . وأبلغ من سُبحان بن وائل . وأحلم من الأحنف بن قيس وأصدق
من أبي ذر الغفاري . وأكذب من مُسَيْلَةَ الحنفى . وأغيا من باقل . وأمضى
من سُلَيْك المقائب . وأنعم من خريم الناعم . وأحق من هَبْنَقَة . وأفك
من البرأض .

١٥ ل من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأم من البسوس . وأحق من دُعَة . وأمنع من أم قِرْقَة وأقود^(٢) من
ظُلْمَة ، وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، ولها كانت الناقة التي
قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ،
التي يقال لها حرب البسوس .

(١) : في بعض الاصول : وأنكى . .

(٢) : في بعض الاصول : وأزنى . .

وَأُمُّ قِرْقَةٍ : أَمْرَاءُ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، وَكَانَ يُعَلِّقُ فِي بَيْتِهَا خَمْسُونَ سَيْفًا كُلُّ سَيْفٍ مِنْهَا لَدَى نَحْرٍ لَهَا .

وَدُغَّةٌ : أَمْرَاءُ مِنْ عَجَلِ بْنِ لُجَيْمٍ ، تَزَوَّجَتْ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ .

وَزَرْقَاءُ بِنْتُ نُمَيْرٍ : أَمْرَاءُ كَانَتْ بِالْيَمَامَةِ تَبْصُرُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ فِي اللَّيْلِ ، وَتَنْظُرُ الرَّاكِبَ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ تُنْذِرُ قَوْمَهَا الْجِيُوشَ إِذَا غَزَتْهُمْ ، فَلَا يَأْتِيهِمْ جَيْشٌ إِلَّا وَقَدْ اسْتَعْدَوْا لَهُ ، حَتَّى آحْتَالَ لَهَا بَعْضُ مِنْ غَزَاهُمْ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَقَطَعُوا شَجَرًا أَمْسَكُوهُ أَمَامَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وَنَظَرَتْ الزَّرْقَاءُ فَقَالَتْ : إِنِّي أَرَى الشَّجَرَ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ . قَالُوا لَهَا : قَدْ خَرَفَتْ وَرَقَ عَقْلِكَ وَذَهَبَ بَصْرُكَ . فَكَذَّبُوهَا ، وَصَبَّحَتْهُمْ الْخَيْلُ وَأَغَارَتْ عَلَيْهِمْ وَقُتِلَتِ الزَّرْقَاءُ . قَالَ : فَقَقُورُوا عَيْنَهَا فَوَجَدُوا عُرُوقَ عَيْنِهَا قَدْ غَرِقَتْ فِي الْإِثْمِ مِنْ كَثَرَةِ مَا كَانَتْ تَسْكُحِلُ بِهِ . ١٠

وِظْلَمَةٌ : أَمْرَاءُ مِنْ هُذَيْلِ زَنْتِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، فَلَمَّا عَجَزَتْ عَنِ الزَّانَا وَالْقَوَدِ اتَّخَذَتْ نَيْسًا وَعِزًّا ، فَكَانَتْ تُنْزِي التَّيْسَ عَلَى الْعِزِّ ، فَقِيلَ لَهَا : لَمْ تَفْعَلِي ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : حَتَّى أَسْمَعَ أَنْفَاسَ الْجَمَاعِ .

مَا تَمَثَّلُوا بِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ

١٥ قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ . وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عِفْرَيْنٍ . وَأَحْذَرُ مِنْ غَرَابٍ . وَأَبْصَرُ مِنْ عَقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذْلُ مِنْ قُرَادٍ . بِمَنْسِمٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ قَرَسٍ . وَأَنْوَمُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْمَرُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صَفْرَدٍ . وَأَحْقَدُ مِنْ جَمَلٍ . وَأَضْرَعُ مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ . وَأَحَنُّ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأَنْوَقِ . ٢٠ وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ .

الصَّافِرُ : ذُو الصَّفِيرِ مِنَ الطَّيْرِ . الْعَوْدُ : الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأَنْوَقُ : طَيْرٌ يُقَالُ إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ ، وَالزَّبَابَةُ : الْفَأْرَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ ، وَفَاخْتَةٌ : طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرَّطْبِ فِي غَيْرِ أَيْامِهِ .

١/ ما يضرب به المثل من غير الحيوان

قالوا : أهدى من النجم . وأجود من الدَّيْم . وأصبح من الصُّبح .
 وأتمح من البحر . وأنور من النهار . وأسود من الليل . وأمضى من السَّيل .
 وأحق من رجلة . وأحسن من دُمَيَّة . وأنزه من روضة . وأوسع من
 الدُّهْناء . وآنس من جدول . وأضيق من قرار حافر . وأوحش من مفازة .
 وأثقل من جبل . وأبق من الوحي في صمِّ الصَّلاب . وأخف من ريش
 الحواصيل .

وَمَا ضَرَبُوا بِهِ الْمَثَل

قولهم : قوس حاجب . وقُرْطُ مارية . وحجَّامُ ساباط . وشقائق
 النُّعمان . وندامة الكسبي . وحديث خرافة . وكثر النطف . وخفا حنين .
 وعطر منشم .

أما قوس حاجب . فقد فسرنا خبره في كتاب الوفود .

وأما قُرط مارية فإنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي
 وأختها هند الهذلي امرأة حُجْر آكل المرار . وابنها الحارث الأعرج الذي ذكره
 الباقية بقوله :

١٥

« والحارثُ الأعرجُ خير الأنام »

وإياها يعني حسان بن ثابت بقوله :

أولاد جَفَنَةٍ حولَ قَبْرِ أَبِيهِمْ ، قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

وأما حجَّام ساباط ، فإنه كان يحجمُ الجيوش بنسيئة إلى انصرافهم ، من شدة
 كساده ؛ وكان فارسياً . وساباط . هو ساباط كسرى .

٢٠

ونُسب شقائق النُّعمان إليه ، لأن النُّعمان بن المنذر أمر بأن تُحمى وتضرب
 قبتة فيها استحسناتها ، فنُسبت إليه ، والعرب تسميها الشَّقر .

وأما خرافة ؛ فإن أنس بن مالك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

لعائشة رضى الله عنها : إنَّ من أصدق الأحاديث حديثُ خُراقة ، وكان رجلاً من بني عُذرة سَبَّته الجن ، وكان معهم ، فإذا استرقوا السمع أخبروه ، فيُخبر به أهل الأرض فيجدونه كما قال .

وأما كز النطف ، فهو رجل من بني يربوع كان فقيراً يحمل الماء على ظهره فينطف ، أى يقطر ؛ وكان أغار على مالٍ بعث به باذانٌ من اليمن إلى كسرى ، فأعطى منه يوماً حتى غربت الشمس ، فضربت به العرب المثل في كثرة المال .

وأما خُفا حنين ، فإنه كان إسكافاً من أهل الحيرة ، ساومه أعرابيٌّ بخُفين فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد أن يميظ الأعرابي ، فلما ارتحل أخذ أحد الخفين فالتقاء في طريق الأعرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه . فلما مر الأعرابي بالخف الأول ، قال ما أشبه هذا بخف حنين ! لو كان معه صاحبه لأخذته . فلما مرَّ بالآخر ندم على ترك الأول فأتاه راحلته ، وانصرف إلى الأول وقد كمن له حنين ، فوثب على راحلته وذهب بها ؛ وأقبل الأعرابي ليس معه غير خُفي حنين . فذهبت مثلاً .

وأما عطر مدثم ، فإنها كانت امرأة تباع الخنوط في الجاهلية ، فقيل للهنوم إذا تحاربوا : دثوا عطر مدثم . يُراد بذلك طيب الموتى .

وأما ندامة الكسعى ، فإنه رجل رمى فأصاب ، فظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، فلما علم ندم على كسر قوسه . فضرب به المثل .

أمثال أ كثم بن صيفي وبزرجمهر الفارسي

العقل بالتجارب . المصاحب مُناسب . الصديق من صدق عينيه .
الغريب من لم يكن له حبيب ، رُبَّ بعيدٍ أقرب من قريب . القريب من قُرب نفعه . لو تكاشنتم ما تدانستم . خيرُ أهلك من كفالك . وخيرُ سلاحك ما وراك . خيرُ إخوانك من لم تخبره . رُبَّ غريبٍ ناصح الجيب !

- وابنُ أبي مُتهم الغيب . أخوك من صدقك . الأخُ مرآةُ أخيه . إذا عزَّ أخوك
 فهو . مُكرَّةُ أخوك لا بطل . تباعدوا في الديار وتقاربوا في المحبة . أيُّ الرجالِ
 المهذب . من لك بأخيك كله . إنك إن فرجت لاق فرجا . أحسنُ يُحسنُ إليك .
 أرحمُ ترحم . كما تدينُ تُدان . من يرُ يوما يرَ به ، والدهرُ لا يُغترُّ به . عينُ
 عرفتُ قد رُفت . في كلِّ خبرةٍ عبرة . من مأمته يؤتى الخذر . لا يعدو المرة
 رزقه وإن حرص . إذا نزل القدرُ غمى البصر : وإذا نزل الحينُ نزل بين الأذنِ
 والعين . الخمرُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ . الغناءُ رُقِيَّةُ الزَّنا . القناعةُ مالٌ لا ينفد . خيرُ
 النِّسَى عَمَى النفس . مُنْساقٌ إلى ما أنت لاقٍ . خذ من العافية ما أُعطيت ، ليس
 الإنسانُ إلا القلبُ واللسان . إنما لك ما أمضيت . لا تتكلم ما كُفيت . القلمُ
 أحدُ اللسانين . قَلَّةُ العيالِ أحدُ اليسارين . ربما ضاقت الدنيا باثنين . لن تعدمَ
 الحسنةَ ذامًا . لم يعدم الغاوى لائمًا . لا تكُ في أهلك كالجنّازة . لا تسخرَ من
 شيءٍ فيحورَ بك . آخرُ الشرِّ فإن شئتَ تعجَّله . صغيرُ الشرِّ يوشِكُ أن يكبرَ .
 يُبصرُ القلبُ ما يعمى عنه البصر . الحرُّ حرٌّ وإن مَسَّه الضُّر . العبدُ عبدٌ وإن
 ساعده جَدُّ . من عرفَ قدرَه استبانَ أمرَه . من سرَّه بنوه ساءتَه نفسه . من
 تعظَّم على الزمانِ أهانه . من تعرَّضَ للسلطانِ أذراه ومن تطامنَ له تخطَّاه . من
 خطأ يخطو . كلُّ مبدولٍ مملول . كلُّ ممنوعٍ مرغوبٌ فيه . كلُّ عزيزٍ تحت القدرةِ
 ذليل . لكلِّ مقامٍ مقال . لكلِّ زمانٍ رجال . لكلِّ أجلٍ كتاب . لكلِّ عملٍ
 ثواب . لكلِّ نبيٍّ مُستقر . لكلِّ سرٍّ مستودع . قيمةُ كلِّ إنسانٍ ما يُحسِن .
 أطلبُ لكلِّ غلقٍ مفتاحا . أكثرُ في الباطلِ يكن حقًا . عند القنَطِ يأتي الفرج .
 عند الصباجِ يُحمَدُ السُّرى . الصدقُ منجاةٌ والكذبُ مهواة . الاعترافُ يهْدِمُ
 الاعتراف . رَبُّ قولٍ أنفذُ من صول . رَبُّ ساعةٍ ليس بها طاعة . رَبُّ تجلَّةٍ
 تُعقبُ ريثًا . بعضُ الكلامِ أقطعُ من الحسام . بعضُ الجهلِ أبلغُ من الحِلْم .
 ربيعُ القلبِ ما أشهى . الهوى شديدُ العمى . الهوى الإلهُ المعبود . الرأى نائمٌ
 والهوى يقظان ، غلبَ عليك من دعا إليك . لراحةٍ لحسود : ولا وفاءَ للملول .

- لا سرورَ كطيِّبِ النفس . العمرُ أقصرُ من أن يحتملَ الهجر . أحقُّ الناسِ بالعفوِ
أقدرُهم على العقوبة . خيرُ العلمِ مانع . خيرُ القولِ ما اتسع . البطنةُ تذهب
الفطنة . شرُّ العمى عمى القلب . أوثقُ العرى كلمةُ التقوى . النساءُ حَبائِلُ
الشیطان . الشبابُ شعبةٌ من الجنون ، الشقُّ مَنْ شَقَّ في بطنِ أمه . السعيدُ من
وَعِظَ بغيرِهِ . لكل امرئٍ في بَدَنِهِ شغلٌ . من يَعْرِفِ البلاءَ يَصِرْ عليه . المقاديرُ
تُرِيكَ ما لا يخطرُ بِبالِكَ . أفضلُ الزَّادِ ما زُوِّدَ للمعاد . الفحلُ أخمى للشَّوْلِ .
صاحبُ الخطوةِ غدا مَنْ بلغَ المدى . عواقِبُ الصبرِ محمودة . لا تُبْلَغِ الغاياتُ
بالأمانِ . الصريمةُ على قدرِ العزيمة . الضعيفُ يُثْنِي أو يذمُّ . من تفكَّرَ اعتَبَرَ .
كم شاهدٍ لك لا ينطق ، ليس منك من غَمَّكَ . ما نَظَرَ لأمْرٍ مثلُ نفسه . مأسَدُ
فقرِكَ إلا مَلِكٌ يَمِينُكَ . ما على عاقلٍ ضيعةٌ . الغنى في الغربةِ وطن . والمقلُّ في
أهله غريب . أولُ المعرفةِ الاختبار . يدُك ملكٌ وإن كانت شللاً . أنفُك منك
وإن كان أجَدَع . من عُرِفَ بالكذبِ لم يَجْزُ صدقُه ، ومن عُرِفَ بالصدقِ جاز
كذبه . الصلحةُ داعيةُ السَّقمِ . الشبابُ داعيةُ الهرمِ . كثرةُ الصياحِ من الغشَلِ .
إذا قَدِمَتِ المصيبةُ تَرَكَّتِ التعزية . إذا قَدِمَ الإخاءُ سَمَّجَ الشاء . العادةُ أملكُ من
الأدب . الرفقُ يُمْنٌ والحرقُ شؤمٌ . المرأةُ رَيْحانةٌ وليست بقهرمانة . الدَّالُّ
على الخيرِ كفاعله . المهاجرةُ قبلَ المهاجرة . قبلَ الرمايةِ تُمَلَأُ الكمانُ . لكل
ساقطةٍ لا قِطْنةٌ . مقتلُ الرجلِ بينَ فَيْكِهِ . تَرَكَ الحُرْكَ غَمْلَةً . الصَّمْتُ حُبْسَةٌ .
مِنْ خَيْرِ خَبَرٍ أَنْ يُسْمَعَ بِمَطَرٍ . كفى بالمرءِ خِيابَةً أَنْ يَكُونَ أَمِيناً لِلخَوَةِ .
قَبِدُوا النِّعَمَ بالشكر . مَنْ يَزْرِعِ المعروفَ يَحْمَدِ الشكرَ . لا تَغْتَرَّ بِمَوَدَّةِ
الأميرِ إذا غَشَّكَ الوزير . أعظمُ من المصيبةِ سوءُ الخَلَفِ مِها . من
أَرَادَ البقاءَ فليوطِنْ نفسه على المصائب . إِفْشاءُ الأحبةِ مَسْلاةٌ لِلْهَمِّ .
قطيعةُ الجاهلِ كصلةُ العاقلِ . مَنْ رَضِيَ عَلَى نفسه كَثُرَ الساخطُ عليه . قَتَلْتُ أَرْضَ
جَاهِلِهَا ، وَقَتَلْتُ أَرْضاً عَارِفِهَا . أدوأ الداءِ الخلقُ الدَّنِي واللِّسانُ البَدِي . إذا جَعَلَكَ
السلطانُ أَخافاً جَعَلَهُ رَبِّياً . أَحْذَرِ الأَمِينِ وَلَا تَأْمَنْ الخَائِنَ . عندَ الغايةِ يُعْرِفُ السَّبِقُ .

عند الرّهان يُحمّد المضمار . السؤال وإن قلّ أكثر من النوال وإن جل . كافى
المعروف بمثله أو أنشره . لا خلة مع عيلة . لا مروءة مع ضرّ . ولا صبر مع
شكوى . ليس من العدل سرعة العذل . عبد غيرك حرّ مثلك . لا يعدّم الخيار
من استشار . الوضع مّ وضع نفسه . المهين من نزل وحده . مّن أكثر أهجر .
كنى بالمرء كذباً أن يُحدث بكل ما سمع . كل إناء ينضح بما فيه . العادة طبع ثان . ٥

ومن أمثال العرب

مما روى أبو عبيد

جزدناها من الآداب التي أدخل فيها أبو عبيد إذ كما قد أفردنا للآداب والمواعظ
كتاباً غير هذا ، وضمّنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على السنة العامة من الأمثال
المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير . فن ذلك قولهم : ١٠

في حفظ اللسان

لعمر بن عبد العزيز : التقيّ مُلجَم .
لابي بكر الصديق : إن البلاء مُوَكَّل بالمنطق .
لابن مسعود : ما شيء أولى بطول سجن من لسان .
لأنس بن مالك : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحترز من لسانه ولسان غيره . ١٥
احذر لسانك لا يضرب عنقك . جرح اللسان كجرح اليد . رُب كلام أقطع من
حسام . القول ينفذ ما لا تنفذ الإبر .
قال الشاعر :

وقد يُرجى لجرح السيف بُرء * ولا بُرء لما جرح اللسان

اجتلبنا هذا البيت لأنه قد صار مثلاً سائراً للعامة . وجعلنا لأمثال الشعراء ٢٠
في آخر كتابنا هذا باباً .

وقال أكرم بن صبيح : مَقْتَل الرجل بين فكّيه .

وقال : ربما أعلم فأدّر . يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم : لما يحذر من عاقبه .

إكثار الكلام وما يتقى منه

قالوا : مَنْ ضاق صدره اتسع لسانه . مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ - أي خرج إلى الهجر ، وهو القبيح من القول .

وقالوا : المِثْكَار كحاطِب ليل ، وحاطب الليل ربما نهشته الحية أولسعتُه العقرب في احتطابه ليلاً .

وقالوا : أول العيِّ الاختلاط ، وأسوأ القول الإفراط .

في الصمت

قالوا : الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وقالوا : عَيٌّْ صامت خير من عَيٍّْ ناطق ، والصمت يُكسِبُ أَهْلَهُ المحبة .

وقالوا : آتَسَكَّرَ من الهبة الصَّوْتُ : والندم على السُّكُوت خير من الدم على الكلام .

وقالوا : السُّكُوت سَلَامَةٌ .

القصْد في المدح

منه قولهم : مَنْ حَفَّنَا أَوْ رَفَّنَا فَلْيَقْتَصِدْ . يقولون : من مدحنا فلا يفعلون في ذلك .

وقولهم : لَا تَهْرِفْ بِمَا لَا تَعْرِفُ والمهرف : الإطناب في المدح والثناء .

ومنه قولهم : شَاكِهٌ أَبَا يَسَارٍ مِنْ دُونَ ذَا يَنْفَقُ الْخِمَارَ .

أخبرنا أبو محمد الأعرابي عن رجل من بني عامر بن صعصعة قال : لقي أبو يسار

رجلاً بالمرْبَدِ يبيعُ حماراً ورجل يساومه : فجعل أبو يسار يُطْرِى الحمار : فقال

المشترى : أَعَرَفْتَ الحمار ؟ قال : نعم . قال : كيف سيره ؟ قال يُصْطَلَدُ بِهِ النَّعَامُ

مقولاً . قال له البائع : شاكِهٌ أبا يسار ، من دون ذا ينْفُقُ الحمار . والمشاكِهة : المقاربة والقصد .

صدق الحديث

- منه قولهم : من صدَقَ اللهَ نجا .
 ومنه قولهم : سُبَّني وأصدُقْ .
 وقالوا : الكذِبُ داءٌ والصدَقُ شفاءٌ .
 وقولهم : لا يَكْذِبُ الرائدُ أهلهَ معناه أن الذي يرتاد لأهله منزلاً لا يكذبهم فيه .
 وقولهم : صدَقني سنٌّ بَكَرِه . أصله أن رجلاً ابتاع من رجلٍ بَعيراً ، فسأله عن سنِّه . فقال له : إنه بازل . فقال له : أَنَحُهُ . فلما أناخه قال : هِدَعْ هِدَعْ . وهذه لفظة تسكن بها الصغار من الإبل . فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال : صدَقني سنٌّ بَكَرِه .
 ومنه قولهم : القولُ ما قالت حَذَام . وهي امرأة لُجَيْم بن صَعْب ، والد خنيفة وعِجْل ، ابني لُجَيْم ، وفيها قال :
 إذا قالت حَذَامُ فصدَّقوها هـ فَإِنَّ القولَ ما قالت حَذَامُ

١٥ من أصاب مرة وأخطأ مرة

- منه قولهم : شُخِبَ في الإِنَاءِ . وشُخِبَ في الأرض . شُبَّهَ بالحالب الجاهل الذي يحلب شَحْباً في الإِنَاءِ وشَحْباً في الأرض .
 وقولهم : يَشْجُ مرةً ويأسو أخرى .
 وقولهم : سَهْمٌ لك وسَهْمٌ عليك .
 وقولهم : آطَرُقُ ومِيثِي . والمِيشُ أن يخالط الشعر بالصوف . والمطراقة :
 العود الذي يُضرب به بين ما خُطط .

سوء المسألة وسوء الاجابة

قالوا : أساء سمعاً فأساء جابةً . هكذا تحكى هذه الكلمة ، « جابة » بغير ألف ، وذلك أنه أسم موضوع يقال : أجبني فلان جابة حسنة ، فإذا أرادوا المصدر قالوا : إجابة ، بالألف .

وقالوا : حدث امرأة حديثين فإن لم تفهم فأربعة . كذا في الأصل ؛ والذي أحفظ : فاربعة ، أى أمسك .
وقولهم : إليك يساق الحديث .

من صمت ثم نطق بالفهامة

قالوا : سكّت ألفاً ونطق خلفاً . الخلف من كل شيء : الردى .

المعروف بالكذب يصدق مرة

قولهم : من الخواطين سهم صائب . وربّ رمية من غير رام .
وقولهم : قد يصدق الكذوب .

المعروف بالصدق يكذب مرة

قالوا : لكلّ جواد كبرة ، ولكلّ صارم تبوة ، ولكلّ عالم هفوة ، وقد بعثر الجواد ، ومن لك بأخيك كلّ ، وأى الرجال المذهب .

كتمان السر

قالوا : صدرك أوسع لسرك .

وقالوا : لا تُفش سرك إلى أمة ، ولا تبّل على أكمة . يقول لا تُفش سرك إلى امرأة فتبديه ، ولا تبّل على مكان مرتفع فتبدو عورتك .
ويقولون إذا أسروا إلى الرجل : اجعل هذا في وعاء غير سرب .
وقولهم سرك من ديمك .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك السر ؟ فقال : ما صدري إلا قبر .

انكشاف الأمر بعد اكتماله

قولهم : حَضَّصَ الحَقُّ

وقولهم : أَبَدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرَّغْوَةِ . وَفِي الرَّغْوَةِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ : فَتَحَ الرَّاءَ ، وَضَمَّهَا ، وَكَسَرَهَا .

وقولهم : صَرَحَ الْمَخْضُ عَنِ الزَّيْدِ .

وقالوا : أَفْرَخَ الْقَوْمُ بِيَضَّتِهِمْ . أَيْ أَخْرَجُوا فَرَخَهَا ، يَرِيدُونَ أَطْهَرُوا سِرَّهُمْ .

وقولهم : بَرَحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغِطَاءُ .

إبداء السر

قالوا : أَفْضَيْتُ إِلَيْكَ بِشُقُورِي . أَيْ أَخْبَرْتُكَ بِأَمْرِي ، وَأَطْلَعْتُكَ عَلَى سِرِّي

وقولهم أَخْبَرْتُكَ بِعُجْرِي وَبُجْرِي . أَيْ أَطْلَعْتُكَ عَلَى مَعَابِيي ، وَالْعَجْرُ : الْعُرُوقُ ١٠
الْمُنْعَقِدَةُ ، وَأَمَّا الْبُجْرُ فَهِيَ فِي الْبَطْنِ خَاصَّةٌ .

وتقول العامة : لَوْ كَانَ فِي جَسَدِي بَرَصٌ مَا كُنْتُ بِهِ .

الحديث يتذكر به غيره

قالوا : الْحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ : وَهَذَا الْمَثَلُ لَضَبَّةَ بْنِ أَدَّ وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ : سَعْدٌ

وَسَعِيدٌ ، فَخَرَجَا فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهَا ، فَرَجَعَ سَعْدٌ وَلَمْ يَرْجِعْ سَعِيدٌ ، فَكَانَ ضَبَّةٌ كُلَّمَا ١٥
رَأَى رَجُلًا مَقْبِلًا قَالَ : أَسَعِدُّ أَمْ سَعِيدٌ ، فَذَهَبَتْ مَثَلًا . ثُمَّ إِنَّ ضَبَّةَ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ
يَوْمًا وَمَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِذْ أَتَى عَلَى مَكَانٍ ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ :
أَتَرَى هَذَا الْمَوْضِعَ ؟ فَإِنِّي لَقِيتُ قَتْلَ هَيْئَةٍ كَذَا وَكَذَا ، فَقَتَلْتُهُ وَأَخَذْتُ مِنْهُ هَذَا
السَّيْفَ . فَإِذَا بِصَفَةِ سَعِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ ضَبَّةٌ : أَرَأَيْتَ السَّيْفَ أَنْظُرْ إِلَيْهِ . فَنَاولَهُ إِيَّاهُ فَعَرَفَهُ
فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْحَدِيثَ ذُو شُجُونٍ . ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ . فَلَامَهُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، ٢٠
وَقَالُوا : أَقْتَلْتَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ؟ قَالَ : سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ . فَذَهَبَتْ مَثَلًا .

ومنه : ذَكَّرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا . وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ لِيَقْتُلَ رَجُلًا ،

وكان ييد المحمول عليه ربح ، فأنساه الدهش والجزع ما في يده ، فقال له الحامل :
ألق الرمح . قال الآخر : فإن ربحي كمعي ، ذكرَّتني الطعن وكذتُ ناسيا . ثم كز
على صاحبه فهزمه أو قتله . ويقال : إن الحامل : صخر بن معاوية السامي أخو
الخنساء والمحمول عليه : يزيد بن الصَّعق .

٥ العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه

منه قولهم : رَبُّ سامع خَبَرِي لم يسمع عذري . وَرُبَّ ملومٍ لا ذنب له .
ولعلَّ له عُذْرًا وَأَنْتَ تلوْمُ .
وقولهم : المرء أعلم بشأنيه .

الاعتذار في غير موضعه

١٠ منه قولهم : تَرَكَ الذَّنْبَ أيسر من التِمَاسِ العذر ، وَتَرَكَ الذَّنْبَ أيسر من
طَلَبِ التَّوْبَةِ .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : أَعَنَ صَبُوحُ تَرَقَّقَ .
ومنه قولهم : لِمَاكَ أَغْنَى وَأَسْتَمِي يا جارة .

١٥ \ المنُّ بالمعروف

قالوا : سَوَا أَخوكَ حَتَّى إِذَا أَنْضَجَ رَمَدَ .
وقولهم : فَضْلُ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ دَنَاءَةٌ ، وَفَضْلُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ مَكْرُمَةٌ .

الحمد قبل الاختبار

لا تَحْمَدَنَّ أُمَّةً عَامَ اشْتِرَائِهَا وَلَا حُرَّةً عَامَ بِنَائِهَا .
٢٠ وقولهم : لَا تُشْهِرْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ . يقول : لَا تَمْدَحْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَبِرَ .
وقولهم : أَوَّلُ الْمَعْرِقَةِ الْاِخْتِبَارُ .

إنجاز الوعد

قالوا : أَنْجِزْ حُرًّا مَا وَعَدَ .

وقولهم : الْعِدَّةُ عَطِيَّةٌ .

وقولهم : مَنْ أَخَّرَ حَاجَةً فَقَدْ ضَمَّهَا .

وقالوا : وَعْدُ الْحُرِّ فِعْلٌ ، وَوَعْدُ الْكَلْبِ تَسْوِيفٌ .

وقالت العامة : الْوَعْدُ مِنَ الْعَهْدِ .

النهض من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا

حُسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ . وَمَا أَعْتَذَرُكَ مِنْ شَيْءٍ قِيلَ .

الدعاء بالخير

١٠ منه قولهم للقادم من سفره : خَيْرُ مَا رُدَّ فِي أَهْلٍ وَمَالٍ ؛ أَىْ جَعَلَكَ اللهُ كَذَلِكَ .

وقولهم : بَلَغَ اللهُ بِكَ أَكْلَ الْعُمْرِ . أَىْ أَقْصَاهُ .

وقولهم : قِيمَ عَوْفِكَ . أَىْ نِعَمَ بِكَ .

وقولهم فِي النِّكَاحِ : عَلَى بَدْءِ الْخَيْرِ وَالْيَمَنِ .

١٥ وقولهم : بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ . يريد بالرفاء : الكثرة ، يقال منه : رِفَافُهُ ، إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثَرَةِ .

وقولهم : هُنْتُ وَلَا تُنْكَمْ . أَىْ أَصَابَكَ خَيْرٌ وَلَا أَصَابَكَ ضَرٌّ .

وقولهم : هَوَتْ أُمُّهُ ، وَهَبَلَتْهُ أُمُّهُ . يَدْعُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَرِيدُونَ الْخَيْرَ لَهُ .

ونحوه قَاتَلَ اللهُ ، وَأَخْزَاهُ اللهُ ؛ إِذَا أَحْسَنَ . وَمِنْهُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

• مَا لَهُ لَا عُدَّ مِنْ نَفَرِهِ •

٢٠

تعبير الإنسان صاحبه بعبه

قالوا : رَمَتْنِي يَدَايَاهَا وَأَنْسَلَتْ .

- وقولهم : عَيْرٌ يُجَيِّرُ بُحْرَهُ ، نَيْسَى يُجَيِّرُ خَبْرَهُ .
 وقولهم : مُحْتَرَسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسٌ .
 وقولهم : تُبْصِرُ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَلَا تُبْصِرُ الْجُدَعَ فِي عَيْنِكَ .

الدعاء على الإنسان

- ٥ منه قولهم : فَأَهَا لِفَيْكَ . يريد : الأرض لفيك .
 وقولهم : بِفَيْكَ الْحَجَرُ ، وبفَيْكَ الْأَثْلُبُ .
 وقولهم : لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ .
 ولما أتى علي بن أبي طالب رضى الله عنه بسكران في رمضان ، وقال له :
 لليدين وللهم ^(١) : أَوْلَدَانَا صِلَامٌ وَأَنْتَ مُفْطِرٌ . وضربه مائة سوط .
 ١٠ ومنه قولهم : لِجَنِّيهِ فَلْيَسْكُنِ الْوَجْهَ . يريد الصرعة .
 ومنه قولهم : مِنْ كَلَا جَانِيكَ لَا لَيْتِكَ ، أى لا كانت لك تلبية ولا سلامة
 من كلا جانبيك . والتلبية : الإقامة بالمكان .
 وقولهم : بِكَ لَا بَطْنِي . وقال الفرزدق :
 أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيمُهُ * بِهِ لَا بَطْنِي بِالْصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا
 ١٥ ومنه قولهم : جَدَعَ اللَّهُ مَسَامِعَهُ .
 وقولهم : عَقَرَا حَلْقًا ، يريد عقره الله وحلقه .
 ومنه قولهم : لَا لَمَّا لَهُ : أى لا أقامه الله .
 قال الأخطل :

* وَلَا لَمَّا لَبَنِي ذُكْوَانَ إِذْ عَثُرُوا *

ولجيب :

٢٠ صفراءُ صُفْرَةً صِحَّةً قَدْ رَكَبَتْ * جُثْمَانَهُ فِي ثَوْبٍ سُقْمٍ أَصْفَرِ
 قَلْتُهُ يَرًّا ثُمَّ قَالَتْ جَهْرَةً * قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ لَا بَطْنِي أَغْفَرِ

(١) في بعض الأصول : د للبخرين .

رمى الرجل غيره بالمعضلات

منه قولهم : رماهُ بأَقْحَافٍ رَأْسِهِ ، ورماهُ بثالِثَةِ الْإِثْنَيْنِ ، يريد قطعة من الجبل يحمل إلى جنبها أَفْئِيتَانِ وتكون هي الثالثة .

ومنه : يا للمعضبة والأفیکه ، إذا رماه بالهتان .

وقولهم : كأنما أفرغَ عليه ذُؤُوباً ، إذا كله كلمة يُسَكِّته بها .

✓ المكر والحلافة.

منه قولهم : قتلَ في ذِرْوَتِهِ ، أى خادَعته حتى أزاله عن رأيه .

قال أبو عُيَيدٍ : وروى عن الزبير حين سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابته .

وقولهم : ضربَ أنحاساً لأسداس ، يريدون المناكرة .
وقال آخر :

إذا أراد امرؤُ مكرًا جئَ عِلالًا وظلَّ يضربُ أنحاسًا لأسداس
ومنه قولهم : الذَّئْبُ يَأْدُو لِلغزالِ ، أى يختله ليوقعه .

لـ اللهو والباطل

منه قولهم : جاء فلانٌ بالثَرَّةِ . وجرى فلان السُّمَّه ، وهما من أسماء الباطل .
وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا من دَدٍ ولا دُدٍ مَتَّى ، وفيه ثلاث لَنات :
دُدٌ ، ودَدَا : مثل قَفَا . ودَدَن : مثل حزن .

دـ خلف الوعد

منه قولهم : ما وعدُّهُ إلا بَرَقَ حُلَّتْ ، وهو الذي لا مطر معه .
ومنه ما وعدُّهُ إلا وعدُّ عُرقوب . وهو رجل من العماليق أتاه أخوه يسأله فقال : إذا أطلمت هذه النخلة فلك طلعتها ، فأتاه للعدة ، فقال : دعها حتى نصير

بالحا . فلما أبلعت قال : دعها حتى تصير رطبا . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا . فلما أثمرت عمد إليها عرقوب فجزها ولم يعط أخاه شيئا ، فصارت مثلا سائرا في الخلف .

قال الأعشى :

وعذت وكان الخلف منك سحجة . مواعيد عرقوب أخاه يشرب

اليمين الغموس

منه قولهم : جذها جذ العير الصليانة . وذلك أن العير ربما اقتلع الصليانة إذا ارتعاها .

ومنه الحديث المرفوع : اليمين الغموس تدع الديار بلاقيع . قال أبو عبيد : اليمين الغموس هي المصبورة التي يوقف عليها الرجل فيحلف بها ؛ وتسمى غموساً لغمها حالها في المأثم .

ومنه قولهم : اليمين جنت أو مندمة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان حالفاً فليحلف بالله .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم

في الرجل المبرز في الفضل

وقولهم : ما يشق غباره ، وأصله السابق من الخيل .

وقولهم : جرى المذكي حسرت عنه الحمر ، أي كما يسبق الفرس القارح الحمر .

وقولهم : جرى المذكيات غلاء أو غلاب .

وقولهم : ليست له همّة دون الغاية القصوى .

الرجل النديه الذكر

وقولهم : ما يحجر فلان في العكم . العكم : الجوائق ، يريد أنه لا يخفى مكانه .

وقولهم : ما يوم حليمة بيسر وكانت فيه وقعة مشهورة قتل فيها المنذر بن

ماء السماء ، فضربت مثلاً لكل أمر مشهور .

وقولهم : أشهر من أبلق .

وقولهم : وهل يخفى على الناس النهار .

ومثله : وهل يخفى على الناظر الصبح .

وقولهم : وهل يجهل فلاناً إلا من يجهل القمر . ٥

الرجل العزيز يعز به الدليل

منه قولهم : إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا تَسْتَنِيرُ . البُغَاثُ : صغار الطير ، تستنسر :
تصير نسوراً .

وقولهم : لأحز بوادى عوف . يريدون عوف بن مُحَلِّم الشيباني ، وكان منيعاً .

وقولهم : تَمَرَّدَ مارد وعزَّ الأبلق . مارد : حصن بدومة الجندل ، والأبلق :
حصن السموأل . ١٠

وقولهم : من عزَّ بَزَّ . ومن قلَّ ذَلَّ . ومن أمرٍ قَلَّ . أمر : كثر .

الرجل الصعب

منه قولهم : فلان أَلْوَى بَعِيدُ الْمُسْتَعَرِّ .

وقولهم : ما بَلَكَ منه بأفوق ناصل . وأصله السهم المكسور الفوق الساقط ١٥
النصل ، يقول : فهذا ليس كذلك .

وقولهم : ما يُقَفِّع لى بالشنان .

وقولهم : ما يُصْطَلَى بناره .

وقولهم : ما تُقَرَّن به الصَّعْبَةُ .

النجد يلتقى قرنه ٢٠

منه قولهم :

* إِنْ كُنْتَ رِيحاً قَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَاراً *

والحديد بالحديد يُفْلَح . والفلاح : الشق . ولا يُفْلَح الحديد إلا الحديد . والتَّبْعُ
يَقْرَعُ بعضه بعضا . ورُمِيَ فلان بحجره . أى قرن بمثله .

الاريب الداسي

هو هِترٌ أَهْتار ، وِضْلٌ أَصْلال . أصله من الحيات ، شبه الرجل بها .
ومثله : حية ذكر ، وحية واد .

وقولهم : هو عُضْلَةٌ من العُضَل . وهو باقِعَةٌ من البَوَاقِع . وَحَوْلٌ قَلْب .
وَمُؤَدَمٌ مُبَشِّر . يقول : فيه لين الأدمة ، وخشونة البشرة
وفلان يعلم من حيث تُؤْكَلُ الكتِف .

التبيه بلا منظر ولا سابقة

قال أبو عبيد : هو الذى تسميه العرب الخارجى ، يريدون : خرج من غر
أولية كانت له . قال الشاعر :

ألا يامروا لست بخارجى . وليس قديمٌ مجدك باتتعال

وقولهم : تسمع بالمعنى خبر من أن تراه . وهو تصغير رجل منسوب إلى معد .
وقالوا :

نفسُ عصامٍ سوِّدتُ عصاما .

الرجل العالم النحرير

قالوا : إنه لَنَقَّاب . وهو الفطن الذكى .

وقالوا : إنه لَعَض . وهو العالم النحرير .

وقولهم : أنا جُذَيْلُهَا المَحَكَّك ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّب .

قال الأصمعى : الجذيل : تصغير الجذل . وهو عود ينصب للإبل الجرباء .
لتحكك به من الجرب ، فأراد أن يُشْفَى برأيه . والعُذيق : تصغير عُذْق ، والعُذْق
- بالفتح - النخلة نفسها ، فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المسائل بناء

مرتفعاً يدعمها لكيلا تسقط ، فذلك التَّرجيب ، وصغرهما للدح .

ومثله قولهم : إنه لجَذَل حَكَاك .

ومنه قولهم : عَيْنِيَّة نَشَقِي الجَرْب . والعنية : شيء تعالج به الإبل إذا جربت .

وقولهم : ٥ لِنْدَى الحِلْم قبل اليوم ما تُقَرِّع العصا ٥

وأول من قُرِعَت له العصا سعد بن مالك الكِنَانِي ، ثم قُرِعَت لعامر بن الظرب ٥ العدواني ، وكان حكم في الجاهلية فكبر حتى أنكر عقله ، فقال لبنيه : إذا أَنَا زُغْتُ فقوموني . وكان إذا زَاغ قُرِعَت له العصا ، فيزوع عن ذلك .

ومنه قولهم : إنه لَأَلْمَعَى . وهو الذي يُصِيب بالظن .

وقولهم : مَا حَكَّكَت قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتَهَا .

وقولهم : الْأُمُور تَشَابَهُ مُقْبِلَةٌ وَتَظْهَرُ مُدِيرَةٌ . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةٌ إِلَّا الْعَالَم ١٠
الذَّهْرِير ، فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالَم .

الرجل المجرب

منه قولهم : إنه لَشَرَاب بَأْتُقَع . أَي مُعَاوِد لِلْخَيْرِ وَالشَّر .

وقولهم : إنه لَحَرَّاج وَلَّاج .

وقولهم : حَابَّ الذَّهْر أَشْطَرُهُ . وَشَرِبَ أَفَاوِيْقَهُ . أَي اخْتَبَرَ مِنَ الذَّهْرِ خَيْرَهُ ١٥
وشره . فَالشَّطَر . هُوَ شَطَرُ الْحَلْبَةِ . وَالْفَيْقَةُ : مَا بَيْنَ الْحَلْبَتَيْنِ .

وقولهم : رَجُلٌ مُنْجَذ . وَهُوَ الْمَجْرِب ، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّوَاَجُدِ ، يُقَالُ : قَدْ عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ ، إِذَا اسْتَحْكَم .

وقولهم : أَوَّلُ الْغَزْوِ أَخْرَقَ .

وقولهم : لَا تَعْدُو إِلَّا بِنِغْلَامٍ وَقَدْ غَدَا . ٢٠

وقولهم : زَايَحِمْ بَعُودَ أَوْ دَع .

وقولهم : الْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِمْرَةَ .

وقالت العامة : الشارب لا يُصفر له .

الذب عن الحرم

قالوا : الفحل يحمى شوْله . والخيل تَجْرى على مساويها . يقول : إن الخيل وإن كانت لها عيوب فإن كرمها يحملها على الجرى .

وقولهم : النساء لحم على وضم إلا ما ذُبَّ عنه . ٥

وقولهم : النساء حباثل الشيطان .

وقولهم : كلُّ ذاتِ صِدار خالة . يريد أنه يحميها كما يحمي خاله .

الصلة والقطيعة

منه قولهم : لا خيرَ لك فيمن لا يرى لك ما يرى لنفسه .

وقولهم : إنما يُضَنُّ بالضَّنين . ١٠

وقولهم : خلَّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ .

وقولهم : أَلْقِ حبله على غاربه .

وقولهم : لو كرهتني يدي قطعنها .

الرجل يأخذ حقه قسرا

منه قولهم : يركب الصَّعبَ مَنْ لا ذَلُولَ له . ١٥

وقولهم : مُجَاهَرَةٌ إذا لم أجد مَخْتَلًا . يقول : أخذ حتى قسراً علانية إذا لم أصل إليه بالستر والعافية .

وقولهم : حَلَبْتُهَا بالسَّاعِدِ الأشَدِّ . يقول : أخذتها بالقُوَّة والشدة إذا لم أقدر عليها بالرفق .

وقولهم : التَّجَدُّدُ خيرٌ من التَّيْلُدِ ، والمَنَّةُ خيرٌ من الدَّيْنَةِ ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ . ٢٠

الإطراق حتى تصاب الفرصة

منه قولهم : مُخْرَبِقٌ لِيَذْبَاع . مخربق : مطرق . لينباع : لينبعث . يقول :

سكت حتى يصيب فرصته فيثب عليها .

وقولهم : تَحْسِبُهَا حَقًّا وَهِيَ بَاخِس .

وقولهم : خَيْرُهُ فِي صَدْرِهِ .

وقولهم : أَحَقُّ بِلُغٍ . يقول : مع حمقه يدرك حاجته .

٥ الرجل الجلد المصحح

أَطْرَى فَإِنَّكَ نَاعِلَةٌ . أصله أن رجلاً قال لراعية له كانت ترعى في السهولة وترك الحزونة ، فقال لها : أطرى . أى : خذى طرر الوادى . وهى نواحيه .
فإنك ناعلة . يريد : فإن عليك نعلين .

وقولهم : بِهِ دَاءٌ ظَبِّ . معناه أنه ليس بالظبي داء .

وقالوا : الشَّجَاعُ مُوَقِّ .

الذل بعد العز

منه قولهم : كَانَ جَمَلًا فَاسْتَنَوَّقَ . أى صار ناقة

وقولهم : كَانَ حِمَارًا فَاسْتَأْتَنَ . أى صار أتاناً .

وقولهم : الحَوْرُ بَعْدَ الكَوْرِ .

١٥ وقولهم : ذُلٌّ لَوْ أَجِدُ نَاصِرًا . أصله أن الحارث بن أبى شمر الغساني ، سأل أنس بن أبى الحَجِير عن بعض الأمر ، فأخبره : فلطمه الحارث ، فقال أنس : ذل لو أجد ناصراً . فلطمه ثانية ، فقال : لو تَهَيْتُ الأولى لم تَلْطِمِ الثانية . فذهبتا مثلين .

الانقال من ذل إلى عز

منه قولهم : كُنْتُ كُرَاعًا فَصِرْتُ ذِرَاعًا .

وقولهم : كُنْتُ عَنَزًا فَاسْتَبَيْتُ .

وقولهم : كُنْتُ بُغَاثًا فَاسْتَسْرْتُ . أى صرت نسراً .

تأديب الكبير

قالوا : ما أشدَّ فِطَامَ الكبير .

وقولهم : عَوْدٌ يُقْلَح . أى جمل مُسَنّ تُنقى أَسَنَانُهُ .

وقالوا : من العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرَمِ .

قال الشاعر :

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتُ * ومن العَنَاءِ رِيَاضَةُ الهَرَمِ

وقولهم : أَغْيَيْتَنِي بِأُثْرٍ ، فكيف بِدُرْدُرٍ . يقول أَعْيَيْتَنِي وَأَنْتَ شَابَةٌ ،

فكيف إِذَا بَدَتْ دِرَادِرُكَ ، وهى مَغَارِزُ الْأَسْنَانِ .

الذليل المستضعف

١٠ منه قولهم : فَلَانٌ لَا يَعْوِي ، وَلَا يَنْبَسِحُ مِنْ ضَعْفِهِ . يقول : لَا يَتَكَلَّمُ

بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ .

وقولهم : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ سِقَاءُ مُرَوِّبٍ . وهو السِّقَاءُ الَّذِي يُلَافِ حَتَّى يَبْلُغَ

أَوَانَ الْخُضْ .

وقالوا : أَهْوَنُ مَظْلُومٍ عَجُوزٌ مَعْقُومَةٌ .

١٥ وقولهم : لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ .

الذليل يستعين بأذل منه

قالوا : عَبْدٌ صَرِيحُهُ أَمَةٌ .

وقولهم : مُثْقَلٌ آسْتَعَانَ بِذَقْنِهِ . وأصله : الْعَبِيرُ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ فَلَا

يَقْدِرُ عَلَى الْهَوَاضِ بِهِ ، فَيَعْتَمِدُ عَلَى الْأَرْضِ بِذَقْنِهِ .

٢٠ وقولهم : الْعَبْدُ مِنْ لَا عَبْدَ لَهُ .

اللاحق المائق

قالوا : عَدُوُّ الرَّجُلِ مُحَقُّهُ ، وَصَدِيقُهُ عَقْلُهُ .

وقولهم : خَرَفَاءُ عَيَّابَةٌ . وهو الاحق الذي يعيب الناس .
وقالوا في الرجل إذا اشتد حقه جدا : ثُأَطَةٌ مُدَّتْ بِمَاءٍ . الثأطَةُ الحَاةُ ، فإذا
أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبة .

الذى تعرض له الكرامة فيختار الهوان

منه قولهم : تَجَنَّبَ رَوْضَةً وَأَحَالَ يَدُو . يقول : ترك الخصب واختار الشقاء .
وقولهم : لَا يَخْلُو مَسْكُ السُّوءِ مِنْ عَرَفِ السُّوءِ . يقول : لا يكن جلد رذل
إلا والريح المنتنة موجودة فيه .
ومنه قول العامة : قِيلَ لِلشَّقِيِّ هَلُمَّ إِلَى السَّعَادَةِ . قال : حَسْبِيَ مَا أَنَا فِيهِ .
ومنه قول العامة :

١٠ * إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يَخْتَنِقُ *
وقولهم : لَا يَعْدَمُ الشَّقِيُّ مُهَيَّرًا . أى لا يعدم الشقي رياضة مهر .

الرجل تريد إصلاحه وقد أعياك أبوه قبله

منه قولهم : لَا تَقَنَّ مِنْ كَلْبٍ سُوءٍ جَرُّوا .

وقال الشاعر :

١٥ تَرْجُو الْوَلِيدَ وَقَدْ أَعْيَاكَ وَالِدُهُ * وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَلَدَا

الواهن العزم الضعيف الرأى

منه قولهم : مَا لَهُ أَكْلٌ وَلَا صَيُورٌ . أى ليس له رأى ولا قوة .
قال الأصمعي : طَلَبَ أَعْرَابِي ثَوْبًا مِنْ تَاجِرٍ ، فَقَالَ : أُعْطِنِي ثَوْبًا لَهُ أَكْلٌ .
يعنى قوة وحصافة .

٢٠ ومنه قولهم : هُوَ إِمْعَةٌ . وهو إِمْرَةٌ . قال أبو عبيد : هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي
لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا عِزْمَ ، فَهُوَ يَتَابِعُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَلَا يَنْبِتُ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَذَلِكَ
الْإِمْرَةُ ، الَّذِي يَتَابِعُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى أَمْرِهِ .

ومنه قولهم : بنت الجبل . ومعناه الصدى يجيبك من الجبل ، أى هو مع كل متكلم يجيبه بمثل كلامه .

الذى يكون ضارا ولا نفع عنده

منه قولهم : المعزى تُبْهِى ولا تُنْئى . قال أبو عبيد : معناه أن المعزى لا تكون منها الأبنية ، وهى بيوت الأعراب ، وإنما تكون من وبر الإبل ، وصوف الضأن ، ولا تكون من الشعر ، وربما صعدت المعزى إلى الخباء فخرقته ، فذلك قولهم تُبْهِى ، يقال : أهببت البيت : إذا خرقته ، فإذا انخرق قيل بيت باهٍ .

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه

ومنه قولهم : ترى الفتيان كالنخل ، وما يُدريك ما الدُّخْل .
وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث : إلك لمنظراتي . قال : نعم ومنظراتي .

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم

قال الأصمعي : ويقال : لن يزال الناس بخير ما نبأينوا ، فإذا تساوا هلكوا .
قال أبو عبيد : معناه أن الغالب على الناس الشر ، والخير فى القليل من الناس ، فإذا كان التساوى فأنما هو من الشر .

ومن أشد العجائب قول القائل : سَوَاسِيَةٌ كَأَسنانِ الحمار .

ومنه قولهم : الناس سوائٌ كَأَسنانِ المُشْطِ .

وقولهم : الناس أشباهُ وشتى فى الشيم .

وقولهم : الناس أخْيَافٌ . أى مفترقون فى أخلاقهم ، وكلهم يجمعه بيت الأَدم . والأخيف من الخيل : الذى لإحدى عينيه زرقاء ، والآخرى كَلَام .

ومنه قولهم : بُذْتُ الإسْكَافِ فيه من كلِّ جلدٍ رُفْعَةٍ .

المتساويان فى الخير والشر

هما كَفَرَتْنِي رِهانٍ . وَكَرَّكَتْنِي بَعير . وهما زَنْدانٍ فى وعاء . وهذا فى الخير .

وأما في الشر : فيقال : هما كحمارى العبادى . حين قال له : أى حماريك شر ؟
قال : هذا ثم هذا .

الفاضلان وأحدهما أفضل

- منه قولهم : مَرَعَى وَلَا كَالسُّعْدَانِ .
وقولهم : ماء وَلَا كَصَدَاءِ . وصداء : ركية ذات ماء عذب . ٥
وقولهم : فَتَى وَلَا كَاللَّيْلِ .
وقولهم : فِي كُلِّ الشَّجَرِ نَارٌ وَأَسْتَمَجِدُ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ . وهما أكثر الشجر نارا .
الرجل يرى لنفسه فضلا على غيره
منه قولهم : كُلُّ بُحْرٍ بِالْخَلَاءِ يُسَرُّ . وأصله : الذى يُجْرَى قَرَسَهُ فِي الْمَكَانِ
الخالى فهو يُسَرُّ بما يرى منه . ١٠

المكافأة

- منه قولهم : سَنَّةٌ بِنَاكَ .
وقولهم : أَضِئْ لِي ، أَقْدَحْ لَكَ . أى كن لى أكن لك .
وقولهم : آسِقِ رَقَائِشِ سَقَايَةَ . يقول : أحسنوا لها إنها مُحْسَنَةٌ .

الأمثال في القربى

التعاطف بين ذوى الأرحام

- قال الكلبي : منه قولهم : يَا بَعْضِي دَعِ بَعْضًا . وأصل هذا أن زُرارة بن عُدْسٍ
زوج أخته من سويد بن ربيعة ، فكان له منها تسعة بنين . وأن سويدا قَتَلَ أَخَا
صغيراً لعمر بن هند الملك وهرب ولم يقدر عليه ابن هند ؛ فأرسل إلى زُرارة
أن انتنى بولده من أبتك ؛ فجاء بهم ، فأمر عمرو بقتلهم ، فعلقوا بجدهم زُرارة ؛ ٢٠
فقال : يَا بَعْضِي دَعِ بَعْضًا . فذهبت مثلاً .

ومن أمثالهم في التحنن على الأقارب

قولهم : لكن على بَلَدَحَ قَوْمٌ عَجْفَى .

وقولهم : لكن بالاثلاث لحم لا يظلل .

وأصل هذا أن بهيسا الذي يُلقب بتعامه كان بين أهل بيته وبين قوم حرب ،

فقتلوا سبعة إخوة لبهيس وأسروا بهيسا ، فلم يقتلوه لصغره وارتحلوا به ، فنزلوا ٥

منزلا في سفرهم ونحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : ظللوا لحم

جزوركم لتلا يفسد . فقال بهيس : لكن بالاثلاث لحم لا يظلل . يعنى لحم إخوته

القتلى . ثم ذكروا كثرة ما غنموا ، فقال بهيس : لكن على بَلَدَحَ قَوْمٌ عَجْفَى . ثم

إنه أفلت ، أو خلوا سبيله ، فرجع إلى أمه ، فقالت : أنجوت من بينهم ؟ وكانت

لاتحبه ؛ فقال لها : لو خَيْرْتُ لَأَخْتَرْتُ فلما لم يكن لها ولد غيره رقت له وتعطمت ١٠

عليه . فقال بهيس : الشُّكْلُ أَرَأَمَهَا .

فذهبت كلماته هذه الأربع كلها أمثالا .

ومنه قولهم : لا يَعدَمُ الحُوار من أُمِّه حَنَّةٌ .

وقولهم : لا يَضُرُّ الحُوار ما واطَّئَتْهُ أُمُّهُ .

وقولهم : بأبى أَوْجَهَ اليتامى . ١٥

حماية القريب وإن كان مبغضا

من ذلك قولهم : آكل لحمى ولا أدعُه يُؤكل .

ومنه : لا تَعدَمُ من ابن عمك نصراً .

وقولهم : الحفائظُ تُحمَلُ الأحقادَ .

وقولهم في ابن العم : عدوك وعدو عدوك . ٢٠

وقولهم : كفك منك وإن كانت سلاء .

وقولهم : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

إعجاب الرجل بأهله

منه قولهم : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَةٌ .

وقولهم : القَرْنَبِيّ في عين أمها حَسَنَةٌ .

وقولهم : زَيْنٌ في عين والدٍ ولده .

وقولهم : حَسَنٌ في كلِّ عينٍ من تَوَدُّ .

وقولهم : من يَمْدَحُ العُرُوسَ إِلَّا أهلها .

تشبيه الرجل بأبيه

منه قولهم : من أَشْبَهَ أباه فما ظلم .

وقولهم : العُصِيَّةُ مِنَ العِصَا .

وقولهم : ما أشبه حَجَلَ الجبالِ بِالوَانِ صخرِها .

وقولهم : ما أشبه الحَوَالِ بالقِبلِ . وما أشبه اللِّيلَةَ بالبارحةِ .

وقولهم : شَفِشْنَةَ أَعْرِفْهَا مِنْ أَخْزَمَ . يقال هذا في الولد إذا كانت فيه طبيعة من أبيه .

قال زهير :

وهل يُذَيِّتُ الحُطَيِّ إِلَّا وَشِيجُهُ ۝ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النخلُ

ومنه قول العامة : لا تلد الذئبة إِلَّا ذئبا .

وقولهم : حَذَوُ النعلِ بالنعل . وحَذَوُ القُدَّةِ بالقُدَّةِ ، والقُدَّةُ : الريشة من ريش السهم يُتَحَذَى على صاحبها .

تحاسد الأقارب

من ذلك قولهم : الأَقَارِبُ هم العَقَارِبُ .

وقال عمر : تَزَاوَرُوا وَلَا تَجَاوَرُوا .

وقال أكم : تَبَاعَدُوا فِي الدَّيَارِ تَقَارَبُوا فِي الْحَبَّةِ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة : زِدْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا .
ومنه قولهم : فَرَّقْ بَيْنَ مَعْدٍ نَحَابٍ . يريد أن ذوى القربى إذا تَدَانُوا تَحَاسَدُوا
وتباغضوا .

قولهم فى الأولاد

٤ قالوا : مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . أى من يرى فيهم ما يسره يرى فى نفسه
ما يسوءه .

وقولهم :

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صَبِيُّونَ . أفلحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ
الولد الصبى : الذى يولد للرجل وقد أسن . والربعى : الذى يولد له فى
١٠ عفتوان شبابه : أخذ من ولد البقرة الربعى والصبى .
ويقال للمرأة إذا تَبَنَّتْ غير ولدها : أَبْنَكِ مَنْ دَمَى عَقْبِكَ .

الرجل يؤتى من حيث أمن

قالوا : من مَأْمَنَهُ يُؤْتَى الْخَذِيرُ .

وقال عدى بن زيد العبادى :

١٢ لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِ شَرْقٍ . كُنْتُ كَالْفُصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِ
قال الأصمى : هذا من أشرف أمثال العرب . يقول : إن كل من شرق بالماء
لا مستغاث له .

وقال الآخر :

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفْرُ إِلَيْهِمْ . فَهُمْ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفَرَارُ

٢٠ ومثله قول عباس بن الأحنف :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاغٍ . يَهِيْجُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي

كيفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا . كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

وقال آخر :

من غصَّ دأوى بشرب الماء غُصَّته ، فكيف يصنع من قد غص بالماء

الأمثال في مكارم الأخلاق

الحلم

قال أبو عبيد : من أمثالهم في الحلم : إذا تزا بك الشرُّ فاقْعُدْ . أى فاحلم .
ولا تسارع إليه .

ومنه قول الآخر : الحليمُ مَطِيئَةُ الْجَهُولِ .

وقولهم : لا يَنْتَصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ .

وقولهم : أَخْرِ الشَّرَّ فَإِنْ شَتَّ تَعَجَّلَتْهُ .

وقولهم في الحليم : إنه لَوَاقِعُ الطَّيْرِ ، ولساكن الرِّيحِ .

وقولهم في الخلاء : كَأَنَّمَا عَلَى رِءُوسِهِمُ الطَّيْرُ .

ومنه قولهم : رُبَّمَا أَسْمَعُ فَأَذُرُ .

وقولهم : حِلْيَ أَصَمٍّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءَ .

العفو عند المقدرة

منه قولهم : مَلَكَتْ فَأَنْجِحْ . وقد قاله عائشة رضوان الله عليها لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدا من هودجها وكلها فأجابته ملكة فأصبح . أى ظفرت فأحسن . فجهزها بأحسن الجهاز . وبعث معها أربعين امرأة ، وقال لهنهم : سبعين - حتى قدمت المدينة .

ومنه قولهم : إِنْ الْمَقْدِرَةُ تَذِيبُ الْخَفِيزَةَ .

وقولهم : إِذَا أَرَجَعْتَ شَاصِيًا فَارْفَعْ يَدَا . يقول : إذا رأيتَه قد خضع واستكان فاكفف عنه . والشاصي : الرافع رجله .

المساعدة وترك الخلاف

من ذلك قولهم : إذا عز أخوك فهن .
وقولهم : لولا الوثام هلك اللثام . الوثام : المباهاة . يقول : لولا المباهاة لم
يفعل الناس خيراً .

مداراة الناس

٥

قالوا : إذا لم تغلب فاخلب . يقول : إذا لم تغلب فاخدع ودار وألطف .
وقولهم : إلا حظية فلا ألية . معناه : إن لم يكن حظوة فلا تقصير .
وَأَلَا يَأْلُو ، وبأئلي : أى يقصر . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو
الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ .

١٠ وقولهم : سوء الاستيمسك خير من حُسن الصّرة .
ومنه قول أبي الدرداء : إِنَّا لَنَبْشُ فِي وَجْهِ قَوْمٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ .
ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : شَرُّ النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ
النَّاسُ لَشَرِّهِ .

١٥ ومنه قول شبيب بن شيبّة في خالد بن صفوان : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ
وَلَا عَدُوٌّ فِي الْعَلَانِيَةِ . يريد أن الناس يدارونه لشره ، وقلوب الناس تبغضه .

مفاكة الرجل أهله

منه قولهم : كُلُّ امْرِئٍ فِي بَيْتِهِ صَيٌّ . يريد حسن الخلق والمفاكة .
ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إِنَّا إِذَا خَلَوْنَا قُلْنَا (١) .
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : خَسَارُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ .
ومنه قول معاوية : إِنَّهُمْ يَغْلِبُنَ الْكِرَامَ وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّثَامُ .

٢٠

(١) في بعض النسخ : « قلنا ، من القله .

اكتساب الحمد واجتناب الذم

قالوا : الحمد مغنمٌ والذم مغرمٌ .

وقولهم : إن قليل الذم غير قليل .

وقولهم : إن خيراً من الخير فاعله ، وإن شراً من الشر فاعله .

وقولهم :

الخير يتي وإن طال الزمان به . والشر أخبت ما أوعيت من زاد

الصبر على المصائب

من ذلك قولهم :

• هوّن عليك ولا تولّع يا شفاقي •

وقولهم : من أراد طول البقاء فليوطن نفسه على المصائب .

وقولهم : المصيبة للصابر واحدة وللجاذع اثنتان .

وقال أكرم بن صبيح : حيلة من لا حيلة له الصبر .

وذكروا عن بعض الحكماء أنه أصيب بابن له ، فبكى حولاً ثم سلا ، فقيل له : مالك لا تبكي ؟ قال : كان جرحاً فبرئ .

قال أبو خراش الهذلي :

بلى إنها تغفو الكُومُ وإنما • نوكلُ بالادنى وإن جَلَّ ما يمضى

ومنه قولهم : لا تلَهّف على ما فات .

الحض على الكرم

منه قولهم : اصطناعُ المعروف يتي مصارعُ السوء .

وقولهم : الجودُ محبةٌ والبخلُ مبغضةٌ .

وقول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه • لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

الكريم لا يجد

منه قولهم : يَبْقَى بِيَخْلُ لَا أَنَا .

وقولهم : بِالسَّاعِدِ تَبْطُشُ الْكَفَّ .

وقولهم :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقِهَا • وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

وقال آخر :

يَرَى الْمَرْءُ أَحْيَانًا إِذَا قَلَّ مَالُهُ • مِنَ الْخَيْرِ تَارَاتٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا

مَتَى مَا يَرْمُهَا قَصَّرَ ^(١) الْفَقْرُ كَفَّهُ • فَيَضَعُفُ عَنْهَا وَالْغَنَى يُضِيعُهَا

القناعة والدعة

منه قولهم :

• وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى •

وقولهم : يَكْفِيكَ مَا بَلَغَكَ الْمَعْلَى .

وقال الشاعر :

مَنْ شَاءَ أَنْ يُكْثِرَ أَوْ يُقَلَّ • يَكْفِيهِ مَا بَلَغَهُ الْحَلَا

الصبر على المكاره تحمده العواقب

قالوا : عَوَاقِبُ الْمَكَارِهِ مَحْمُودَةٌ .

وقالوا : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى .

وقولهم : لَا تُدْرِكُ الرَّاحَةُ إِلَّا بِالتَّعَبِ .

أخذه حبيب فقال :

عَلَى أَتَى لَمْ أَحْزِرْ مَا لَا يُجْمَعُ • فَفَزْتُ بِهِ إِلَّا بِشَمْلِ مُبْدِدٍ

وَلَمْ تُعْطِنِي الْإَيَّامُ نَوْمًا مُسْكَنًا • أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمِ مُشْرَدٍ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ ، يَشْمُ .

وأحسن منه قوله أيضا :

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُلْيَا فَلَمْ تَرَهَا . تَنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ النُّعْبِ

الانتفاع بالمال

قالوا : خير مالِك ما نَقَعَكَ ، ولم يَضَعْ من مالك ما وعظَكَ .

ونظر ابن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال : إنه ليس لك حتى يخرج
من يدك .

وقولهم : تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره .

قال الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته • فإذا أنفقتة فالمال لك

١٠

المتصافيان

منه قولهم : هما كئيدٌ مائى جذيمة .

قال الكلبي : هو جذيمة الأبرش الملك ، ونديماه رجلان من بلقين يقال لهما :
مالك ، وعقيل . بلقين : يريد من بنى القين .

وقولهم :

١٥

وكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ • كَعَمْرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

ومنه قولهم : هما أطول صحبة من ابني شتام . وهما جبلان .

خاصة الرجل

منه قولهم : عيبة الرجل . يريدون خاصته وموضع سره .

ومنه الحديث في خزاعة : كانوا عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠

مؤمنهم وكافرهم .

من يكسب له غيره

منه قولهم : ليس عليك غزله فاسحب وجُر

وقولهم : رَبُّ سَاعٍ لِقَاعِد .

وقولهم : خَيْرُ الْمَالِ عَيْنُ سَاهِرَةٍ لَعِينِ نَائِمَةٍ .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدِيدِهَا .

وقولهم : شَرُّ الْفَقْرِ الْخُضُوعُ ، وَخَيْرُ الْغَنَى الْقَنَاعَةُ . ٥

ومنه الحديث المرفوع : أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ .

قال الشاعر :

فَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا وَتَحَمِّلَ

ومنه قول هُدَيْبِ الْعُدْرِيِّ :

وَلَسْتُ بِمَفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّانِي ، وَلَا جَاذِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ ١٠

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي ، وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

المال عند من لا يستحقه

منه قولهم : خَرَقَاءُ وَجَدْتُ صَوْفًا . عَبْدُ مَلِكٍ عَبْدًا فَأَوْلَاهُ تَبًّا .

وقولهم : مَنْ يَطْلُ ذَيْلُهُ يَتَمَنَّى نَاقَةً . وَمَرْعَى وَلَا أَكُولَةَ . وَعُشْبٌ وَلَا بَعِيرَ .

يعني مال ولا منفق . ١٥

الحض على الكسب

منه قولهم : أَطْلُبُ تَظْفَرٍ .

وقولهم : مَنْ عَجَزَ عَنْ زَادِهِ أَتَّكِلُ عَلَى زَادِ غَيْرِهِ .

وقولهم : مَنْ الْعَجِزُ تُنْجِتُ الْفَاقَةَ .

وقولهم : لَا يَفْتَرِسُ اللَّيْثُ الظَّبْيَ وَهُوَ رَابِضٌ . ٢٠

وقول العامة : كَلْبٌ طَوَافٌ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَابِضٍ .

وقولهم :

أوردوها سعد وسعد مُشتمل • يا سعد لا تروى على ذاك الإبل^(١)

الخبير بالامر البصير به

منه قولهم : على الخبير سقطت •

وقولهم : كفى قوما بصاحبهم خيرا •

وقولهم : لكل أناس في جملةهم خبير •

وقولهم : على يدى دار الحديث •

وقولهم : تعلمنى بضب أنا حرشته • يقول : أتخبرنى بأمر أنا وليته •

وقولهم : ول القوس باريها •

وقولهم : الخيل أعلم بفرسائها •

وقولهم : كل قوم أعلم بصناعتهم •

وقولهم : قتل أرضاً عالمها ، وقتلت أرض جاهلها •

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه

من ذلك قولهم : ما وراءك يا عصام • أول من تكلم به النابتة الذيباني لعصام

صاحب النعمان ، وكان النعمان مريضاً فكان إذا لقيه النابتة قال له : ما وراءك يا عصام ؟

وقولهم :

• سيأتيك بالآخبار من لم تُزوّد •

وقولهم : إليك يُساق الحديث •

انتحال العلم بغير آله

منه قولهم : لكالحادى وليس له بغير •

(١) فى بعض النسخ : ما هكذا تورّد يا سعد الإبل •

وقال الخطيب :

« لكالمشاي وليس له حذاء »

وقولهم : إنباض بغير توتر . وكفايض على الماء .

أخذه الشاعر فقال :

« وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَايِضٍ » عَلَى الْمَاءِ خَاتَمُهُ فُوجُ الْأَصَابِعِ

وخرقاء ذات نيفة . يضرب للرجل الجاهل بأمر يدعى معرفته .

من يوصى غيره وينسى نفسه

يا طيب طِبْ لِنَفْسِكَ .

ومنه : لا تعطيني وتعظمي . أي : لا توصيني وأوصي نفسك .

الآخذ في الأمور بالاحتياط

١٠

منه قولهم : أَنْ تَرَدَّ الْمَاءُ بِمَاءٍ أُكْسٍ .

وقول العامة : لَا تُصَبِّ مَاءً حَتَّى تَجِدَ مَاءً .

وقولهم : عَشَّ وَلَا تَغْتَرَّ . يقول : عَشَّ إِبْرَكَ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِمَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ .

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلا أتاهم ، فقال :

« كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّرِكِ عَمَلٌ ، كَذَلِكَ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ تَقْصِيرٌ . فَكَلِّهِمْ قَال :

١٥

عَشَّ وَلَا تَغْتَرَّ .

وقولهم : لَيْسَ بِأَوَّلِ مَنْ غَرَّهَ السَّرَابُ .

وقولهم : اشْتَرِ لِنَفْسِكَ وَلِلْسُوقِ .

ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذي قال : أُرْسِلُ نَاقِيً وَأَتَوَكَّلُ . قال :

٢٠ أَعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ .

الاستعداد للأمر قبل نزوله

منه قولهم : قَبْلَ الرَّمْيِ يُرَاشُ السَّهْمُ .

- وقولهم : قَبْلَ الرَّمَايَةِ تُمَلَأُ السَّكَنَانِ .
 وقولهم : خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ . أَيْ : بِاسْتِقْبَالِهِ قَبْلَ أَنْ يُذِيرَ .
 وقولهم : شَرُّ الرَّأْيِ الدَّبَرِيُّ .
 وقولهم : الْمَحَاجَزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ .
 وقولهم : التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ .
 وقولهم : يَا عَاقِدُ اذْكُرْ حَلًّا .
 وقولهم : خَيْرُ الْأُمُورِ أَحَدُهَا مَغَبَّةٌ .
 وقولهم : لَيْسَ لِلدَّهْرِ بَصَاحِبٌ . مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْعَوَاقِبِ .

طلب العاقبة بمسألة الناس

- قولهم : مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعِنَارَ . وَاحْذَرُ تَسْلَمَ .
 ومنه قولهم : جُرَّ لَهُ الْخَطِيرَ مَا انْجَرَّ لَكَ . الْخَطِيرُ : زَمَامُ الْبَاقَةِ .
 ومنه قولهم : لَا تَكُنْ أَذْنَى الْعَيْرَيْنِ إِلَى السَّهْمِ . يَقُولُ : لَا تَكُنْ أَذْنَى أَصْحَابِكَ
 إِلَى مَوْضِعِ التَّلَفِ ، وَكُنْ نَاحِيَةً أَوْ وَسْطًا .
 قَالَ كَعْبٌ : إِنْ لِكُلِّ قَوْمٍ كَلْبًا فَلَا تَكُنْ كَلْبَ أَصْحَابِكَ .
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : لَا نَكُنْ لِسَانَ قَوْمٍ .

توسط الأمور

- مَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَا تَكُنْ حُلُوءًا فَتُسَرَّرَ طَ ، وَلَا مُرًّا فَتُغْمَقَ . أَيْ تُلْفَظَ . يُقَالُ :
 أَعْقَى الشَّيْءَ . إِذَا اشْتَدَّتْ مَرَارَتُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَلَا تَكْ آفِيًا حُلُوءًا فَتُخْسَى . وَلَا مُرًّا فَتُنْشَبَ فِي الْخِلَاقِ
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : لَا تَكُنْ حُلُوءًا فَتُؤْكَلْ ، وَلَا مُرًّا فَتُلْفَظَ . وَتَوْسُطُ الْأُمُورِ
 أَذْنَى إِلَى السَّلَامَةِ .

ومنه قول مطرف بن عبد الله بن الشخير : الحسنة بين السيئتين . وخير

الأمور أوساطها ، وشرُّ السير الحَفَقَة . قوله : بين السيتين : يريد بين المجاوزة والتقصير .

ومنه قولهم : بين المَمَخَةِ والعَجَفاء ، يريد بين السمين والمهزول .
ومنه قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه : خيرُ الناس هذا النَّمَطُ الأوسط ،
يَلْحَقُ بِهِمُ التَّالِي وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْغَالِي . ٥

الإمابة بعد الإجمام

منه قولهم : أَقْصَرَ لَنَا أَبْصَرَ .
ومنه : أَتَبِعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ ، والتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ، وَالذَّمُّ
تَوْبَةٌ ، وَالاعْتِرَافُ يَهْدِمُ الْإِقْتِرَافَ .

مدافعة الرجل عن نفسه ١٠

جَاحَسَ فُلَانٌ عَنْ خَيْطِ رَقَبَتِهِ . وخيط الرقبة : النخاع ، يقول : دافع عن
دمه ومُهجته .

وقالت العامة :

« وَأَيُّهُ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِكَ تَنْفَعُ »

ومنه : أَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْهَا دَافِعٌ . ١٥

قولهم في الانفراد

الذَّنْبُ خَالِيًا أَسَدًا ، يقول : إذا وجدك خالياً اجتراً عليك .

ومنه الحديث المأثور : الوحيد شيطان .

وفي الحديث الآخر : عليكم بالجماعة : فَإِنَّ الذَّنْبَ إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ

٢٠ الغنم الشاردة .

من ابتلى بشيء مرة مخافة أخرى

منه الحديث المرفوع : لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ . يريد أنه إذا لسع مرة تحفظ أخرى .

وقولهم : مَنْ لَدَغَتْهُ الْحَيَّةُ يَفْرَقَ مِنَ الرِّسَنِ .

وقولهم : * مَنِ اشْتَرَى سَبِيًّا وَهَذَا أَثَرُهُ * .

يضرب هذا المثل الذي قد اخْتَبِرَ وَجُزِبَ .

وقولهم : * كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَدِي الْخَافِيَ الْوَقْعَ * .

الوقع : الذي يمشى في الوقع ، وهي الحجارة . قال أعرابي :

يَا بَيْتَ لِي تَعْلَيْنِ مِنْ جِلْدِ الضَّبْعِ * كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَدِي الْخَافِيَ الْوَقْعِ

اتباع الهوى

قال ابن عباس : مَا ذَكَرَ اللَّهُ الْهَوَى فِي شَيْءٍ إِلَّا ذَمَّهُ .

قال الشعبي : قِيلَ لَهُ هَوَى : لِأَنَّهُ يُهْوَى بِهِ .

ومن أمثالهم فيه : حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعِمِّي وَيُعِمُّ .

وقالوا : الْهَوَى إِلَهٌ مَعْبُودٌ .

الحذر من العطب

قالوا : إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا .

وقولهم : أَعْوَرَ عَيْنِكَ وَالْحَجَرِ .

وقولهم : اللَّيْلُ وَأَهْضَامُ الْوَادِي . وأصله أن يسير الرجل ليلا في بطون

الأودية . حَذَرَهُ ذَلِكَ .

وقولهم : دَغْ خَيْرَهَا لَشَرِّهَا .

وقولهم : لَا تَرَاهُنَّ عَلَى الصَّعْبَةِ .

وقولهم : أَعْنَدَ مَنْ أَنْذَرَ .

حسن التدبير والنهي عن الخرق

الرَّفَقُ يُمَيِّنُ وَالْخَرْقُ سُوءٌ . وَرُبَّ أَكْلَةٍ تَحْرِمُ أَكْلَاتٍ .

وقولهم : قَلْبَ الْأَمْرِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ .

وقولهم : ضَرَبَ وَجْهَ الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ ، وَأَجَرَ الْأُمُورَ عَلَى أَذْلَالِهَا . أَيْ

٥ عَلَى وَجُوهِهَا .

وقولهم : وَجْهَ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا لَهُ .

وقولهم : وَلِيَّ حَارِّهَا مَنْ وَلِيَ قَارِّهَا .

المشورة

قَالُوا : أَوَّلُ الْحَزْمِ الْمَشُورَةُ .

١٠ وَمِنْهُ لَا يَهْلِكُ أَمْرٌ عَنْ مَشُورَةٍ .

قَالَ ابْنُ الْمُسَيْبِ : مَا اسْتَشَرْتُ فِي أَمْرٍ وَاسْتَخَرْتُ وَأَبَالَى عَلَى أَيْ جَنَاحٍ سَقَطَتْ .

الجد في طلب الحاجة

أَبْلُ ذَنْرًا وَخَلَاكَ ذَمٌّ . يَقُولُهُ : إِتِمَّا عَلَيْكَ أَنْ تَجْتَهِدَ فِي الطَّلَبِ وَتُعَذِّرَ ،

لِكَيْلَا تُذَمَّ فِيهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُقْضَى الْحَاجَةُ .

١٥ وَمِنْهُ : هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاسْتَدَيَّ زَيْمٌ »

وقولهم : دَرَبٌ عَلَيْهِ جِرْوَتُكَ . أَيْ وَطْنٌ عَلَيْهِ نَفْسُكَ .

ومنه : اِجْمَعْ عَلَيْهِ جَرَاهِيزَكَ ، وَاشْدُدْ لَهُ حِيَازِيْمَكَ .

وقولهم : شَمَّرَ ذَبْلًا ، وَادَّرَعَ لَيْلًا .

ومنه : إِيْتِ بِهِ مِنْ حَسَنِكَ وَبَسَّكَ .

٢٠ وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَةِ : جِئْتُ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَيْسَ وَلَيْسَ . وَالْأَيْسُ : الْمَوْجُودُ .

وَاللَّيْسُ : الْمَعْدُومُ .

التأني في الأمر

من ذلك قولهم : وَبَّ عَجَلَةً تُعِيبُ رَيْثًا .
وقولهم : الْمُنْتَبُ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَنْبَى .
وقال القُطَامِي :

- ٥ قد يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ • وقد يكون مع المستعجل الزَّالِ
ومنه : ضَحَّ رُوَيْدًا . أَيْ لَا تَعْجَلْ . وَالرَّشْفُ أَنْتَقَعَ . أَيْ أُرْوِيَ يَقَالُ :
شَرِبَ حَتَّى نَقَعَ .
ومنه : لَا يُرْسِلِ السَّاقِ إِلَّا مُسَكَا سَاقًا .

سوء الجوار

- ١٠ منه قولهم : لَا يَنْفَعُكَ مِنْ جَارٍ سُوءٌ تَوَقَّيْ ، وَالْجَارُ السُّوءُ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ .
ومنه : هَذَا أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِثَرَكٍ .
ومنه قولهم : الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ ، الرِّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ .
ومنه قولهم : بَعْتَ جَارِي وَلَمْ أَبْعِدْ دَارِي . يَقُولُ : كُنْتُ رَاغِبًا فِي الدَّارِ ،
إِلَّا أَنِّي بَعْتُهَا بِسَبَبِ الْجَارِ السُّوءِ .

سوء المرافقة

- ١٥ أَنْتَ تَتَّقُ وَأَنَا مَتَّقٌ فَتَى تَتَّفِقُ . التَّقَى : السَّرِيعُ الشَّرِّ . وَالتَّقَى : السَّرِيعُ الْبُكَاءِ ؛
ويقال : الْمَمْتَلِئُ مِنَ الْغَضَبِ . وَالتَّقَى وَالتَّقَى مَهْمُوزَانِ .
وقولهم : مَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَرْوَى وَالنَّعَامِ . يَرِيدُ أَنْ مَسْكَنَ الْأَرْوَى الْجِبَلِ
وَمَسْكَنَ النِّعَامِ الرَّمْلَ . وَالْأَرْوَى ، جَمْعُ أَرْوِيَّةٍ .
٢٠ ومنه : لَا يَجْتَمِعُ السَّيْفَانِ فِي غِمْدٍ .
ومنه : لَا يَلْطَاطُ هَذَا بِصَفَرِي . أَيْ لَا يَلْصِقُ بَقَلِي .

العادة

قالوا : العادة أملك من الأدب .
وقالوا : عادة السوء شرٌّ من المعرّم .
وقالوا : أعطِ العبد ذراعاً يطلب باعاً .

ترك العادة والرجوع إليها

منه قولهم : عاد فلانٌ في حافِرته . أى في طريقته . ومنه قوله تعالى :
(أَتَأْتِئُ الْمَرْذُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) . ومنه رَجَعَ فلانٌ على قَرَوَانِهِ . ومنه الحديث :
لا تَرْجِعْ هذه الأُمَّةُ عن قَرَوَانِهَا .

اشتغال الرجل بما يعنيه

منه : كُلُّ امرئٍ في شأنه ساعٍ .
وقولهم : هَمُّكَ ما أَهَمُّكَ . هَمُّكَ ما أَذْنُكَ .
وقولهم : ولى حارّها من تولى قارّها .

قلة الاكتراث

منه قولهم : ما أباليه بالة . أَسْمَحُ يُسَمِّحُ لك .
وسئل ابن عباس عن الضوء من اللبّ؟ فقال : ما أباليه بالة .
وقولهم : الكلاب على البقر . يقول : خلّ الكلاب وبقر الوحش .

قلة اهتمام الرجل بصاحبه

هان على الأملس ما لاقى الدّر .
وقولهم : ما يَلْقَى الشَّجِي من الخلى . قال أبو زيد : الشجى مخفف ،
والخلى : مشدد .

ومنه قول العامة : هان على الصّحيح أن يقول للريض : لا بأس عليك .

الجشع والطمع

- منه قولهم : تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرُّجَالِ الْمَطَامِعُ .
 ومنه قولهم : غَشَّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ .
 وقولهم : الْمَسْأَلَةُ تُخَوِّشُ فِي وَجْهِ صَاحِبِهَا .
 وقال أبو الأسود في رجل دنى : إِذَا سُتِلَ أَرَزَ وَإِذَا دُعِيَ انْتَهَزَ^(١) .
 ومنه قول عون بن عبد الله : إِذَا سَأَلَ الْخَفَّ ، وَإِذَا سُتِلَ سَوَّفَ .

الشراهة للطعام

- منه قولهم : وَحَمَى وَلَا حَبَلَ . أَيْ لَا يُذَكِّرُ شَيْءٌ إِلَّا أَشْتَهَاهُ ، كَشَهْوَةِ الْعَبْلِيِّ .
 وهي الوحى .
 ومنه : الْمَرْءُ تَوَاقُّ إِلَى مَا لَمْ يَنْلُ .
 وقولهم : يَبْعَثُ الْكَلَابَ عَلَى مَرَابِضِهَا . أَيْ يَطْرُدُهَا طَمَعاً أَنْ يَجِدَ شَيْئاً
 يَأْكُلُهُ مِنْ تَحْتِهَا .
 ومنه قولهم : أَرَادَ أَنْ يَأْكَلَ يَدَيْنِ .
 ومنه الحديث المرفوع : الرَّغْبَةُ تُثَوِّمُ .

الغلط في القياس

- مثل قولهم : لَيْسَ قَطًّا مِثْلُ قُطَيٍّ .
 وقال ابن الأَسلَمِ :
 لَيْسَ قَطًّا مِثْلُ قُطَيٍّ وَلَا السَّمَرِيُّ فِي الْأَقْوَامِ كَالرَّاعِي
 ومنه قولهم : مُذَكِّيَّةٌ تُقَاسُ بِالْجِدَاعِ . يُضْرَبُ لِمَنْ يَقْبِسُ الْكَبِيرَ بِالصَّغِيرِ
 والمذكية : هِيَ الْمُسْتَنَةُ مِنَ الْخَيْلِ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : دَاهَزَ .

وضع الشيء في غير موضعه

منه : كُمُتَبَضِّعِ التَّمْرَ إِلَى هَجَرَ ، وَهَجَرَ : معدن التمر .

قال الشاعر :

فَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ نَحُونَا هـ كُمُتَبَضِّعِ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا

ومنه قولهم : كُمُعَلَّةٌ أَقْمَا الرُّضَاعَا

ومنه الحديث المرفوع : رُبَّ حَامِلٍ فَقِهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ .

وفيمن وضع الشيء في غير موضعه : ظَلَمَ مَنْ اسْتَرْغَى الذَّنْبَ النَّعَمَ .

وقال ابن هرمة :

كَتَارِكَةٍ يَبْضُهَا بِالْعَسَاءِ هـ وَمُلْحِنَةٍ يَبْضُ أُخْرَى جَنَاحَا

يصف النعامة التي تحضن بيض غيرها وتضع بيضها .

كفران العمة

منه : سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلَّكَ . أَحْشُكَ وَتَرَوْنِي . قال في مخاطبة فرسه : أَأَعْلِفُكَ

الحشيش وتروني على .

ومنه قول الآخر :

أَعْلَهُ الرَّمَابَةُ كُلَّ يَوْمٍ هـ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي

التبذير

منه قولهم : لَا مَاءَ لِكَ أَبْقَيْتَ ، وَلَا دَرَنَكَ أَتَقَيْتَ .

وقولهم : لَا أَبُوكَ تُنْشِرُ وَلَا التُّرَابُ نَقْدٌ . أصل هذا المثل لرجل قال : لَيْتَنِي

أَعْرِفُ قَبْرَ أَبِي حَتَّى آخُذَ مِنْ تَرَابِهِ عَلَى رَأْسِي .

الهمة

منه قولهم : عَسَى الْغَوَيْرُ أَبُوسَا . وَالْأَبُوسُ جَمْعُ بَاسٍ ، قال ابن الكلبي :

الغوير : ماء معروف للكلب . وهذا مثل تكلمت به الزباء ، وذلك أنها وجهت قصيرا

للخمي بالعبير ليحلب لها من بز العراق ، وكان يطلبها بدم جذيمة الأبرش ،
 فجعل الأحمال صناديق ، وجعل في كل صندوق رجلا معه السلاح ، ثم تنكب
 بهم الطريق وأخذ على الغوير فسألت عن خبره ، فأخبرت بذلك ، فقالت :
 عسى الغوير أبوسا . تقول عسى أن يأتي الغوير بشر ، وأستسكرت أخذه على
 غير الطريق .

٥

ومنه : سَقَطَتْ بِهِ النَّصِيحَةُ عَلَى الظَّنَّةِ ، أَيْ نَصَحْتَهُ فَاتَّهَمَكَ .

ومنه : لَا تَنْفَسِ الشُّوْكَ بِمِثْلِهَا ، فَإِنْ ضَلَعَهَا مَعَهَا . يَقُولُ : لَا تَسْتَعِنْ فِي
 حَاجَتِكَ بِمَنْ هُوَ لِلْمَطْلُوبِ مِنْهُ الْحَاجَةُ أَنْصَحَ مِنْهُ لَكَ .

تأخير الشيء وقت الحاجة إليه

- ١٠ منه : لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ ، وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ عُرُوساً أَهْدَيْتْ فُوجِدَهَا الرَّجُلُ
 نَفْلَةً ، فَقَالَ لَهَا : أَيْنَ الطَّيِّبُ ؟ قَالَتْ : أَدْخَرْتَهُ . قَالَ : لَا عِطْرَ بَعْدَ عُرُوسٍ -
 وَقَوْلُهُمْ : لَا بَقَاءَ لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحُرْمَةِ ؛ يَقُولُ : إِنَّمَا يَحْمَى الْإِنْسَانُ حَرِيمَهُ ،
 فَإِذَا ذَهَبَ فَلَا حِمَا لَهُ .

الإساءة قبل الإحسان

- ١٥ منه : يَسْبِقُ دِرْنُهُ غِرَارُهُ ؛ الْغِرَارُ : قِلَّةُ اللَّابَنِ . وَالْدَرَّةُ : كَثْرَتُهُ . وَيَسْبِقُ
 سَيْلُهُ مَطَرَهُ .

البخل

مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ وَلَا مِيزٌ . سَوَاءٌ هُوَ وَالْعَدَمُ . الْعَدَمُ وَالْعُدْمُ ، لُغَتَانِ .

مَابِضٌ حَجَرُهُ . وَالْبِضُّ أَقْلُ السَّيْلَانِ .

- ٢٠ مَا تَبَلَّ إِحْدَى يَدَيْهِ الْأُخْرَى ^(١) .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ . مَا تَبَدَّلَ إِحْدَى يَدَيْهِ لِأُخْرَى .

الجبين

إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَحْتَسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ .

ومنه : كُلُّ أَزْبٍ تَفُوزُ . وَقَتَّ شَعْرُهُ . وَأَقْشَعَزَتْ ذَوَابِتُهُ . معناه : قام شعره من الفرع .
وشرق بريقه .

الجبان يواعد بما لا يفعل

الْصَّدْقُ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعْدُ . يَنْبِي : يَدْفَعُ عَنْكَ مَنْ يَنْبُو .
ومنه : أَوْسَعْتُهُمْ شَتَا^(١) وَأَوْدَوْا بِالْإِيلِ .

١٠ وقيل لأعرابي خاصم امرأته إلى السلطان : كَبَّهَا اللَّهُ لَوَجْهِهَا . فقال : ولو أَمَرَ بِي إِلَى السَّجْنِ .

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قَوْلُهُمْ : إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرِّبَاطِ .

ومنه : إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوَكَبٌ لَاحَ كَوَكَبٌ .

١٥ وقولهم : رَأْسُ بَرَأْسٍ وَزِيَادَةُ خَمْسِمِائَةٍ ، قَالَهُمَا الْفَرَزْدَقُ فِي رَجُلٍ كَانَ فِي جَيْشٍ ، فَقَالَ : مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ خَمْسِمِائَةُ دَرَاهِمٍ . فَبَرَزَ رَجُلٌ وَقَتَلَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ ، فَأَعْطَاهُ خَمْسِمِائَةَ دَرَاهِمٍ ؛ ثُمَّ بَرَزَ ثَانِيَةً ، فَقَتَلَ ، فَبَكَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ ، فَقَالَ لَهُمُ الْفَرَزْدَقُ : أَمَا تَرْضَوْنَ رَأْسًا بِرَأْسٍ وَزِيَادَةَ خَمْسِمِائَةٍ ؟

المقادير

٢٠ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : الْمَقَادِيرُ تُرِيكَ مَا لَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : سَبَا .

وقولهم : إذا نَزَلَ الْقَدَرُ غَشِيَ الْبَصَرُ . وإذا نَزَلَ الْعَيْنُ غَطَّى الْعَيْنَ . ولا يُغْنِي
حَذَرُ مَنْ قَدَرٍ . من أَمْنِهِ يُؤَوِّي الْحَذِرُ .
وقولهم : وكيف تَوَقَّى ظَهَرَ ما أَنْتَ رَاكِبُهُ .

الرجل يَأْتِي إلى حتفه

منه قولهم : أَتَتَكَ بِحَايِنٍ رَجُلَاهُ . لا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدْيَةِ .
وقولهم : حَتَفَهَا نَحْمِلُ ضَأْنًا بِأُظْلَافِهَا .

ما يُقَالُ لِلجَانِي على نفسه

يَدَاكَ أَوْ كُنَّا وَفُوكَ نَفَخَ . وأصله أن رجلاً نفخ زَقًا وركبه في النهر ، فأنحل
الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل . فاستغاث بأعرابي على ضفة النهر ، فقال :
يَدَاكَ أَوْ كُنَّا وَفُوكَ نَفَخَ .

جالب الشر إلى أهله

منه قولهم : دَلَّتْ عَلَى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ . وراقشُ كَلْبَةٌ لَحَى مِنَ الْعَرَبِ مَرَّ بِهِمْ
جَيْشٌ لَيْلاً وَلَمْ يَنْتَبَهُوا لَهُمْ ، فَتَبِعَتْ بَرَاقِشٌ فَدَلَّتْ عَلَيْهِمْ .
وَقَالُوا : كَانَتْ عَلَيْهِمْ كِرَاغِبَةُ الْبَكْرِ . يَعْنُونَ نَاقَةَ ثَمُودَ .
وقال الأخطل :

ضَفَادِعُ فِي ظُلُمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ • فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

تصرف الدهر

منه قولهم : مَرَّةً عَيْشٌ وَمَرَّةً جَيْشٌ .
ومنه : الْيَوْمَ نَخَرٌ وَغَدًا أَمْرٌ : قَالَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ ، أَوْ مَهْلَهْلُ أَخُو كَلِيبَ .
لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ أَخِيهِ وَهُوَ يَشْرَبُ .
وَقَالُوا : عِشْ رَجَبًا تَرِ عَجَبًا .
وَقَالُوا : أَتَى الْأَبَدُ عَلَى كَبَدٍ .

وقال الشاعر :

فِيَوْمٍ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا ۝ وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ

وقولهم : مَنْ يَجْتَمِعُ تَتَقَعَّقُ عُمْدُهُ . وأنشد :

أَجَارَتْنَا مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَرَّقُ ۝ وَمَنْ يَكُ رَهْنًا لِلْعَوَادِثِ يَغْلَقُ

الامر الشديد المعضل

منه قولهم : أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ ، وَأَيْنَ يَضَعُ الْمَخْنُوقُ يَدَهُ .

ومنهم قولهم : لَوْ كَانَ ذَا حَبِيلَةٍ لَنَحْوِلَ .

ومنهم قولهم : رَأَى الْكَوْكَبَ ظُهُرًا . قال طرفة :

« وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَهْوِي بِالظُّهْرِ »

هلاك القوم

منه قولهم : طَارَتْ بِهِمُ الْعَنْقَاءُ . وطارَتْ بِهِمْ عُقَابٌ مَلَأَتْ . يقال ذلك في

الواحد والجمع . وَأَحْسَبُهَا مَعْدُولَةً عَنْ مَلِيعٍ .

وَالْمَنَابِيا عَلَى الْحَوَايا . قال أبو عبيد : يقال إن الحوايا في هذا الموضع مَرَكِبٌ

من مراكب النساء ، واحداً حَوِيَّةٌ ، وأحسب أصلها أن قوماً قتلوا ، فحملوا

على الحوايا ، فظن الرايون أن فيها نساء ، فلما كشفوا عنها أبصروا القتلى ، فقالوا

ذلك : فصارت مثلاً .

ومنهم : أَتَتْهُمْ الدَّهْمُ تَرْمِي بِالرَّضْفِ . معناه الداهية العظيمة .

وهذا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ . معناه أن الأمر أشدَّ حتى ذهبت المرأة أن

تدعو وليدها .

ومنهم : التَّقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ . وَبَاغَ السَّيْلُ الرُّبَى . وجاوزَ الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ .

وتقول العامة : بَلَغَ السَّكَّيْنُ الْعَظْمَ .

إصلاح ما لا صلاح له

منه قولهم : * كدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ * .

حلم : فسد . وكتب الوليد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت :

فإنك والكتاب إلى عليّ * كدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

في شعرٍ له .

٥

صفة العدو

يقال في العدو : هو أَزْرَقُ العين . وإن لم يكن أزرق . وهو أَسْوَدُ الكبد .
وَأَصْهَبُ السَّبَالِ .

البخيل يعتل بالعسر

منه قولهم : قَبِلَ الْبُكَاءُ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا .

١٠

ومنه : قَبِلَ النَّفَاسُ كُنْتَ مَصْفَرَّةً .

اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل

منه : خُذْ مِنَ الرُّضْفَةِ مَا عَلَيْهَا . وَخُذْ مِنْ جَذَعٍ مَا أُعْطَاكَ .

قال ابن الكلبي : وأصل هذا المثل أن غسان كانت تؤدّي إلى ملوك سَلَيْحٍ

دينارين كل سنة عن كل رجل ، وكان الذي يلي ذلك سبطة بن المنصور السليحي .

١٥

جاء سبطة إلى جَذَعِ بن عمرو النّسائي يسأله الدينارين . فدخل جَذَعُ منزله

واشتمل على سيفه ، ثم خرج فضرب به سَبَطَةَ حتى سكت ، ثم قال له : خُذْ مِنْ

جَذَعٍ مَا أُعْطَاكَ ! فامتعت غسان من الدينارين بعد ذلك ، وصار الملك لها

حتى أتى الإسلام .

٢٠

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه

منه قولهم : سَتُنْجِمُكُمْ هُرَيْقَ فِي أَدِيمِكُمْ .

ومنه : يا مُهْدِيَ الْمَالِ كُلُّ مَا أَهْدَيْتَ .

ومنه قول العامة : الْحِجَارُ جَلَبَهَ وَالْجَارُ أَكَلَهَ .

موت البخیل وماله وافر

منه : مات فلانٌ عراضَ السَّطَانِ . وماتَ بِيْطْنَتِهِ لم يَتَغَضَّضْ مِنْهَا شَيْءٌ .

• والتغضض : النقصان .

البخیل يعطى مرة

منه قولهم : ما كانت عَطْبَتُهُ إِلَّا بَيْضَةُ الْعُقْرِ . وهى بَيْضَةُ الدَّيَكِ .

قال الزَّهْرِي : الدَّيْكُ رِبْمًا بَاضَ بَيْضَةً .

وَأُنْشِدَ لِبِشَارٍ :

١٠ قد زُرْتَنِي زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً نَتْنِي وَلَا تَعْلَمِيهَا بَيْضَةَ الدَّيَكِ

ومنه قول الشاعر :

لَا تَعْجَبَنَّ لِخَسِيرِ زَلٍّ مِنْ يَدِهِ * فَالْكُوكِبُ النَّحْسُ سَقَى الْأَرْضَ أَحْيَانًا

ومنه قولهم : من الخواطي سَهْمٌ صَائِبٌ .

وَاللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْمِرٌ . وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ سُلَيْكَ بْنَ سُلَيْكَةَ ، كَانَ نَائِمًا

١٥ مُشْتَمَلًا ، فَجَثَمَ رَجُلٌ عَلَى صَدْرِهِ . وَقَالَ لَهُ : أَسْتَأْذِنُ . فَقَالَ لَهُ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ

وَأَنْتَ مُقْمِرٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَسْتَأْذِنُ يَا خَيْثُ . فَضَمَهُ ضَمًّا ضَرْطًا مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ :

أَضْرِبْ طَأْ وَأَنْتَ الْأَعْلَى . فَذَهَبَتْ أَيْضًا مِثْلًا .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تَسْأَلُنِي بِرَأْمَتَيْنِ سَلَجِمَا . وَأَصْلُهُ أَنَّ امْرَأَةً تَشَاهَتْ عَلَى زَوْجِهَا

٢٠ سَلَجِمَا وَهُوَ بَيْلِدٌ قَفَرٌ ، فَقَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ : وَالسَّلَجِمُ : اللَّفْظُ .

ومنه : شَرُّ مَا نَالَ امْرَأُ مَا لَمْ يَنْتَلِ .

ومنه : السَّائِلُ فَوْقَ حَقِّهِ مُسْتَحَقُّ الْحَرَمَانِ .

ومنه قولهم :

إِنَّكَ إِن كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِيقْ هـ سَاءَ كِ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ

الرضا بالبعض دون الكل

منه : قد يَرْكَبُ الصَّعْبَ مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ .

وقولهم : خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ .

وقولهم : خُذْ مَا طَفَّ . لك أى أرض بما أمكنك .

ومنه قولهم : زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ .

وقولهم : لَيْسَ الرَّيُّ [عَنِ] التَّشَافِّ . أى ليس يروى الشارب بشرب الشفاقة

كلها ، وهى بقية الماء فى الإناء ، ولكنه يروى قبل بلوغ ذلك .

وقولهم : لَمْ يُحَرِّمْ مَنْ قُصِدَ لَهُ . ومعناه أنهم كانوا إذا لم يقدروا على قرى

الضيف فصدوا له بغيراً وعالجوا دمه بشئ حتى يمكن أن يأكله .

ومنه قول العامة : إذا لم يكن شحمٌ فنفَسٌ . أصل هذا أن امرأةً لبست ثياباً ،

ثم مشت وأظهرت البهر فى مشيتها بارتفاع نفسها ، فلقبها رجل ، فقال لها :

إِنِّى أَعْرِفُكَ مَهْزُولَةً ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : إن لم يكن شحمٌ فنفَسٌ ، وقال

ابن هانئ :

قَالَ لِي : تَرْضَى بِوَعْدٍ كَاذِبٍ • قُلْتُ إِنَّ لَمْ يَكْ شَحْمٌ فَنَفْسٌ

التوق فى الحاجة

منه قولهم : فَعَلْتُ فِيهَا فَعْلَ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ .

ومنه قولهم : جَاءَ تَضِبُّ لِنَاتِهِ عَلَى الْحَاجَةِ . معناه لشدة حرصه عليها .

وقال بشر بن أبى خازم : • خَيْلٌ تَضِبُّ لِنَاتِهَا لِلنِّعَمِ •

استتمام الحاجة

أَتَبِعَ الْفَرَسَ لِحَامَهَا . يريد أنك قد جُدت بالفرس واللجام أَيْسَرُ خُطْبًا . فأتَمَّ الحاجة

ومنه : تمامُ الرِّبيعِ الصَّيفُ . وأصله في المطر : فالربيع أوله ، والصيف آخره .

المصانعة في الحاجة

من يطلب الحسنة يُعْطَ مَهْرُهَا .

وقولهم : المصانعة تُدَسِّرُ الحاجة ، وَمَنْ اشْتَرَى فَقَدْ اشْتَوَى . يقول : من اشترى لهما فقد أكل شواء . ٥

تعجيل الحاجة

قولهم : السَّراحُ من النَّجَاحِ ، والنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ .

الحاجة تمكن من وجهين

منه قولهم : كَلَّا جَانِبِي هَرَشِي لَهَنَ طَرِيقَ . هَرَشِي : عقبة .
ومنه : هو على حَبْلِ ذِرَاعِكَ . أى لا يُخَالِفُكَ . ١٠

من منع حاجة فطلب أخرى

منه قولهم : إِلَادَهٍ فَلَادَهٍ . قال ابن الكلبي : معناه أن كاهنا تقاضى إليه رجلان من العرب . فقالا : أخبرنا في أى شيء جئناك ؟ قال : في كذا وكذا :
قالا : إِلَادَهٍ . أى انظر غير هذا النظر . قال : إِلَادَهٍ فَلَادَهٍ . ثم أخبرهما بها .
قال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن . ١٥

الحاجة يحول دونها حائل

منه قولهم : قَدْ عَلِقَتْ دَلُوكَ دَلُوءٌ أُخْرَى .

وقولهم : الأَمْرُ يَحْدُثُ دُونَهُ الأَمْرُ .

وقولهم : أَخْلَفَ رُوَيْبِيأَ مَظْنُهُ . وأصله أن راعيا اعتاد مكانا ، فجاء يرعاه ، فوجده قد تغير وحال عن عهده . ٢٠

ومنه قولهم : سَدَّ آبن يَبْضُ الطريق سَدًّا . وابن يَبْضُ : رجل عقر ناقة في رأس ثنية فسَدَّ بها الطريق .

اليأس والحنية

منه قولهم : مَنْ لى بالسَّانِجِ بعد البارِجِ . أى من لى بِالْيَمَنِ بعد الشَّوْمِ .
وقولهم : جاء يَحْنُقُ حُنَيْنٌ . وقد فسرناه في الكتاب الذى قبل هذا .
ومنه : أطال الغيبة وجاء بالحنية .
ونظير هذا قولهم : سَكَتَ أَلْفًا ونَطَقَ خَلْفًا . أى أطال السكوت وتكلم بالقيبح ، وهذا المثل يقع في باب العيِّ ، وله هاهنا وجه أيضاً .
وقال الشاعر :

وما زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ * مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
وَأَدْرِعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدُّجَى * وَأَسْتَصِيبُ الْفَسْرَ وَالْفَرْقَدَيْنِ
وَأَطْوَى وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْهَمُومِ * إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِحُفَى حُنَيْنِ

طلب الحاجة في غير موضعها

قالوا : لم أجِدْ لشفرتى محزاً .
وقولهم : كَدَمْتُ غير مَكْدَمٍ .
وقولهم : نفختَ لو تنفخ في غمٍ .
وقالت العامة : يضرب في حديد بارد .

طلب الحاجة بعد فواتها

منه قولهم : لا تَطْلُبْ أثراً بعد عينٍ .
وقولهم : الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ . معناه أن الرجل إذا لم يُطْرِقْ ماشيته في الصيف كان مضيعاً لآلبانها عند الحاجة .

الرضا من الحاجة بتركها

منه قولهم : من نجا برأسه فقد ربح .

وقولهم : رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقول العامة : الهزيمة مع السلامة غنيمة .

وقال امرؤ القيس :

٥

وقد طَوَّقتَ في الآفاقِ حتى • رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقال آخر :

الليل داجٍ والكباشُ تَنْتَطِخُ • فمن نجا برأسه فقد ربحُ

من طلب الزيادة فاتقص

منه : كطالب القرن [جُدَعَتْ] أُذُنُهُ .

١٠

وقولهم : كطالب الصيد في عريسة الأسد .

وقولهم : سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهَا عَلَى سِرْحَانٍ . يريد دابة خرجت تطلب العشاء

فصادفت ذنباً .

ونظير هذا من قولنا :

طَلَبْتَ بِكَ التَّكْثِيرَ فَازْدَدْتَ قَلَّةً • وقد يَحْسِرُ الْإِنْسَانُ فِي طَلَبِ الرَّجْحِ

١٥

الحلاء بالحاجة

منه قولهم : • تَحَلَّا لَكَ الْجَوُ فَيُضِي وَأَصْفَرِي •

ومنه : رُمِيَ بِرَيْشِكَ عَلَى غَارِبِكَ . وهذا المثل قالته عائشة لابن أخت

ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ذهبت والله ميمونة ورُمِيَ بِرَيْشِكَ

٢٠ على غاربك .

إرسالك في الحاجة من تثق به

• أرسل حكيمًا ولا توصه •

وقولهم: الحريصُ بصيدُك لا الجوادُ . يقول : إن الذي يحرصُ بحاجتك هو الذي يقوم بها ، لا القوي عليها ولا هوى له فيها .

• ومنه قولهم : لا يُرَحِّلَنَّ رَحْلَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ .

ومنه في هذا المعنى : الحاجة يجعلها نُصَبَ عَيْنَيْهِ ، ويحملها بين أُذُنِهِ وعَاتِقِهِ . ولم يجعلها بظَهْرِ .

قضاء الحاجة قبل السؤال

منه قولهم : لا تسأل الصَّارِخَ وانظرْ ماله . يريد : لم يأتك مستصرخًا إلا من

١٠ ذعر أصابه ، فأغته قبل أن يسألك .

ومنه : كُنْ بِرُغَائِهَا مُنَادِيًا .

ومنه : يُخْبِرُ عَنْ تَجْهُولِهِ مَعْلُومُهُ .

وقولهم : في عَيْنِهِ فَرَاةٌ . يعنون في نظرك إلى الفرس ما يُغْنِيكَ عَنْ أَنْ تَفْرَهُ .

الانصراف بحاجة قامة مقضية

١٥ جاءُ فُلَانٌ ثَانِيًا مِنْ عَيْنَانِهِ . فَإِنْ جَاءَ بِخَيْرِ قَضَاءِ حَاجَةٍ ، قَالُوا : جَاءَ بِضَرْبِ أَصْدَرِيهِ ، أَيْ عَطْفِيهِ .

وجاء وقد لفظ لِحَامَهُ . وجاء سَهْلًا .

فإن جاء بعد شدة قيل : جاء بعدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي . وجاء بعدَ الْهَيْبَاطِ الْهَيْبَاطِ .

تجديد الحزن بعد أن يكي منه

٢٠ منه قولك : حرَّكْ لَهَا حُورَاهَا تَحْنُ . وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص

أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام : أخرج إليهم قيصَ عثمان

رضوان الله عليه الذي قُتل فيه . ففعل ذلك معاوية . فأقبلوا يكون . فعندها قال عمرو : حَرَّكَ لَهَا حُورَهَا تَحَنَّ .

جامع أمثال الظلم

منه قولهم : الظُّلْمُ مَرَّتَعُهُ وَخِيمٌ .

وفي الحديث : الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

ومنه : إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوْكِ الْعَنْبَ .

وقولهم : الْحَرْبُ غَشُومٌ .

الظلم من نوعين

منه : أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ .

ومنه : أَعْدَةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوءَةٍ .

وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلجأ إلى امرأة من سلول فهلك عندها .

ومنه : أَغِيرَةٌ وَجُبْنًا . قاله امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدوه في منزله ، ورآها تنظر إلى القتال فضر بها . فقالت : أَغِيرَةٌ وَجُبْنًا ؟

وقولهم : أَكْشَفًا وَإِمْسَاكَ . أصله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع بخل ومنع .

وقولهم : يَاعْبَرِيْ مُقْبِلَةً وَسَهْرَى مُدْبِرَةً . يضرب للأمر الذي يُمَكِّرُهُ من وجهين .

ومنه قول العامة :

• كَالْمُسْتَفِثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ •

وقولهم : لِلْمَوْتِ يَفْزَعُ وَالْمَوْتِ بَدَرٌ .

وقولهم : كَالْأَشْقَرِ : إِنْ تَقَدَّمَ نَحَرَ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عُنُقَ .

وقولهم : كَالْأَرْقَمِ إِنْ يُقْتَلُ يَنْتَقِمَ ، وَإِنْ يُتْرَكَ يَلْقَمَ . يقول : إِنْ قَتَلْتَهُ كَانَ لَهُ مِنْ يَنْتَقِمَ لَهُ مِنْكَ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ قَتَلَكَ .
ومنه : هو بين ، حَازِفٍ وَقَازِفٍ . الحاذِف : الضارب بالعصا ، والقاذِف : الرامي بالحجر .

من يزداد غما على غمه

- منه قولهم : ضِنْتُ عَلَى إِبَالَةٍ . الضنْتُ : الخزمة الصغيرة من الحطب ، والإبالة : الكبيرة .
ومنه قولهم : كِفْتُ إِلَى وَثِيَةٍ . الكفت القدرة الصغيرة ، والوثية : القدرة الكبيرة .
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَحْمِلُ الْبَلِيَّةَ الْكَبِيرَةَ ثُمَّ يَزِيدُ إِلَيْهَا أُخْرَى صَغِيرَةً .
١٠ ومنه قولهم : وَقَعُوا فِي أُمٍّ جُنْدُبٍ ، إِذَا ظَلَمُوا .

المغبون في تجارتهم

منه قولهم : صَفَقَةٌ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ . وأصله أن بعض أهل حاطب باع يعة غبن بها .
ومنه قولهم : أَعْطَاهُ الْفَاءَ غَيْرَ الْوَفَاءِ .

سرعة الملاحة

- منه : لَيْسَ مِنَ الْعَذْلِ سُرْعَةُ الْعَذْلِ .
ومنه : رَبُّ مُلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .
وقولهم : الشَّعِيرُ يُؤْكَلُ وَيُدْمُ .
وقول العامة : أَكَلًا وَذَمًّا .
٢٠ وقول الحجاج : قُبِّحَ وَاللَّهِ مِنَّا الْحَسَنُ .

الكريم يهتضمه اللئيم

لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي .

ومنه : ذُلُّ لو أَجْدُ ناصِرًا .

الاتتصار من الظلم

هذه بَيْتُكَ ، والبادي أَظْلَمُ .

ومنه : مَنْ لَمْ يَدُدْ عَنْ حَوْضِهِ يُهْدَمُ .

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه

قالوا : من حَفَرَ مُغْوَاةً وَقَعَ فِيهَا . والمغواة : البئر تحفر للذئب ، ويجعل فيها

جدي ليسقط الذئب فيها ليصيده ، فيصطاد .

ومنه : يَعْدُو عَلَى كُلِّ امْرِئٍ مَا يَأْتِمِرُ .

ومنه : عَادَ الرُّمِيُّ عَلَى النَّزَعَةِ . وهم الرماة يرجع عليهم رميهم .

وتقول العامة : كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدْيَةِ .

ومنه قولهم : رُمِيَ بِحَجَرِهِ ، وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ .

المضطر إلى القتال

مُكْرَهُ أَخُوكَ لَا بَطْلَ .

قد يَحْمِلُ الْعَيْرُ مِنْ ذَعْرِ عَلَى الْأَسَدِ .

المأخوذ بذنب غيره

جَانِبُكَ مَنْ يَحْتَجِي عَلَيْكَ .

ومنه : كَذِبِي الْعَرَّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ .

ومنه : كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَا عَافَتِ الْبَقَرُ .

يعني : عافت الماء

وقال أنس بن مذكرك :

إني وقتلي سُلَيْكَا ثُمَّ أَعْقِلُهُ . كَالثَوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقَرُ

يعنى ثور الماء . وهو ثورانه ، يقال : ثار الماء ثوراً وثوراناً .

ومنه قولهم : كُلُّ شَاةٍ بِرِجْلِهَا تُنَاطُ . يريد : لا يؤخذ رجل بغير ذنبه .

٥ المتبرى من الشيء

ما هو من لبسه ولا سمره . ما هو من بزى ولا من عطرى . مالى فيه ناقة ولا جمل .

ومنه قولهم : برئتُ منه إلى الله .

ومنه : لستُ منك ولستَ مِنى . وما أنا من ددٍ ولا الددُ مِنى .

١٠ سوء معاشره الناس

قالوا : الناسُ شجرةٌ بَغْيٌ . لا سبيلَ إلى السلامةِ من ألسنةِ العاقبةِ . ورضا الناسِ غايةٌ لا تُدرَكُ .

ومنه الحديث المرفوع : الناسُ كإبلٍ مائةٍ لا تكادُ تجدُ فيها راحلةً .

ومنه قولهم : الناسُ يُعَيَّرُونَ ولا يَغْفِرُونَ ، واللهُ يَغْفِرُ ولا يعيِّرُ .

وقال مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره قولُ الناسِ فيه .

وقول أبي الدرداء : إن قارضتَ الناسَ قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك .

الجبان وما يذم من أخلاقه

منه قولهم : إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفُهُ مِنْ فَوْقِهِ . وهو قول عمر بن مامة :

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ . إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفُهُ مِنْ فَوْقِهِ .

قال أبو عبيد : أحسبه أراد أن حذره وتوقيه ليس بدافع عنه المنيّة . وهذا

غلط من أبي عبيد عندي ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت

قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن ، ثم قال : إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفُهُ مِنْ فَوْقِهِ :

يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه .
كما قال تبارك وتعالى في المنافقين إذ وصفهم بالجبن : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِغَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُو ﴾ .

وقال جرير للأخطل يُعَيِّرُهُ إِيقَاعَ قَيْسَ بِهِمْ :
حملت عليك رجال قيس خيلاً . شُعْثًا عَوَاسَ تَحْمِلُ الْإِبْطَالَا
مازلت تحسب كلَّ شيءٍ بَعْدَهُمْ . خَيْلًا تَكْكُرُ عَلَيْكُمْ وَرَجَالَا
ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عبيد ما كان معناه يدخل في هذا الباب :
لأنه باب الجبان وما يذم من أخلاقه ، وليس الأخذ في الحذر من الجبن في شيء ،
لأن أخذ الحذر محمود وقد أمر الله به ، والجبن مذموم من كل وجه .

ومنه الشعر الذي تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق :
كَبْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا جَمْلُ . مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ
ومنه قولهم : كُلُّ أَرْبَبٍّ نَفُورٌ . وإنما يقال في الأربب من الإبل لكثرة
شعره . ويكون ذلك في عينه ، فكما رآه ظن أنه شخص يطلبه فينفر
من أجله .

ومنه قولهم : بَضْبَصَنَ إِذْ حُدِينَ بِالْأَذَابِ .
ومنه قولهم . دَرَدَبَ لَمَّا عَصَّهُ الثَّقَافُ .
وقولهم : حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ،
قاله للنعمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له : أَنَشِدْنِي شِعْرَكَ :
. أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ .

فقال عبيد : حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ .
ومنه : قَفَّ شَعْرُهُ ، وَأَقْشَعَرَّتْ ذُؤَابَتُهُ . معناه قام شعره من الفزع .

إفلات الجبان بعد إشفائه

منه قولهم : أَفَلَتَ وَأَنْتَ حَصَّ الذَّنْبِ .

ومنه : أفلت وله حُصاص .

ويروى في الحديث : إن الشيطان إذا سَمِعَ الأذان أدبَر وله حُصاص .

ومنه أفلتى جُرَيْعة الذَّقْن . إذا كان منه قريبا كقرب الجرعة من الذَّقْن ،
ثم أفلته .

ومنه قول العامة : إن يُفَلَّت الطير فقد ذَرَق .

وقولهم : أفلت وقد بَلَّ النِّيفَق . الذى تسميه العامة : النِّيفَق .

الجبان يتهدد غيره

منه قولهم : جاء فلان يَنْفُضُ مِذْرَوِيَه . أى يتوعد ويتهدد . والمذروان : فرعا
الآليتين . ولا يكاد يقال هذا إلا لمن يتهدد بلا حقيقة .

ومنه : أبرق لمن لا يعرفك . وأقصد بذرعك . ولا تُبْقِ إلا على نفسك .

تصرف الدهر

منه : من يَجْتَمِعُ تَنْقَعَعُ عُمْدُهُ . أى أن الاجتماع داعية الاقتراق .

ومنه : كل ذات بعل ستثيم .

ومنه البيت السائر :

وكل أخٍ مُفَارِقُهُ أخوه • لعمر أليك إلا الفرقدانِ

ومنه : لم يَفُتْ من لم يَمِتْ .

الاستدلال بالنظر عن الضمير

منه قولهم : شاهد البُغْضُ اللَّحْظَ . وَجَلَّى حُبُّ نَظَرِهِ .

قال زهير :

فإن تكُ فى صديقٍ أو عَدُوٍّ • تُخَبِّرُكَ العيونُ عن الضميرِ

وقال ابن أبي حازم :

خُذْ من العيش ما كفى • ومن الدهر ما صفا

عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَضَهُ . لَأَنَّ تَبْدِي لَكَ الْجُفَا

نفي المال عن الرجل

منه قولهم : ما له سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ . معناه لا شيء له .

ومنه : ما له هِلَعٌ وَلَا هِلْعَةٌ . وهما الجدى والعناق .

ومنه : ما له هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ، معناه ليس له أحد يهرب منه ، ولا أحد يقرب إليه ؛ فليس له شيء .

وقولهم : ما له عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ؛ وهما الضائنة والماعزة . وما به نبض ولا حبض .

قال الأصمعي : النبض : المتحرك ، ولا أعرف الحبض .

وقال غيره : النبض والحبض في الوتر ، والنبض : تحرك الوتر ، والحبض : صوته . قال :

• وَالنَّبْلُ يَهْوِي نَبْضًا وَحَبْضًا •

ومنه قولهم : ما له سَبَدٌ وَلَا كَبَدٌ . هما الشعر والصوف .

ولم يعرف الأصمعي السَعْنَةَ والمَعْنَةَ .

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الدَّارِ أَحَدٌ

١٥

منه قولهم : ما بالدار شَفَرٌ ؛ ولا بها دُعْوَى ؛ ولا بها دُبِّي . معناه ما بها من يدعو ومن يدب ، وما بها من غريب . ولا بها دُورَى ولا طُورَى ؛ وما بها وَاِبرٌ ، وما بها صَافِرٌ ، ولا بها دَبَّارٌ ، وما بها نَافِخٌ ضَرَمَةٌ ، وما بها أَرَمٌ . معنى هذا كله ما بها أحد ، ولا يقال منها شيء في الإثبات والإيجاب ، وإنما يقولونها في النفي والجحد .

٢٠

اللقاء وأوقاته

ومنه : لَقِيتُ فَلَانًا أَوَّلَ عَيْنٍ . يعني أول شيء .

وقال أبو زيد : لَقِيْتُهُ أَوَّلَ عَائِنَةٍ . وَلَقِيْتُهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ . وَلَقِيْتُهُ أَوَّلَ ذَاتِ يَدَيْنِ . وَلَقِيْتُهُ أَوَّلَ صَوْتِكَ وَأَوَّلَ بَوَكٍ . فَإِنْ لَقِيْتَهُ بِجَاءَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرِيدَهُ ، قُلْتَ : لَقِيْتَهُ نِقَابًا ؛ وَلَقِيْتُهُ التِّقَاطَا ، إِذَا لَقِيْتَهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

• وَمَنْهَلٍ وَرَذَّةُ التِّقَاطَا •

- وإن لقيته مواجهة قلت : لَقِيْتُهُ صِفَاحًا . وَلَقِيْتُهُ كِفَاحًا . وَلَقِيْتُهُ كَفَّةً كَفَّةً .
قال أبو زيد : فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَذْكُرَهُ قُلْتَ : رُفِعَ رُفْعًا ؛ وَأُشِبُّ لِي إِشْبَابًا . فَإِنْ لَقِيْتَهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَحَدٌ ، قُلْتَ : لَقِيْتُهُ صَخْرَةً بِخَرَّةٍ . وَهِيَ غَيْرُ بَجْرَةٍ . فَإِنْ لَقِيْتَهُ فِي مَكَانٍ قَفَرٍ لَا أَنْيْسَ بِهِ قُلْتَ : لَقِيْتُهُ صَخْرَةً بِخَرَّةٍ أَصَمَّتْ ، غَيْرُ بَجْرَةٍ أَيْضًا . وَلَقِيْتَهُ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا . فَإِنْ لَقِيْتَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ قُلْتَ : لَقِيْتَهُ قَبْلَ [كُلِّ] صَبْحٍ وَنَفَرٍ . النَّفَرُ : التَّفَرُّقُ . وَإِنْ لَقِيْتَهُ بِالْهَاجِرَةِ قُلْتَ : لَقِيْتَهُ صَكَّةً عُحْمِيَّ . وَصَكَّةٌ أَعْمَى .

قال رؤبة يصف الفلاة إذا لمعت بالسراب في الهاجرة :

شبيهةٌ بسهمٍ قويسٍ لمعا • صَكَّ عُحْمِيَّ زَاجِرًا قَدَبَرَعًا^(١)

- فإن لقيته في اليومين والثلاثة قلت : لَقِيْتَهُ فِي الْفَرَطِ . وَلَا يَكُونُ الْفَرَطُ فِي أَكْثَرِ مِنْ خَمْسِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ . فَإِنْ لَقِيْتَهُ بَعْدَ شَهْرٍ وَنَحْوِهِ ، قُلْتَ : لَقِيْتَهُ فِي عَفَرٍ . فَإِنْ لَقِيْتَهُ بَعْدَ الْحَوْلِ وَنَحْوِهِ قُلْتَ : لَقِيْتَهُ عَنْ هَجَرٍ . فَإِنْ لَقِيْتَهُ بَعْدَ أَعْوَامٍ قُلْتَ : لَقِيْتَهُ ذَاتَ الْعَوْتِمْ . فَإِنْ لَقِيْتَهُ فِي الزَّمَانِ قُلْتَ : لَقِيْتَهُ ذَاتَ الزَّمَانِ . وَالْغَيْبُ فِي الزِّيَارَةِ ، وَهُوَ الْإِبْطَاءُ فِيهَا . وَالْإِعْتِمَارُ فِي الزِّيَارَةِ . وَهُوَ التَّرَدُّدُ فِيهَا .

في ترك الزيارة

- منه قولهم : لَا آتِيكَ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ . وَمَا أَطَّتِ الْإِبِلُ . وَمَا اخْتَلَفَتِ الدَّرَّةُ

(١) في بعض الأصول :

شبيه يَمَ بين عَيْنَيْنِ مَعَا • صَكَّةٌ أَعْمَى زَاخِرٌ قَدْ أُتْرِعَا

والجرّة . وما اختلف المَلَوَان . وما اختلف الجديدان ، ولا آتيك السَّمَر والقمر
وأبد الأبد .

ويقال : أبد الآبدين . ودمر الداهرين . وحتى يرجع السَّهْم إلى فُوقِهِ . وحتى
يرجع اللبن في الضَّرْع . ولا آتيك سِنَّ الحِسل .

٥ تفسيره : النيب : جمع ناب ، وهي المُسنة من الإبل . والدرّة : الحلبة من اللبن .
والجرّة : من اجتار البعير . والمَلَوَان والجديدان : الليل والنهار . والحسل : هو
ولد الضب . يقول : حتى تسقط أسنانه ، ولا تسقط أبداً حتى يموت .

استجهال الرجل ونفى العلم عنه

١٠ منه قولهم : ما يَعْرِفُ الحَوَّ من اللَوِّ . وما يَعْرِفُ الحَيَّ من اللَّيِّ . ولا هَريراً
من غَرِير . ولا قَيْلاً من دِير . وما يَعْرِفُ أَيْ طَرَفَهُ أطول وأكبر .
وما يَعْرِفُ هَرّاً من بَرٍّ ، أَيْ ما يَعْرِفُ من يَهْرُهُ من يَرُّد . والقَيْيل :
ما أقبلت به من قَتْل الحبل ، والدير : ما أدبرت به منه . وأى طرفه أطول :
أنسب أبيه أم نسب أمه .

أمثال مستعملة في الشعر

١٥ قال الأصمعي : لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوّله مثل وآخره مثل إلا ثلاثة
إبيات : منها بيت الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ • لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ويتان لامرئ القيس :

وَأَفْلَئِنَّ عِلْبَاءَ جَرِيضاً • وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ صَفِيرَ الْوِطَابِ

٢٠ وقام جَدُّهم بيني أبيهم • وبالأشقين ما كان العقاب

ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدري كيف أغفل القديم منه

الاصمعي . فنه قول طرفة :

سُتَبْدَى لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ
وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال . ويقال إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سمع هذا البيت ، فقال : إن معناه من كلام النبوة .

ومن ذلك قول الآخر :

مَا كَلَّفَ اللَّهُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقِهَا * وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

ومن ذلك قول الحسن بن هانئ :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُقْرِهِ * لَسْتُ مِنْ لَيْلٍ وَلَا سَمَرَةٍ
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ * قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

١٠ إن العرب تقول : انتاب فلان عن عقره : أى تباعد عن أصله . لست من
ليلة ولا سمرة : مثل ثان ، وليس في البيت الثاني إلا مثل واحد .

ومن قولنا في بيت أوله مثل وآخره مثل :

قَدْ صَرَخَ الْأَعْدَاءُ بِالْبَيْنِ * وَأَشْرَقَ الصَّبْحُ لَدَى الْعَيْنِ

وبعده أبيات في كل بيت منها مثل ، وذلك قولنا :

١٥ وَعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ بَعْدَ الْقَلَى * شَفِيقَ رُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ
وَأَصْبَحَ الدَّخْلُ فِي يَنِينَا * كَسَاوِطٍ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ
قَدْ أَلْسَسَ الْبَغْضَاءُ مِنْ ذَاوِذَا * لَا يَصْلُحُ الْغَمْدُ لِسَيْفَيْنِ
مَا بِالْ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ * يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ

ومن قولنا الذى هو أمثال سائرة :

٢٠ قَالُوا شَبَابَكَ قَدْ وَلَّى فَقُلْتُ لَهُمْ * هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدَيْنِ
صِلْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبْدَى مَعَاتِبَهُ * فَأَطِيبُ الْعَيْشَ وَصِلْ بَيْنَ الْفَيْنِ
وَأَقْطَعْ حَبَائِلَ خَلٍّ لَا تُلَاثِمُهُ * فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى اثْنَيْنِ

وقلت بعد هذا في المدح :

فَكَّرْتُ فِيكَ أَبْحَرُ أَنْتَ أَمْ قَرُّ ۝ فَقَدْ تَحَيَّرَ فَكْرِي بَيْنَ هَذَيْنِ
إِنْ قُلْتُ بَحْرًا وَجَدْتُ الْبَحْرَ مُنْهَسِرًا ۝ وَبَحْرُ جُودِكَ مِمْدُ الْعَبَايِنِ
أَوْ قُلْتُ بَدْرًا رَأَيْتُ الْبَدْرَ مُنْتَقِصًا ۝ فَقُلْتُ شَتَانِ مَا بَيْنَ الْبُدَيْرَيْنِ
ومن الأمثال التي لم تأت إلا في الشعر أو في قليل من الكلام ، من ذلك
قول الشاعر :

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ۝ إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
وقال آخر :

مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتِ مَنْ لَيْسَ صَابِرًا ۝ عَلَى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى
١٠ قِيلَ وَلَمَّا بَلَغَ حَاتِمًا قَوْلُ الْمُتَلَمِّسِ :

وَأَعْلَمَ عِلْمَ صَدَقٍ غَيْرَ ظَنٍّ ۝ لَتَتَّقَوِيَ اللَّهُ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ
وَحَفِظَ الْمَالَ أَيْسَرَ مِنْ بُهَائِهِ ۝ وَسِيرَ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
وَإِصْلَاحِ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ : وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
قَالَ : قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَهُ ! يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى الْبَخْلِ : أَلَا قَالَ :

لَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ : وَلَا الْبَخْلُ فِي مَالِ الشَّخِيعِ يَزِيدُ
١٥ فَلَا تَلْتَمِسْ مَالًا بَعِيشَ مُقْتَرٍ ۝ لِكُلِّ غَدٍّ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدٌ
وقال غيره :

إِذَا كُنْتَ لَا أَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ مِنْ أَخٍ ۝ وَقُلْتُ أَكْفِيهِ فَأَيْنَ التَّفَاضُلِ
وَإِنْ أَقْطَعَ الْإِخْوَانَ فِي كُلِّ عُسْرَةٍ ۝ بَقِيتُ وَحِيدًا لَيْسَ لِي مِنْ أَوَاصِلِ
٢٠ وَلَكِنِّي أَغْضَى الْجَفُونَ عَلَى الْقَذَى ۝ وَأَصْفَحَ عَمَّا رَانِي وَأَجْمَلَ
مَتَى مَا يَرَبُّنِي مَقْصَلٌ فَقَطَعْتُهُ ۝ بَقِيتُ وَمَالِي لِلنَّهْوِضِ مَفَاصِلِ
وَلَكِنْ أَدَاوِيهِ فَإِنَّ صَحَّ سِرَّتِي ۝ وَإِنْ هُوَ أَعْيَا كَانَ فِيهِ التَّجَامُلِ

وقال :

يُديفون لي سَمًا وأَسَقِيهم الحَيَا * وَيَقْرَوَنِي شِرا وشِرى مؤخَّر
كَأَنِّي سَلَبْتُ القوم نور عِيونهم * فلا العذر مقبول ولا الذنب يُنْفَر
وقد كَانَتْ إِحْسَانِي لَهُمْ غير مرة * وَلَكِنْ إِحْسَانُ البَغِيضِ مَكْفَرٌ

ولغيره :

لم يَبْقَ مِنْ طَلَبِ الغِنَى * إِلَّا التَّعَرُّضُ لِلْحَتُوفِ
فَلَا تُقْبَلُنَّ وَإِنْ رَأَيْتَ المَوْتَ يَلْعَقُ فِي الصَّفُوفِ
إِنِّي أَمْرٌ لَمْ أُوتَ مِنْ * أَدَبٍ وَلَا حَظٍّ سَخِيفِ
لَكِنَّهُ قَدْ زُوِيَ * لِمَنْ القُوَى إِلَى الضَّعِيفِ

كِتَابُ الزُّمَرَةِ

فِي الْمَوَاعِظِ وَالزُّهْدِ

قال أحد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأمثال ، وما تفننوا فيها لابن عبد ربه
على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد
ورجاله المشهورين به ، ونذكر المُنْتَخَلَ من كلامهم ، والمواعظ التي وعظت بها
الأنبياء ، واستخلصتها الآباء للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ؛ ومقامات
العُبَاد بين أيدي الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَإِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ
فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوَناً فَأُخْبِئَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ
ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝
وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي
أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .
فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ
الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العُبَاد بين أيدي الخلفاء ، ثم قولهم في الزهد ورجالهم
المعروفين به ، ثم المشهورين من المنتسبين إليه .

والموعظة ثقيلة على السمع مُحَرَّجَةٌ^(١) على النفس ، بعيدة من القبول ، لا اعتراضها الشهوة ، ومُضَادَّتُها الهوى ، الذى هو ربيع القلب ، ومراد الروح ، ومربيع الله ، ومسرح الآمانى ؛ إلا من وعظه عليه ، وأرشده قلبه ؛ وأحكمته تجربته قال الشاعر :

• لن تَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا • حتى يُرى منها لها واعظ
وقالت الحكماء : السعيد من وعَّظَ بغيره . لا يعنون من وعظه غيره ، ولكن من رأى العِبْرَ فى غيره فانتعظ بها فى نفسه . ولذلك كان يقول الحسن : آقَدَعُوا هذه النفوس فإنها طلعة ، وحادثوها بالذِّكْر فإنها مربعة الدُّور ، وأعصوها فإنها إن أطيعت نَزَعَتْ إلى شَرٍّ غَايَةٍ .

• وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختم موعظته : يالها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة .

• وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه : أَلُسُّ تَصِفُ ، وقلوبٌ تَعْرِفُ ، وأعمالٌ تَخَالَفُ .

وقال يونس بن عُبيد : لو أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا . يريد ثقل الموعظة على السمع ، وجنوح النفس إلى مخالفتها . ومنه قولهم :

• أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَهَا •
• وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يَمْتَنَعُ •

والموعظة مانعة لك مما تشتهى ، حاملة لك على ما تكره ، إلا أن تلقاها بسمعٍ قد فتقته العبرة ، وقلب قد دحت فيه الفكرة ، ونفس لها من عليها زاجر ، ومن عقلها رادع ؛ فيفتح لك باب التوبة ، ويوضح لك سبيل الإجابة .

• قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ .
يريد أن الطريق إلى الجنة احتمالُ المكروه فى الدنيا ، والطريق إلى النار ركوب الشهوات .

لأننى صلى الله عليه وسلم

وخير الموعظة ما كانت من قائل مخلص ، إلى سامع مُنصف .

وقال بعضهم : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

وقالوا : ما أحسن الناجح ! وهو على رأس الملك أحسن . وما أحسن الدرر ، وهو على نحر الفتاة أحسن . وما أحسن الموعظة ! وهي من الفاضل التقى أحسن .

وقال زياد : أيها الناس ، لا يمنعكم سرور ما تملكون منا ، أن تذكعوا بأحسن ما تسمعون منا . قال الشاعر :

أَتَعْمَلُ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصُرْتُ فِي عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وقال عبد الله بن عباس : ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام كُتِبَ إِلَيَّ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَتَبَ إِلَيَّ :

أما بعد : فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسُرُّهُ إِدْرَاكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْرُتَهُ ، وَبَسْرُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْرِكُهُ . فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا ؛ وَمَا نَلْتَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ فَلَا تَكُنْ بِهِ فَرِحًا . وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا . وَلْيَكُنْ هَمُّكَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

وقف حكيم بياب بعض الملوك فحجب ، فتلطّن برقعة وأوصلها إليه ، وكتب فيها هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرَجَى لَهُ الْغِنَى * وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

فلما قرأ البيت لم يلبث أن اتعل وجعل لاطئة على رأسه ، وخرج في ثوب فضال ، فقال له : والله ما اتعظت بشيء بعد القرآن أتعاظي بيتك هذا ! ثم قضى حوائجه .

مواعظ الأنبياء

عليهم السلام

قال أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : يَكْفِي أَحَدَكُمْ
من الدنيا قَدْرُ زَادِ الرَّائِبِ .

النبي صلى الله
عليه وسلم

- ٥ وقال صلى الله عليه وسلم : ابنَ آدَمَ . اغْنَيْمُ نَحْمًا قَبْلَ تَحْمِسَ : شَبَابَكَ قَبْلَ
هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ . وَغْنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ،
وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .

- عبد الله بن سلام قال : لما قَدِمَ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
أَتَيْتُهُ ، فلما رَأَيْتُ وجهه علمت أنه ليس بوجه كَذَّابٍ ؛ فسمعتُه يقول : أيها
الناسُ ، أَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامَ .

١٠

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مَجَالِسَةٍ ؟ قالوا : بلى
يا روح الله . قال : من تَذَكَّرَكُمْ باللهِ رُؤْيَاهُ ، وَبَزَيْدٍ فِي عَمَلِكُمْ مَنَظِقُهُ ، وَيُشَوِّقُكُمْ
إِلَى الْجَنَّةِ عَمَلُهُ .

لعيسى عليه السلام

- وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين : وَيْلَكُمْ يَا عَمِيدَ الدُّنْيَا !
كَيْفَ تُتَخَالَفُ فِرْعَوْنَكُمْ أَصُولَكُمْ ، وَأَهْوَاؤَكُمْ عَقُولَكُمْ . قولكم شِفَاءٌ يُبْرِئُ
الدَّاءَ ، وَفعلكم دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ . لستم كَالْكَرْمَةِ الَّتِي حُسِّنَ وَرْقُهَا ، وَطَابَ
ثَمَرُهَا ، وَسَهِّلَ مَرْتَقَاهَا . وَلكنكم كَالسَّمُرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرْقُهَا ، وَكَثُرَ شَوْكُهَا ، وَصَعُبَ
مَرْتَقَاهَا . وَيْلَكُمْ يَا عَمِيدَ الدُّنْيَا ! جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه ،
وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لَا يُمكنُ تناولُها ؛ فلا أنتم عبيدٌ نُصْحَاءُ ،
ولا أحرارٌ كِرَامٌ . وَيْلَكُمْ يَا أَجْرَاءَ السُّوءِ ! الأجر تأخذون ، والعمل تُفسدون ،
سوف تلقون ما تتخذون ، إذا نظر ربُّ العمل في عمله الَّذِي أَفْسَدْتُمْ ، وَأَجْرِهِ
الَّذِي أَخَذْتُمْ .

٢٠

وقال عليه السلام للحواريين : آتخذوا المساجد بيوتاً ، والبيوت منازل ،
وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سامن .

وقال عليه السلام للحواريين : لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ؛ فإنما الناس رجلان : مبتلي ومعافى ؛ فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

وقال عليه السلام لهم أيضا : عجباً لكم ، تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ؛ ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل . ٥

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للمكذبين من بنى إسرائيل : يا نسل الأفاعى ، من دلكم على الدخول فى المساخط الموبقة بكم ؟ ويلكم ! تعربوا بعمل صالح ، ولا تغرنكم قرابتكم من إبراهيم عليه السلام . فإن الله قادر على أن يستخرج من هذه الجنادل نسلاً لإبراهيم . إن الفأس قد وضعت فى أصول الشجر ، فأخلق بكل شجرة مرة الطعم أن تقطع وتلقى فى النار . ١٠

وقال شعيب ابنى اسرائيل ، إذ أطلق الله لسانه بالوحى : إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة لنا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد إذا صح كفاء القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صح كفاء القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم عابد قد أفسده العُجب . يا بنى إسرائيل ، اسمعوا قولى ، فإن قاتل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . ١٥

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم : إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجلها إذ نظروا إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يُميتهم ، وتركوا ما علوا أن سترتهم ؛ هم أعداء لما سالم الناس ، وسلم لما عادى الناس ، لهم خير^(١) ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم نطق الكذاب وبه نطقوا ، وبهم علم الهدى وبه عملوا ، لا يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون . ٢٠

(١) فى بعض الاصول لهم خبر عجيب . .

داود عليه السلام

وَهَبْ بِنُ مِنْهُ قَالَ : قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا رَبِّ ، ابْنُ آدَمَ لَيْسَ مِنْهُ شَعْرَةٌ إِلَّا وَتَحْتَهَا لَكَ نِعْمَةٌ وَفَوْقَهَا لَكَ نِعْمَةٌ ، فَمَنْ أَيْنَ يَكَاثُكَ بِمَا أُعْطِيَتْهُ ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا دَاوُدُ ، إِنِّي أُعْطِي الْكَثِيرَ ، وَأَرْضِي مِنْ عِبَادِي بِالْقَلِيلِ ، وَأَرْضِي مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِي بِأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ عِنْدِي لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ .

إبراهيم عليه السلام

- وَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ وَأَنْ يَجْعَلَهُ قَرِيبًا ، أَسْرَّ ذَلِكَ إِلَى خَلِيلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْعَازِرُ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا ؛ فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْتَلِي بِمِثْلِ هَذَا مِثْلَكَ ، وَلَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَخْتَبِرَكَ أَوْ يَخْتَبِرَ بِكَ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَبْتَلِيكَ بِمِثْلِ هَذَا لِيَفْتِكَ ، وَلَا لِيُضْلِكَ وَلَا لِيُعْتِكَ ، وَلَا لِيَنْقُضَ بِهِ بَصِيرَتَكَ وَإِيمَانَكَ وَيَقِينِكَ ؛ فَلَا يَرُوعَنَّكَ هَذَا ، وَلَا يَسْوَأنَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ ؛ وَإِنَّمَا رَفَعَ اللَّهُ اسْمَكَ فِي الْبَلَاءِ عِنْدَهُ ^(١) عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَايَا ، حَتَّى كُنْتَ أَعْظَمَهُمْ مَحَنَةً فِي نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ . لِيَرْفَعَكَ بِقَدْرِ ذَلِكَ فِي الْمَازِلِ وَالدرجاتِ وَالْفَضَائِلِ ؛ فَلَيْسَ لِأَهْلِ الصَّبْرِ فِي فَضِيلَةِ الصَّبْرِ إِلَّا فَضْلُ صَبْرِكَ ، وَلَيْسَ لِأَهْلِ الثَّوَابِ فِي فَضِيلَةِ الثَّوَابِ إِلَّا فَضْلُ ثَوَابِكَ . وَلَيْسَ هَذَا مِنْ وَجْهِ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْتَلِي اللَّهُ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ فِي نَفْسِهِ ، وَأَعْدَلَ فِي حُكْمِهِ وَأَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مَنْ أَنْ يَجْعَلَ ذَبْحَ الْوَلَدِ الطَّيِّبِ بِيَدِ الْوَالِدِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى . وَأَمَّا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنِّي حَتْمًا عَلَى اللَّهِ أَوْ رَدًّا لِأَمْرِهِ ، أَوْ سُخْطًا لِحُكْمِهِ ، وَلَكِنْ هَذَا الرَّجَاءُ فِيهِ وَالظَّنُّ بِهِ ؛ فَإِنْ عَزَمَ رَبُّكَ عَلَى ذَلِكَ فَكُنْ عِنْدَ أَحْسَنِ عِلْمِهِ بِكَ ؛ فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرِضْكَ لِهَذَا الْبَلَاءِ الْجَسِيمِ ، وَالْخَطْبِ الْعَظِيمِ ، إِلَّا لِحُسْنِ دَلِيلِهِ بِكَ ، وَصِدْقِكَ وَتَصَبُّرِكَ ؛ لِيَجْعَلَكَ إِمَامًا ؛ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

٢٠ ومن وحي الله تعالى إلى أنبيائه

أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَالِكُ الْمُلُوكِ ؛ قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدِي ؛ فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُ الْمُلُوكَ عَلَيْهِ رَحْمَةً ؛ وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُ الْمُلُوكَ عَلَيْهِ نِقْمَةً .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : هَذَا الْمَلَأُ .

المسيح عليه
السلام

ومما أنزل الله على المسيح في الإنجيل : شَوْقُنَاكُمْ فلم تشاقبوا ؛ وَنُعْنَا لَكُمْ فلم تَبْكُوا ؛ يا صاحبَ الخسین ، ما قَدِّمْتَ وما أَخَرْتَ ؟ يا صاحبَ السَّتين ، قَدْ دَنَا حَصَادُكَ ! يا صاحبَ السَّبعین ، هَلُمَّ إِلَى الحِسابِ .

وفي بعض الكتب القديمة المنزلة : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا عِبَادِي طَالَمَا ظَلِمْتُمْ ، وَتَقَلَّصْتُ فِي الدُّنْيَا شِفَاهُكُمْ ، وَغَارَتْ أَعْيُنُكُمْ عَطْشًا وَجُوعًا : فَكُلُوا وَاشْرَبُوا هُنَا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . ٥

وأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه : هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ ، وَمِنْ نَفْسِكَ الْخُضُوعَ ، وَمِنْ عَيْنِكَ الدُّمُوعَ ؛ وَسَلِّئْ يَا أُنَا الْقَرِيبَ الْمُعْجِبَ .
وفي بعض الكتب : عَيْدِي ، كَمْ أَتَحَبَّبْتُ إِلَيْكَ بِالنَّعَمِ وَتَتَبَعْتُ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي ؛ خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ ، وَشَرُّكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ . ١٠

وأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ غَدَا حَظِيرَةَ الْقُدُّسِ ، فَكُنْ فِي الدُّنْيَا فَرِيدًا ، وَحِيدًا ، طَرِيدًا ، مَهْمُومًا ، حَزِينًا ؛ كَالطَّيْرِ الْوَحْدَانِي : يَظَلُّ بَارِضَ الْفَلَاةِ ، وَرِدُّ مَاءِ الْعَيْنِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِ الشَّجَرِ ؛ فَإِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَوَى وَحْدَهُ ، اسْتَحْشَا مِنَ الطَّيْرِ وَاسْتَحْشَا مِنْ بَرِّهِ .

ومما أوحى الله إلى موسى في التوراة : يَامُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ، يَا صَاحِبَ جَبَلِ لِبْنَانَ ، أَنْتَ عَمْدِي وَأَنَا إِلَهُكَ الدِّيَّانُ ، لَا تَسْتَذِلُّ الْفَقِيرَ ، وَلَا تَفْطِرُ الْغَنَى بِشَيْءٍ يَسِيرٍ ، وَكُنْ عِنْدَ ذِكْرِي خَاشِعًا ، وَعِنْدَ تِلَاوَةِ وَحْيِي طَائِعًا ؛ أَتَسْمَعُنِي لِذَاذَةِ التَّوْرَةِ بِصَوْتِ حَزِينٍ . ١٥

موسى عليه
السلام

وقال وهب بن منبه : أوحى الله إلى موسى عند الشجرة : لَا تُعْجِبْكَ زِينَةُ فِرْعَوْنَ وَلَا مَا مَتَّعَ بِهِ ، وَلَا تَمُدَّنَّ إِلَى ذَلِكَ عَيْنَكَ ؛ فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَةُ الْمُتَرَفِّينَ ؛ وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُوتِيكَ زِينَةً يَعْلَمُ فِرْعَوْنَ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ مَقْدَرَتَهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَعَلْتُ ؛ وَلَكِنِّي أُرْغَبُكَ عَنْ ذَلِكَ وَأَزْوَيتُهُ عَنْكَ ؛ فَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي ؛ إِنِّي لَا ذُودَ عَنْ نَعِيمِهَا وَلِذَاذَتِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْمَلَكَةِ ؛ وَإِنِّي لَا حَيْثُمْ عَيْشُهَا وَمَوْتُهَا ، كَمَا يَحْمِي الرَّاعِي ذُودَهُ عَنْ مَبَارِكِ الْعَرْزِ . ٢٠

وسف عليه
السلام

وذكر عن وهب بن مُنبه أن يوسف لما لبث في السجن بضع سنين ،
أرسل الله جبريل إليه بالبشارة بخروجه ، فقال : أما تعرفني أيها الصديق ؟ قال
يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين . قال جبريل :
أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين . قال يوسف : فما أدخلك مداخل
المذنبين ، وأنت سيد المرسلين ، ورأس المقربين ؟ قال : ألم تعلم أيها الصديق
أن الله يطهر البيوت بطهر النيين . وأن البقعة التي تكون فيها هي أظھر
الأرضين ، وأن الله قد طهر بك السجن وما حوله يا ابن الطاهرين . قال يوسف :
كيف تشبهني بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصادقين ، وتعذني مع آبائي المخلصين ،
وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟ قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يُغَيِّرْ
خُلُقَكَ البلاء ، ولم يتعاظمك السجن ، ولم تقطأ فراش سيِّدك ، ولم يُنْسِكْ بلاء
الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنْسِكْ نفْسُكَ أباك ، ولا أبوك ربَّكَ ، وهذا الزمان
الذي يفك الله فيه عُقُقَكَ ، ويعتق فيه رقبتك ، ويُبيِّن للناس فيه حِكْمَتَكَ ،
ويُصدِّق رؤياك ، ويُصِفُكَ من ظلمك ، ويجمع لك أحبتك ويَهَبُ لك مُلْكَ مصر
تَمْلِكُ ملوكها ، وتذل جبابرتها ، وتَصْغُرُ عظماءها ، ويُذِلُّ لك أعزتها . ويُخْدَمُكَ
سوقها ، يُخَوِّلُكَ خَوَلَهَا ، ويرحم بك مساكينها ، ويُلقِي لك المودة والهيبة .
في قلوبهم ، ويُجْعَلُ لك اليد العليا عليهم ، والآثر الصالح فيهم ، ويرى فرعون
حلياً يفزع منه حتى يسهر ليله ، ويذهب نومه ، ويُعْمَى عليه تفسيره وعلى
السحرة والكهنة ، ويُعْلَمُكَ تَأْوِيلَهُ .

مواعظ الحكماء

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربت عليها
أباط الإبل لكان قليلا : لا يَرْجُونَ أحدكم إلا ربَّه ، ولا يخافن إلا ذنبه ،
ولا يَسْتَجِيبِي إذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيء أن
يتعلّمه . وأعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطِعَ الرأس
ذهب الجسد .

لس

وقال أيضا : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة ؛ أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال الحسن : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء .

وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمرَ دنياه ، ومن أصلح ما بينه

وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أخلص سريرته أصلح الله علانيته .

قال العتيبي : اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات ، قالوا : لا تحملن على قلبك ما لا تطيق ، ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تنق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثر .

وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته حين استخلفه : أوصيك بتقوى الله ؛ فإن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملا بالنهار

لا يقبله بالليل ؛ وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى العرائض . وإنما ثقلت موازين

من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ؛ وحق لميزان

لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا . وإنما خفت موازين من خفت موازينه

يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم ؛ وحق لميزان لا يوضع فيه

إلا الباطل أن يكون خفيفًا . وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ،

وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعت بهم قلت : إني أخاف ألا أكون من هؤلاء .

وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حسناتهم ؛ فإذا سمعت بهم قلت :

أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ؛ ليكون العبد راغبًا راهبًا ،

لا يتمنى على الله غير الحق . فإذا حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك

من الموت ، وهو آتيك ؛ وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أكره إليك من

الموت ، ولن تُعجزه .

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهم يعبده في مرضه ؛ فرآه

يصوب بصره في صندوق في بيته ويصعده ، ثم قال : أباسعيد ، ماتقول

الحسن وابن الأهم

في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحماً ؟ قال : ثكلتك أمك ! ولن كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان ؛ وجفوة السلطان ؛ ومُكاثرة العشرة . قال : ثم مات ، فشهد الحسن . فلما فرغ من دفنه قال : انظروا إلى هذا المسكين ! أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، ومُكاثرة عشيرته ، عما رزقه الله إياه وغمره فيه ؛ انظروا كيف خرج منها مسلوباً مخزوناً ، ثم التفت إلى الوارث فقال : أيها الوارث ، لا تُخدَعَنَّ كما بُدِعَ صُوَيْبُكَ بِالْأَمْسِ ، أتاكَ هذا المال حللاً فلا يكوِّنَ عليك وبالا . أتاكَ عفراً صفواً ، ممن كان له جموعاً متنوعاً ؛ من باطل جمعه ، ومن حقٍ منعه ؛ قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القفار ، لم تكدح فيه يمين ، ولم يهرق لك فيه جبين . إن يوم القيامة يوم ذو حشرات ، وإن من أعظم الحشرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك . فإلها ١٠ عثرة لا تقال . وتوبة لا تُنال .

ووعظ حكيمٌ قوماً فقال : يا قوم ، استبدلوا العواري بالهبات تحمدوا العقي ، واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى ، واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة . واعرفوا فضل البقاء في النعمة والغنى في السلامة قبل الفتنة الفاحشة ، والمثلة البيّنة ، وانتقال العمل ، وحلول الأجل ؛ فإنما أنتم في الدنيا أغراض ١٥ المنايا ، وأوطان البلايا ، ولن تنالوا نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يستقبل منكم معمرٌ يوماً من عمره إلا بآتقاص آخر من أجله ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ، فأنتم أعوان الخوف على أنفسكم ، وفي معاشكم أسباب منايكم ، لا يمنعكم شيء منها ، ولا يشغلكم شيء عنها ، فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف ، وستكونون أسلافاً بعد الأخلاف ، بكل سبيل منكر صريع مُنعفر ، وقائم ينتظر ، فمن أى وجه ٢٠ تطلبون البقاء ، وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً قط إلا أسرعا الكرة في هدمه ، ولا عقداً أمراً قط إلا رجعا في نقضه .

وقال أبو الدرداء : يا أهل دمشق ، ما لكم تبنون ما لا تسكنون ، وتأمّلون

لأبي الدرداء

ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ؛ هذه عاد وثمود قد ملثوا ما بين بصرى

وعدن أموالا وأولادا ، فمن يشتري منى ما تركوا بدرهمين .

— وقال ابن شبرمة : إذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

— وقال الربيع بن خثيم : أقلل الكلام إلا من تسع : تكبير ، وتهليل ، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك الخير ، ومؤذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك القرآن .

قال رجل لبعض الحكماء : عِظْنِي ! قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك .

— وقيل للحكيم : عِظْنِي ! قال : جميع المواعظ كلها منتظمة في حرف واحد . قال : وما هو ؟ قال : تجميع على طاعة الله فإذا أنت قد حوت المواعظ كلها .

— وقال أبو جعفر لسفيان : عِظْنِي ! قال : وما عمِلْتَ فيما علمت فأعظك فيما جهلت ؟

قال هارون لابن السماك : عِظْنِي ! قال : كفى بالقرآن واعظا . يقول الله تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ .

مكاتبة جرت بين الحكماء

عذب حكيم على حكيم ، فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى ، إن أيام العمر أقصر من أن تحتل الهجر . فرجع إليه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالأخرة لم تزل . والسلام .

وكتب إليه عمر : أما بعد فكأن آخر من كتب عليه الموت قدمات ، والسلام .

بين سلمان وأبي
الدرداء

ابن المبارك قال : كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء : أما بعد ؛ فإنك لن تنال ما تُريد إلا بترك ما تشتهي ، ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامك ذكرا ، وصمتك فكرا ، ونظرك عبدا ؛ فإن الدنيا تنقلب وبهجتها تغير فلا تغتر بها ، وليكن بيتك المسجد . والسلام .

فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك ، أما بعد ؛ فإني أوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لموتك ؛ ومن جفافك لمودتك ، واذكر حياة لا موت فيها في إحدى المنزلين . إما في الجنة ، وإما في النار ؛ فإنك لا تدري إلى أيهما تصير .

وكتب أبو موسى الأشعري إلى عامر بن عبد القيس : أما بعد ؛ فإني عاهدتك على أمر وبلغني أنك تغيرت ، فإن كنت على ما عهدت لك فائق الله ودُم ، وإن كنت على ما بلغتني فائق الله وعُد .

أبو موسى وعامر
ابن عبد القيس

وكتب محمد بن النضر إلى أخ : أما بعد ؛ فإنك على منهج وأمامك منزلان لا بد لك من نزول أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتشكل .

ابن النضر وأخوه

وكتب حكيم إلى آخر : أعلم حفظك الله أن النفوس جُبلت على أخذ ما أُعطيت ومنع ما سئلت ؛ فاحملها على مطية ، لا تُبطئ إذا رُكبت . ولا تسبق إذا قُدِّمت ؛ فإنما تحفظ النفوس على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب . فإذا استطعت أن يكون معك خوف المُشفق وقناعة الراضى فافعل .

بين حكيمين

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حيوة : أما بعد ، فإنه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه إلا فيما ينفعه .

من عمر بن
عبد العزيز إلى
ابن حيوة

وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن غزوان عامله على البصرة : أما بعد ؛ فقد أصبحت أميراً تقولُ فيسمعُ لك ، وتأمرُ فينفذُ أمرُك ؛ فيا لها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتُطابقك على من دونك ؛ فاحرس من النعمة أشد من احتراسك

من عمر بن
الخطاب إلى ابن
غزوان

من المصيبة : وإياك أن تسقط سقطة لا لعلها - أى لا إقالة لها - وتعرثر عثرة لا تُقالها . والسلام .

وكتب الحسن إلى عمر : إن فيما أمرك الله به شُغلاً عما نهاك عنه ، والسلام .
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : أجمع لي أمر الدنيا ، وصِف لي أمر الآخرة .

من الحسن إلى عمر
بين عمر بن عبد
العزيز والحسن

فكتب إليه : إنما الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والموت منوسط ؛ ونحن في أضغاث أحلام . من حاسب نفسه رَيجَ ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر في العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضلَّ ، ومن حلم غمَّ ، ومن خاف سلم ؛ ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . وآلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه .

مواظب الآباء للأبناء

قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارهم بسهم السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتخلَّ عنهم وانهمض^(١) .

لقمان يومى ابنه

وقال : يا بُنَيَّ ؛ استعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

ومثل هذا قول أكرم بن صيفي : احذر الأمين ولا تأمن الخائن ، فإن لاكم القلوب يد غيرك .

وقال لقمان لآبئه : لا تركنْ إلى الدنيا ، ولا تشغل قلبك بها ، فإنك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للعاصين . يا بُنَيَّ ، لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش في غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعينك . يا بُنَيَّ ، لا تضيع مالك وتصلح

لقمان يعظ ابنه

(١) في بعض الأصول : وانفض ثوبك .

مال غيرك ؛ فإنما لك ما قدمت ، ولغيرك ما تركت . يا بني ؛ إنه من يرحم يُرحم ،
ومن يصمت يسلّم ، ومن يقلّ الخير يغم ، ومن يقلّ الباطل يآثم ، ومن لا يملك
لسانه يندم . يا بني ، زاحم العلماء بركبتك ، وأنصت إليهم بأذنك ؛ فإن القلب
يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .

٥ — وقال خالد بن صفوان لابنه : كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا ، أقلّ
ما تكون في الباطن مآلا . ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية .

ابن صفوان
ينصح ابنه

وقال أعرابي لآبته : يا بني ، إنه قد أسمعتك الداعي ، وأعذر إليك الطالب ،
وانتهى الأمر فيك إلى حدّه ؛ ولا أعرف أعظم رزية من ضيّع اليقين
وأخطأه الأمل .

لأعرابي يوصي
ابنه

١٠ وقال علي بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بني هاشم : يا بني ، أصبر على
انتوابع ، ولا تعرّض للحتوف ، ولا تُجب أخاك من الأمر إلى ما مضرتّه
عليك أكثر من منفعة لك .

لعلّ بن الحسين
يوصي ابنه

١٥ وقال حكيم لبنيه ، يا بنيّ ؛ إياكم والجزع عند المصائب ؛ فإنه مجلبة للهّم ،
وسوء ظنّ بالرب ، وشماتة للعدوّ . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها
آمين ؛ فإنّي والله ما سخرتُ من شيء إلا نزل بي مثله ؛ فاحذروها وتوقعوها .
فإنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره السهام ، فجاوزه له ومقصر عنه ،
وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبه بعضها . واعلموا أنّ لكل شيء جزاء ،
ولكل عمل ثوابا . وقد قالوا : كما تدين تُدان ؛ ومن برّ يوما برّ به .

لحكيم في مثله

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

٢٠ إذا ما الدهرُ جرّ على أناسٍ • حوادثُهُ أناخَ بآخرينا
فقلّ للشامتين بنا : أفيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا

وقال حكيم لابنه : يا بني إني مُوصيك بوصية ؛ فإن لم تحفظ وصيتي عني
لم تحفظها عن غيري . اتق الله ما استطعت . وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً
منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل . وإياك والطمع ، فإنه فقرٌ حاضر .

لحكيم يظنّ ابنه

وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه . وإياك وما يُعْتَذَر منه ، فإنك لن تعتذر من خير أبداً ، وإذا عثر عاثر فاحمد الله ألا تكون هو . يا بني ، خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مُودَّعٍ وأنت ترى ألا تصلي بعدها .

٥ وقال علي بن الحسين عليهما السلام لابنه : يا بني ، إن الله لم يرضك لي فأرصاك بي ، ورضيني لك فحذرنى منك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدَّعه المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدَّعه التقصير إلى العقوق له .

١٠ وقال حكيم لابنه : يا بني ، إن أشد الناس حسرة يوم القيامة : رجلٌ كَسَبَ مالا من غير حِلٍّ فأدخله النار ، وأورثه من عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .

١٥ عمرو بن عُتْبَةَ قال : لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي : يا بني : قد تقطعت عنك شرائع الصبا فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزايله فتبين منه ؛ ولا يغرنك من أغتر بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ؛ فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضى ، قال فيك من الشر مثله إذا سخط . فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلَّم من غبَّ عوافهم .

٢٠ وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كفوا الأذى ، وأبدلوا المعروف ، واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سئلتم ، ولا تلجفوا إذا سألتم : فإنه من ضيق ضيق عليه ، ومن أعطى أخلف الله عليه .

٢٠ وقال الأشعث بن قيس لبنيه : يا بني ، لا تدلُّوا في أعراضكم ، واتخذوا في أموالكم : ولتخفَّ بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دماءهم : فإن لكل امرئ تبعه ؛ وإياكم وما يُعْتَذَر منه أو يستجى : فإنما يُعْتَذَر من ذنب ، ويستجى من عيب ؛ وأصاحوا المسال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى بالردِّ منعا ؛ وأجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدراً ؛ وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأتى بكم الكريم ، وينشرف

بكم اللئيم ، وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الجبل ، فإذا اضطرب الجبل
فألحقوا بمشاركم .

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في غيبة غابها : أما بعد فإن من اتقى
الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن اقترضه جزاه .
فاجعل التقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك . فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا خير
د لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا تخلق له .

من عمر بن
الخطاب إلى ابنه
عبد الله

وكتب علي بن أبي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : من على أمير المؤمنين
الوالد الفان ، المقر للزمان ، المستسلم للحدثان ، المدبر العُمر ، المومل ما لا يدرك
السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبد الدنيا ،
وتاجر الغرور ، وأسير المنايا ، وقرين الرزايا ، وصرع الشهوات ، ونُصب
الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد : يا بني ، فإن فيما تفكرت فيه من إدمار
الدنيا عني ، وإقبال الآخرة على . وُجُوح الدهر على ما يرغبي عن ذكر سوائى ،
والاهتمام بما ورائى ، غير أنه حيث تفرد بي هم نفسى دون هم الناس ، فصدقتى
رأيتى ، وصرفتى عن هواى ، وصرح بي محض أمرى ، فأفضى بي إلى جدٍ لا يُزرى
به لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك يا بني بعضى ، بل وجدتك كلّى ،
حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابنى ، وحتى كأن الموت لو أتاكَ أتانى . فعند ذلك
عنائى من أمرك ما عنائى من أمر نفسى . كتبت إليك كتابى هذا يا بني مستظهِراً
به إن أنا بقيت لك أو فُتيت ، فإنى موصيك بتقوى الله ، وعمارة قلبك بذكره ،
والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا ﴾ . وأى سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت
أخذت به ، أحمى قلبك بالموعظة ، وتورّه بالحكمة وأمتّه بالزهد ، وذلك بالموت ،
وقوّه بالنفى عن الناس ، وحذّره صولة الدهر ؛ وتقلّب الأيام والليالى ،
وأعرض عليه أخبار الماضين وسِرّ في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا ،

من على إلى ابنه
الحسن

وأين حلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الضرر ونزلوا دار النجاة . وكأنك
 عن قليل يابني قد صرت كأحدهم ، فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك
 بدنياك . ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تُكأن ، وأمر بالمعروف
 بيدك ولسانك ، وآتة عن المنكر بيدك ولسانك ، وبأين من فعله ، وحض
 الغمرات إلى الحق ، ولا يأخذك في الله لومة لائم ، واحتفظ وصيقي ولا تذهب
 عنك صفعا ، فلا خير في علم لا ينفع . واعلم أنه لا غنى لك عن حسن الآرنياد
 مع بلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك
 به في معادك فاغتنمه ، فإن أمامك عقبة كنوداً لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا
 فأجمل في الطلب ، وأحسن المكتسب . فرب طلب قد جر إلى حرب . وإنما
 المحروب من حرب دينه ، والمسلوب من سلب يمينه . واعلم أنه لا غنى يعدل
 الجنة : ولا قمر يعدل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

منه إلى ولده ابن
 الحنفية

وكتب إلى آبنه محمد بن الحنفية : أن تعمق في الدين ، وعود نفسك الصبر
 على المكروه ، وكل نفسك في أمورك كلها إلى الله عز وجل ، فإنك تكملها إلى
 كهف^(١) حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان
 وأكثر الاستخارة له ، واعلم أن من كان مطية الليل والنهار فإنه يسار به وإن
 كان لا يسير ، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن
 قدرت أن تزهّد فيها زهّدك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك
 فاعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أمالك ، ولا تعدو أجاك ، فإنك في سبيل^(٢) من
 كان قبلك ، فأكرم نفسك عن كل دنيّة وإن ساقك إلى الرغائب ، فإنك لن
 تعترض بما تبذل من نفسك عوضا ، وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول :
 متى ما أخرت تزعت ، فإن هذا أهلك من هلك قبلك ، وأمسيك عليك لسانك ،
 فإن تلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر عليك من إدراك ما فات من منطقتك ،

(١) في بعض الاصول : مكاف .

(٢) في بعض الاصول : وفي ديوان .

- وأحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاه ، فحسّن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد والحرقه مع العفة خير من الفنى مع الفجور ، والمرد أحفظ لسره ، ولربما سعى فيما يضره ، وإياك والاتكال على الأمانى ، فإنها بضائع التوكل ، وتنبّط عن الآخرة والأولى ، ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبين عنهم ، ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فإنه لن يدع بينك وبين خليلٍ صلحاً . أذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالخطب ، واعلم أن كثر النعمة لؤم ، وصحبة الأحمق شؤم ، ومن الكرم متع الحرم ، ومن حلم ساد ، ومن تفهم ازداد . آتخص أخاك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة . لا تنصرم أخاك على ارتباب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، وليس حزاء من شرك أن تسوءه . الرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أذاك ، واعلم يا بنى أنه مالك من دنياك إلا ما أصلحت به من مثواك ، فأنفق من خيرك . ولا تكن خازناً لغيرك ، وإن جزعت على ما يفلت من يديك ، فاجزع على ما لم يصل إليك ربما أخطأ البصير قصدّه ، وأبصر الأعمى رشده ، ولم يهلك أمرؤ اقتصد ، ولم يفتقر من زهد . من اتنمّن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه . رأس الدين اليقين ، وتسام الإخلاص آجتتاب المعاصى ، وخير المقال ما صدقه الفعال . سل ١٥ عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، واحمل لصديقك عليك ، واقبل عذراً من اعتذر إليك ، وآخر الشر ما استطعت ، فإنك إذا شئت تعجلته . لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صيلته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان . لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، فإن ذلك أدوم لحالها ، وأرخص لبالها ، وانغضض بصرها بسترها ، واكفها بحجابك ، وأكرم الذين بهم تصول ، فإذا تطاولت تطول . أسأل الله أن يلهمك الشكر والرشد : ويقوّيك على العمل بكل خير ، ويصرف عنك كل محذور برحمته . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

- قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي فقال له : إني لما سئل علينا ما توغر على غيرنا من الوصول إليك ، قُنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي [عند] انقطاع عن الكتبان ، ولا سيما حين انسمت يمين التواضع ، ووعدت الله وحملة كتابه لإثارة الحق على ما سواه ، فجمعنا وإياك مشهد من مشاهد التحيص . وقد جاء في الآثار : مَنْ حَجَبَ الله عنه العلم عَذَّبَهُ على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أَقْبَلَ إليه العلمُ فأدبرَ عنه . فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدى إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سُمةٍ ورياء ؛ فإنما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو وقد وطن الله عز وجل نبيه على نزولها ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

مقام رجل من العباد عند المنصور

- بينما المنصور في الطواف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول اللهم إني أشكو إليك ظهورَ البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض ، وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني .

فقال : إن أمتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها ، وإلا آحتجرك منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل .

- قال : فأنت آمن على نفسك ققل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغى لانت . فقال : فكيف ذلك ويحك ! يَدْخُلُنِي الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي ، والخلو والحماض عندي ؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، وأهتملت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ، وأبواباً من الحديد ، وحراساً معهم السلاح ، ثم سجنْتَ نفسك عنهم فيها ، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والسكرع ، وأمرت ألا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلان وفلان ، نفرأ ستميتهم ، ولم تأمر بإبصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العارى ، ولا الضعيف الفقير إليك ، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يُجْجَبُوا دونك ، تحبى الأموال وتجمعها . قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه . فانتصروا ألا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خونه عندك ونفوه ، حتى تسقط منزلته ، فلما انتشر ذلك عنك وعنه ، أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ، ليَقْوُوا بها على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك ، فلا يزال المظلوم يخلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ، فإذا أجهد وأخرج ثم ظهرت صرخ بين يديك ، فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فما

تسكرا فسا بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين
فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه ، فبكى بكاء شديداً ، لحته جلساؤه على الصبر
فقال : أما إنى لست أبكى لليلة النازلة ، ولكنى أبكى لمظلوم يصرخ بالبواب
فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى
الناس أن لا يلبس ثوباً أحمرَ إلّا مُتَظَلَّم . ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر
هل يرى مظلوماً ، فهذا يا أمير المؤمنين مُشركُ بالله ، بلغتُ رأفتهُ بالمشرِكين هذا
المبلغ ، وأنت مؤمنٌ بالله من أهل بيت نبيّه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شُحِّ
نفسك ! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبيراً فى الطفل
يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يدٌ شحيحة
تحويه ، فما يزال الله يلطّف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه . ولست
الذى تعطى ، بل الله تعالى يُعطى من يشاء ما يشاء . فإن قلت إنما تجمع المال
لتشديد السلطان ، فقد أراك الله عبيراً فى بنى أمية ، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب
وما أعدوا من الرجال والسلاح والكرام حين أراد الله بهم ما أراد . وإن قلت
إنما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها . فوالله ما فوق
ما أنت فيه إلا منزلةٌ ما تُدرِك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين . هل
تُعاقِبُ من عصاك بأشد من القتل . فقال المنصور : لا . فقال : فكيف تصنع
بالمُلك الذى خولّك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود
فى العذاب الآليم . قد رأى ما عُقِدَ عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر إليه
بصرك ، واجترحته يداك ، ومشيت إليه رجلاك . هل يغنى عنك ما شجحت عليه
من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ قال : فبكى المنصور ،
ثم قال : ليتنى لم أنْخَأْ ! ويحك كيف أحتال لنفسي ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، إن
للناس أعلاماً يفزعون إليهم فى دينهم ، ويرضون بهم فى دنياهم ، فأجمع لهم بطانتك
يرشدوك ، وشاورهم فى أمرك يسدّوك . قال : قد بعثت إليهم فهربوا منى . قال :
خافوك أن تحمّلهم على طريقك . ولكن افتح بابك ، وسهّل حججك ، وانصر

المظلوم ، واقع الظالم ، وتُخذ النية والصدقات على حلها ، وافسهما بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .
وجاء المؤذنون فأذنوه بالصلاة^(١) ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطلب الرجل فلم يوجد .

مقام الأوزاعي

بين يني المنصور

٥

قال الأوزاعي : دخلت عليه فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟ .

قلت : وما تريد مني يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنظر ما تقول ، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بُسر^(٢) ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ بلغته عن الله نصيحة في دينه فهي رحمة من الله سيقت إليه ، فإن قبلها من الله بشكر وإلا فهي حجة من الله عليه ليزداد إثمًا ويزداد الله عليه غضبًا . وإن بلغه شيء من الحق فرضى فله الرضا ، وإن سخط لله السخط ومن كرهه فقد كرهه الله عز وجل لأن الله هو الحق المبين .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إنك تحملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . وقد جاء عن جدك عبد الله ابن عباس في تفسير قول الله عز وجل : ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ قال : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ؟ فأعذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « يا صفيّة عمّة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد ، أَسْتَوْهِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللَّهِ ، فَإِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » . وكذلك جدك العباس ، سأل إمارة من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي عمّ

(١) في بعض الأصول : « فسلوا عليه » .

(٢) في بعض الأصول : « بشير » .

نَفْسُ تَحِيَّيْهَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تَحْصِيهَا ؛ نَظَرًا لِعَمِهِ وَشَفَقَةٍ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَلِيَ
فَيَحِيدَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا وَلَا عَنْهُ دَفْعًا . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ رَاعٍ بَيْتُ غَاشَا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَاثَةَ الْجَنَّةِ . وَحَقِيقُ
عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَظَرًا ، وَلِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا ، وَبِالْحَقِّ
فِيهِمْ قَائِمًا ، فَلَا يَتَخَوَّفُ مُحْسَنُهُمْ رَهَقًا ، وَلَا مُسِيئُهُمْ عَدَوَانًا ؛ فَقَدْ كَانَتْ يَدُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةً يَسْتَاكُ بِهَا وَيُرَدِّعُ عَنْهُ الْمُشْرِكِينَ بِهَا ، فَأَتَاهُ
جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي مَعَكَ ! أَتَرَكُهَا لَا تَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ رَعِيًّا !
فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ ، وَقَطَعَ أَسْتَارَهُمْ ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشِ
خَدَّيْهِ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ؛ فَقَالَ جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ جَبَارًا
تَكْسِرُ قُرُونُ أَمْتِكَ . وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شُرْبَةَ مِنْ
شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَا ثَمَرَةَ مِنْ ثَمَارِهَا ؛ وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّاسِ عُلِقَ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَهْلَكَ النَّاسُ رَاثَتَهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَقَمَّصُهُ ! وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا
مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ الْبَارِ صُبَّ عَلَى مَاءِ الدُّنْيَا لَأُخْتِمَ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَجَرَّعُهُ ! وَلَوْ أَنَّ
حُلْقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لِأَذَانِهِ ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ يُسَلِّكُ فِيهَا ؛
وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ .

كلام أبي حازم

لسليمان بن عبد الملك

حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لِلزِّيَارَةِ بَعَثَ إِلَى أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ
وَعِنْدَهُ ابْنُ شِهَابٍ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : تَكَلِّمْ يَا أَبَا حَازِمٍ . قَالَ : فِيمَ أَتُكَلِّمُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : فِي الْمَخْرَجِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : يَسِيرُ إِنْ أَنْتَ فَعَلْتَهُ .
قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَأْخُذْ الْأَشْيَاءَ إِلَّا مِنْ حِلِّهَا ، وَلَا تَضَعَهَا إِلَّا فِي أَهْلِهَا .
قَالَ : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ الرِّعْيَةِ مَا قَلَّدَكَ . قَالَ :

عظني أبا حازم ! قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشر على . قال : إنما أنت سوق ، فما نفق عندك حَمَلٌ إليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدبتي فنتني ، وإن أفصبتني أخزيتني ؛ وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندي ما أخافك عليه .
 قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلت ، وما منعتني منها رضيت .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

- ١٠ دخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عظني يا ابن السماك وأوجز .
- قال : كفي بالقرآن واطعاً يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ويلٌ للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون . ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ﴿ . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طغف في الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كاه ! وقال له مرة : عظني . وأنى بماء ليشربه .
- ١٥ فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حبستك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فلو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم ! قال : فما خيرٌ في ذلك لا يساوي شربة ولا بؤلة ! قال : يا ابن السماك ، ما أحسن ما بلغني عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن لي عيوباً لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مودة ؛ وإنني لخائف في الكلام الفتنة
- ٢٠ وفي السر الغرة وإنني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها .

كلام عمرو بن عبيد

عند المنصور

دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدي ، فقال له أبو جعفر :
 هذا ابن أمير المؤمنين ، وولي عهد المسلمين ؛ ورجائي أن تدعو له . فقال :
 يا أمير المؤمنين ، أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت مشغول فاستعبر
 أبو جعفر وقال له عِظْني أبا عثمان ! قال يا أمير المؤمنين ! إن الله أعطاك الدنيا
 بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد من
 كان قبلك لم يصل إليك ! قال : أبا عثمان أعطني بأصحابك ، قال : أرفع علم
 الحق يتبعك أهله ؛ ثم خرج ، فأتبعه أبو جعفر بصرة ، فلم يقبلها ؛ وجعل
 [المنصور] يقول :

كلكم يمشي رُوَيْدُهُ كُلُّكُمْ خَائِلٌ صَيْدٌ

غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عَبِيدٍ

خبر سفيان الثوري

مع أبي جعفر

لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف ، وسفیان لا يعرفه ، فضرب يده
 على عاتقه وقال : أتعرفني ؟ قال : لا ، ولكك قبضت على قبضة جبار ، قال :
 عظمي أبا عبد الله . قال : وما عملت فيم علت فأعظك فيما جهلت ؟ قال : فما
 يمنعك أن تأتينا ؟ قال : إن الله نهى عنكم فقال تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا فَيَمْسَكُوا النَّارَ ﴾ فسمح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال : ألقينا
 الحُبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفیان فإنه أعيانا فرارا .

كلام شبيب بن شبة

للهمدي

- قال العتي : سألت بعض آل شبيب بن شبة : أتفظون شيئاً من كلامه ؟
 قالوا : نعم ، قال للهمدي : يا أمير المؤمنين ، إن الله إذا قسم الأقسام في الدنيا
 جعل لك أسنانها وأعلاها ، فلا ترض لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضى لك به
 من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت : ومنكم أخذت ، وإليكم ترد .

من كره الموعظة

لبعض ما فيها من الغلظ أو الحرق

- قال رجل للرشيدي : يا أمير المؤمنين ، إنني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض
 الغلظة فأحتملها ، قال : كلا ، إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو
 شر مني : قال لنبيه موسى إذ أرسله إلى فرعون ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ
 يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .

بن الرشيدي
وواعظ

- دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني مكلمك
 بكلام ، فأحتمله إن كرهته ، فإن وراه ما تُعجب إن قبلته ، قال : هات يا أعرابي ،
 قال : إنني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن من عظتك ، تأدية لحق الله تعالى
 وحق إمامتك : إنه قد اكتنفك رجال أساموا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك
 بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب
 الآخرة سلم للدينا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالا ،
 والامانة تضيعا ، والامة عسفاً وخسفاً ، وأنت مشول عما اجتروحوا وليسوا
 مسئولين عما اجتروح ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس
 صفقة يوم القيامة وأعظمهم غبنا ، من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت
 يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو أخذ سيفيك . قال : أجل يا أمير المؤمنين ،

سليمان بن
عبد الملك
وأعرابي

لك لا عليك .

ووعظ رجل المأمون فأصننى إليه منصتا ، فلما فرغ قال : قد سمعت موعظتك ، المأمون وواعظ
فأسأل الله أن ينفعنا بها ، وربما عملنا ، غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا
إلى المعاونة بالمقال ، فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون .

٥ العتيبي قال : دخل رجل من عبد القيس على أبي فوعظه ، فلما فرغ قال أبي له :
لو أتعتظا بما علمنا لآتفعا بما عملنا ، ولكننا علمنا علمنا لزمنا فيه الحجة ،
وعقلنا غفلة من وجبت عليه النعمة ، فوعظنا في أنفسنا بالنقل من حال إلى حال ،
ومن صغر إلى كبر ، ومن صحة إلى سقم ، فأيننا إلا المَقَام على الغفلة ، إيثاراً
لعاجل لا بقاء لأهله ، وإعراضاً عن آجلٍ إليه المصير .

١٠ سعد القصير قال : دخل أناس من القراء على عتبة بن أبي سفيان فقالوا :
إنك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف ، وجئت بها عشوة^(١)
خفية . قال : كذبتهم ! بل سلطت الحق وبه سلطت ، فأعرفوا الحق تعرفوا السيف ،
فإنكم الحاملون له حيث وضعه أفضل ، والواضعون له حيث عمله أعدل ، ونحن
في أول زمان لم يأت آخره ، وآخر دهر قد فات أوله . فصار المعروف عنكم
١٥ مُنكراً ، والمنكر معروفاً . وإني أقول لكم مهلاً ، قبل أن أقول لنفسي هلاً !
قالوا : فنخرج آمين ؟ قال غير راشدٍ ولا مهذبن .

٢٠ حاد قوم سَفَر عن الطريق ، فدفعوا إلى راهب منفرد في صومعته ، فنادوه ،
فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ههنا . وأوماً بيده إلى السماء ، فعلبوا
ما أراد ، فقالوا : إنا سائلوك . قال : سلوا ولا تكثروا : فإن النهار لا يرجع
والعمر لا يعود ، والطالب حيث ! قالوا : علام الناس يوم القيامة ؟ قال : على
نياتهم وأعمالهم . قالوا : إلى أين الموتى ؟ قال : إلى ما قدمتم . قالوا : أوصنا .
قال : تزودوا على قدر سفركم ، فخير الزاد ما بلغ الحبل . ثم أرشدهم الجادة وانقطع .
وقال بعضهم : أتيت الشام فررت بدير حرمة ، فإذا فيه راهب كأن عينيه

(١) العشوة من الأمر: الملتبس . وفي بعض الأصول : « عشواء صعبة » .

مزادتان ، فقلت له : ما أشد ما يبكيك ! قال : يا مسلم ، أبكى على ما فرطت فيه من عمرى ، وعلى يوم يمضى من أجلي لم يحسن فيه عملى ! قال : ثم مررت بعد ذلك ، فسألت عنه ، فقيل لى إنه قد أسلم وغزا الروم وقُتل !

قال أبو زيد الحيرى : قلت لثوبان الراهب : ما معنى لبس الرهبان هذا السواد ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ! قلت : وكلكم معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة ؟ قال : يرحمك الله ، وهل مُصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها . قال أبو زيد : فما أذكر قوله إلا أبكاني .

الحيرى وثوبان في لبس الرهبان

حبيب العدوى عن موسى الأسوارى قال : لما وقعت الفتنة أردت أن أحرز دينى ، فخرجت إلى الأهواز ، فبلغ آزادمرّد قُدومى ، فبعث إلى متاعا ، فلما أردت الانصراف بلغتني أنه ثقیل ، فدخلت عليه ، فإذا هو كالخفافاش ، لم يبق منه إلا رأسه ، فقلت : ما خالك ؟ قال : وما حال من يريد سفراً بعيداً بنير زاد ، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ؟ ثم خرجت نفسه .

آراد مرده

العتي قال : مررت براهب باك ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : أمرٌ عرفته وقصرت عن طلبه ، ويوم مضى من عمرى نقص له أجلي ولم ينقص له أملى .

بين العتي وبين الرهبان

باب

من كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العباد : ما أقامكم فى الشمس ؟ قالوا : طلب الظل .

لبس العباد

قيل لعلقمة الأسود بن يزيد : كم تعذب هذا الجسد الضعيف ؟ قال : لا تُنال

لعلقمة والأسود

الراحة إلا بالتعب .

٢٠

وقيل لآخر . لو رفقت بنفسك ! قال : الخير كله فيما أكرهت النفوس عليه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : حُفَّت الجنة بالمكاره .

لآخر

وقيل لمسروق بن الأجدع : لقد أضرت بيدك . قال : كرامته أريد . وقالت

مسروق الأجدع

له امرأته فيروز لما رآته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة : ويلك يا مسروق !

أما يعبذ الله غيرك ، أما خلقت النار إلا لك ؟ قال لها : ويحك يا فيروز ! إن طالب الجنة لا يسأم ، وهارب النار لا ينام .

وشكت أم الدرداء إلى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها : تصبري ، فإن أماننا عقبة كثودا لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا .

ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال : موعدك الجنة .

ومر بالجزارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سمين فاشتر . قال : ليس عندي ثمنه . قالوا توخرك . قال : أنا أؤخر نفسي .

وكان رجل من العباد يأكل الرمان بقشره ، فقيل له : لم تفعل هذا ؟ فقال إنما هو عدو فأتخن^(١) فيه ما أمكنك .

وكان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فسئل عن ذلك ، فقال : ويحكم ! أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي ؟

وقال رجل ليونس بن عُبيد : هل تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن^(٢) ؟ قال : لا والله ولا أحداً يقول بقوله .

وقيل لمحمد بن علي بن الحسين أولعلي بن الحسين عليهم السلام : ما أقل ولدك إليك ؟ قال : العجب كيف ولدت له وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ وحج خمسا وعشرين حجة راجلا .

ولما ضرب سعيد بن المسيب وأقيم للناس قالت له امرأة : لقد أقتَ مقام خزية ! فقال : من مقام الخزية فررت .

وشكا الناس إلى مالك بن دينار القحط . فقال : أنتم تستبطلون المطر وأنا أستبطل الحجارة !

وشكا أهل الكوفة إلى الفضيل بن عياض القحط . فقال : أمدبراً غير الله تريدون ؟

(١) في بعض الأصول . . فأدخل . .

(٢) هو الحسن البصري وكان يونس من أصحابه .

- وذكر أبو حنيفة أيوب السخيتاني . فقال : رحمه الله تعالى - ثلاثا - لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت : لأقعدن إليه لعل أتعلق منه بسقطة . فقام بين يدي القبر مقاما ما ذكرته إلا اقشعر له جلدي .
- ابن أبي رباح : وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التي لا يُعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء أفتس أسود أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة .
- الأوقس الخزومي : وكان الأوقس الخزومي قاضيا بمكة ، فإرؤى مثله في عفائه وزهده ؛ فقال يوما لجلسائه : قالت لي أمي : يا بُني ، إنك خلقت خلقة لا تصلح معها لمجامعة الفتيان عند القبان ؛ فعليك بالدين ؛ فإن الله يرفع به الحسيصة ؛ ويتم به النقيصة ، فنغني الله تعالى بكلامها وأطعمها فوليت القضاء .
- بين ابن واسع وابن دينار : الفضيل بن عياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة ، فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع : ما هو كما تقول ، ليس إلا عفو الله أو النار . قال مالك : صدقت . ثم قال مالك : إنه يعجبني أن يكون للرجل معيشة قدر ما يقوته . قال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ولكن يعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . قال مالك : ما أحوجني إلى أن يُعلمني مثلك .
- لابن مهدي في بعض العباد : جعفر بن سليمان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما رأيت أحداً أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفيان الثوري ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بشر بن منصور ، مات ولم يدع قليلا ولا كثيرا .
- بشر بن منصور على فراش الموت : عبد الأعلى بن حماد قال : دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت ، فإذا به من السرور في أمر عظيم ؛ فقلت له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخرج من بين الظالمين والباشرين والحاسدين والمغتائبين ، وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر .

- حج هارون الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة بحجاب الدعوة معتزل في جبال تهامة الرشيد وعابده
فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له : أوصني ومُرني بما شئت ، فوالله
لا عصيتك ! فسكت عنه ولم يرد عليه جواباً ؛ فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابه
مامنعك إذ سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألا يعصيك - أن تأمره بتقوى
الله والإحسان إلى رعيته ؟ نخط لهم في الرمل : إني أعظمت الله أن يكون يأمره
فيعصيه ، وأمره أنا فيطيعني .
- علي بن حمزة ابن أخت سفيان الثوري قال : لما مرض سفيان مرضه الذي سفيان الثوري
مات فيه ذهب بيوله إلى ديراني ، فأريته إياه فقال : ما هذا يبول حنيني . قلت :
بلى والله من خيارهم . قال : فأنا أذهب معك إليه ، قال : فدخل عليه وجس
عرقه ، فقال : هذا رجل قطع الحزن كبده .
- مؤرق العجلي قال : ما رأيت أحداً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من ابن سيرين
محمد بن سيرين ، ولقد قال يوماً : ما غشيت امرأة قط في نوم ولا يقظة ، إلا
امرأتني أم عبد الله فإني أرى المرأة في النوم : فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف
بصرى عنها .
- الأصمعي عن ابن عون قال : رأيت ثلاثة لم أر مثلهم : محمد بن سيرين بعض العباد
بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام .
- العنبي قال : سمعت أسيافنا يقولون : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين :
عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبي الحسن البصري ، وهرم بن حبان ، وأبي
مُسلم الخولاني ، وأويس القرني ، والربيع بن خُثيم ومَسروق بن الأجدع ،
والأسود بن يزيد .

كيف يكون الزهد

العنبي يرفعه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الزهد في الدنيا ؟
قال : أما إنه ما هو بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهد

في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك .

للزهرى : ما الزهد ؟ قال : أما إنه ليس تشيعث اللّمة ، ولا قَشَفَ الهيئة ؛ ولكنه صرف النفس عن الشهوة .

لبعضهم : وقيل لآخر : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرامُ صبرك ، ولا الحلالُ شكرَكَ .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من أزهد الناس في الدنيا ؟ قال : من لم ينس المقابر والبلى ، وآثَرَ ما يَبْقَى على ما يَفْنَى ، وَعَدَّ نفسه مع الموتى .

وقيل لمحمد بن واسع : من أزهد الناس في الدنيا ؟ قال : من لا ينال بيد من كانت الدنيا .

وقيل للخليل بن أحمد : من أزهد الناس في الدنيا ؟ قال من لم يطلب المفقود حتى يَفْقِدَ الموجود .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الزُّهْدُ في الدنيا مِفْتَاحُ الرِّغْبَةِ في الآخرة ، والرِّغْبَةُ في الدنيا مِفْتَاحُ الزَّهْدِ في الآخرة .

قالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من جعل الدنيا أكبرَ همٍّ نزعَ الله خوفَ الآخرة من قلبه ، وجعل الفقرَ بين عينيه ، وشغَلَه فيما عليه لآله .

وقال ابن السماك : الزاهدُ الذي إن أصاب الدنيا لم يَفْرَحْ ، وإن أصابته الدنيا لم يَحْزَنْ ، يضحك في المَلَأ ، ويبكي في الخِلا .

وقال الفضيل : أصل الزهد في الدنيا الرضا عن الله تعالى .

صفة الدنيا

قال رجل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا

الدنيا . قال : ما أصف من دار أولها غناء ، وآخرها فناء ، حلالها حساب ،
وحرأها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ١
قيل لأرسطاطاليس : صف لنا الدنيا . فقال : ما أصف من دار أولها فوت ،
وآخرها موت .

٥ وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا . قال : أمر بين يديك ، وأجل مُطِل عليك ،
وشيطان فتان ، وأمانى جرارة العنان ، تدعوك فتستجيب ؛ وترجزوها فتخيب .

١٠ وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا . قال : الدنيا والدّة للوثة ،
ناقضة للمُبرّم ، مَرْتَجعة العطية وكل من فيها يجرى إلى ما لا يدري .

١٠ وقيل لبكر بن عبد الله المزني : صف لنا الدنيا . فقال : ما مضى منها فُعلْم ؛
وما بقي فآمانى .

١٠ وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صف لنا الدنيا . قال : أُمُّسَك مذموم فيك ، ويومك
غير محمود لك ، وعِرْكَ غير مأمون عليك .

١٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الدنيا يَتَخَنُّ المؤمن وجهه الكافر .
وقال : الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر . والآخرة وَعْدٌ صدق
يحكم فيها مَلِكٌ قادر ، يَفْصِلُ الحق من الباطل .

وقال : الدنيا خَضِرَةٌ حُلوة ، فمن أخذها بحِقْقها بُورِكَ له فيها ، ومن أخذها
بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع .

٢٠ وقال ابن مسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيف على الدنيا وماله
عارية ؛ فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

٢٠ وقال المسيح عليه السلام : الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها حَزَاتُون .
وقال إبليس : ما أبالي إذا أحب الناس الدنيا أن لا يعبدوا صنما ولا وثناً ،
الدنيا أَفْتَنُ لهم من ذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي الدنيا أُم دُفْر . الدُفْر : الدن .

لعامر بن
عبد القيس

لبكر المزني

لابن ثعلبة

النبي صلى الله
عليه وسلم

لابن مسعود

للمسيح عليه
السلام

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضحّاك بن سُنيان : ما طعمُك ؟ قال : اللحم واللبّن . قال : ثم إلى ماذا يصير ؟ قال يصير إلى ما قد علمت . قال : فإن الله عز وجل ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا .

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه : اتخذوا الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها .

للمسيح عليه السلام

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : من خدمني فأخديني ، ومن خدّمك فاستخديني .

من الأثر

وقيل لنوح عليه السلام : يا أبا البشر ويا طويل العمر ، كيف وجدت الدنيا ؟ قال كينت له بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

لنوح عليه السلام

وقال لقمان لابنه : إن الدنيا بحرٌ عريض ، قد هلك فيه الأولون والآخرون ، فإن استطعت أن تجعل سفينةك تقوى الله ، وعُدَّتْكَ التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح . فإن نجوت فبرّحة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

إمام

وقال ابن الحنفية : من كرّمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

لابن الحنفية

وقال : إن الملوك خلّوا لكم الحكمة فخلّوا لهم الدنيا .

وقيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالدّون . قال : إنما رضى بالدّون مَنْ رضى بالدنيا .

لابن واسع

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : أنا الذي كمأت الدنيا على وجهها ، فليس لي زوجة تموت ، ولا بيتٌ يخرب .

شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده ، فقال له : يا عبد الله ، هذه دار لا توافقك فالتمس لك داراً توافقك .

لابن عبيد

لقي رجل راهباً فقال : يا راهب ، صف لنا الدنيا . فقال : الدنيا تُخلَقُ

لراهب

الآبدان . وتُجدد الآمال ، وتُباعد الأُمْنِيَّة ، وتُقرب المَنيَّة . قال : فما حال أهلها ؟ قال : من ظفّر بها تعب ، ومن فانتّه نصيب . قال : فما الغنى عنها ؟ قال :

قطع الرجاء منها . قال . فأين المخرج ؟ قال : في سلوك المنهج . قال : وما ذاك ؟
قال : يذل المجهود ، والرضا بالموجود .

لبعض الشعراء ،

قال الشاعر :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبها • فحيثما انقلبَت يوماً به انقلبوا
يُعْظَمُونَ أها الدنيا وإن وثبت • يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال آخر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها • تَنَحَّ عن خطبتها تسلم
إن التي تخطُبُ غَزارة • قريئة العُرس من المأتم

عبد الواحد
ابن الخطاب

داود بن المحبر قال : أخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين
من بلاد الروم ، حتى إذا كنا بين الرصافة وحصص سمعنا صوتاً من تلك الجبال ،
تسمعه آذاننا ولم تبصره أبصارنا ، يقول : يا مستور يا محفوظ ، انظر في ستر
من أنت : إنما الدنيا شوك ، فانظر أين تضع قدميك منها !

لأبي العتاهية

وقال أبو العتاهية :

رَضِيتَ بِذِي الدُّنْيَا كُلِّ مُكَاتِرٍ • مُلِحَّ عَلَى الدُّنْيَا وَكُلِّ مُفَاخِرٍ
أَلَمْ تَرَهَا تَسْقِيهِ حَتَّى إِذَا صَبَا " • فَارَتْ حَلَقَهُ مِنْهَا بِشَفْرَةٍ جَازِرٍ
وَلَا تَعْدِلُ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ • لَدَى اللَّهِ أَوْ مَعْشَارِ نَنْبَةٍ طَائِرٍ
فَلَمْ يَرْضَ بِالْدُّنْيَا ثَوَابَ الْمُؤْمِنِ • وَلَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا عِقَابَ الْكَافِرِ

وقال أيضاً :

هِيَ الدُّنْيَا : إِذَا كَمَلْتَ • وَتَمَّ سُرُورُهَا خَذَلْتُ
وَتَفَعَّلُ فِي الَّذِينَ بَقُوا • كَمَا فِيمَنْ مَضَى فَعَلْتُ

قال بعض الشعراء يصف الدنيا :

لَقَدْ غَرَّتِ الدُّنْيَا رَجَالًا فَأَصْبَحُوا • بِمَنْزِلَةٍ مَا بَعْدَهَا مُتَحَوِّلٌ

(١) في بعض الأصول : ترقبه حتى إذا سما .

فَسَاخَطْ أَمْرٌ لَا يُبَدِّلُ غَيْرَهُ • وَرَاضٍ بِأَمْرٍ غَيْرِهِ سُبُودٌ
وَبَالِغٌ أَمْرٍ كَانَ يَأْمَلُ دُونَهُ • وَمُخْتَرَمٌ^(١) مَنْ دُونَ مَا كَانَ يَأْمَلُ
وَقَالَ هَارُونَ الرَّشِيدُ : لَوْ قِيلَ لِلدُّنْيَا صِفِي لَنَا نَفْسَكَ ، وَكَانَتْ مِنْ يَنْطِقُ ،
مَا وَصَفَتْ نَفْسَهَا بِأَكْثَرِ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

• إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ • لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ • وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٍ
لِبَعْضِ الْأَعْرَاءِ وَقَالَ آخَرُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا :

فَرُحْنَا وَرَاحَ الشَّامِتُونَ عَشِيَّةً • كَأَنَّ عَلَى أَكْنَافِنَا فَلَقَ الصَّنَجِرُ
لِحَا اللَّهِ دُنْيَا تُدْخِلُ السُّتْرَ أَهْلَهَا • وَتَهْتِكُ مَا بَيْنَ الْآفَارِبِ مِنْ سِتْرِ
لَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَلَا بِي الْعَتَاهِيَةِ :

• كُلُّمَا تَكَثَّرَ الْمَلَامَةُ لِلدُّنْيَا وَكُلَّ بِحَبِّهَا مَفْتُونُ
وَالْمَقَادِيرُ لَا تَنَاقُلُهَا إِلَّا وَهَامٌ لُطْفًا وَلَا تَرَاهَا الْعَيُونُ
وَلَرَكِبَ الْفَنَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ^(٢) • حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سُكُونُ
وَمَنْ قَوْلُنَا فِي وَصْفِ الدُّنْيَا :

• أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةٌ أَيْكَةٍ • إِذَا أَخْضَرَّتْ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْآمَالُ إِلَّا جَفَائِعُ • عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَيْفَ تَحْتَنَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ • وَقَرَّتْ عَيُونُ دَمْعُهَا الْيَوْمَ بِهَا كِبُ
فَلَا تَكْتَحِلُ عَيْنُكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ • عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

• أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا قِتْنَةً • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ
• قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا • مَا إِنْ رَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَمُخْتَلَجٌ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « وَيَمُرُّ الْفَنَى فِي كُلِّ يَوْمٍ » .

لابن آدم

وقال إبراهيم بن آدم :

تُرَقَّعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا تُرَقَّعُ
وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يُحِبُّهَا النَّاسُ لِأَجَلِهِ بِأَبْلَغِ مَنْ
قول القائل .

٥ نُرَاعُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فِي حِينَ ذِكْرِهِ * وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لغيرها * وما كنت منه فهو شيءٌ مُحِبَّبٌ
فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الإنسان منه فهو محبب إليه .
واعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يجاسسه في بعض طبائعه ، وأن الدنيا
جاءت الإنسان في طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه .

١٠ وقال بعض ولد ابن شبرمة : كنت مع أبي جالساً قبل أن يلي القضاء فتر به ابن شبرمة وولده
طارق بن أي زياد في موكب نبيل ، فلما رآه أبي تنفّس الصعداء وقال :
أراها وإن كانت تحبُّ كأنها * سخابة صيفٍ عن قليلٍ تَقْشَعُ
ثم قال : اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فلما ابتلى بالقضاء ، قلت : يا أبت ، أتذكر
يوم طارق ؟ فقال : يا بني إنهم يجدون خلفاً من أباك وإن أباك لا يجد خلفاً منهم
١٥ إن أباك خطب " في أهوائهم وأكل من حلوائهم .

وقال الشعبي ما رأيت مثلاً ومثّل الدنيا إلّا كما قال كثير عزة :
أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَامِلُومَةً * لَدُنَا وَلَا مَقْلِبَةً إِنْ تَقَلَّتْ
وأحكم بيت قيل في تمثيل الدنيا قول الشاعر :

وَمَنْ يَأْتِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَائِضٍ * عَلَى الْمَاءِ خَانَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
وحدث العباس بن الفرّج الرياشي ، قال : رأيت الأصمعي يُنشد هذا البيت
٢٠ الأصمعي في بيت
ويستحسنه في صفة الدنيا :

مَا عَظُرُ مُرْضِعَةٍ بِكَ * سِ الْمَوْتِ تَقْطِمْ مَنْ غَدَتْ

لقطري بن الفجاءة في وصف الدنيا خطبة مجردة تقع في جملة الخطب في كتاب الواسطة .

قولهم في الخوف

سئل ابن عباس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صدّقوا الله في مخافة وعيده ، قلوبهم بالخوف قريحة ، وأعينهم على أنفسهم باكية ، ودموعهم على خدودهم جارية ، يقولون كيف نفرح والموت من وراءنا . والقبور من أمامنا ، والقيامة موعِدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي ربنا موقِفنا !

وقال علي كرم الله وجهه : ألا إن لله عبداً مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة في الجنة فأكهين ، وأهل النار في النار معذنين ؛ شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة ، أما بالليل فصَفُّوا أقدامهم في صلاتهم ؛ تجري دموعهم على خدودهم ، يَحْأَرُونَ إلى ربهم : رَبَّنَا رَبَّنَا ! يطلبون فَكَاكَ قلوبهم ؛ وأما بالنهار فعُلَمَاءُ حُلَمَاءُ برة أتقياء ؛ كأنهم القِدَاح . القِدَاح : السهام ، يريد في ضميرتها - ينظر إليهم الناظر فيقول مَرْضَى . وما بالقوم من مرض ؛ ويقول : خَوِلُوا ؛ ولقد خالط القوم أمر عظيم .

وقال منصور بن عمار في مجلس الزهد : إن لله عبداً جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالا بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من ثلاث الدنيا ؛ فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد فضحوا خدودهم بوابل دموعهم ، واقترشوا جباههم في محاريبهم ، يناجون ذا الكبرياء والمظنة في فكَّاك رقابهم .

ودخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وفيهم شاب ذابل ناحل ؛ فقال له عمر : يا قتي ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقام ! قال له عمر : لَتَصْدُقْنِي . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذقت

يوما حلاوة الدنيا فوجدتها مرة عواقبها ؛ فاستوى عندي حجرها وذهبها ؛ وكأني
أنظر إلى عرش ربنا بارزا ؛ وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار ؛ فأظلمات تهاري
وأسهرت ليلي ؛ وقليل كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وخوف عقابه .

لابن أبي
الحواري

وقال ابن أبي الحواري : قلت لسفيان : بلغني في قول الله تبارك وتعالى :
(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) : الذي يلقي ربه وليس فيه أحد غيره . فبكى
وقال : ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير .

للحسن

وقال الحسن : إن خوفك حتى تلقى الأمن خير من أمّتك حتى تلقى الخوف
وقال : ينبغي أن يكون الخوف أغلب على الرجاء . فإن الرجاء إذا غلب
الخوف فسَدَ القلب .

وقال : عجبا لمن خاف العقاب ولم يكف ، ولمن رجا الثواب ولم يعمل .

لأبي

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو
وأخاف . قال : من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه .

لابن عباس

وقال الفضيل بن عياض : إني لأستعجى من الله أن أقول : توكلت على الله .
ولو توكلت عليه حق التوكل ما خفت ولا رجوت غيره .

لأبيهم

وقالوا : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه
الله من كل شيء .

وقال : وعد من الله لمن خافه أن يدخله الله الجنة . وتلا قوله عز وجل :
(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) .

لابن ذر

وقال عمر بن ذر : عباد الله ؛ لا تغتروا بطول حلم الله واحذروا أسفه ؛
فإنه قال عز وجل : (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ) .

لابن سلام

وقال محمد بن سلام : سمعت يونس بن حبيب ^(١) يقول : لا تأمن من قطع

(١) في بعض الأصول : يوسف بن عبيد

في خمسة دراهم أشرف عُضْوُ فِكَ أَنْ تَكُونَ عَقُوبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ
أَضْعَافَ ذَلِكَ .

لابن خثيم وقال الربيع بن خثيم : لو أن لي نفسيين إذا علقتهما إحداهما سعت الأخرى
في فكاكها ، ولكنها نفس واحدة ، فإن أنا أوتقتها . من يفكها ؟

في الحديث : من كانت الدنيا همّةً ، طال في الآخرة غمّه . ومن خاف الوعيد
لها غمّا يُريد ، ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعاً بما في يده .

للوراق وقال محمود الوراق :

يَا غَافِلًا تَرْنُو بِعَيْنَيْ رَاقِدٍ • وَمُشَاهِدًا لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ
تَصِلُ الدُّنُوبَ إِلَى الدُّنُوبِ وَتَرْتَجِي • دَرَكَ الْجَنَانِ بِهَا وَفَوْزَ الْعَالِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا • مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا يَذْنِبُ وَاحِدٌ

للنابغة الميمية وقال نابغة بني شيبان :

إِنَّ مَنْ يَرْكَبُ الْفَوَاحِشَ سِرًّا • حِينَ يَخْلُو سِرَّهُ غَيْرُ خَالٍ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ • شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذُو الْجَلَالِ

قولهم في الرجاء

للعلماء قال العلماء : لا تشهد على أحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نارٍ ؛ يُرَجَى لِلْحَسَنِ
وَيُخَافُ عَلَيْهِ ، وَيُخَافُ عَلَى الْمُسِيءِ وَيُرَجَى لَهُ .

في الأثر وفي الحديث المرفوع : إن الله يغفر ولا يعير ، والناس يعيرون
ولا يغفرون .

وفي حديث آخر : لا تكفروا أهل الذنوب .

فتى توفي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرفاً على نفسه
فرفع رأسه ، وهو يحود بنفسه ، فإذا أبواه يسكيان عند رأسه ، فقال : ما يبكيكما؟
قال : نبكي لإسراذك على نفسك ! قال : لا تبكي . فوالله ما يسرنى أن الذي
يبد الله من أمرى بأيديكما . ثم مات . فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام

النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن قتي توفى اليوم فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئاً من خير ، إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هاهنا أوتي : إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده .

عمر بن ذر
ورجل توفى

وتوفى رجل بجوار ابن ذر ، وكان مُسْرِفاً على نفسه ، فتخاصم الناس جنازته وبلغ ذلك عمر بن ذر ، فأوصى أهله : إذا جهزتموه فأذِنُونِي . ففعلوا ؛ فشهِدَ والناس معه ، فلما أدل وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان ؛ فلقد صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فن منا غير مذنب وذو خطايا؟

معاوية عند الموت

وتمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذي • نحاذر بعود الموت أنكى وأظفُ
ثم قال : اللهم فأقل العثرة ، واعفُ عن الزلّة ، وعُدْ بحملك على جهل
من لم يرجُ غيرك ، ولم يثق إلا بك فإنك واسع المنفرة . يارب أين لدى الخطأ
مهرب إلا إليك .

قال داود بن أبي هند : فبلغني أن سعيد بن المسيّب قال حين بلغه ذلك :
لقد رغب إلى من لا مرغَبَ إلا إليه كرها ، وإنى أرجو من الله له الرحمة .

لأعرابي في عائشة

الاصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول في دعائه وابتهاله : إلهي ، ما توهمت سعة
رحمتك إلا وكأن نعمة عفوك تفرع مسامعي : أن قد غفرتُ لك ؛ فصدق ظني
بك ، وحقق رجائي فيك يا إلهي .

لبعض الشعراء

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت :

وإنى لأرجو الله حتى كأنني • أرى بحمِلِ الظَّنِّ ما اللهُ صانعُ

قولهم في التوبة

مر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بني إسرائيل يسكون ، فقال لهم : ما يكيكم ؟ قالوا : نبكى لذنوبنا ! قال : آتركوها تُغفر لكم .

للمسيح عليه
السلام

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : عجباً لمن يهلك ومعه النجاة ؛ قيل له :

أجل

وما هي ؟ قال : التوبة والاستغفار .

٥

وقالوا : كان شاب من بني إسرائيل قد عبد الله عشرين حجة ، ثم عصاه عشرين حجة ؛ فبينما هو في بيته يترامى في صرّاته ، نظر إلى الشيب في لحينه ، فسأه ذلك ؛ فقال : إلهي ، أطعك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة ؛ فإن رجعت إليك تقبلني ؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ، ولم ير شخصاً ؛ أحببنا فأحببناك ، وتركنا وتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .

فتى من بني
إسرائيل

١٠

عبد الله بن العلاء قال : خرجنا حجاجاً من المدينة ، فلما كنا بالحليفة نزلنا ، فوقف علينا رجل عليه أثواب رثة له منظر وهيئة ، فقال : من يبغى خادماً ؟ من يبغى ساقياً ؟ من يملأ قربة أو إداوة ؟ فقلنا : دونك هذه القرب فاملأها . فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طيناً ، فوضعها وهو كالسرور الضاحك ، ثم قال : لكم غير هذا ؟ قلنا : لا . وأطعمناه قارصاً حاذراً (١) ، فأخذه وحمد الله وشكره ؛ ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع ، فأدركني عليه الرقة ، فقمت إليه بطعام طيب كثير ؛ وقلت : قد علمت أنه لم يقع منك القرص موقعا ، فدونك هذا الطعام فكله . فنظر في وجهي وتبسم ؛ وقال : يا عبد الله ، إنما هي قورة ، هذه النار قد أطفأتها - وضرب يده

ابن العلاء
في عابد

١٥

على بطنه - فرجعت وقد انكسف بالي لما رأيت من هيئته ؛ فقال إلى رجل كان إلى جانبي : أتعرفه ؟ قلت : ما أعرفه . قال : هذا رجل من بني هاشم ، من ولد العباس بن عبد المطلب ؛ كان يسكن البصرة ؛ فخاب وخرج منها ، فققد وما يُعرف له أثر . فأعجبني قوله ؛ ثم لحقت به وناشدته الله ؛ وقلت له :

(١) في بعض الاصول : قرصاً بارداً .

هل لك أن تعادلتني فإني معي فضلا من راحلتي وأنا رجل من بعض
أخوالك ؟ فجزاني خيرا ، وقال : لو أردت شيئا من هذا لكان لي مُعَدًّا .
ثم أُنِسَ إليّ وجعل يحدثني ؛ وقال : أنا رجل من ولد العباس ، كنت أسكن
البصرة ، وكنت ذا كِبَرٍ شديد وجروت وبذخ ؛ وإنني أمرت خادماً لي أن
تَحْشُو لي فراشاً من حرير يورد ثبير ، ومخدة ؛ ففعلت ؛ فإني لذائم إذا أبقطنني
قِعْ وَرْدَةٍ أغفلته الخادم ؛ ففعلت إليها فأوجعها ضرباً ؛ ثم عدت إلى مضجعي
بعد أن خرج ذلك القمع من المخدة ؛ فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة ، فتهرني
وذبرني ، وقال : أَفَقِيَ مِنْ غَشِيَتِكَ وَأَبْصِرَ مِنْ حَيْرَتِكَ . ثم أنشأ يقول :

ياخذُ إنك إن تُوسِدُ لَيْسًا * وَسَدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ

فأمهد لنفسك صالحاً تنجوبه * فلتندمن غداً إذا لم تفعل

فاتبتهت فزعاً ، وخرجت من ساعتى هارباً يدينني إلى ربي .

وقالوا : علامة التوبة الخروجُ من الجهل ، والندم على الذنب ، والتجافي عن
الشهوة ، وترك الكذب ، والانهاء عن الخلق السوء .

وقالوا : التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وأول التوبة الندم .

ومن قولنا في هذا المعنى : ١٥

يا وَيْلَنَا مِنْ مَوْقِفِ مَا بِهِ * أَخَوْفُ مِنْ أَنْ يَعدِلَ الحاكمُ

أَبَارِزُ اللَّهِ بِعُضْبَانِهِ * وَلَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ رَاجِمٌ

يَا رَبِّ غُفْرَانِكَ عَنْ مُذْنِبٍ * أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ . إن التوبة النصوح : أن يتوب العبد عن الذنب ٢٠

ولا ينوي العود إليه .

وقال ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

يعملون السوءَ بجهالةٍ ثم يتوبون من قريبٍ ﴾ . إن الرجل لا يركب ذنباً ولا يأتي

فاحشةً إلا وهو جاهل . وقوله : ثم يتوبون من قريب . قال : كل من كان دون

المعاينة فهو قريب ، والمعاينة : أن يؤخذ بكظم الإنسان ، فذلك قوله : ﴿ إذا حضرَ أحدهم الموتُ قال إني مُبْتَلًى ﴾ قال أهل التفسير : هو إذا أخذ بكظمه .

وقال ابن شبرمة : إني لأعجب من يحنى مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة النار .

المبادرة بالعمل الصالح

قال الله عز وجل ﴿ وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾ .

وقال الحسن : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم ما أمضيت ، لا ما أبقيتم .

١٠ - وقالوا : ثلاثة لا أناة فيهم . المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ، وإنكاح الكفء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ابن آدم : اغتيم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، و فراغك قبل شغلِكَ ، وحياتك قبل موتك ، وغناك قبل فقرك .

١٥ وقال الحسن : صم قبل أن لا تقدر على يوم تصومه ، كأنك إذا ظمئت لم تكن رويت ، وكأنك إذا رويت لم تكن ظمئت .

٢٠ - وكان يزيد الرقاشي يقول : يا يزيد ، من يصوم عنك أو يصلّي لك أو يترضى لك ربك إذا مت .

ولان . . . وكان خالد بن معدان يقول :

٢٠ إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً . ندمت على التفریط في زمن البذر

وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر في سفينة ، فقلت : بأي شيء

أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له : ما تقول في الصوم في السفر ؟ فقال : إنما

هي المبادرة يا بن أخي . فجاءني والله بفتيا غير فتيا إبراهيم والشعبي .

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

بادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ الْخَالِصَاءِ مُبْتَدَأً * وَالْمَوْتُ وَيَحْكُمُ لَمْ يَمْدُدْ إِلَيْكَ يَدَا
وَأَرْقُبْ مِنْ اللَّهِ وَعِدًّا لَيْسَ يُخْلَفُهُ * لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا

لدى

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : فيم أتم ؟ قالوا : نرجو

ونخاف . قال : من رجا شيئاً طمعه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ سَالِكُهَا * إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

وقال آخر :

اتَّعَمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ * وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ

وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * يُحْصَى عَلَيْكَ ، وَمَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثٌ

١٠

الذي صلى الله عليه
وسلم وعائشة

وقدّمت عائشة رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم صحفة فيها خبر

شعير وقطعة من كَرِش ، وقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فسا أمسكنا منها
غير هذا . فقال : بل كلّها أمسكنم غير هذا .

العجز عن العمل

مؤزق وشاك

قال رجل لمؤزق العجلي : أشكو إليك نفسي ؛ إنها لا تريد الصلاة ، ولا تستطيع

١٥

الصبر على الصيام . قال : بنس الثناء [ما] أثبتت على نفسك ، فإذا ضعفت عن

الخير ، فأضعف عن الشر ؛ فإن الشاعر قال :

أَحْزَنْ عَلَى أَنَّكَ لَا تَحْزَنْ * وَلَا تُسِيْءُ إِنْ كُنْتَ لَا تُحْسِنُ

وَأَضْعُفُ عَنِ الشَّرِّ كَمَا تَذَعِي * ضَعْفًا عَنِ الْخَيْرِ وَقَدْ يُمَسْكُنُ

لكم نعبده الله

وقال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قصر بكم ضعف فأمسكوا

٢٠

عن المعاصي .

لعن وقال الحسن رحمه الله : من كان قويا فليعتمد على قوته في طاعة الله ؛ وإن كان ضعيفاً فليتكف عن معاصي الله .
 لعل وقال علي : لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ، فيبتغي الزيادة فيما بقي ؛ وينهى الناس ولا ينتهى .

• وكان الحسن إذا وعظ يقول : يا لها موعظة لو صادفت من القلوب حياة !
 أنسمع حسيباً ولا أرى أنيساً ، ما لهم تفاقدوا عقولهم ؟ فرأى نار وذباب طمع .
 لابن السماك وكان ابن السماك إذا فرغ من موعظته يقول : ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف .

— وقال : الحسنة نور في القلب ، وقوة في العمل ؛ والسيرة ظلمة في القلب ، وضعف في العمل .

١٠

لبعض الحكماء وقال بعض الحكماء : يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب ، ثم ظنوا أن تركها لهم توبة ؛ وليتهم إذا ذهبت عنهم لم يتمنوا عودها إليهم .

لابن دينار وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فظام الكبير . وينشد :

١٥ وتروض عرسك بعدما هربت * ومن العناء رياضة الهرم

لابن وضاح ومن حديث محمد بن وضاح قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب ، مسح إبليس بيده على وجهه وقال : بأبي وجه لا أفلح أبدا .

لبعض الشعراء — قال الشاعر :

فإذا أي إبليس غرة ونجه * حيا وقال فديت من لا يفليح

الحسن ورجل حو قال رجل للحسن : أباسعيد ، أردت البارحة أن أصلي فلم أستطع ، قال :
 ٢٠ قيدتك ذنوبك .

قولهم في الموت

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ما عندك من ذكر الموت أباحفص ؟ قال : أُمسى فما أرى أنى أصبح ، وأصبح فما أرى أنى أمسى ! قال : الأمر أوشك من ذلك أباحفص ، أما إنه يخرج عنى نفسى فما أرى أنه يعود إلى !

وقال عبد الله بن شداد : أرى داعى الموت لا يُقْلَع ، ومن مضى لا يرجع ، ومن بقى فإنه ينزع .

وقال الحسن : ابن آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضك .

وقال أبو العتاهية :

الناس في غفلاتهم • ورحى المنية تطحن

وقال عمر بن عبد العزيز : من أكثر من ذكر الموت اكنى باليسير ، ومن علم أن الكلام عمل : قل كلامه إلا فيما ينفع .

وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال : أغدى فإننا راثون ، وأروحي فإننا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلان فجأة . فقال : لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات .

وقال يعقوب صلوات الله عليه للبشير الذى أتاه بقميص يوسف : ما أدرى ما أنيبك به ، ولكن هوّن الله عليك سكرات الموت .

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جلست إلى جرير وهو يملئ على كاتبه :
• ودّع أمانة حان منك رحيل •

ثم طالعت جنازة فأمسك وقال : شئتني هذه الجنازة . قلت : فلم تسأ

(١) في بعض الأصول : • عبيد • .

الناس ؟ قال : يدهوتني ثم لا أعفو ، وأعتدى ولا أبتدى . ثم أنشأ يقول :

رُؤُوعُنَا الْجَنَائِزُ مُقِيلَاتٌ • فَلَهُوَ حِينَ تَذْهَبُ مُدِيرَاتِ
كَرُوعَةٍ ثَلَاثَةِ لِمَغَارٍ سَبْعٍ • فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ
وقالوا : من جعل الموت بين عينيه ، لها عما في يديه .

ابن خنيس

وقالوا : اتخذ نوح بيتاً من حصّ ، فقيل : لو بنيت ما هو أحسن من هذا !
قال : هذا كثير لمن يموت .

وأحكم بيت قاله العرب في وصف الموت ، بيت أمية بن أبي الصلت حيث يقول :

لأمية

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ • فِي بَعْضِ غُرَاهِ يُوَارِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا • لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا

وقال أصبغ بن الفرّج : كان بنجران عابد يصبح في كل يوم صبيحتين
بهذين البيتين :

لأصبغ زعابد

مَنْعَ الْبَقَاءِ مَطَالِيعُ الشَّمْسِ • وَغَدُؤُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُعْمَى
وَطُلُوعُهَا حَرَاءُ قَانِيَةٍ • وَغُرُوبُهَا صَفَرَاءُ كَالْوَرَسِ
الْيَوْمَ يُخْبِرُ مَا يَجِيءُ بِهِ • وَمَضَى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ

وقال آخر : بعض الشعراء

١٥

زَيَّلَتْ بَيْتَكَ جَاهِلًا وَعَمَرَتْهُ • وَلَعَلَّ صِهْرُكَ ^(١) صَاحِبَ الْبَيْتِ
مَنْ كَانَتْ الْإَيَّامُ سَاطِرَةً بِهِ • فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّ بِالْمَوْتِ
وَالْمَرْءُ مُرْتَهَنٌ بِسَوْفٍ وَلَيْتَنِي • وَهَلَاكُهُ فِي السَّوْفِ وَاللَّيْتِ
لِلَّهِ دَرُّ فِتْنَى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ • فَتَدَا وَرَاحَ مُبَادِرَ الْمَوْتِ ^(٢)

وقال صريع الغواني : لصريع الغواني

٢٠

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا • قَدْ بَكَوْا أَحْبَابَهُمْ ثُمَّ بُكُوا

(١) في بعض الاصول : • غيرك • .

(٢) في بعض الاصول : • الفوت • .

تَرَكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ ۖ وَذُفُّوا لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرَكُوا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوقَةً ۖ وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكَوا

للصدايق

وقال الصِّلَانُ العَبْدِيُّ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا لَيْلَةٌ هَزَمَتْ يَوْمَهَا ۖ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فِي
زُجُوجٍ وَنَفَسٍ لِحَاجَاتِنَا ۖ وَحَاجَةٌ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ ۖ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

وكان سفيان بن عيينة يستحسن قول عدي بن زيد :

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ۖ ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهَا وَثُمُودُ
بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْأَسِيرَةِ وَالْأَنْفِ مَاطَ أَفْضَتْ إِلَى الزَّرَابِ الْحُدُودُ
وَصَبِيحٌ أَمْسَى يَعُودُ مَرِيضًا ۖ وَهُوَ أَذْنَى لِلْبُوتِ يَمْنُ يَعُودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثَ وَلَكِنْ ۖ بَعْدَ ذَلِكَ ۖ وَذَاكَ الْوَعِيدُ

١٠

وقال أبو العنابة في وصف الموت :

كَانَ الْأَرْضُ قَدْ طُوِبَتْ عَلَيَّا ۖ وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صَرْتُ مُفْرَدًا وَحِيدًا ۖ وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَا
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَى يَوْمًا ۖ وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَى شَيْءٍ
ذَكَرْنِ مَنْ يَتَى فَنَعَيْتُ نَفْسِي ۖ أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا

١٥

وقال :

سَتَخْلُقُ جِدَّةً وَتَحُولُ حَالُ ۖ وَعِنْدَ الْحَقِّ تُخْتَبَرُ الرِّجَالُ
وَالدُّنْيَا وَدَائِعُ فِي قُلُوبٍ ۖ بِهَا جَرَّتِ الْقَطِيعَةُ وَالْوَصَالُ
تَخَوُّفُ مَا لَعَلَّكَ لَا تَرَاهُ ۖ وَتَرْجُو مَا لَعَلَّكَ لَا تَنَالُ
وَقَدْ طَلَعَ الْهَلَالُ لَهْدَمِ مُخْمَرِي ۖ وَأَفْرَحُ كُلَّمَا طَلَعَ الْهَلَالُ ١

٢٠

وله أيضاً :

من يعيش يكبر ومن يكبر يموت • والمنايا لا تُبالي من أنت
نحن في دار بلاء وأذى • وشقاء وعناء وعنت
منزل ما يثبت المرء به • سألنا إلا قليلاً إن ثبت
أيها المغرور ما هذا الصبا • لو تهيت النفس عنه لانت
رحم الله امرأ أنصف من • نفسه إذ قال خيراً أو سكت

ومن قولنا في ذكر الموت :

من لي إذا جُدت بين الأهل والولد • وكان مني نحو الموت قيس يدي
والدمع يهمل والأنفاس صاعدة • فالدمع في صلب والنفس في صعد
ذاك القضاء الذي لا شيء يصرفه • حتى يفرق بين الروح والجسد

ومن قولنا فيه :

أتلوه بين باطية وزير • وأنت من الهلاك على شفير ؟
فيامن غره أمل طويل • يؤديه إلى أجل قصير
أنفرح والنيئة كل يوم • تريك مكان قبرك في القبور ؟
هي الدنيا فإن سرتك يوماً • فإن الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت منها • كعمارية ترد إلى المعير
وتعتاض اليقين من التظني • ودار الحق من دار الغرور

ولأبي العتاهية :

وليس من منزل بأوهد من تحيل^(١) • إلا والموت سيف فيه مسلول

وله أيضاً :

ما أقرب الموت منا • تجاوز الله عنا
كأنه قد سقانا • بكاسه حيث كنا

(١) في بعض الأصول : ذو نفس . .

وله أيضاً :

أُوْمِّلُ أَنْ أُخْلَدَ وَالْمَنَابَا * يَثْبِنُ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَوَاحِي
وما أدري إذا أَمْسَيْتُ حَيًّا * أَلَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ

وقال الغزّال :

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ بِجُحُودٍ عَلَى أَمَلٍ * مِنَ الْحَيَاةِ قَصِيرٍ غَيْرُ مُتَمَدِّ
وما أَفَارِقُ يَوْمًا مَنْ أَفَارَقَهُ * إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ
انْظُرْ إِلَى إِذَا أُدْرِجْتُ فِي كَفْنِي * وَانْظُرْ إِلَى إِذَا أُدْرِجْتُ فِي لَحْدِي
واقْعُدْ قَلِيلًا وَعَايِنَ مَنْ يُقِيمُ مَعِيَ * مَنْ يُشَبِّعُ نَفْسِي مِنْ ذَوِي وَدِّي
هِيَاةً ! كُلُّهُمْ فِي شَأْنِهِ لَعَبٌ * يَرْمِي التَّرَابَ وَيَحْتَوُهُ عَلَى خَدِّي

١٠ وقال أبو العنابه :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ * وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سَوَاكِ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلرُّبِّ الْمُنُونِ * فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الطَّيِّبِ الْمَرِيضِ * فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ * فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ ؟

١٥ · وله أيضاً :

أَخِي أَدِّخِرْ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لِيَوْمِ بُؤْسِكَ وَافْتِقَارِكَ
فَلْتَسْزَلَنَّ بِمَنْزِلٍ * تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى ادِّخَارِكَ

وقال أبو الأسود الدؤلي :

أَيُّهَا الْآمِلُ مَا لَيْسَ لَهُ * رُبَّمَا غَرَّ سَفِيهَا أَمَلُهُ
رَبٌّ مَنْ مَاتَ يُمَتِّي نَفْسَهُ * حَالٍ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهُ
وَالْفَقَى الْمُخْتَالُ فِيمَا نَابَهُ * رُبَّمَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ حِيلُهُ
قَلَّ لِمَنْ مَثَلٌ ^(١) فِي أَشْعَارِهِ * يَهْلِكُ الْمَرْءُ وَيَبْقَى مَثَلُهُ

(١) في بعض الأصول : ولمن قد مان . .

نَافِسُ الْمُحْسِنِ فِي إِحْسَانِهِ • فَيَكْفِيكَ سَنَاءُ^(١) عَمَلُهُ

لعدي بن زيد وقال عدي بن زيد العبادي :

- أَيْنَ كُشْرَى كُشْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ • وَأَنْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مُلُوكُ الرُّ • لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
أَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ^(٢) نَجَّيَ إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَسًا فَلَطَّيْرُ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمَنُونِ فَبَادَ الْمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
وَتَفَكَّرَ^(٣) رَبُّ الْخَوَرِ تَقَ إِذْ أَصْبَحَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْرِ
فَارْعَوَى قَلْبَهُ فَقَالَ : وَمَا غَبِطَةُ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ؟
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنَّعْمَةِ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ فَأَلَوَتْ بِهِ الصَّبَا وَالْدُّبُورُ

لحريث بن جبلة وقال حريث بن جبلة العذري :

- يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْرُورُ • فَاذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُنكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِيهَا مُدْنَفٌ وَلَهُ • لَا يَسْتَفِزُّكَ مِنْهَا الْبَدْرُ وَالْخَوَرُ
قَدْ بُجِثَ بِالْجَهْلِ لَا تَخْضِعْ عَنْ أَحَدٍ • حَتَّى جَرَتْ بِكَ أَطْلَاقُ مُحَاضِيرُ
تَرِيدُ أَمْرًا فَاسْتَدْرِ أَعَاجِلُهُ • خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضَيْنَ بِهِ • فَيُنِهَا الْعُسْرَ إِذَا دَارَتْ مِيسِيرُ
وَيُنِهَا الْمَرءَ فِي الْأَحْيَاءِ مَغْتَبِطًا • إِذَا صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهُمُهُ • وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
يَكُنِ الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ • وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ

(١) في بعض الاصول : • مِسْنَاءُ •

(٢) في بعض الاصول : • وَتَبِينُ •

فذاك آخِرُ عهدٍ من أخيك إذا • ما ضُمَّنْتَ شِلْوَهُ أَلَلَّحْدُ المحافِرُ

قولهم في الطاعون

- قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن الطاعون وقع في الشام فانصرف بالناس : أفراراً من قَدَرِ الله يا أمير المؤمنين ؟
 قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم تَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قدر الله : أرأيت لو أن لك إبلا هبطت بها واديا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جدية ، أليس لورعيت في الخصيبة رعيّتها بقَدَرِ الله ، ولو رعبت الجدية رعيّتها بقدر الله ؟ وكان عبد الرحمن بن عوف غائباً فأقبل ، فقال : عندى في هذا علمٌ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا سَمِعْتُمْ به في أرض فلا تَقْدَمُوا عليها ، وإذا وَقَعَ في أرض وأنتم بها فلا تَخْرُجُوا فِراراً منه . فحمد اللهَ عمرُ ، ثم انصرف بالناس .

- وقيل للوليد بن عبد الملك حين فر من الطاعون : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ أَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قال : ذلك القليل نطلب .

- العنبي قال : وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج صديق لشریح إلى النَجَف ، فكتب إليه شریح : أما بعد : فإن الموضع الذي هربت منه لم يَسُقْ إلى أجلك تمامه ، ولم يسلبه أيامه ؛ وإن الموضع الذي صرت إليه لبيعين من لا يُعجزه طالب ، ولا يفوته هرب ؛ وإنا وإياك على بساط ملك ، والنجف من ذى قدرة أقرب .

- لما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين ، فقال : ما أحسن ما صنع بكم ربكم ؛ أقلع مُذْنِبَ وأتَقَى مُمَسِكَ .

- وخرج أعرابي هارباً من الطاعون فلدغته أفعى في طريقه فمات . فقال أخوه يرثيه :

طافَ يَبْغِي نَجْوَةً • مِنْ هَلَاكٍ قَهْلًا

لَيْتَ شَعْرِي صَلَّةً ۝ أَيْ شَيْءٍ قَتَلْتُكَ
أُجْعَافُ سَائِلٌ ۝ مِنْ جِبَالٍ تَحْمَلُكَ
وَالْمَنَابِيا رَصَدٌ ۝ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ ۝ حِينَ تَلْقَى أَجْلَكَ

حكى ^(١) أن ماء المطر اتصل في وقت من الأوقات ، فقطع الحسن بن وهب
عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيات ، فكذب إليه الحسن :

ابن وهب
وابن الزيات

يُوضِحُ الْعُذْرَ فِي تَرَاخِي اللَّقَاءِ ۝ مَا تَوَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ
فَسَلَامُ الْإِلَهِ أَهْدِيهِ مِنِّي ۝ كُلُّ يَوْمٍ لِسَيِّدِ الْوُزَرَاءِ
لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا أَدُمُّ وَأَشْكُو ۝ مِنْ سَمَاءٍ تَعُوقُنِي عَنْ سَمَاءِ
غَيْرِ أَنِي أَدْعُو لَهَا تَيْكَ بِالشَّكْلِ وَأَدْعُو لِهَذِهِ بِالْبَقَاءِ

١٠ اتصل بأحمد بن أبي دؤاد أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون
بيتاً ، فقال :

ابن الزيات
وابن أبي دؤاد

أَحْسَنُ مِنْ تَسْعِينَ بَيْتاً سُدِّي ۝ جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ
مَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى مَطَرَةٍ ۝ تُزِيلُ عَنْهُمْ وَصَرَ الزَّيْتِ

١٥ فبلغ قوله محمداً فقال :

يَا أَيُّهَا الْمَأْفُونُ رَأَيْتُ لَقْدَ ۝ عَرَضْتَ بِي نَفْسَكَ لِلدَّوْتِ
فَقَبْرُكُمْ الْمُلْكُ فَلَمْ تُنْقِهِ ۝ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ
الزَّيْتُ لَا يُزْرِي بِأَحْسَابِنَا ۝ أَحْسَابُنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ

وقيل لابن أبي دؤاد : لم لا تسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك ؟

لابن أبي دؤاد

٢٠ فقال : لا أحب أن أعلمه شأني .

وقد حدث أبو القاسم جعفر ، أن محمد الحسني قال : أخبرنا محمد بن زكريا

مقتل زيد
ابن حين

(١) هذا الخبر غريب عن هذا الباب ؛ وقد ذكر في باب الزيارة ، وهناك موضعه
فيما نرى .

الْعَلَّابِيُّ ، قال : حدثنا محمد بن نعيم النوبختي ، قال : حدثنا يحيى أن سليمان قال :
حدثني أبي ، وكان ممن لحق الصحابة ، قال : دخلت الكوفة ، فإذا أنا برجل
يحدث الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : بكر بن الطرماح ؛ فسمعتة يقول :
سمعت زيد بن حسين يقول : لما قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ،
أَتَى بنعيه إلى المدينة كلثوم بن عمرو ، فكانت تلك الساعة التي أتى فيها أشه
بالساعة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من باك وباكية ،
وصارخ وصارخة ، حتى إذا هدأت عبّرة البكاء عن الناس ، قال أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعالوا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ، فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام
الناس جميعاً حتى أتوا منزل عائشة رضي الله عنها ، فاستأذنوا عليها ، فوجدوا
الخبر قد سبق إليها ، وإذا هي في غمرة الأحزان وعبّرة الأثجان ، ماتفت عن
البكاء والنحيب منذ وقت سمعت بخبره ، فلما نظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا ؛
فلما كان من غد قيل إنها غدت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق
في المسجد أحد من المهاجرين إلا استقبلها يسلم عليها ، وهي لا تسلم ولا ترد
ولا تطبق الكلام ؛ من غزرة الدمعة ، وغمرة العبّرة ، تختنق بعبرتها ، وتعتثر
في أثوابها ، والناس من خلفها ، حتى آتت إلى الحجرة ، فأخذت بعضادتي الباب ،
ثم قالت : السلام عليك يا نبي الهدى ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك
يا رسول الله وعلى صاحبك ، يا رسول الله : أنا ناعية إليك أحبابك ،
وذاكرة لك أكرم أودائك عليك ، قُتل والله حبيبك المجتبي ، وصفيك المرتضى ،
قتل والله من زوجته خير النساء ، قتل والله من آمن ووفى ، وإني لنادبة تُكَلِّي ،
وعليه باكية حرّى ، فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرمهم عليك ، وأحظاهم
لديك ؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك منى ما ترضت له منذ اليوم ، والله يُجرى
الأمور على السداد .

قال المبرد : عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع ، فقال : عظم أجركم ،

ورحم الله ^(١) فقيدكم : وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالاً يجمع شملكم ، ويلم شتمكم ، ولا يفرق ملاكم .

وقيل لأعرابية مات لها بنون عدة : ما فعل بنوك ؟ قالت : أكلهم دهرٌ لا يشبع .

٥ وعزى رجلُ الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان العزاء لك لا عنك .

رجل يعزى
الرشيد

ومما روى أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نعى إليه ابنه وهو في السفر ، فاسترجع ثم قال : عورة سترها الله ، ومؤنة كفاها الله ، وأجر ساقه الله .

لابن عباس

١٠ وقال أسامة بن زيد رضى الله عنهما لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية . قال : الحمد لله . دفن البنات من المكرمات . وفي رواية : من المكرمات دفن البنات .

قتبي صلى الله عليه
وسلم في ابنته

وقال الغزال : ماتت ابنة لبعض ملوك كندة ، فوضع بين يديه بدرة من الذهب ، وقال : من أبلغ في التعزية فهي له ! فدخل عليه أعرابي فقال : أعظم الله أجرَ الملك ! كُفيت المؤنة ! وستر العورة ! ونعم الصهرُ القبر ! فقال له الملك : ١٥ أبلغت وأوجزت . وأعطاه البدره .

ملك كندة
وأعرابي عزاء
في ابنته

من أحب الموت ومن كرهه

— في بعض الأحاديث : لا يتمنى أحدكم الموت ؛ فعسى أن يكون مُحْسِنًا فيزداد في إحسانه ، أو يكون مسيئًا فيَنْزِعَ عن إساءته .

في الحديث

٢٠ — وقد جاء في الحديث : يقول الله تبارك وتعالى : إذا أحبَّ عبدي لقاءى أحببتُ لقاءه ، وإذا كره لقاءى كرهتُ لقاءه .

— وليس معنى هذا الحديث حبُّ الموت وكراهته ، ولكن معناه من

(١) في بعض الأصول : ووجه إلى فقيدكم .

أحب الله أحبه الله ، ومن كرهه الله كرهه الله .

٥ - وقال أبو هريرة : كره الناس ثلاثاً وأحبتهن : كرهوا المرض وأحبته ، لاين هريرة
وكرهوا الفقر وأحبته ، وكرهوا الموت وأحبته !

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلنا على بشر بن منصور وهو في الموت ،
وإذا هو من السرور في أمر عظيم ؛ فقلنا له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان
الله ! أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتائبين والباغين وأقدم على أرحم
الراحمين ولا أسر .

١٠ - ودخل الوليد بن عبد الملك المسجد ، فخرج كل من كان فيه ، إلا شيخاً قد
حناه الكبر ؛ فأرادوا أن يخرجوه ، فأشار إليهم [الوليد] أن دعوا الشيخ . ثم
مضى حتى وقف عليه ، فقال له : يا شيخ ، تحب الموت ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ؛
ذهب الشباب وشره ، وأنى الكبر وخيرُهُ ؛ فإذا قت حدث الله ، وإذا قعدتُ
ذكرته ؛ فأنا أحب أن تدوم لي هاتان الخلدان .

١٥ - قال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، ما لي لا أحب الموت ؟ قال : هل لك مال ؟ قال : نعم . قال : فقدمه
بين يديك . قال : لا أطيق ذلك ! فقال النبي عليه السلام : المرء مع ماله ؛ إن
قدمه أحب أن يلحقه ، وإن أخره أحب أن يتخلف معه !

وبعض الشعراء : وقال الشاعر في كراهية الموت :

قامت تشجّني هتّ فقلتُ لها هـ إنّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العطبُ

لا والذي منعَ الأبصارَ رؤيته هـ ما يشتهي الموتَ عندي مَنْ له أرب

٢٠ - وقالت الحكماء : الموت كره .

وقالوا : أشد من الموت ما إذا نزل بك أحبت له الموت ؛ وأطيب من العيش

ما إذا فارقتَه أبغضت له العيش .

التَّجَدُّدُ

قُتِبَ عَلَى اللَّهِ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ .
وَقِيلَ لِلْحَسَنِ : مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجُوهًا ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ خَلَوْا
بِالرَّحْمَنِ فَأَسْفَرَ نُورَهُمْ مِنْ نُورِهِ .

لِبَعْضِهِمْ

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَصَلِّي اللَّيْلَ حَتَّى إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَجْرِ قَالَ : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ
الْقَوْمَ السُّرَى .

قُتِبَ عَلَى اللَّهِ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَقَالُوا : الشِّتَاءُ رِيْعُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ يَطْوِلُ لَيْلُهُمْ لِلْقِيَامِ ، وَيَقْصُرُ نَهَارُهُمْ لِلصِّيَامِ .
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ
وَالنَّاسُ نِيَامٌ .

١٠ وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .

وَهَذَا يُوَافِقُ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : هَلْ
مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأُغْفِرَ لَهُ ، هَلْ
مِنْ مُسْتَفِيتٍ فَأُغِيثَهُ .

لِلْمُغِيرَةِ وَالنَّخَعِيِّ

١٥ أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ : قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ : مَا تَقُولُ فِي الرَّجُلِ يَرَى
الضُّوَّةَ بِاللَّيْلِ ؟ قَالَ : هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَوْ كَانَ خَيْرًا لَأَرَاهُ أَهْلُ بَدْرٍ .

الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ كُلِّ عَيْنٍ تَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ،
وَعَيْنٍ غَضَتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ .

يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ

٢٠ وَكَانَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ قَدْ بَكَى حَتَّى سَقَطَتْ أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ .

لِغَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وَقِيلَ لِغَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَمَا تَخَافُ عَلَى عَيْنَيْكَ مِنَ الْعَمَى مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ ؟
فَقَالَ : شِفَاءُهَا أُرِيدُ .

وقيل ليزيد بن مزيد : ما بال عينك لا تنجف ؟ قال : أي أخى ، إن الله أوعدنى إن عصيته أن يحبسنى فى النار : ولو أوعدنى أن يحبسنى فى الحمام لكنتُ حراً أن لا تنجف عيني .

قال عمر بن ذر لآية : مالك إذا تكلمت أبكيت الناس ، فإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟ قال : يا بنى ، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة .

وقال الله لنبى من أنبيائه : هبلى من قلبك الخشوع ، ومن عينيك الدموع : ثم أدعنى أستجب لك .

ومن قولنا فى البكاء :

مدامعٌ قد خدّدت فى الخدود . وأعين مكحولَةٌ بالهُجود
ومعشر أوعدهم ربهم . فبادروا خشيةً ذاك الوعيد
فهم عكوفٌ فى تحاريهم . يكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يُعشِبَ من دمعيهم . ما قابلتُ أعينهم فى السُجود

وقال قيس بن الأصم فى هذا المعنى :

صلى الإله على قومٍ شهدتهم . كانوا إذا ذكروا أذكروا شيقوا
كانوا إذا ذكروا نار الجحيم بكوا . وإن تلا بعضهم مخوفاً صعقوا
من غير همزٍ من الشيطان يأخذهم . عند التلاوة إلا الخوفُ والشفق
صرغى من الحزن قد سيجوا ثيابهم . بقية الروح فى أوداجهم رمق
حتى تغالمهم لو كنت شاهدتهم . من شدة الخوف والإشفاق قد زهقوا

النهى عن كثرة الضحك

فى الحديث المرفوع : كثرة الضحك تُميت القلب وتذهبُ بهاء المؤمن .

وفيه : لو علمتم ما أعلم لبكىتم كثيراً ولضحكتكم قليلاً .

وفيه : إن الله يكره لكم العبث فى الصلاة : والرفث فى الصيام ، والضحك

فى الجنائز .

الحسن ونوم
يضحكون

ومر الحسن بقوم يضحكون في شهر رمضان ، فقال : يا قوم ، إن الله جعل رمضان مضماراً لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته : فسبق أقوام قفازوا ، وتخلف أقوام غابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون ، وغاب فيه المتخلفون ! أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسناً إحسانه ومُسِيئاً إساءته .

عبدالله وضاحك

ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك مستغرقاً ، فقال له : أتضحك ولعل أكفانك قد أخذت من عند القصار ؟

وقال الشاعر :

وكم من فتى يُبْمَسى وَيُصْبِحُ آمِناً * وقد نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وهو لا يدري

١٠ النهي عن خدمة السلطان وإتيان الملوك

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله .

أبو جعفر
وسفيان

أرسل أبو جعفر إلى سفيان ، فلما دخل عليه قال : سئني حاجتك أبا عبد الله ! قال : وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فإن حاجتي إليك أن لا ترسل إلي حتى آتيك ، ولا تعطيني شيئاً حتى أسألك ! ثم خرج : فقال أبو جعفر : ١٥ ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا ، إلا ما كان من سفيان الثوري ، فإنه أعياناً فراراً . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الدخول على الأغنياء فتنة للفقراء .

زيد وأصحابه

وقال زيد لأصحابه : مَنْ أَعْطَى النَّاسَ عَيْشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه . قال : كلا : إن لأعواد المنبر لهيبة ، ولقرع لجام البريد لفرعة . ولكن أَعْطَى النَّاسَ عَيْشاً رجل له دار يسكنها ، وزوجة صالحة يأوي إليها ، في كفاف من عيش ، ٢٠ لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه .

وقال الشاعر :

إن الملوك بلاءٌ حينما حلُّوا * فلا يكنْ لك في أكنافهم ظلُّ

ماذا تريد بقوم إن هم غضبوا * جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستغن بالله عن إتيانهم أبداً * إن الوقوف على أبوابهم ذل
وقال آخر :

لا تضعبن ذوى السلطان في عمل * تضبح على وجل تسمى على وجل
كل التراب ولا تعمل لهم عملاً * فالشر أجمع في ذلك العمل

وفي كتاب كلية ودمنة : صاحب السلطان مثل راكب الأسد : لا يدرى متى
يبيح به فيقتله .

ودخل مالك بن دينار على رجل في السجن يزوره ، فنظر إلى رجل جندي
قد اتكا في رجله كبول قد قرنت بين ساقيه ، وقد أتى بسفرة كثيرة الألوان ؛
فدعا مالك بن دينار إلى طعامه : فقال له : أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن
يُطرح في رجلى مثل كبولك هذه .

وفي كتاب الهند : السلطان مثل النار : إن تباعدت عنها احتجت إليها ، وإن
دنوت منها أحرقتك .

أيوب السخيتاني قال : طُلب أبو قلابة لقضاء البصرة ، فهرب منها إلى الشام ،
فأقام حيناً ثم رجع ، قال أيوب فقلت له : لو وليت القضاء وعدلت كان لك
أجران . قال : يا أيوب ، إذا وقع الساج في البحر فكم عسى أن يسبح !

وقال بقية : قال لى إبراهيم : يا بقية ، كن ذنباً ولا تكن رأساً : فإن الرأس
يهلك والذنب ينجو .

ومن قولنا في خدمة السلطان وصحته :

تجئ لباس الخزّ إن كنت عاقلاً * ولا تختتم يوماً بفص زبرجد
ولا تغلّل^(١) بالغوالى تعطراً * وتسحب أذيال الملاء المعصّد
ولا تتبختر صيئ النعل زاهياً * ولا تصدّر في الفراش الممهّد

(١) في بعض الاصول : ، تطيب .

وكن هملا في الناس أغبر شاعراً • تروح وتغدو في إزارٍ وبرجدٍ
 ترى جلدَ كبشٍ تحته كل ما استوى • عليه سريرٌ فوق صرحٍ مُردٍ
 ولا تطمخ العينان منك إلى أمرئ • له سَطَوَاتُ باللسان وباليدِ
 تراءت له الدنيا بزبرج عيشها • وقادت له الأطناع غير مُقودٍ
 فأنتم كسَحِينِه وأهزل دينه • ولم يرتقب في اليوم عاقبة الغدِ
 فيوماً تراه تحت سوطٍ مُجرداً • ويوماً تراه فوق سرجٍ منضدٍ^(١)
 فيُرحم تاراتٍ ويَحْسَدُ تارةً • فذا شرٍ مرحومٍ وذا شرٌ مُحسدٍ

القول في الملوك

الأصمعي قال : بلغني أن الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسير الجوع ، صريع
 الشبع ؛ إن فوما لبسوا هذه المطارف العناق . والعائم الرقاق ، ووسعوا دورهم ،
 وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم ، يتكنى أحدهم على شماله ،
 ويأكل من غير ماله فإذا أدركه الكظة قال : يا جارية ، هاتي ماضومك ! ويلك !
 وهل تهضم إلا دينك ؟

يحيى بن يحيى قال : جلس مالك يوماً فأطرق ملياً ، ثم رفع رأسه فقال :
 يا حصرة على الملوك ! لا هم تركوا في نعيم دنياهم ، وماتوا قبل أن يموتوا حزناً على
 ما خلفوا ، وجزعاً عما استقبلوا !

وقال الحسن ، وذكر عنده الملوك : أما إنهم وإن مُهلِجَتْ لهم البغال ، وأطافت
 بهم الرجال ، وتماقبت لهم الأموال ، إن ذل المعصية في قلوبهم ؛ أبى الله إلا أن
 يذل من عصاه !

الأصمعي قال : خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فأشدد على المنبر :
 أين الملوك التي عن حظها غفلت • حتى سقاها بكأس الموت ساقها

لما

الحسن

لبداعة بن الحسن

بلاء المؤمن في الدنيا

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن كالخامة من الزرع : تميل بها الريح مرة كذا ومرة كذا ؛ والكافر كالأرزة المجدثة على الأرض يكون انجمافها مرة .

ومعنى هذا الحديث : تَرُدُّ الرزايا على المؤمن ، وتجاوفاها عن الكافر ليزداد إثما .

وقال وهب بن منبه : قرأت في بعض الكتب : إني لأذود عبادي المخلصين لوهب بن منبه عن نعيم الدنيا ، كما يذود الراعي الشفيق إبله عن موارد الهلكة .

قال الفضيل بن عياض : ألا ترون كيف يزوى الله الدنيا عمن يحب من خلقه : يمررها عليه مرة بالجوع ، ومرة بالعري ، ومرة بالحاجة ؛ كما تصنع الأم الشفيقة بولدها : تغطمه بالصبر مرة ، ومرة بالحُصْص : وإنما يريد بذلك ما هو خير له .

وفي الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخبرني جبريل عن الله تبارك وتعالى أنه قال : ما ابتليت عبدي بيلة في نفسه أو ماله أو ولده فتلحقها بصبر جميل إلا استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزانا أو أنشر له ديوانا .

كتمان البلاء إذا نزل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أَبْتَلِيَ بلاء فكنمه ثلاثة أيام صبراً واحتساباً ، كان له أجر شهيد .

وسمع الفضيل بن عياض رجلاً يشكو بلاء نزل به ، فقال : يا هذا ، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقال : من شكاً بمصيبة نزلت به فكأنما شكاً ربّه .

وقال دُرَيْد بن الصمة يرى أخاه عبد الله بن الصمة :

قليل التشكى للمصائب ذاكراً • من اليوم أعقاب الأحاديث في غدٍ

وقال تأبط شراً :

قليل التشكى للسلِّ يُصِيبُهُ • كثير الذوى شتى الهوى والمسالك

الشيباني قال : أخبرني صديق لي قال : سمعني شريح وأنا أشكي بعض ما غمّني إلى صديق ، فأخذ يدي وقال : يا بن أخي . إياك والشكوى إلى غير الله ؛ فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً ؛ فأما الصديق فتعزّنه ولا ينفعك ، وأما العدو فيشمت بك . انظر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عينيه - فوالله ما أبصرت بها شيئاً ولا طريقاً^(١) منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية . أما سمعت قول العبد الصالح : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ! فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ؛ فإنه أكرم مسئول ؛ وأقرب مدعو .

كتب عقيل بن أبي أخيه علي بن أبي " رضوان الله عليهما ، يسأله عن حاله ؛ فكتب إليه :

فإن تسألني كيف أنت فإني * جليذ على ريب الزمان صليب
عزيز على أن ترى بي كآبة * فيفرح وائش أو يُساء حبيب

وكان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سخابة صيفٍ عن قليل تنفّس .
وكان يقال : أربع من كوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

القناعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمناً في سربه معافى في بدنه ، عنده قوت يومه : كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها .

السُّرب : المسلك ؛ يقال : فلان واسع السرب : يعني المسلك والمذهب .

وقال قيس بن عاصم : يا بني ، عليكم بحفظ المال ، فإنه منية الكريم ، ويستغنى به عن اللثيم ؛ وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل .

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها

(١) في بعض الأصول : صديقا .

مال لا ينفد ؛ وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر ؛ وعليك باليأس ، فإنك لم تيأس
من شيء قط إلا أغناك الله عنه .

وقالوا : النَّبِيُّ من استغنى بالله ، والفقيرُ من افتقر إلى الناس .
وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

وقيل لأبي حازم : ما مالك ؟ قال : ما لاني : الغنى بما في يدي عن الناس ،
واليأس عما في أيدي الناس !

وقيل لآخر : ما مالك ؟ فقال : التَّجَمُّلُ في الظاهر ، والقصد في الباطن .

وقال آخر :

لا بُدَّ يَمًّا ليس منه بُدٌّ • اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبْدُ

وليس يُفني الكدَّ إلا الجِدُّ

وقالوا : ثمرة الفئاعة الراحة ، وثمره الحرص التعب .

وقال البحترى :

إذا ما كانَ عندي قوتُ يومٍ • طرحتُ الهمَّ عنِّي يا سعيدُ

ولم تخطرْ هُمومٌ غدٍ يَبالي • لأنَّ غداً له رزقٌ جديدُ

وقال عروة بن أذينة :

لقد علمتُ وخيرُ القولِ أصدقه • بأنَّ رِزقي وإن لم يأتْ يَأْتيني

أَسعى له فَيُعَيِّنِي تَطَلُّبُهُ ^(١) • ولو قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعَيِّنِي

وقد عروة بن أذينة على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ،
فقال له عبد الملك : أأنت القائل يا عروة :

• أَسعى له فَيُعَيِّنِي تَطَلُّبُهُ ^(١) •

فما أراك إلا قد سعبت له . فخرج عنه عروة وشخص من فوره ذلك إلى

المدينة . فافتقده عبد الملك ، فقبل له : توجَّه إلى المدينة . فبعث إليه بألف دينار ؛

(١) في بعض الأصول : • أَسعى إليه فَيُعَيِّنِي تَطَلُّبُهُ • .

فلما أتاه الرسول قال : قل لأمير المؤمنين : الأمر على ما قلت ؛ قد سمعتُ له
فَعَنَانُ تَطْلُبُهُ ، وَقَعْدَتُ عَنْهُ فَأَتَانِي لَا يُعْتَنِينِي .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن
تموت حتى تستوفي رزقها . فاتقوا الله وأجملوا في الطلب .

النبي صلى الله
عليه وسلم

وقال تعالى فيما حكى عن لقمان الحكيم : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْتَقَالِ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ،
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال الحسن : ابن آدم ، لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أملك ، ولا مغلوب
على رزق ، ولا بمرزوق ما ليس لك ؛ فعلام تقتل نفسك ؟

الحسن

قال ابن عبد ربه : قد أخذت هذا المعنى فنظمته في شعري فقلت :

لابن عبد ربه

لستُ بقاضٍ أُمَلِّي . ولا بعاذٍ أَجَلِي
ولا بمغلوبٍ على الرِّ . زقي الذي قُدِّرَ لي
ولا بمُعْطَى رِزْقٍ غِي . ربي بالشقا والعمل
فليت شعري ما الذي . أدخلني في شغلي ١

وقال آخر :

لبعض الشعراء

سَيَكُونُ الَّذِي قُضِيَ . غَضِبَ المرءُ أم رَضِيَ

وقال محمود الوراق :

للوراق

أما عَجَبُ أَنْ يَكْفَلَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ . ببعض فيَرْضَى بالكفيل المطالبُ
وقد كَفَلَ اللَّهُ الْعَمَلِيَّ بِنَفْسِهِ . فلم يَرْضُ وَالْإِنْسَانُ فِيهِ عَجَائِبُ
عَلِيمٌ بَأَنَّ اللَّهَ مُوفٍ بِوَعْدِهِ . وفي قلبه شكٌّ على القلبِ دَائِبُ
أَبَى الْجَهْلُ إِلَّا أَنْ يَصِيرَ بَعْلِيهِ . فلم يُغْنِ عَنْهُ عَلَيْهِ وَالتَّجَارِبُ
وله أيضاً :

أَتَطْلُبُ رِزْقَ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ . وتصيحُ من خوفِ العواقبِ آمِنَا

وترضى بصرفي وإن كان مُشركاً * ضميناً ، ولا ترضى برّبك ضامناً !
وقال أيضاً :

غنى النفس يُغنيها إذا كنتَ قانئاً * وليس بمُخنيك الكثيرُ من الحرصِ
ولانَّ اعتقادَ الهمِّ للخيرِ جامعاً * وقلةُ همِّ المرءِ يدعو إلى النقصِ
وله أيضاً :

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم * يَقْنَعْ ، فذاك المومِرُ المفسِرُ
وكلُّ مَن كان قنوعاً وإن * كان مُقلاً ، فهو المُكثِرُ
الفقرُ في النفسِ وفيها الغنى * وفي غنى النفسِ الغنى الأكبرُ

ليكر بن حماد

وقال بكر بن حماد :

١٠ تبارك من سأسَ الأمورَ بعليه * وذلَّ له أهلُ السَّمواتِ والأرضِ
ومن قسَمَ الأرزاقَ بين عباده * وفضلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فن ظنَّ أنَّ الحرصَ فيها يزيدُهُ * فقولوا له يزداد في الطول والعرضِ !

لابن أبي حازم

وقال ابن أبي حازم :

١٥ ومُنْتَظِرٍ لِلْمَوْتِ في كُلِّ ساعةٍ * يشيدُ ويبنى دائباً ويحصنُ
له حينَ تَبْلُوهُ حَقِيقَةُ مُوقِنٍ * وأفعاله أفعالُ مَنْ ليس يوقِنُ
عيانَ كُناكَرٍ ، وكالْجَهِلِ عَلَيْهِ * يشكُّ به في كُلِّ ما يُتَقَنُّ

وقال أيضاً :

أَضْرَعُ إلى اللَّهِ لا نَضِرْعُ إلى النَّاسِ * وأَفْنَعُ يَئِيسُ فإنَّ العِزَّ في اليَاسِ
وَأَسْتَعِني عن كُلِّ ذِي قُرْبَى وذِي رَحِمٍ * إنَّ الغنىَّ مَنْ اسْتَعْنَى عَنِ النَّاسِ
وله أيضاً :

فلا تَحْرِصَنَّ فإنَّ الأمورَ * بِكَفِّ الإلهِ مقاديرُها
فليس بآتيكَ مَتَّهِها * ولا قاصِرَ عنكَ مأمورُها

وله أيضاً^(١) :

كم إلى كم أنت للجزء . ص وللأمال عبت ؟
 ليس يُجدي الحرص والسعى إذا لم يك جد
 ما لما قد قدر الله من الأمر مرء
 قد جرى بالشر نخس * وجرى بالخير سعد
 وجرى الناس على جز * يهما قبل وبعد
 آمنوا الدهر وما للدهر والأيام عهد
 غالم فاضطم الجمة * مع وأقنى ما أعدوا
 إنها الدنيا - فلا تحفل بها - جزر ومد

١٠ الأضبط بن قريع وقال الأضبط بن قريع :

ارض من الدهر ما أتاك به * من يرّض يوماً بعيشه نعمة
 قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعة
 وقال مسلم بن الوليد :

لن يُعطى الأمر ما أملت أوبته * إذا أعانك فيه رفق مُتبد
 والدهر أخذ ما أعطى ، مُكدر ما * أصفى ، ومفسد ما أهوى له بيد
 فلا يفرّك من دهر عطيتته * فليس يترك ما أعطى على أحد

١٥

لكلثوم العنابي وقال كلثوم العنابي :

تلوم على ترك الخى باهليّة * لوى الدهر عنها كل طرف وتالد
 رأت حولها النسوان يرّفن في الكسا * مُقلدة أجيادها بالقلايد
 يسرك أنى نلت ما نال جعفر * وما نال يحيى - فى الحياة - بن خالد
 وأن أمبر المؤمنين أعضنى * معضهما بالمرهفات الحدايد
 ذرىنى تحببى منى مطمنة * ولم أنجشم هول تلك الموارد

٢٠

(١) فى بعض الأصول . وقال محمود الوراق . .

فإن الذي يسمو إلى الرتب العلى * سيرمى بألوان الفرى والمكايد
وجدت لذا ذات الحياة مشوبة * بمستودعات في بطون الاسود
وقال (١) :

حتى متى أنا في حلٍ وترحالٍ * وطولٍ شغلٍ بإدبار وإقبالٍ
ونازح الدار ما أنفك مُغترِباً * عن الأجرة ما يدرون ما حالى
بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرس على بالي
ولو قنعت أُنانى الرزق فى دعة * إن القنوع الغنى ، لا كثرة المال

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : القناعة مال لا ينفد له .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق
يطلبك فإن لم تأته أُناك . ١٠

الحبيب

وقال حبيب :

فالرزق لا تكمد عليه فإنه * يأتى ولم تَبعث إليه رسولا

وفى كتاب للهند : لا ينبغي للتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف
الذى به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعب وغمه .

الحكماء

ومن هذا قالت الحكماء : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى ١٥

لأبى ذؤيب

وقال أبو ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها * وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تنقنعُ

للمسيح عليه السلام

وقال المسيح عليه السلام : عجا منكم ! إنكم تعملون للدنيا وأتم ترزقون
فيها بلا عمل ، ولا تعملون للآخرة وأتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل .

الحسن

وقال الحسن : عيرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر ؛ فقال : من الغنى أُتبتُم . ٢٠

للوراق

أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

يا عائبَ الفقر ألا تزدجرُ * عيبُ الغنى أكثرُ لو تُعتبرُ

(١) فى بعض الاصول : وقال غيره . .

من شرف الفقر ومن فضله • على الغنى إن صبح منك النظر :

... أنك تعصى كي تنال الغنى • ولست تعصى الله كي تفتقر

إبراهيم سفيان عن مغيرة عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون الطلب في أطراف الأرض •

الأعمش والبناني وقال الأعمش : أعطاني البناني مضاربه " أخرج بها إلى ماء ، فسألت

إبراهيم ، فقال لي : ما كانوا يطلبون الدنيا هذا الطلب • وبين ماء وبين الكوفة • عشرة أيام .

ليونس بن حبيب الأصمعي عن يونس بن حبيب قال : ليس دون الإيمان غنى ولا بعده فقر .

خالد بن صفوان قيل لخالد بن صفوان : ما أصبرك على هذا الثوب الخلق ! قال : ربّ يملول لا يُستطاع فراقه .

بين حكيمين وكتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهره : إنه ليس من أحد أنصفه زماعة ١٠

فصرّفت به الحال حسب استحقاقه ، وإني لا ترى الناس إلا أحد رجلين : إما مُقَدَّمُ آخره حظّه ، أو متأخر قدّمه جدّه : فارضّ بالحال التي أنت عليها . وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً ، وإلا رضيت بها اضطراراً .

للأحنف وقيل للأحنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب ؟ فقال : أحق ما صبرَ

عليه ما ليس إلى مفارقه سبيل . ١٥

بين الأصمعي وأعرابية قال الأصمعي : رأيت أعرابية ذات جمال تسأل بمني : فقلت لها : يا أمة الله ،

تسألين ولك هذا الجمال ؟ قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فن أين معاشكم ؟

قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم . قلت : فإذا ذهب الحاج فن أين ؟

فنظرت إليّ وقالت : يا صِلَتَ الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا !

رجل من أهل المدينة وقيل لرجل من أهل المدينة : ما أصبرك على الخبز والتمر ! قال : ليهما صَبْرًا على . ٢٠

الرضا بقضاء الله

الحكام

قالت الحكماء : أصل الزهد الرضا عن الله .

وقال الفضيل بن عياض : استخبروا الله ولا تتخبروا عليه ؛ فربما اختار . لابن عياض
العبد أمراً هلاكه فيه .

وقالت الحكماء : رب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو
شقاؤه ، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت * وَيَبْتلى الله بهِض القوم بالنعم
وقالوا : من طلب فوق الكفاية ، رجع من الدهر إلى أبعد غاية .

من قتر على نفسه

١٠

وترك المال لو ارثه

زياد عن مالك قال : من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ؛ لأن
نفسه أولى الأنفس كلها ؛ فإذا ضيعها فهو لما سواها أضيع ؛ ومن أحب نفسه
حاطها وأبقى عليها وتجنب كل ما يعيبها أو ينقصها ؛ فجنبها السرقة مخافة القطع ، والزنا
مخافة الحد ، والقتل خوف القصاص .

١٥

الرشيد وبطريق
هرقلة

داود بن علي الكاتب قال : لما افتتح هارون الرشيد هرقلة وأباحها ثلاثة
أيام ، وكان بطريقها الخارج عليه « فسيل » الرومي ؛ فنظر إليه الرشيد مقبلاً
على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه . فدعا به وقال له : لِمَ
تركت النظر إلى الاتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، قرأت في هذا الجدار كتاباً هو أحب إليّ من هرقلة وما فيها .
قال له الرشيد : ما هو ؟ قال « بسم الله الملك الحق المبين . ابن آدم ، غاِص الفرصة
عن زمكها . وكل الأمور إلى وليها . ولا تحمل على قلبك همّ يوم ولم يأت بعد ؛

٢٠

إن يكن من أهلك يأتك الله برزقك فيه ؛ ولا تجعل سعيك في طلب المال أسوة
المغرورين ، فرب جامع لبعل حليته ، واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو توفير
منه على غيره ، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها ، قال له الرشيد : أعدها
على يافسيل . فأعادها عليه حتى حفظها .

- ٥ - وقال الحسن : ابن آدم ، أنت أسير في الدنيا ، رضيت من لذتها بما ينقضى ،
ومن نعيمها بما يمضي ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ، ولا هلك
الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركتم أموالك لأهلك .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

لأبي العتاهية

- أَبَقَيْتَ مَالَكَ مِيراثًا لَوَارِثِهِ ٥ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ ؟
١٠ الْقَوْمُ بِمَدَّكَ فِي حَالٍ تَسْوَهُمْ ٥ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ ؟
مَلَوْا الْبُكَاءَ فَسَا يَيْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ ٥ وَاسْتَحَكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ ١

وفي الحديث المرفوع : أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالا من
غير حله فدخل به النار ، وورثه من عمل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة .

من الحديث

وقيل لعبد الله بن عمر : توفي زيد بن حارثة وترك مائة ألف . قال :
لكنها لا تتركه .

لابن عمر في وفاة
ابن حارثة

- ١٥ ودخل الحسن عليّ عبد الله بن الأهمم يعوده في مرضه ، فرآه يُصعدُ بصره
في صندوق في بيته ويصوبه ، ثم التفت إلى الحسن فقال : أباسعيد ، ماتقول في
مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رَحِمًا ؟ فقال له : ثكلتك
أمك ! ولمن كنت تجمعهما ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومُكاثرة
العشيرة . ثم مات ، فشهد الحسن جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب يده على
٢٠ القبر ثم قال :

الحسن وابن
الأهمم في مرضه

انظروا إلى هذا ، أناه شيطانه لخنره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ،
ومكاثرة عشيرته ، عما استودعه الله إياه ، وغمره فيه ، انظروا إليه يخرج منها
مذموما مدحورا .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخدعن كما تُخدع صَوَيْحُوكَ بالأمس ؛ أذاك هذا المالُ حلّالاً فلا يكونُ عليك وبالا ، أذاك عفواً صفواً ، من كان له جموعاً منوعاً ؛ من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ قطع فيه لجج البحار ، ومقاوِز القفار ؛ لم تكدح فيه يمين ، ولم يerc لك فيه جبين ؛ إن يوم القيامة يومٌ حسرة وندامة ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك ؛ فيالها حسرة لا تقال ، وتوبة لا تُنال .

١٠ لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة ، نظر إلى أهله يكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدنيا وجُدتُم له بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما حل ؛ ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له .

نقصان الخير وزيادة الشر

عاصم بن حيد عن معاذ بن جبل قال : إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاءً وفتنةً ، ولا يزيد الأمر إلا شدةً ، ولا الأئمة إلا عِلْظاً ، وما يأتيكم أمرٌ يهولكم إلا حقره ما بعده .

قال الشاعر :

الخير والشر مُزْدَادٌ وَمُنْقَصٌ • فَالْخَيْرُ مُنْقَصٌ وَالشَّرُّ مُزْدَادٌ
وما أسألُ عن قومٍ عَرَفْتُهُمْ • ذَوِي فَضَائِلَ إِلَّا قِيلَ قَدْ بَادُوا

العزلة عن الناس

قال النبي صلى الله عليه وسلم : آسَأْنِسُوا بِالْوَحْدَةِ عَنْ جُلُوسِ السُّوءِ .

وقال : إن الإسلامَ بدأ غريباً ولا تقومُ الساعةُ حتى يعودَ غريباً كما بدأ .

وقال العنابي : ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخلوة ، ولا الأُنسَ إلا مع الوحشة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم الاتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتقدوا .

وقال : لا تدعوا حظكم من العزلة ؛ فإن العزلة لكم عبادة .

لقمان يظ ابنه وقال لقمان لابنه : أستعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

لابن آدم وقال إبراهيم بن آدم : فرّ من الناس فرارك من الأسد .

وقيل لإبراهيم بن آدم : لم تجتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :

أَرْضُ اللَّهِ صَاحِبًا ، وَذَرِ النَّاسَ جَانِبًا

قَلْبُ النَّاسِ كَيْفَ شِئْتَ تَجِدُهُمْ عِقَابًا

لابن الزيات وكان محمد بن عبد الملك الزيات يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء : فسئل عن ذلك فقال : مؤنة التحفظ شديدة !

لابن عجيرز وقال ابن عجيرز : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف ، وتَسأل ولا تُسأل ،

وتمشي ولا يُمشي إليك ، فافعل .

للخنثاني — وقال أيوب السخثاني : ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يُشعر به .

وقيل للعتابي : من تجالس اليوم ؟ قال : من أبصق في وجهه ولا ينفضب !

قيل له : ومن هو ؟ قال : الخائط .

لدعل — وقال لدعل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناس ! ثم

أنشأ يقول :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَابِلَ مَا أَقْلَهُمْ • اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ قَدَا

إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا • عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

لابن أبي حازم وقال ابن أبي حازم :

طَبُّ عَنِ الْإِمْرَةِ نَفْسًا • وَآرَضَ بِالْوَحْشَةِ أَنْسًا

مَا عَلَيْهَا أَحَدٌ يَسْوَى • عَلَى الْحَبْرَةِ قَلَسًا

لبعض الشعراء . وقال آخر :

قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ طُرًّا • لَمْ أَجِدْ فِي النَّاسِ حُزًّا

صَارَ أَحْلَى النَّاسِ فِي الْعَيْنِ إِذَا مَا ذِيقَ مُرًّا

إعجاب الرجل بعلمه

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات ، شحُّ مطاع ، وهوى متَّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وفي الحديث : خير من العُجب بالطاعة ، أن لا تأتي طاعة .

في الحديث

وقالوا : ضاحك معترف بذنبه ، خير من باكٍ مُدِلٍّ على ربه .

وقالوا : سيئة تسيئك ، خير من حسنة تعجبك .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُرْنَ أَنْفُسَهُمْ بَلَى اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

وقال الحسن : ذم الرجل لنفسه في العلانية مدح لها في السرية .

للحسن

وقالوا : من أظهر عيب نفسه فقد زكاه .

ليحسبهم

وقيل : أوحى الله إلى عبده داود : ياد داود ، خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الإيمان بيني وبينك .

وقال ثابت البناني : دخلت على داود ، فقال لي : ما جاء بك ؟ قلت : أزورك .

للبناني

قال : ومن أنا حتى تزورني ؟ أمِنَ العُباد أنا ؟ لا والله ! أم من الزهاد ؟ لا والله ! ثم أقبل على نفسه يوتئها . فقال : كنت في الشيبة فاسقا ، ثم شِبتُ فصرت مرانبا ؛ والله إن المرأتى شر من الفاسق .

لتي عابد عابدا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله إني أحبك في الله . قال : والله لو اطلعت على سريري لأبغضتني في الله .

بين عابدين

وقال معاوية بن أبي سفيان لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ؛ قال : لو كنت كذلك لم تقله .

معاوية وبعض الرجال

وقال محمود الوراق :

للوراق

تَعْصِي الإلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ • هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كُنْتَ تُضْمِرُ حُبَّهُ لِأَطْعَمْتَهُ • إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ أَحَبَّ مُطِيعُ

في كل يوم يتليك بنعمة ه منه وأنت بشكر ذاك مُشْرِقُ

توابع ابن سيرين وقال أبو الأشعث : دخلنا على ابن سيرين فوجدناه يصلي ، فظن أننا عجبنا بصلاته ، فلما انتقل منها التفت لنا فقال : الرياء أخاف .

زياد عن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

— وقال عبد الله بن مسعود : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا رياء ولا سمعة ، مَنْ سَمِعَ سَمِعَ الله به .

— وقال صلى الله عليه وسلم : ما أسرَّ امرؤ سريرةً إلا ألبسه الله رداءها : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

١٠ وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدة هي أهل للخطر . قال : وما هي ؟ قال : إياك أن تُرى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر . وفي الحديث . من أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

ابن الشعراء وقال الشاعر :

وإذا أظهرت شيئاً حسناً ه فليكن أحسن منه ما تسرّ

١٥ فسرّ الخير مؤسوم به ه ومسرّ الشر مؤسوم بشرّ

صلى أشعث تخفف الصلاة ، فقليل له : ما أخف صلاتك ! قال : إنه لم يخالفها رياء .

وصلى رجل من العرائين ، فقليل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : ومع ذلك إني صائم !

٢٠ وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي : كم لك منذ نزلت بالعراق ؟ قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : أبا عبد الله ، سألتك عن مسألة فأجبنا عن مسألتين .

الاصمعي قال : أخبرني إبراهيم بن القعقاع بن حكيم قال : أمر عمر بن الخطاب

لرجل بكيس ، فقال الرجل : آخذ الحِيط ؟ قال عمر : ضع الكيس !

قال رجل للحسن وكتب عنده كتابا : أتجعلني في حِلٍّ من تراب حائطك ؟
قال : يا بن أخى ، بلى ، ورَعُكَ لا يُنْكَر .

بين الحسن
وبعضهم

وقال محمود الوراق :

أظهروا للناس دِينًا • وعلى الدِّينارِ داروا

وله صاموا وصَلَّوا • وله حَجُّوا وزاروا

لو بدا فوق الثُّرَيَّا • ولهم ريشُ لطاروا !

الوراق

وقال مساور الوراق :

شَمَّرُ ثِيَابِكَ وَأَسْتَعِدَّ لِقَائِي • وَأَحْكُكُ جَبِينَكَ لِلْقَضَاءِ بُثُومِ

وعليك بالغنوى^(١) فاجلس عنده • حتى تُصِيبَ وديعةً لِيَتِيمِ

وإذا دخلت على الرِّبيعِ مُسَلِّمًا • فاخْضُصْ سبابةً منك بالتَّسْلِيمِ

وقال :

تصوِّفْ كى يقال له أمينٌ • وما معنى التَّصَوُّفِ والإمَانَةُ

ولم يُرِدِ الإِلهَ به ولكن • أراد به الطريق إلى الحَيَانَةِ

للمساور

وقال الغزال :

يقول لى القاضى مُعَاذُ مُشَاوَرًا • وولى أمراً فيما يرى من ذوى العذل

قعيدك ماذا تحسبُ المرءَ فاعلًا • فقلتُ وماذا يفعل الدُّبُرُ فى النحلِ

يدُقُّ خلاياها ويأْكُلُ شُهْدَها • ويتركُ للذِّبَّانِ ما كان من فضلِ

للمساور

وقال أبو عثمان المازنى لبعض من رأى فنهك الله عز وجل ستره :

بيننا أنا فى توبى مُسْتَعْبَرًا • قد شَبَّهُونى بأبى دُوادِ

وقد حملتُ العلمَ مُسْتَظْهِرًا • وحسَدْتُوا عني يأسَسنادِ

(١) فى بعض الأصول • بالعلوى ،

إذ خطر الشيطانُ لي خَطْرَةً هُ نُكِثْتُ منها في أبي جاد^(١)

وقال ابن أبي العتاهية : أرسلني أبي إلى صوفي قد قَيَّرَ إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك ؛ فقال : النظر إلى الدنيا بكلتا عينيَّ إسراف . قال : ثم بدا له في ذلك ، فاتصل الخبر بأبي فكتب إليه :

أبو العتاهية
ومتصوف

٥ مُقَيَّرَ عَيْنِهِ وَرَعَاهُ أَرَدْتَ بِذَلِكَ الْبِدْعَا
تَخَلَّمْتَ وَأَجَبْتَ الثَّقَلَيْنِ صَوْفِي إِذَا خَلَعَا

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثني نعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبي بكر الصديق ، عن وهب بن منبه ، قال : نصب رجل من بني إسرائيل نخفا فجاءت عصفورة فوقعت عليه ، فقالت : مالي أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت قالت : فمالى أراك باديةً عظامك ؟ قال : لكثرة صيامي بدت عظامي ! قالت : فمالى أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي في الدنيا لبست الصوف ! قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضى بها حوائجي . قالت : فما هذه الحبة في يديك ؟ قال : قربان إن مرَّ بي مسكين ناوله إياه ! قالت : فإني مسكينة ! قال : تخذيها . فقبضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها ؛ فجعلت تقول : قَبِى قَبِى ! قال : الخُشْنَى^(٢) : تفسيره : لا أغرنى ناسك مُرَاءٍ بعدك أبداً .

فتح الإسرائيلى
والعصفورة

١٥

الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاحُ المؤمن .
وقال : الدعاء يَرُدُّ القدرَ والبرُّ يزيد في العُمْر .
وقال : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ .

أبي صلى الله
عليه وسلم

٢٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استقبلوا البلاء بالدعاء .

(١) يعنى : عاد محتلط الأمر مضطرباً . أو لعله يعنى أنه عاد بعد الاشتهار بالعلم إلى مثل حال الصبي الذي لم يزل يتعلم أول دروسه .
(٢) في بعض الأصول : « الحسن » .

وقال الله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

وقال عبد الله بن عباس : إذا دعوت الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : فإن الصلاة عليه مقبولة ، والله أكرم من أن يقبل بعض دعائك ويرد بعضها . ٥

وقال سعيد بن المسيب : كنت جالسا بين القبر والمنبر ، فسمعت قائلا يقول : لان المسيب اللهم إني أسألك عملاً باراً ، ورزقا داراً ، وعيشاً قاراً . فالتفت فلم أر أحداً .

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت نائمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان ، فلما لصق جلدي بجلده أغفيت ؛ ثم انتبهت ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندي ؛ فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة ، فلففت مرطى . أما والله ما كان خراً ولا قرأ ، ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كناما ، قيل : فما كان يا أم المؤمنين ؟ قالت : كان سدها من شعر ، ولحنته من أويار الإبل . قالت : فخنوت عليه أطلبه حتى ألقيته كالثوب الساقط على وجهه في الأرض وهو ساجد يقول في سجوده :

١٥ « سجد لك خيالي وسوادي ، وآمن بك فؤادي ؛ هذه يدي وما جنيت بها على نفس . ترجى لكل عظيم ، فاغفر لي الذنب العظيم » فقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنك لفي شأن وإني لفي شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال : أعوذُ بوجهك الذي أضاءت له السموات السبع والأرضون السبع ، من فجأة نَقَمَتِكَ ، وتحول عافيتك ؛ ومن شر كتاب قد سبق ؛ وأعوذ برضاك من سخطك ، وبِعَفْوِكَ من عقوبتك ، وبِكَ منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . ٢٠

فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلت البيت ولى نفس عال ، فقال : مالك يا عائشة ؟ فأخبرته الخبر ، فقال : ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة ! ومسح عليهما ؛ ثم قال : أتدرين أي ليلة هذه يا عائشة ؟ فقلت : الله ورسوله

أَعْلَمُ . فقال صلى الله عليه وسلم : هذه الليلة ليلةُ النِّصْفِ من شعبان ، فيها تَوَقَّت
الآجال وتثبت الأعمال .

ابن ذر ودعاء له العتيبي عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن دَرَّ إلى مكة ، فكان إذا لَبِي لم
يُلبِّ أحدٌ من حُسْنِ صوته ؛ فلما جاء الحرم قال يارب ، ما زلنا نَهِيْطُ وهذه
ونصعد آكفة ، ونعلو نشرًا ، ويبدو لنا عِلْمٌ ، حتى جئناك بها نقبةً أخفأها ، ديرة
ظهورها ، ذابلةً أَسْمَعُها ؛ وليس أعظم المونة علينا لإتباع أبداننا ، ولكن أعظم
المونة علينا أن تُرجعنا خائبين من رحمتك ، يا خيرَ من نزل به النازلون .

لبعضهم في الدعاء . وكان آخرُ يدعو بعرفات : يارب ، لم أعصك إذ عصيتك جهلاً مني بحقك ،
ولا استخفاً بعقوبتك ؛ ولكن الثقة بعفوك ، والاعتذار بسترِكَ المُرْحَى على ،
مع الشقوة الغالبة والقدر السابق ؛ فالآن من عذابك مَنْ يَسْتَفْذِنِي ؟ وبجبل من
أعْصَمَ إن قطعتَ حبلَك عني ؟ فيا أسنى على الوقوف بين يديك ، إذا قيل للُخْفَيْنِ
جوزوا ، وللذنبين خطوا .

لعروة بن الزبير لعروة بن الزبير قال : كان عُرْوَةُ بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قطعت رجله
في مناجاته ومات ابنه : كانوا أربعة - يعني بنيه - فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ؛ وكن
أربعاً - يعني يديه ورجليه - فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً ؛ فلئن ابتليت لطالما
عافيت ، ولئن عاقبت لطالما أنعمت .

دعاء داود وكان داود إذا دعا في جوف الليل يقول : نامت العيون ، وغارت النجوم
وأنت حيٌّ قيوم : انفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم ؛
إليك رفعت رأسي ، نظر العبد الدليل إلى سيده الجليل .

من دعاء يوسف . وكان من دعاء يوسف : يا عُدَّتِي عند كُرْبَتِي ، ويا صاحِبِي في غُرْبَتِي ، ويا غِيَاثِي
عند شِدَّتِي ، ويا رَجَائِي إذا انقطعت حيلتي ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً .

دعاء ابن ثعلبة . وكان عبد الله بن ثعلبة البصري يقول : اللهم أنت من حلك تُعْصِي فَكأنك
لا ترى ، وأنت من جودك تُعْطِي فَكأنك لا تُعْصِي ، وأيُّ زمان لم
تُعْصِكَ فيه - كان أرضك فسكنت عليهم بالعفو عوَّاداً ، وبالفضل جواداً .

- وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن
تَحْسُنَ في مرأى العيون علانيتي ، وتَقْبُحَ في خفيات القلوب سريرتي ؛ اللهم كما
أسأتُ فأحسنْتَ إليّ فإذا عدتُ فعدْ عليّ ، وارزقني مواساةً من قدَّرتَ
عليه ما وسَّعتَ عليّ .
- ٥ الشيباني قال : أصاب الناس ببغداد ريحٌ مظلمة ، فانهتت إلى رجل في المسجد
وهو ساجد يقول في سجوده : اللهم احفظ محمدًا في أمته ، ولا تشمت بنا أعداءنا
من الأمم ؛ فإن كنت أخذت العوام بذنبي ، فهذه ناصيتي بين يديك !
- وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهي ، لو عذبتني بالنار لم يخرجْ حُبُّكَ من
قلبي ، ولم أنس أياديك عندي في دار الدنيا !
- ١٠ سَوَّال عبد الله بن مسعود : اللهم وسع عليّ في الدنيا وزهّدني فيها ، ولا تُزَوِّها
عني وترغّبني فيها .
- سَمْرٌ أبو الدرداء برجل يقول في سجوده : اللهم إني سائلٌ فقيرٌ فأغني من
سعة فضلك ، خائفٌ مستجيرٌ فأجّرني من عذابك .
- ١٥ الأصمعي قال : كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه : اللهم ارحم
في الدنيا غربتي ، وعند الموت صرعتي ، وفي القبور وحدتي ، ومقامي غدًا
بين يديك .
- العبي قال : حدّثني عبد الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبي فكتب إلى أبي
بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له ، فكتب إليه : حقّ لمن عمل ذنبًا لا عذر له
فيه ، وخاف موتًا لا بد له منه ، أن يكون [وِجَلًا] مُشفقًا ؛ سأدعو لك ولست
أرجو أن يُستجاب لي بقوة في عمل ، ولا براءة من ذنب .
- ٢٠ العبي قال : كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر : يارب ؛ إن ذنوبي
قد كثرت وجلّت عن أن توصف ، وهي صغيرة في جنب عفوك ، فأعف عني

من دعاء علي
ابن الحسين

دعاء لبعضهم

دعاء لابن عياض

لابن مسعود

أبو الدرداء
ورجل في
سجوده

من دعاء ابن أبي
رباح

ابن زياد وأبو بكر
بن عبد الله

من دعاء
عبد الملك
ابن مروان

كيف يكون الدعاء

لابن عباس سفيان بن عيينة عن أبي معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال : الإخلاص هكذا — وبسط يده اليسرى وأشار بأصبعه من يده اليمنى — والدعاء هكذا — وأشار براحته إلى السماء — والابتهال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما إلى وجهه .

بين جعفر بن محمد وسفيان الثوري قال : دخلتُ على جعفر بن محمد رضى الله عنهما فقال لى : يا سفيان ، إذا كثرت همومك فأكثر من « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وإذا تداركتُ عليك النعم فأكثر من « الحمد لله » ، وإذا أبطأ عنك الرزق فأكثر من الاستغفار .

لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .
وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : عجبا من يهلك والنجاة منه قيل له : وما هي ؟ قال : الاستغفار .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر ، الصديق وعمر رضوان الله عليهما

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قالت : كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

المغيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

دعاء أبي بكر وكان آخر دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه في خطبته : اللهم اجعل خيرَ زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم لقاؤك .

دعاء عمر وكان آخر دعاء عمر رضى الله عنه في خطبته اللهم لاتدعنى في غمرة ، ولا تأخذنى في غرة ، ولا تجعلنى مع الغافلين .

لا إله إلا الله
عليه وسلم

وقالوا: كلمات الفرج من كل كُرب ، لا إله إلا اللهُ الكريمُ الحليمُ ،
سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، والحمد لله رب العالمين .

10

اسم الله الأعظم

٢٠. وأما بنت عمران (آل عمران) الله لا إله إلا هو الحي القيوم)
 فيما بين الآيتين : (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) ،
 أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اسمُ الله الأعظم

الاستغفار

شاذان بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سيد الاستغفار أن تقول :
 اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ
 مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي
 فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

لأنبي صلى الله
 عليه وسلم

الأسود وعلقمة قالا : قال عبد الله بن مسعود : إن في كتاب الله آيتين
 ما أصاب عبداً ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
 أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ
 وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سِرّاً أَوْ يُظْلِمُ نَفْسَهُ ثُمَّ
 يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رحيماً ﴾ .

لأبن مسعود

أبو سعيد الخدري قال : من قال : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
 الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ . خمس مرات - غُفِرَ لَهُ وَلَوْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ .

لأب سعيد
 الخدري

دعاء المسافر

عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أَرَادَ
 سفراً قال : اللهم أنت الصاحبُ في السفر ، والخليفةُ في الحضر ؛ اللهم إني
 أعوذ بك من وَعَثَاءِ السفر وكآبةِ القلبِ والحَزَنِ بعد السكُورِ ، ومن سوءِ المنظرِ
 في الأهل والمال .

لأنبي صلى الله
 عليه وسلم

الشعبي عن أم سلمة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج في سفر
 يقول : اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أُزِل ، أو أَضِلَّ أو أُضِلَّ ، أو أَظْلَمَ أو
 أَظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ .

لأم سلمة

وقالت : من خرج في طاعة الله ، فقال : اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ،
 ولا رياء ولا سمعة ، ولكني خرجت ابتغاء مرضاتك وابتغاء سخطك ؛ فأسألك
 بحقوقك على جميع خلقك أن ترزقني من الخير أكثر مما أرجو ، وتصرف عني

٥

١٠

١٥

٢٠

من الشر أكثر مما أخاف . استجيب له بإذن الله .

الدعاء عند الدخول على السلطان

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا دخلت على السلطان المهيب تخاف
أن يسطو عليك فقل : الله أكبر ، الله أكبر وأعزُّ مما أخاف وأحذر ، اللهم
ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم ، كن لي جاراً من عبدك فلان وجنوده
وأشياعه وأتباعه ، تبارك اسمك ، وجل ثناؤك ، وعز جارك ، ولا إله غيرك .

أبو الحسن المدائني قال : لما حج أبو جعفر المنصور مرَّ بالمدينة ، فقال
للريبع : عليَّ بجعفر بن محمد ، قتلتني الله إن لم أقتله ؛ فمطَّل به ، ثم ألح فيه فحضر ؛
فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه ، همس جعفر بشفتيه ، ثم تقرب
وسلم ، فقال : لا سلم الله عليك يا عدو الله ! تعمل على الغوائل في ملكي ؟
قتلتني الله إن لم أقتلك ! فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله عليه
وسلم أُعطي فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف ظلم فغفر ؛ وأنت على
إرث منهم ، وأحقُّ من تأسَّى بهم . فنكس أبو جعفر رأسه ملياً ، ثم رفع إليه رأسه
فقال له : [إلى] يا أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وأنت ذو الرحم الواشجة ،
السليم الناحية ، القليل الغائلة . ثم صاحفه يمينه ، وعانقه يساره ، وأجلسه معه
على فراشه وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يسأله ويحاده ؛ ثم قال :
عجلوا لأبي عبد الله إذهنه وكسوته وجائزته . قال الريبع : فلما خرج وخطرف^(١)
الستر أمسكت بثوبه . فارتاع وقال : ما أُرانا ياربيع إلا وقد حُسِنَّا ! قلت : هذه
مني لا منه . قال : فذلك أيسر ؛ قل حاجتك . قلت : إني منذ ثلاث أدافع عنك
وأدارى عليك ؛ ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك ، ثم رأيت الأمر انجلي عنك ؛
وأنا خادم سلطان ولا غنى بي عنه ؛ فأحب منك أن تعلمنيه ... قال : نعم ، قل : اللهم
احرسني بعينك التي لا تنام ، واكففني بكفك الذي لا يُرام ، ولا أهلك وأنت رجائي ؛
فكم من نعمة أنعمتها عليَّ قلَّ عندها شكري فلم تحرمني ، وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ

(١) في بعض الأصول : .. وأسدل ..

عندها صبرى فلم تَخْذُلْنِي ، اللهم بك أدرك فى نحره ، وأعوذ بخيرك من شره .

الدعاء على الطعام

من قال على طعامه : « بسم الله خير الأسماء ، فى الأرض وفى السماء ، ولا يضر مع اسمه داء : اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء ، لم يضره ذلك الطعام كائناً ما كان .

- وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذى مَنَّ علينا وهدانا ، وأطعمنا وأروانا ، وكل بلاء حسن أبلانا .

عن النبي صلى
الله عليه وسلم

الدعاء عند الأذان

من قال إذا سمع الأذان : رَضِيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ .

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن .

النبي صلى الله
عليه وسلم

الدعاء عند الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من رأى من الطير شيئاً يكرهه فقال : اللهم لا طيرَ إلا طيرُك ، ولا خيرَ إلا خيرُك ، ولا إلهَ غيرُك . لم يضره .

الساعة التى يستجاب فيها الدعاء

- الفضيل عن أبي حازم عن أبي سَلَيْة بن عبد الرحمن عن ناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم أجمعوا أن الساعة التى يُستجاب فيها الدعاء آخرُ ساعة من يوم الجمعة .

التعوذ

- أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ، وقلبٍ لا يخشع ، وعينٍ لا تدع ، ودعاءٍ لا يُسمع ، ونفيسٍ لا تسع ، اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع .

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها . لم يضره شيء من الشياطين والهوام .

٥ مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بهذه الكلمات : أعوذُ بكلمات الله التامة ، من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة .

ما كان يعرّض به
النبي صلى الله عليه
وسلم الحسن
والحسين

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها إسماعيل وإسحق .

وقال أعرابي يصف دعوة : لأعرابي في دعوة

١٠ وسارية لم تسر في الأرض تبغى . محلاً ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ . لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تظل وراء الليل والليل ساقط . بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لو فدها . إذا قرع الأبواب من قارع
إذا سألت لم يردد الله سؤلها . على أهلها والله راء وسامع
١٥ وإنى لأرجو الله حتى كأنما . أرى بحميلي الظن ما الله صانع

ومن قولنا في هذا المعنى :

لابن عبد ربه

بني لئن أعيا الطبيب ابن مسلم . ضناك وأعيا ذا البيان الموشع
لأبتهلن تحت الظلام بدعوة . متى يدعها داع إلى الله يسمع
تغلغل من بين الضلوع تشيجها . لها شافع من عبدة وتضرع
إلى فارح الكرب المحيب لمن دعا . فزعت بكرني ، إنه خير مفرع
٢٠ فباخير مدعو دعوتك فاستمع . ومالي شفيع غير فضلك فاشفع

كتاب الدرّة

في النوادر والتعازي والمرائي

لابن عبد ربه

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الزهد ورجاله المشهورين :
ومحن قائلون بعون الله في النوادر والمرائي ، والتهاني والتعازي ، بأبلغ ما وجدناه
من الفطن الدكية ، والألفاظ الشجية ، التي تُرقّ القلوب القاسية ، وتُذيب الدموع
الجامدة ، مع اختلاف النوادر عند نزول المصائب ؛ فنادية تثير الحزن من ربضته ،
وتبعث الوجد من رقده ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك
صدعا في القلوب الجلامد ؛ ونادية تخفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب
مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب .

لابن ذر

قال عمر بن ذر : سألت أبي : ما بان الناس إذا وعظتهم بكوا ، وإذا وعظهم
غيرك لم يبكوا ؟ قال : يا بُنيّ ، ليست النائحة الشكلى مثل النائحة المستأجرة .
وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المرائي أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا
نقولها وقلوبنا محترقة .

لأعرابي

وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء .

للحكماء

وقالوا : كل شيء يبدو صغيراً ثم يعظم ؛ إلا المصيبة ؛ فإنها تبدو عظيمة
ثم تصغر .

القول عند الموت

لبعضهم

الأصمعي عن مُعْتَمِر عن أبيه : قال : لقنوا موتاكم الشهادة ؛ فإذا قالوها
فدعوم ولا تضجروهم .

وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل في الموت فبشّروه ؛ ليلقى ربه وهو

حسن الظن به وإذا كان حيا فخوفوه

حسن الظن به ؛ وإذا كان حياً فخوفه .

بين أبي بكر
وطلحة

ولقي أبو بكر طلحة بن عبيد الله ، فرآه كاسفاً متغيراً لونه ، فقال : مالي أراك متغيراً لوني ؟ قال : كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها . قال : وما ذاك ؟ قال : سمعته يقول : إني أعلم كلمة من قالها عند الموت تحصت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر . فأنسيت أن أسأله عنها . قال أبو بكر : وأعلمتكمها ؟ هي : لا إله إلا الله .

لما دُفِنَ اختصاره

أبو الحباب قال : لما احتضر مُعَاذُ قال لخدمته : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ، ثم قال لها : انظري . فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ! مرحباً بزيارتي جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم : اللهم إنك تعلم أني لم [أكن] أحب البقاء في الدنيا للكرى الأنهار ، وغرس الأشجار ؛ ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظلم الهواجر في الحر الشديد ، ومراحة العلماء بالركب في مجالس الذكر .

لعمر بن عتبة
في مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن عتبة^(١) قال لرفيقه : نزل بي الموت ولم أتأهب له ! اللهم إنك تعلم أنه ما سئح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوًى إلا آثرت رضاك على هوًى .

لابن الخطاب
في مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قال لولده عبد الله بن عمر : ضع خدي على الأرض عَلاً ربّي أن يتعطف عليّ ويرحمني .

للرقاشي في مثله

ابن السَّمَاك قال : دخلت على يزيد الرقاشي وهو في الموت . فقال لي : سبقني العابدون وقُطِعَ بي ؛ والهنّاء .

الأسواري
وآزادمرّد
في اختصاره

٢٠ موسى الأسواري قال : دخلت على آزادمرّد وهو ثقيل ، فإذا هو كالخفاش لم يبق إلا رأسه ؛ فقلت له : يا هذا ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفرّاً بعيداً بغير زاد ، وينطلق إلى ملك عدل بغير حجة ، ويدخل قبراً مُحشّاً بغير مؤنس !

قال عمر بن عبد العزيز لأبي قلابة وولى غسل ابنه عبد الملك : إذا غسلته وكفنته فأذني قبل أن تغطي وجهه . ففعل ، فنظر إليه وقال : يرحمك الله يا بني ويغفر لك .

عمر بن عبد العزيز
وأبو قلابة

ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جَزَعاً شديداً ، وقال : إذا غسلتموه وكفنتموه فأذِنُونِي . ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثلاً :

الحجاج وموت
ابنه محمد

الآن لما كنت أَكْمَلُ مَنْ مَشَى . وَأَفْتَرُ نَابُكَ عَنْ شَبَابَةِ الْقَارِحِ
وتكاملت فيك المروءة كلها . وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فقبل له : اتق الله واسترجع . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجددك يا بني ؟ قال : أجدني في الموت فاحتسبني ؛ فإن ثواب الله خير لك مني . قال ، والله يا بُنَيَّ لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك قال : وأنا والله ، لأن يكون ماتحب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

عمر بن عبد العزيز
وابنه عبد الملك

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مسلة بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة ؛ فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ؛ فلقد ألت لنا قلوباً كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً .

مسلة بن
عبد الملك وعمر
بن عبد العزيز
في احتضاره

حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتواكدت عليه كُربُ الموت ؛ فرفع رأسه وقال ، واكرباه ! فبككت فاطمة وقالت : واكرباه لكَربك يا أبتاه ! قال ، لا كرب على أهلك بعد اليوم !

الرسول صلى الله
عليه وسلم
في قبضه

الرياشي عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ يدها فقبلها ورحَّبَ بها وأجلسها في مجلسه ؛ وكان

٥

١٠

١٥

٢٠

إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت يده فقبلتها . فدخلت عليه في مرضه الذي توفى فيه ، فأسر إليها فبكّت ، ثم أسر إليها فضحكّت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هي واحدة منهن ؛ بينما هي تبكي إذ هي تضحك ! فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها : فقالت : أسر إلى فأخبرني أنه ميت فبكيت ؛ ثم أسر إلى أنى أول أهل بيته لحوقاً به فضحكّت .

عائشة مع أبيها
في احتضاره

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يا أبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك محذور ومتصل بقلبي لو عثك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع لونك ؛ فإلى الله تعزيتى عذك ، ولديه ثواب حزنى عليك ، أرقاً فلا أرقاً وأشكر فلا أشكى .

فرفع رأسه فقال : يا بُنية ، هذا يوم يُحَلُّ فيه عن غِطائي ؛ وأعين جزائي ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فقيم ؛ إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حين كان النكوص إضاعة ، والحذر تفريطاً ؛ فشهدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فبلغتُ بصعفتهم ، وتعلتُ بذرة لِقحتهم ، وأقت صلاى معهم ، لا تُختالاً أشرّاً ، ولا مُكارراً يطرأ ، لم أعد سداً للجوعة ، وتورية العورة ، طوى مُنقص تهفو له الأحشاء وتُجِب له الأمعاء ؛ واضطرت إلى ذلك اضطرار الجَرَض إلى المَعِيف الآجن ، فإذا أنا متُ فردّى إليهم صحفهم ولقحتهم وعبدتهم ورحامهم ، ودثارة ما فوقى اتقيتُ بها أذى البرد ، ودثارة ما تحنى اتقيتُ بها أذى الأرض ، كان حشوهما قطع السعف .

عمر مع أبي بكر
في احتضاره

ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كلفت القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصيباً . فهيهات من شقّ غبارك ! وكيف باللعاق بك ،

وقالت عائشة وأبوها يُغَمِّض :

وأبيض يُسْتَشَق الغمام بوجهه . ربيعُ البتاي عصمةُ للأرامل

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أغشى عليه فقالت :
لعمرك ما بُغِيَ الثراء عن الفتى . إذا حُشِرَتْ يوماً وضاق بها الصدر
قالت : فنظر إلى كالعنصان وقال لي : قولي : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾
ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ . ثم قال : انظروا ملاءتي فاغسلوهما وكفّنوني فيهما :
فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت .

لماوية في
احتضاره

وقال معاوية حين حضرته الوفاة :

أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أَغْنِ فِي الْمُلْكِ سَاعَةً . وَلَمْ أَكُ فِي اللَّذَّاتِ أَغْنَى النَّوَاطِرِ
وَكُنْتُ كَذِي طُمْرَيْنِ عَاشٍ يَبْلُغُهُ . لَيْلَى حَتَّى زَارَ صَنْدُكَ الْمَقَابِرِ

لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن سفيان
جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يحجود بنفسه ، فكلّمه يزيد فلم يكلمه ،
فبكى يزيد ، وتضوّر معاوية ساعة ، ثم قال : أى بنى ، إن أعظم ما أخاف الله فيه
ما كنت أصنع بك يا بُنَيَّ . إنى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان
إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه ، فنظر إلى قيص لي قد انخرق من
عائقي ، فقال لي : يا معاوية ، ألا أكسوك قيصاً ؟ قلت : بلى . فكساني قيصاً لم
ألبسه إلا لبسة واحدة ، وهو عندي . واجتزأت ذات يوم فأخذت جُزارة شعره ،
وقلامه أظفاره ، فجعلت ذلك في قارورة ، فإذا مت يا بنى فاغسلني ثم اجعل ذلك
الشعر والأظفار في عيني ومنخري وفمي ، ثم اجعل قيص رسول الله صلى الله
عليه وسلم شعاراً من تحت كفّي . إن نفع شيء نفع هذا .

عمرو بن العاص
في احتضاره

لما احتضر عمرو بن العاصي ، جمع بنيه فقال : يا بُنَيَّ ، ما تُغْنُون عني من
أمر الله شيئاً ! قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا . فقال :
أسندوني . فأسندوه ، ثم قال : اللهم إنك أمرتني فلم أؤتمر ، وزجرتني فلم
أزدجر ، اللهم لا قوتي فأتصر ، ولا برى فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر !
أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ! فلم يزل
يكررها حتى مات .

قال : وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبيه عند موته :
 إني لست في الشُّرك الذي لو مت عليه أُدْخِلْتُ النار ، ولا في الإسلام الذي
 لو متُّ عليه أُدْخِلْتُ الجنة ؛ فهما قصرت فيه فأني مستمسك بلا إله إلا الله .
 وقبض عليها بيده ، وقبض لوقته ؛ فكانت يده تُفتح ثم تترك ، فتقبض .
 ٥ وقال لبيه : إن أنا مت فلا تبكوا عليّ ، ولا يقبني مادح ولا نائح ، وشئوا
 عليّ التراب شئاً ، فليس جنبي الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ؛ ولا تجعلوا في
 قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدرَ نُحْرٍ جزور .
 وتفصيلها أسأئس بكم .

الجزع من الموت

١٠ الفضيل بن عياض قال : ماجزع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ماجزع
 سفيان الثوري ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، ما هذا الجزع ، ألسْتَ تذهب إلى من
 عبده وفررت بيدك إليه ؟ فقال : ويحكم ! إني أسلك طريقاً لم أعرفه ، وأقدم
 على ربِّ لم أره .

ولما توفي سعيد بن أبي الحسن وجد عليه أخوه الحسن وجداً شديداً ،
 فكلَّم في ذلك ، فقال : ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب !
 ١٥ وقال صالح المرِّي : دخلت على الحسن وهو في الموت ، وهو يكثر الاسترجاع ؛
 فقال له ابنه : أمثلك يسترجع على الدنيا ؟ قال : يا بني ، ما أسترجع إلا على نفسي
 التي لم أصبْ بمثلها قط .

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الأدبر وأصحابه ، بعث إليهم أكفانهم وأمر
 ٢٠ بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليها . فلما قدَّم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزع جزعا
 شديداً ، فقيل له : أمثلك يجزع من الموت ؟ فقال : وكيف لا أجزع وأرى سيفاً
 مشهوراً وكفنّاً منشوراً وقبراً محفوراً .

لابن عياض

حزن سعيد بن أبي
الحسن على أخيهالحسن في
احتضارهحجْر بن الأدبر
في موته

البكاء على الميت

إبراهيم الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

قَلْبُنْ بِكَيْنَاهُ لِحَقِّ لَنَا . وَلَيْنْ تَرَكْنَا ذَاكَ لِلصَّبْرِ
فَلِمَلِهِ جَرَّتِ الْعُيُونُ دَمًا . وَلِمَلِهِ جَمَدَتْ فَلَمْ تَجْرِ

الأخنف وبأكية : مر الأخنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها ، فقال له : دعها فإنها تندب عهدا قريبا وسفرا بعيدا .

قالوا : لما توفي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه ؛ فسئل عن ذلك فقال : تَدْمَعُ الْعَيْنَانِ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ .

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يكيين ميتا فزجرهن عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعهن يا عمر ، فإن النفس مصابة ، والعين دامة والعهد قريب .

ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة لا بأكية له ذلك اليوم » ، فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقيم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أن يشقَّ على صفيّة ، مادفته حتى يُحْتَمَرَّ من حواصل الطير ويطؤون السباع . »

ولما نعى النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح : يا أسفا على النعمان .

ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجل من بني عدي بن كعب ؛ فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال :

• وَخَلَفْتَ زَيْدًا ثَاوِيًا وَأَتَيْتَنِي ! •

وقال عمر بن الخطاب : ما هبت الصبا إلا وجدت نسيم زيد .

وكان إذا أصابته مصيبة قال : قد فقدت زيدا فصبرت .

ولما توفي خالد بن الوليد أيام عمر بن الخطاب - وكان بينهما هجرة - امتنع عمر ووفاء خالد النساء من البكاء عليه ، فلما انتهى ذلك إلى عمر ، قال : وما على نساء بني المغيرة أن يُرِقْنَ من دمعهن على أبي سليمان ما لم يكن نفع ولا فلفة .

وقال معاوية وذُكر عنده النساء : ما مَرَضَ المرضي ولا نَدَبَ الموتى مثلهن .
وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمة :
لعلَّ انحدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً • منَ الوَجْدِ أو يَشْفِي شَجَى البَلاليلِ
نخلوت ، فبكيت ، فسلوت .

للفرزدي

وقال الفرزدق في هذا المعنى :

ألم تَرَانِي يَوْمَ جَوِّ سُوْبِقَةٍ • بَكَيْتُ فَتَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لَرَاحَةٌ • بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلْقَا
قَعِيدَ كَمَا اللَّهُ الَّذِي أَبْتَلَاهُ • أَلَمْ تَسْمَعْ بِالْبَيْضَتَيْنِ الْمُنَادِيَا
حَبِيبَ دَعَاوِ الرَّمْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ • فَأَسْمَعَنِي سَقِيًّا لَذَلِكَ دَاعِيَا
يَقَالُ : قَعِيدُكَ اللَّهُ ، وَقَعِيدُكَ اللَّهُ ، معناه : سألك الله .

القول عند المقابر

قال بعضهم : خرجنا مع زيد بن علي نريد الحج ، فلما بلغنا النجاف وصرنا إلى مقابرها ، التفت إلينا فقال :

لِكُلِّ أَنَاسٍ مَقْبَرٌ يَفْنَاهُمْ • فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
فَمَا إِنْ تَزَالَ دَارُ حَيٍّ قَدْ أَخْرَبَتْ • وَقَبْرٌ بِأَفْئَاءِ الْبُيُوتِ جَدِيدُ
هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا مَرَارُهُمْ • فَذَانِ وَأَمَّا الْمَلْتَقَى فَعِيدُ

وقال مررت بيزيد الرقاشي وهو جالس بين المدينة والمقبرة ، فقلت له :
ما أجلسك هنا ؟ قال : أنظر إلى هذين العسكرين ، فعسكر يقذف الأحياء ، وعسكر
يلتقم الموتى ! ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل القبور الموحشة اني قد نطقَ بالخراب

فأَوْهًا ، وَهَدَّ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا ، فَحَلَّهَا مَقْتَرِب ، وَسَاكِنَهَا مَقْتَرِب ؛ لَا يَتَوَاصِلُونَ
تَوَاصِلَ الْإِخْوَانِ ، وَلَا يَتَزَاوِرُونَ تَزَاوِيرَ الْجِيرَانِ ؛ قَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِّهِ الْبَلِي ،
وَأَكْلَهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى .

لعل
وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال : أما المنازل
فقد سُكِنَتْ ، وأما الأموال فقد قُسمَتْ ، وأما الأزواج فقد نُكِحَتْ ؛ فهذا
خبر ما عندنا ، فليت شعري ما عندكم ؟ ثم قال : والذي نفسى بيده ، لو أذن لهم
في الكلام لقالوا : إن خير الزاد التقوى .

وكان على بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم يا أهل الديار
الموحشة ، والمحال المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ؛ اللهم آغفر لنا ولهم ،
وتجاوز بعفوك عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كِفَاتًا
أحياء وأمواتا ، والحمد لله الذي منها خُلِقْنَا ، وإليها مَعَادُنَا ، وعليها
مَحْشَرُنَا ؛ طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل الحسنات ، وقنع بالكفاف ، ورضى
عن الله عز وجل .

لأنني صلى الله
عليه وسلم
وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم دار
قورم مؤمنين ، وإيا إن شاء الله بكم لاحقون .

لحسن البصرى
وكان الحسن البصرى إذا دخل المقبرة قال : اللهم رب هذه الأجساد البالية ،
والمظالم النخرة ، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ، أدخل عليها روحاً
منك وسلاماً منا .

لابن الفضل
وكان على بن الفضل إذا دخل المقبرة يقول : اللهم اجعل وفاتهم نَجَاتَ لهم
مما يكرهون ، واجعل حسابهم زيادةً لهم مما يحبون .

الوقوف على القبور وما بين الموتي

لأعرابي على قبر
الرسول صلى الله
عليه وسلم
وقف أعرابي على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قلتَ فقبلنا
وأمرت لحفظنا ، وبلغت عن ربك فسمعنا ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

جاءوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهمُ الرسولُ لَوْ جَدُّوا الله تَوَّابًا رَحِيمًا) ، وقد
ظلمنا أنفسنا وجنناك فاستغفر لنا . فما بقيت عين إلا سالت .

فاطمة على قبر
أبيها صلى الله
عليه وسلم

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت :
إنا فقدناك فقد الأرض وابلهما * وغاب مدغيت عنا الوحي والكُتبُ
فليتَ قبلكَ كانَ الموتُ صادفنا هـ لما نُعيتَ وحالتِ دونك الكُتبُ

حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت على فاطمة ، فقالت : يا أنس ، كيف طابت
أنفسكم أن تحموا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ ثم بكّت
ونادت : يا أبتاه ! أجب ربّا دعاه ؛ يا أبتاه ! من ربّه ما أدناه ؛ يا أبتاه ! من ربّه
ناداه ؛ يا أبتاه ! إلى جبريل نذعاه ؛ يا أبتاه ! جنّة الفردوس مأواه . قال : ثم
سكتت فما زادت شيئاً .

ابن مسعود على
قبر عمر بن
الخطاب

ولما دُفِنَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، أقبل عبدُ الله بن مسعود وقد
فاته الصلاة عليه ؛ فوقف على قبره يبكي ويطرح رداءه ؛ ثم قال : والله إن فاتني
الصلاة عليك لا فاتني حسنُ الثناء ؛ أما والله لقد كنت سخيّاً بالحق ، بخيلاً عن
الباطل ، ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السخط ، ما كنت عيياً أباً ولا مدّاحاً ؛
فجزاك الله عن الإسلام خيراً .

على بن أبي طالب
على قبر خباب

ووقف على بن أبي طالب رضى الله عنه على قبر خباب فقال : رحم الله
خباباً ! لقد أسلم راغباً ، وجاهد طامعاً ، وعاش زاهداً ^(١) ، وأبلى في جسمه
فصبر ^(٢) ؛ ولن يُضيعَ الله أجرَ من أحسن عملاً .

الحسن على قبره على

ولما توفى على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، قام الحسن بن علي رضى الله
عنهما فقال : أيها الناس ، إنه قبض فيكم الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون ولم يدركه
الآخرون ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكثفه جبريلُ عن يمينه

(١) في بعض الأصول : مجاهداً .

(٢) في بعض الأصول : وأحوالاً .

وميكائيل عن شماله ، لا يثنى حتى يفتح الله له : ما ترك صديرا ولا يضا
إلا سبعة درهم أعدّها لحادٍم له .

ابن السماك في
رثاء الطائي

عبد الرحمن بن الحسين عن محمد بن مصعب قال : لما مات داود الطائي تكلم
ابن السماك فقال : إن داود نظر إلى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصر القلب
بصر العين ، فكان لم ينظر ما إليه تنظرون ، وكأنكم لم تنظروا إلى ما إليه ينظر ،
فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رأى كم مفتونين مغرورين ، قد أذهلت
الدنيا عقولكم ، وأمانت بحبها قلوبكم ، استوحش منكم ، فسكت إذا نظرت إليه
حسبته حيا وسط أموات ؛ يادارد ، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ، أهنت
نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتعبتها وإنما تريد راحتها وأخسدت المطعم وإنما
تريد طيبه ، وأخسدت الملابس وإنما تريد لينه ، ثم أمت نفسك قبل أن تموت ،
وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعذبتها قبل أن تعذب ؛ سجت نفسك في بيتك فلا يحدث
لك ، ولا جليس معك ، ولا فراش تحتك ، ولا ستر على بابك ، ولا قلة يبرد
فيها ماؤك ، ولا صحفة يكون فيها غداؤك وعشاؤك ؛ يا داود ، ما نشتهي من
الماء بارد ، ولا من الطعام طيب ، ولا من اللباس لين ؛ بلى ، ولكن زهدت
فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما رغبت
وأملت ، فلما مت شهرك ربك بفضلك ؛ وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت من حصرتك
علت أن ربك قد أكرمك وشرّفك .

وقف الأحنف بن قيس على قبر أخيه فأنشد :

للأحنف على
قبر أخيه

فَوَآلَهُ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزِئَتْهُ • بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
بَلَى إِنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا • تُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

ووقف محمد بن الحنفية على قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فحنقته العبرة
ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد ، فلئن عزت حياتك فلقد هدأت وفائك ،
ولنعم الروح روح ضممه بدئك ، ولنعم البدن بدن ضممه كفئك ، وكيف لا يكون
كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتكم

أَكْفَ الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، فطبتَ حياً وطبتَ ميتاً ، وإن كانت
أنفسنا غير طيبةً بفراقك ، ولا شاكّةً في الخيار لك .

عائشة على قبر
أبي بكر

ووقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت : نَصَرَ الله وجهك ، وشكر لك صالح
سعيك ، فقد كنتَ للدنيا مُذْلاً بإدبارك عنها ، وكنتَ للآخرة مُعِزّاً بإقبالك عليها
ولئن كان أجلُ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزُوكَ ، وأعظمُ
المصائب بعده فَقْدُكَ - إن كذاب الله ليعِدُ بِحَسَنِ الصبرِ فيك ، وحسنِ العِوضِ
منك ؛ فأنا أُنَجِّزُ موعودَ الله بحسنِ العزاء عليك ، وأستعِضُّه منك بالاستغفار
لك ؛ فعليك السلام ورحمة الله ، توديعَ غيرِ قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء
فيك اثم انصرفت .

رثاء علي لأبي
بكر

لما قبض أبو بكر سُجِّيَ بثوب فارجت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم
كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء علي بن أبي طالب باكياً
مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر ، كنتَ والله
أَوَّلَ القوم إسلاما ، وأخلصهم إيمانا . وأشدّهم يقينا ، وأعظمهم غناء ، وأحفظهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحَدَهم على الإسلام ، وأحنّهم على أهله وأشبهِهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم مُخلقا وفضلا وهديا وسمتا ، فجزاك الله عن الإسلام
وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا ، صدّقتَ رسول الله حين كذّبه الناس ، وواسيتَه
حين بخلوا ، وقتتَ معه حين قعدوا ، سمالك الله في كتابه صدّيقا ، فقال : « والذي
جاء بالصدق وصدّق به » يريد محمداً ويريدك ، كنتَ والله للإسلام حصنا ، وعلى
الكافرين عذابا ، لم تُفَلِّلْ حجَّتُكَ ، ولم تضعُفْ بصيرتُكَ ، ولم تجبُنْ نفسُكَ ،
كنتَ كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنتَ كما قال رسول الله
ضعيفا في بدنك ، قويا في أمر الله ، متواضعا في نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا
في الأرض ، كثيرا عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك
هَوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى
تأخذ الحق له ، فلا حرمتنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك .

وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية فقال : تالله إن كنت ما علمت
لَيُنْطَقَكَ العلم ؛ وَبُسْكِيكَ الحلم . ثم أنشأ يقول :

عبد الملك على
قبر معاوية

وما الدهرُ والأيامُ إلَّا كما تَرى . رَزِيْثَةٌ مالٍ أو فِرَاقُ حبيبٍ .

الهيثم بن عدى قال : لما هلك زياد استعمل معاوية الضحاك على الكوفة :

للضحاك في زياد

فلما دخلها سأل عن قبر زياد فدلَّ عليه ؛ فأتاه حتى وقف به ثم قال :

أَبَا الْمُغِيرَةِ وَالذَّنِيْبَا مُفْجَعَةٌ . وَإِنْ مَنَ غَرَّتْ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ

قد كان عندك للبعروفِ معرفة . وكان عندك للنكراء^(١) تكبيرُ

لو خَلَدَ الْحَيْرُ وَالْإِسْلَامُ ذَا قَدَمٍ . إِذَا لَخَلَدَكَ الْإِسْلَامُ وَالْحَيْرُ

والآيات لحارة بن بدر يرثي زيادا .

لعلى في فاطمة

المدائني قال : لما دُفِنَ عَلِيٌّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام ،

تمثل عند قبرها فقال :

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ * وَكُلِّ الَّذِي دُونَ الْمَيِّتِ قَلِيلُ

وإن افتقادی واحداً بعد واحدٍ * دليلٌ على أن لا يدوم خليل

لما مات الحسن بن عليّ عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطاً على قبره

امرأة الحسن
على قبره

وأقامت حولاً ثم انصرفت إلى بيتها ؛ فسمعت قائلاً يقول : أدركوا ما طلبوا !

فأجابه بحجب : بل ملؤا فانصرفوا .

ابن الكلبي قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحت

نائلة على قبر
عثمان

عليه ثم قالت :

ومالٍ لا أبكي وبكي صحابي . وقد ذهبت عنا فضول أبي عمرو

ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد

خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبي ؛ فدعت بفهر فوشمت فاها وقالت : والله

لا قعد مني رجل مقعد عثمان أبداً !

(١) في بعض الأصول : للتكبير . .

الرائون على
قبر الإسكندر

لما هلك الإسكندر : قامت الخطباء على رأسه ، فكان من قولهم : الإسكندر
كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس !

لأبي العتاهية
في ابن له

أخذ هذا المعنى أبو العتاهية . فقال عند دفنه ولداً له :

كفى حَزَنًا بَدَفِنِكَ ثُمَّ إِنِّي • نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا
وَكُنْتُ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ • فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعُظُ مِنْكَ حَيًّا

٥

لأبي ذر
مثله

وقف أبو ذر الهمداني على قبر ابنه ذر ، فقال : يا ذر ، شغلني الحزن لك عن
الحزن عليك ، فليت شعري ما قلت وما قيل لك ! ثم قال : اللهم إني قد وهبت لك
إسمائه إلى ، فهب له إسمائه إليك ! فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال : يا ذر ،
قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقننا ما نفعناك !

لابن سليمان
في مثله

وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه ؛
لحقق رجائي وآمن خوفي .

١٠

لأعرابية في
أبيها

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن في الله تبارك وتعالى من
فقدك عوضاً ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصيبتك أسوة . ثم قالت :
اللهم نزل بك عبدك مُقْفَرًا من الزاد ، مُخْشَوًشٍ المهَاد ، غنيا عما في أيدي العباد ،
فقيرا إلى ما في يديك يا جواد ، وأنت أيُّ ربٍّ خيرٌ من نزل به المؤمنون ، واستغنى
بفضله المُقْلُونَ ، وولج في سعة رحمته المذنبون ؛ اللهم فليكن قَرَى عبدك منك
رحمتك ، ومهاده جنتك . ثم انصرفت .

١٥

لأعرابية فرتاء
ابنها

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباء لها ،
وبين يديها بُيٌّ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصبته وسجته ، وقالت :
يا بن أخي . قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النظرة ،
أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقدته ، والحلول بعفوره ، والمحالة بينه
وبين نفسه ! قال : وما يقطر من عينها دمة ، صبراً واحتساباً . ثم نظرت إليه
فقالت : والله ما كان ماله لبطنه ، ولا أمره لعرسه . ثم أنشدت :

٢٠

رَحِيبُ الذَّرَاجِ بِأَلَى لَا تَشْبِيهُهُ • وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعَا

وقف عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال : رحمك الله يا بُنَيَّ ،
فلقد كنت ساراً مولوداً ، بازاً ناشئاً ؛ وما أحب أنى دعوتك فأجبتني !

عمر بن عبد
العزيز على
قبر ابنه

توفى رجل كان مُسْرِفاً على نفسه بالذنوب ، فتجافى الناس جنازته ؛ فبلغ
عمر بن ذر خبره ؛ فأوصى إلى أهله أن خدوا في جهازه فإذا فرغتم فأذِنُونِي .

ابن ذر وجنازة
جار له

ففعَلُوا ، وشهده عمر بن ذر وشهده الناس منه ، فلما فرغ من دفنه وقف عمر
ابن ذر على قبره فقال : يرحمك الله أبا فلان ! فلقد صحبت عُمرَكَ بالتوحيد ؛
وعفرتُ لله وجهك بالسجود ، فإن قالوا : مذنب وذو خطايا ! فن منا غير مذنب
وغير ذى خطايا !

سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهي تقول : يا أبت مثل يومك
لم أره ! قال : الذى - والله - لم ير مثله يومه أبوك !

لجارية على قبر
أبيها

وسمع عمر بن عبد العزيز خصياً للوليد بن عبد الملك واقفاً على قبر الوليد وهو
يقول : يا مولاي ، ماذا لقينا بعدك ! فقال له عمر : أما والله لو أذن له فى الكلام
لأخبر أنه لقي بعدكم أكثر مما لقيتم بعده .

خصى للوليد
على قبره

وقف معاوية على قبر أخيه عتبة فدعا له وترحم عليه ، ثم النفث إلى من معه
فقال : لو أن الدنيا بُنيت على نسيان الأجنة ما نسيت عتبة أبداً .

معاوية على
قبر أخيه

المراثى

من رثى نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر

قال ابن قتيبة بلغنى أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره : يزيد
ابن خُذَّاق فقال :

لابن خُذَّاق

٢٠

هل للفقى من بنات الدهر من راقى • أم هل له من حمام الموت من واقى
قد رجُلُونِي وما بالشعر من شَعِي • وألبَسُونِي ثياباً غير أخلاق

وطيَّبوني وقالوا أئبنا رجل ! . وأدرجوني كَأَنِّي طَىْ حِرَاقٍ
وأرسلوا رِثِيَّةً من خيرهم حَسَبًا . لِيُسَيِّدُوا فِي ضَرْحِ الْقَبْرِ أَطْبَاقِي
وَقَسَمُوا الْمَالَ وَأَرَفَضَتْ عَوَائِدُهُمْ . وَقَالَ قَاتِلُهُمْ مَاتَ ابْنُ حَدَّاقٍ !
هُوَ نَ عَلَيْهِ وَلَا تُؤَلِّعْ يَا شِفَاقٍ . فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي

٥ وقال ابن ذؤيب الهذلي يصف حفرة :

مَطَاطَاةٌ لَمْ يَنْبِطُوهَا وَإِنَّمَا . لِيَرْضَى بِهَا فُرَاطُهَا ، أَمْ وَاحِدٍ
قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ رَمَاهَا ثُمَّ أَقْبَلُوا . إِلَى بَيْطَاءِ الْمَشْيِ غُبَرَ السَّوَادِ
فَكَنتُ ذَنْوبَ الْبَرِّ لَمَّا تَلَحَّيْتُ . وَأَدْرَجْتُ أَكْفَانِي وَوَسَّدْتُ سَاعِدِي

لعروة بن حزام

وقال عروة بن حزام لما نزل به الموت :

١٠ مَن كَانَ مِنْ أَخَوَاتِي بَاكِيًا أَبَدًا . فَإِلْيَوْمَ ، إِنِّي أَرَانِي مَقْبُوضًا
يُسْمَعُنِي فَإِنِّي غَيْرُ سَادِعِهِ . إِذَا عَلَوَتْ رِقَابُ الْقَوْمِ مَقْرُوضًا

الطرماح

وقال الطرماح بن حكيم :

١٥ فَيَارَبِّ لَا تَجْعَلْ وَفَاتِي إِنْ أَتَيْتُ . عَلَى شَرَجٍ يُعَلَى بِدُكْنِ الْمَطَارِفِ
وَلَكِنْ شَهِيدًا ثُلُوبًا فِي عَصَابَةٍ " . يُصَابُونَ فِي فِجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ
إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْ فَارَقُوا الْأَدَى . وَصَارُوا إِلَى مَوْعِدٍ مَا فِي الصَّحَائِفِ
فَأَقْتُلْ قُعْصًا ثُمَّ يُرَى بِأَعْظَمِي . مُفَرَّقَةً أَوْصَالَهَا فِي التَّنَائِفِ
وَيُصْنِجْ لَحْمِي بِطَرَفِ طَائِرٍ مَقِيلُهُ . بِجَوْ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاكِفِ

لابن الرِّيب

وقال مالك بن الرِّيب : يرى نفسه ويصف غيره - وكان خرج مع سعيد

٢٠ ابن عثمان بن عفان . لما ولي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن
يلبس خفه ، فإذا بأفعى في داخلها ، فلسعته ، فلما أحس بالموت استلقى على
قفاه . ثم أنشأ يقول :

دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبِي . بِذِي الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفْتُ وَرَائِي
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا سَوَابِقُ عَنَبَةٍ . تَقَنَّنْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِي

(١) في بعض الأصول : ولكن أجزى يومى شهيداً وعصبة .

أَلَمْ تَرَنِي بَعَثَ الصَّلَاحَةَ بِالْهَدْيِ • وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَازِيَا
 فَتُهُ دَرَى حِينَ أَتْرَكَ طَائِعًا • بَنِي بَاغِي الرِّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
 وَدَرُ الْكَبِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ كَلَاهُمَا • عَلَى شَفِيقٍ نَاصِحٍ قَدْ نَهَانِيَا
 وَدَرُ الطُّبَّاءِ السَّاحِحَاتِ عَشِيَّةً • يُخَبِّرُنِ أَنِي هَالِكٌ مِنْ أَمَامِيَا
 ٥ تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ رَحْلَتِي • سِفَارُكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتُ أَمْ مَالِكٍ • كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوَا نِعْمَتِكَ بَاكِيَا
 إِذَا مِتُّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّى • عَلَيْهِنَ أُسْقِينَ السَّحَابِ الْغَوَادِيَا
 تَرَى جَدًّا قَدْ جَزَتْ الرِّيحُ فَوْقَهُ • تُرَابًا كَسَحَقِ الْمَرْبَانِي هَايَا
 فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا الْمَوْتُ فَاحْفَرَا • رَايِيَّةً إِنِّي مُقِيمٌ لِبَالِيَا
 ١٠ وَخُطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي • وَرَدًّا عَلَى عَيْتِي فَضْلَ رِدَائِيَا
 وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا • مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرُضِ أَنْ تُوسِعَالِيَا
 خِذَانِي فَجُرَّانِي يَبْرُدِي إِلَيْكُمَا • فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
 تَفَقَّدْتُ مِنْ يَمَنِي عَلَى فَلَمْ أَجِدَ • سَوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدْنِيَّ بَاكِيَا
 وَأَدْهَمَ غَرْيِبٍ يَحْمُرُ لِحَامَهُ • إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرَكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
 ١٥ وَبِالرَّمْلِ لَوْ يَعْلُنَ عَلَيَّ نَشْوَةٌ • بِكَيْنٍ وَفَدَيْنَ الطَّيِّبِ الْمُدَاوِيَا
 عَجُوزِي وَأَخْتَايَ اللَّتَانِ أُصْبِنَا • بِمَوْتِي وَبَنَتْ لِي تَمْهِجَ الْبَوَاكِيَا
 لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ حُرَّاسَانُ هَامَتِي • لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي حُرَّاسَانُ نَائِيَا
 تَحْمَلُ أَصْحَابِي عِشَاءً وَغَادِرُوا • أَخَاثَقَةً فِي عَرَصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا
 يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَذْفُونَنِي • وَأَيْنَ مَكَانَ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

٢٠ وقال رجل من بني تغلب يقال له أفنون ، وهو لقبه ، واسمه ضريم بن معشر
 ابن ذهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب ، ولقي
 كاهنا في الجاهلية ، فقال له : إنك تموت بمكان يقال له إلهة . فكث ما شاء الله ،
 ثم سافر في ركب من قومه إلى الشام فأتوها ، ثم انصرفوا فاضلوا الطريق ،

لأفنون في بكاء
 فيه

فقالوا للرجل : كيف تأخذ؟ فقال : سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلهة - وإلهة قارة بالسماوة - فلما أتوها نزل أصحابه وأبى أن ينزل : فبينما ناقلته ترتعى وهو راكبها إذ أخذت بمشقر ناقلته حية ، فاحتكت الناقة بمشقرها فلدغت ساقه ، فقال لأخيه وكان معه ، واسمه معاوية : احضر لى فإني ميتٌ ثم تغنى قبل أن يموت يبيكى نفسه :

لست على شيء ، فبروحن معاويا • ولا المشفقات إذ تبغض الحوازبا
ولا خير فيما كذب المرء نفسه • وتقواله للشيء ياليت ذا ليا
وإن أعجبك الدهر حال من أمرى • فدعه وواكل حاله واللبالبا
يرحن عليه أو يُغيرن ما به • وإن لم يكن في خوفه العيث وانبا
فقطاً معرضاً إن العتوف كثيرة • وإنك لا تُبقي بنفسك باقيا
لعمرك ما يدري أمرؤ كيف يتقى • إذا هو لم يجعل له الله واقيا
كفى حزناً أن يرحل الركب غدوة • وأنزل في أعلى إلهة ناويا
قال : فمات فدفنوه بها .

هدية العذرى

وقال هدية العذرى لما أيقن بالموت :

ألا عللاني قبل نوح التوائح • وقبل اطلاع النفس بين الجوائح
وقبل غدي بالهف نفسي على غدي • إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي بفيض دموعهم • وغودرت في لحد على صفائح
يقولون هل أصلحتم لأخيكُم • وما الرمس في الأرض القواء بصلح

لمحمد بن بشير

وقال محمد بن بشير :

ويل لمن لم يرحم الله • ومن تكون النار مشواه
والويل لي من كل يوم أتى • يذكرك الموت وأنساه
كأنه قد قيل في مجلس • قد كنت آتبه وأغشاه :
صار البشيري إلى ربه • برحمتنا الله وإياه

ولما حضرت أبا العتاهية الوفاة ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، أوصى بأن يكتب على قبره هذه الآيات الأربعة :

لأن العتاهية في
آيات أوصى أن
تكتب على قبره

أُذِّنْ حَيٍّ تَسْمَعِي • أَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجِعِي • فَاحْذَرِي مِثْلَ مَضْجِعِي
عَشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً • ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجِعِي
لَيْسَ شَيْءٌ بِسِوَى الثَّقِيِّ • فَتَخَذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

وعارضه بعض الشعراء في هذه الآيات ، وأوصى بأن يكتب على قبره أيضا فكتبت وهي :

لبعض الشعراء
في معارضته

أَصْبَحَ الْقَبْرُ مَضْجِعِي • وَتَحَلَّى وَمَوْضِعِي
صَرَعْتِي الْخُتُوفُ فِي الْإِلَ • تُرْبٍ يَازُلُ مَضْجِعِي
أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِي • نَ الْإِلَهُمْ تَطْلُعِي
مَتَّ وَحْدِي فَلَمْ يَمِتْ • وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي

وُجِدَ عَلَى قَبْرِ جَارِبَةَ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ أَبِي نَوَاسٍ ثَلَاثَةُ آيَاتٍ ؛ فَقِيلَ لَهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ ، وَهِيَ :

آيات قيل إنها
لأبي نواس

أَقُولُ لِقَبْرِ زُرْتِهِ مُتَلَشِّمًا • سَقَى اللَّهُ بَرْدَ الْعَفْرِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ
لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ الثَّرَى قَمَرًا لَدَجِي • وَشَمَسَ الضُّحَى بَيْنَ الصَّفَاغِ وَالْعَفْرِ
عَجِبْتُ لَعَيْنٍ بَعْدَهَا مَلَّتِ الْبُكَ • وَقَلْبٍ عَلَيْهَا يَرْجِي رَاحَةَ الصَّبْرِ

الرياشي قال : وجدت تحت الفراش الذي مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب فيها هذه الآيات :

لأبي نواس

يَا رَبُّ إِنَّ عَظَمَتَ ذُنُوبِي كَرَّةً • فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوِكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ • فِيمَنْ يُلَوِّذُ وَبِئْسَ جِيرُ الْمَجْرُمِ
أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا • فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرِّجَاءُ • وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ

الحشنى قال : أخبرنا بعض أصحابنا عن كان يغشى مجلس الرياشى قال : رأيت
على قبر أبى هاشم الإيادى بواسط :

الموتُ أخرجنى من دار ملكنى * والموتُ أضرعنى من بعد تشريق
لله عبدُ رأى قبرى فأعبره * وخاف من دهره ريب التصاريف

الاصمعى قال : أخذ يدي يحيى بن خالد بن برمك فأوقفنى على قبر بالحيرة ،
فإذا عليه مكتوب :

إن بنى المنذر لما انقضوا * بحيث شاد البيعة الراهب
تذفع بالمسك محاريبهم * وعنبر يقطبه قاطب
والخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب
والقطن والكتان أثوابهم * لم يجلب الصوف لهم جالب
فأصبحوا قوتاً لدود الثرى * والدهر لا يبق له صاحب
كأنما حياتهم لعبة * سرى إلى بين بها راكب

وقال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال .

الشياني قال : وجد مكتوباً على بعض القبور :

ملّ الأجرة زورق فجفيت * وسكنت في دار البلى ففسيت
الحى يكذب لا صديق ليث * لو كان يصدق مات حين يموت
يامونساً سكن الثرى وبقيت * لو كنت أصدق إذ بليت بليت
أو كان يعنى للبكاء مفعج * من طول ما أبكى عليك عميت

وقال محمد بن عبد الله :

وعما قليل أن ترى باكياً لنا^(١) * سيضعك من يبكى ويغرض عن ذكرى
ترى صاحبي يبكى قليلاً لفرقتى * ويضعك من طول اللبالي على قبرى
ويحدث إخواناً وينسى مودتى * وتشغله الأحباب عنى وعن ذكرى

(١) في بعض الأصول : * عناء قليل إن بكى لي لباليا .

من رثى ولده

لمن قولى فى ولدى :

بَلَيْتَ عِظَامِي وَالْأَسَى يَتَجَدَّدُ • وَالصَّبْرُ يَنْفَدُ وَالْبَكَاءُ لَا يَنْفَدُ
يَا غَائِبًا لَا يُرْتَجَى لِإِيَابِهِ • وَلِقَائِهِ دُونَ الْقِيَامَةِ مُوَعَدُ
مَا كَانَ أَحْسَنَ مُلْحَدًا ضَمَّنْتُهُ • لَوْ كَانَ ضَمَّ أَبَاكَ ذَاكَ الْمُلْحَدُ
بِالْيَأْسِ أَسْلَوْ عَنْكَ لَا يَتَجَلَّدِي • هَيْهَاتَ أَيْنَ مِنَ الْحَزِينِ تَجَلَّدُ
وَمَنْ قَوْلِي فِيهِ أَيْضًا :

وَكَبِدًا قَدْ قُطِّعَتْ كَبِدِي • وَحَرَّقَتْهَا لَوَاعِيجِ الْكَمَدِ
مَامَاتِ حَتَّى لَمِيتَ أَسْفَا • أَعْنَدُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ جَاوَرِي جَدًّا • دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي يَدِي
وَنَوْرِي ظِلَّةَ الْقُبُورِ عَلَى • مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
مَنْ كَانَ خَلُوعًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ • وَطَيَّبَ الرُّوحَ طَاهِرَ الْجَسَدِ
يَا مَوْتَ، يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ • لَيْسَ بِرُؤْمِلَةٍ وَلَا تَكْكِيرِ
يَا مَوْتَ، لَوْ أَقْلَتِ عَثْرَتُهُ • يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتُهُ لَعَدِ
يَا مَوْتَ، لَوْ لَمْ تَكُنْ مُعَاجِلُهُ • لَكَانَ لَا شَكَّ يَهْضُمُهُ الْبَلَدُ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيْتُ فِي الْعِنَانِ لَهُ • حَازَ الْعُلَا وَأَحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْقَهُ • وَأَيُّ رُوحٍ سَلَبْتَ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ • وَأَيُّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِنْ عَضْدِ
يَا قَرَأَ أَجْعَفَ الْخُسُوفُ بِهِ • قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ فِي الْعَدَدِ
أَيُّ حَشَى لَمْ يَذْبُ لَهُ أَسْفَا • وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجْدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدَ • نُفِغْتَ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالْجَلْدَ
لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا • لَحَقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
بِالْوَعَةِ لَا يَزَالُ لَا يَجْهَى • يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبِدِي

وقلت فيه أيضاً :

قصد المنونُ له فسات فقيدا • ومضى على صرْفِ الخطوبِ حميدا
 بأبي وأمي هالِكَا أفردتُهُ • قد كان في كلِّ العلوم فريدا
 سودُ المقابرِ أصبحتَ بيضا به • وغدت له بيضُ الضمائرِ سودا
 لم نَزَرَهُ لما رُزينا وحده • وإن استقلَّ به المنونُ وحيدا
 لكن رُزينا القاسم بنُ محمدٍ • في فضله والأسود بنُ يزيدا
 وابنُ المبارك في الرقائقِ مُخيرا^(١) • وابنُ المسيَّب في الحديثِ سعيدا
 والأخفشين فصاحةً وبلاغةً • والأعشىين روايةً ونشيدا
 كان الوصيُّ إذا أُرذتُ وصيةً • والمستفاد إذا طلبتُ مُفيدا
 ولي حفيظاً في الأذمة حافِظاً • ومضى ودوداً في الوري مؤدودا
 ما كان مثلي في الرزية والدُّ • ظفرت يداه بمثلِه مولودا
 حتى إذا بذَّ السَّوابق في العلا • والعلمُ ضمنَّ شلوه مَلْعودا
 يا من يُفند في البكاء موهَّبا • ما كان يسمع في البكا تغنيدا
 نأبى القلوبُ المستكينَةُ للآسى • من أن تكون حجارةً وحديدا
 إن الذي باد السُّرورُ بموته • ما كان حُزنى بعده ليبيدا
 الآن لما أن حوَّيت مآثراً • أغيت عدواً في الوري وحسودا
 ورأيت فيك من الصَّلاحِ شماتلاً • ومن السَّماجِ دلائلاً وشهودا
 أبكى عليك إذا الحمامة طرَّبت • وجه الصَّباحِ وغرَّدت تغريدا
 لولا الحياءُ وأن أزنُّ بيدعةً • مما يُعدُّه الوري تغديدا
 لجعلت يومك في المنامح مأتماً • وجعلت يومك في الموالد عيدا
 وقلت فيه أيضاً :

لا يئيت يُسكن إلا فارق السُّكنا • ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزنا

(١) في بعض الأصول : • معمرا • .

لُفَى عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ • لَوْ كَانَ حَيًّا لَأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَ
وَأَهَا عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ مُرَدَّدَةً • لَوْ سَكَنْتَ وَلَهَاءَ أَوْ فَتَرْتَ نَجْنَا
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْزَنَّا • وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنَّا
يَا سَيِّدِي وَمِرَاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي • هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مَنَكَ دَنَا
• حَتَّى يَعُودَ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ • لَعَنُوكَ وَيْلِسْنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنَّا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحَا ضَمُّهُ بَدَنَ • أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَ
لَوْ كُنتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً • مِنْهُ لَمَّا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
وَقَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذْلُ ، وَكَانَ لَهُ أَوْلَادٌ سَبْعَةٌ فَمَاتُوا كُلُّهُمْ إِلَّا طِفْلًا ،

لأبي ذؤيب في
رثاء بنيه

فقال يرثيهم :

- ١٠ أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَيْبِهِ تَوَجَّعُ • وَالْدَهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَحْزَعُ
قَالَتْ أُمَامَةُ مَا لِحَيْسِمِكَ شَاحِبًا • مُنْذُ ابْتَدَلْتَ وَمِثْلُ مَا لَكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِحَيْسِمِكَ لَا يُبَلِّغُنِي مَضْجَعًا • إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَأَجَبْتُهُمَا أَنَّ مَا لِحَيْسِمِي إِنَّهُ • أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي حُسْرَةً • بَعْدَ الرُّقَادِ وَعِبْرَةٍ مَا تُقْلَعُ
سَبَقُوا هَوًى وَأَعْتَقُوا لِهَوَاهُمْ • فَتُخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ
١٥ فَبَقِيَ بَعْدَهُمْ بَيْتٌ نَاصِبٌ • وَإِخَالُ أَنِّي لَأَحِقُّ مُسْتَبِيعُ
وَلَقَدْ حَرَضْتُ بَأَن أَدَافِعَ عَنْهُمْ • وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا • أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تُنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا • سُمِلَتْ بِشَوْكِ فَهِيَ عَوْرًا تَدْمَعُ
حَتَّى كَأَنَّ لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةً • بِصَفَا الْمُنْشَرَّقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقَرَّعُ
٢٠ وَتَجَلْدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْبَهُمُ • أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّ

وله في طوله وقال في الطفل الذي بقى له :

والنفس رَاغِبَةٌ إِذَا وَغِبَتْهَا • وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وقال الأصمعي : هذا أبدع بيت قاله العرب .

لأعرابي في
رثاء بنيه

وقال أعرابي يرى بنه :

أُسْكَنَ بطن الأرض لو يُقْبَلُ الفِدَا * فدينا وأعطينا بكم ساكني الظَّهْرِ
فيا لَيْتَ مَنْ فيها عليها وليتَ مَنْ * عليها ثوى فيها مُقِيمًا إلى الحُشْرِ
وقاسمتني دهرى بِنَى بشطره * فلما تقضى شطره مال في شطرى
فصاروا دُيُونًا لِلْعُنَايا ولم يكن * عليهم لها دينٌ قَضَوْهُ على عُسْرِ
كأنهم لم يعرفِ الموتَ غيرُهم * فشكلُ على تُكَلِّ وقبرٌ إلى قبرٍ
وقد كنتُ حَى الخوفِ قبل وفاتهم * فلما توفوا مات خوفي من الدهرِ
فله ما أعطى الله ما حوى * وليس لِإِيَّامِ الرِّزْيَةِ كَالْصَّبْرِ

لأعرابية في رثاء
ابنها

وقيل لأعرابية مات ابنها . ما أحسنَ عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه آمنى كل
فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده ! ثم أنشأت تقول :

مَنْ شاءَ بعدك فليمت * فعليك كنتُ أحاذِرُ
كنتُ السَّوادَ لناظِرِ * فعمى عليك الناظِرُ
ليت المنازلَ والدِّيارَ * رَحَفَاتُ ومقابرُ
إني وغيرى لا تحا * له حيثُ صِرتَ لصائرُ

الحسن بن هاني

أخذ الحسن بن هاني معنى هذا البيت الأول ، فقال في الأميز :

طوى الموتُ ما بيني وبينُ حمدي * وليس لِمَا نطوى النيةَ ناسِرُ
وكنتُ عليه أحذرُ الموتَ وحده * فلم يبقَ لي شيءٌ عليه أحاذِرُ
لئن عمرتُ دورًا بمن لا أحبه * لقد عمرتُ بمن أحبُّ المقابرُ

لابن الأهم يرى
ابنائه

وقال عبد الله بن الأهم يرى ابنًا له :

دعوتُك يا بُنَى فلم تُجِبني * فردتَ دعوتي بأَسأَ عليًا .
يموتُك ماتتِ اللَّذاتُ مِنى * وكانت حيةً مادمتُ حيًا
فيا أسفا عليك وطولَ شوقى * إليك لو أنَّ ذلك رَدَّ شيئًا

وأصيب أبو العتاهية بآبن له فلما دفعه وقف على قبره وقال :

لأجر السامعي
في دناء إرثه

كني حُزناً يَدْفك ثم إني هـ نفضت تُرابَ قبرك من يديا

وكتَ وفي حياتك لي عِظَات هـ فأنت اليومَ أوعظُ منك حياً

ومات آبنٌ لأعرابيٍّ فاشتدَّ حزنه عليه ، وكان الأعرابيُّ يَكْنى به ، فقيل له :

لأعرابيٍّ في دناء
آبن له

لو صبرت لكان أعظمَ لثوابك ! فقال :

بأبي وأُمِّي مَن عِبَاتُ حَنَوطُهُ هـ يَبْدَى وفارقتي بماءٍ شباهِ

كَيْفَ السُّلُوْ وكَيْفَ أنسى ذِكْرَهُ هـ وإذا دُعِيتُ فإِنما أَدْعَى بِهِ

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً إلى بقيع الغرقد ، فإذا أعرابي بين

عمر بن الخطاب
وأعرابي قد
أسأله

يديه ، فقال : يا أعرابي ، ما أدخلك دار الحق ؟ قال : وديعة لي ها هنا منذ ثلاث

سنين . قال : وما وديعتك ؟ قال : آبن لي حين ترعرع فقدته فأنا أندبه ! قال

عمر : أسمعني ما قلت فيه . فقال :

يا غائباً ما يتوبُ من سَفَرَةٍ هـ عاجلهُ موتهُ على صِغَرِهِ

يا قَرَّةَ العينِ كَتَ لي سَكناً هـ في طولِ ليلي نَعَمُ وفي قِصَرِهِ

شَرِبْتُ كُشاً أبوك شارِبها هـ لا بُدَّ يوماً له على كِبَرِهِ

أشْرِبها والأَنامُ كُلُّهُمُ هـ مَن كان في بَدْوِهِ وفي حَضَرِهِ

فالحَمْدُ لله لا شريك له هـ الموتُ في حُكْمِهِ وفي قَدَرِهِ

قد قَسَمَ الموتُ في الأَمانِ فما هـ بِقَدِيرُ خَلْقٍ يَزِيدُ في عُمرِهِ

قال عمر : صدقت يا أعرابي ، غير أن الله خيرٌ لك منه !

الشياني قال : لما مات جعفر بن أبي جعفر المَبْصُور ، أَشتدَّ عليه حزنه .

للمبصور وشعر
لطبع حين مات
ولده

فلما فرغ من دفنه التفت إلى الربيع فقال : يا ربيع ، كيف قال مُطِيعُ بنِ إِيَّاسِ

في يحيى بن زياد ؟ فأنشد :

يا هَلْ دَواءُ " لَقَلبي القَرَجُ هـ وللدُّمُوعِ الذُّواري السَّفَجُ

(١) في بعض الأصول : يا هَلْ بَكَرُ

راحوا يَبْخِي ولو تطاوعنى الـ • بأقدارُ لم تبتكر ولم يَرْجُ
يا خير من يَحْسُنُ البكاء به الـ • يومَ ومن كان أَمَسَ لِلْمَدَحِ
قد ظفر الحزنُ بالسُّرور وقد • أَلَمَ مَكْرُوهُهُ مِنَ الفرجِ

لأعرابية تندب
ابنها

وقالت أعرابية تندب ابنا لها :

أُبْنَى غَيْبِكَ الْمَحَالُ الْمُلْحَدُ • إِمَّا بَعُدْتَ فَأَيْنَ مِنْ لَا يَبْعُدُ
أنت الذى فى كلِّ مُمَسَى لَيْلَةٍ • تَبْلَى وَحُزْنِكَ فى الْحُمَا يَتَجَدَّدُ

وقالت فيه :

لَئِنْ كُنْتُ لِيْ لَهْوًا أَمِينٍ وَقِرَةً • لَقَدْ صِرْتُ سَقَمًا لِلْقُلُوبِ الصَّحَائِحِ
وَهَوْنٌ حُزْنِي أَنْ يَوْمَكَ مُدْرِكِي • وَأَنْى غَدًا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الضَّرَائِحِ

لأبي الخطار فى
رثا ابنه

وقال أبو الخطار يرثى ابنه الخطار :

أَلَا خَبَرَانِي بَارَكَ اللهُ فِيكَ • مَتَى الْعَهْدُ بِالْخَطَارِ يَا فَتْيَانِ
فَتَى لَا يَرَى نَوْمَ الْعِشَاءِ غَنِيمَةً • وَلَا يَنْتَنِي مِنْ صَوْلَةِ الْحَدَثَانِ

لجربير يرثى ولده
سواده

وقال جربير يرثى ولده سواده :

قَالُوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرِ قُلْتُ لَهُمْ • كَيْفَ الْعِزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي
ذَاكُمْ سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقْلَتِي لَحْمٍ • بَارِ يُصْرُصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي
فَارَقْتُهُ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصِيرِي • وَحِينَ صِرْتُ كَعِظَمِ الرَّمَّةِ الْبَالِي

لأبي الشغب فى ابنه

وقال أبو الشغب يرثى ابنه شغبا :

قَدْ كَانَ شَغْبٌ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ • عِزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضَرٌّ
لَيْتَ الْجِبَالِ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ • دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجَرٌ
فَارَقْتُ شَغْبًا وَقَدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرِهِ • بِئْسَ الْخَلِيطَانِ طَوْلُ الْحُزَنِ وَالْكَبَرِ

لأبن عبد الأعلى
فى رثاء أيوب
ابن سليمان

ولما توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك فى حياة سليمان ، وكان وليَّ عهده

وأكبرَ ولده : رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصته ، فقال فيه :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِنَدَى الشَّهَادَةِ إِذْ رَأَيْ • جَزَعِي وَمَنْ يَذُقُ الْحَوَادِثَ يَجْزَعُ

أُبَشِّرُ قَدَّ قَرَعَ الْحَوَادِثُ مَرَوْتِي * وَأَفْرَحُ بِمَرَوْتِكَ الَّتِي لَمْ تُفْرَجْ
 إِنْ عِشْتَ تُفَجِّعُ بِالْأَجْبَةِ كُلَّهُمْ * أَوْ يُفَجِّعُوا بِكَ إِنْ بِهِمْ لَمْ تُفَجِّعْ
 أَيُّوبُ أَمِنْ يَشْمَتُ بِمَوْتِكَ لَمْ يُطَقْ * عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا وَهَلْ مِنْ مَدْفَعٍ ؟
 الأصمعي عن رجل من الأعراب قال : كنا عشرة إخوة ، وكان لنا أخ يقال له

لأب في رثاء ابنه

حسن : فَنُفِئَ إِلَى أَيْبِنَا ، فَبَقِيَ سَنَتَيْنِ يَسْكِي عَلَيْهِ حَتَّى كَفَّ بَصْرَهُ ؛ وَقَالَ فِيهِ :

أَفْلَحْتُ إِنْ كَانَ لَمْ يَمُتْ حَسَنُ * وَكَفَّ عَنِ الْبَكَاءِ وَالْحَزَنُ
 بَلْ أَكْذَبَ اللَّهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا * لَيْسَ لَتَكْذِيبِ قَوْلِهِ ثَمْنُ
 أَجُولٍ فِي الدَّارِ لَا أُرَاكَ فِي الدَّارِ أَنَاشُ جَوَارِهِمْ غَابِنُ
 بَدَلْتُهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنَّهُمْ * كَانُوا وَيَنِي وَبَيْنَهُمْ مُدُنُ
 قَدْ عَلِمُوا عِنْدَ مَا أَنَا فَرُهُمْ * مَا فِي قَتَالِي صَدْعٌ وَلَا أَبْنُ
 قَدْ جَسَرُونِي فَمَا أَلَاؤُهُمْ * مَا زَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِحْنُ
 فَقَدِ بَرَى الْجِسْمَ مُذُنُفِعَتَ لَنَا * كَمَا بَرَى فِرْعَ تَبْعَهُ سَفْنُ
 فَإِنْ تَعِشْ فَالْمَتَى حَيَاتُكَ وَالسُّخْلُذُ وَأَنْتَ الْحَدِيثُ وَالْوَسْنُ
 إِنْ تَحْيَ تَحْيَا بِخَيْرِ عَيْشٍ وَإِنْ * تَمُتْ فَتَكُ السَّبِيلُ وَالسَّنْ
 بَرِيدُكَ الْحَمْدُ وَالسَّلَامُ مَعًا * فَكُلُّ حَيٍّ بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ
 يَا وَجْهِ نَفْسِي إِنْ كَسَتْ فِي جَدَثٍ * دَوْنَكَ فِيهِ التَّرَابُ وَالْكَفَنُ
 عَلَى اللَّهِ إِنْ لَقِيتُكَ مِنْ * قَبْلِ الْمَمَاتِ الصَّبَامُ وَالْبُدُنُ
 أَسْوَفُهَا حَافِيًا مُجَلَّلَةً * أَذْمًا هِجَانًا قَدْ كَظَّهَا السَّمَنُ
 فَلَا تُبَالِي إِذَا بَقِيتَ لَنَا * مِنْ مَاتَ أَوْ مِنْ لَمُودَى بِهِ الزَّمَنُ
 كُنْتَ خَلِيلِي وَكُنْتَ خَالِصَتِي * لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنُ
 لِأَخِيرَ لِي فِي الْحَيَاةِ بَعْدَكَ إِنْ * أَصْبَحْتَ تَحْتَ التَّرَابِ يَا حَسَنُ

٢٠

وقال أعرابي يرثي ابنه :

لأعرابي في
 رثاء ابنه

وَمَا دَعَوْتُ الصَّبَرَ بَعْدَكَ وَالْأَسَى * أَجَابَ الْأَسَى طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبَرَ

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه • سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر
وقال أعرابي يرثى ابنه :

بني لئن ضللت جفون^(١) بماتها • لقد قرحت مني عليك جفون^(٢)
دفنت بكفى بعض نفسى فأصبحت • وللنفس منها دافن ودفن

لابن عبد ربه
في طفل له

• وهذا نظير قولي في طفل أصبت به :

على مثلها من فجعة خالك الصبر • فراق حبيب دون أو يته الحشر
ولي كبد مشطورة في يد الأسي • فتحت الثرى شطراً وفوق الثرى شطراً
يقولون لي صبر فؤادك بعده • فقلت لهم مالى فؤاد ولا صبر
فريح من الحر الحواصل ما اكتسى • من الريش حتى ضمه الموت والقبر
إذا قلت أسلو عنه هاجت بلايل • يحدها فكر يحده ذكر
وأنظر حولي لا أرى غير قبره • كأن جميع الأرض عندي له قبر
أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتي • وليس سوى قبر الضريح لها وكر

١٠

لأعرابية في
ولدها

وقالت أعرابية ترثى ولدها :

يا قرحة القلب والأحشاء والكبد • ياليت أمك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت في كفني • مطيياً للنسايا آخر الأبد
أيقنت بعدك أنى غير باقية • وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

١٥

لأعرابي في
ابن له

توفي ابن لأعرابي فبكى عليه حيناً ، فلما هم أن يسلو عنه توفي له ابن آخر ،

فقال في ذلك :

إن أفرق من حزني هاج^(١) حزن • فقوادى ماله اليوم سكن
وكما تبلى وجوه في الثرى^(٢) • فكذا ينلى عليهن الحزن

٢٠

(١) في بعض الأصول : وجاء ، .

(٢) في بعض الأصول : البلى ، .

وقال في ذلك :

عيون قد بكينك موجهات • أضر بها البكاء وما ينينا
إذا أنقذن دمعاً بعد دمع • يُراجعن الشنون فيستقينا
أبو عبيد البجلي قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر ، فقالت :
أقمت أبكيه على قبره • من لي من بعدك يا عامر
تركني في الدار لي وحشة^(١) • قد ذل من ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا • إذا نزلت بي خطه لا أشاؤها
إذا نحن أبناءنا سالمين بأنفس • كرام رجت أمراً غاب رجالؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها • تثوب ويبقى ماؤها وحياؤها
ولا ير إلا دون ما بر عامر • ولكن نفساً لا يدوم بقاؤها
هو أنبي أسى أجره لي وعزتي • على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحسب أو جز وإن أبكى أكن : كباكية لم يُنحي ميناً بكائها

الشياني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام :
فهلكوا جميعاً في الطاعون ؛ وكانت بكرأ^(٢) لم تزوج ؛ فخطبها ابن عم له فزوجها .
فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته ، فنبت نباتاً كأنما يمد بناصيته وبلغ ،
فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء أنهأه أجله ، فلم تشق لها
جيباً ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبت عليه
ساعة ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المصرة لا تدوم • ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدّثان غفر • بشاهقة له أم روم

(١) في بعض الأصول : ذا وحشة .

(٢) في بعض الأصول : بنتا .

ثم أكت عليه أخرى ، فلم تقطع نجيبها حتى فاضت نفسها ، فدفنا جميعا .

لشيبانية في
حزنها على أهلها

خليفة بن خياط قال : ما رأيت أشد كدًا من امرأة من بنى شيان ، قُتل
ابنها وأبوها وزوجها وأُمها وعمتها وخالتها مع الضحك الحرورى : فما رأيتها قط
صاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيم :

مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّهَ الْحَزْنَ * وَلَنْفَسٍ مَالَهَا سَكُنُ

٥

ظَنَّ الْأَبْرَارُ فَاثْقَلُوا * خَيْرُهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ ظَنَعُوا

مَعْشَرٌ قَضَوْا نُحُوبَهُمْ * كُلُّ مَا قَدْ قَدَّمُوا حَسَنَ

صَبَرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ فَلَمْ * يَنْكَلُوا عَنْهَا وَلَا جُنُوا

فَتَيْلَةً بَاعُوا نَفُوسَهُمْ * لَا ، وَرَبَّ الْبَيْتِ مَا غُنُوا

فَأَصَابَ الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا * مِنْهُ مَا بَعْدَهَا مَنْ

١٠

وقال عبد الله بن ثعلبة يرثى ولدا له :

أَخْضَبُ رَأْسِي أَمْ أَطْيَبُ مَفْرِقِي * وَرَأْسُكَ مَرْمُوسٌ وَأَنْتَ سَلِيبُ

نَسِيكَ مَنْ أَمَسَى يُنَاجِيكَ طَرَفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبُ

غَرِيبٌ وَأَطْرَافُ الْبُيُوتِ تُكْنُهُ * أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ غَرِيبُ

لابن ثعلبة في
ولده

قال العتيبي محمد بن عبيد الله يرثى ابنا له :

أَخْضَتْ بِخَدِّي لِلْدَمُوعِ رُسُومُ * أَسْفَاً عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كُؤُومُ

وَالصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا * إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

للعتيبي في مثله

١٥

لأب في رثاء
ابنه

خرج أعرابي هارباً من الطاعون ، فينما هو سائر إذ لدغته أفعى فأت :
فقال أبوه يرثيه :

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً * مِنْ هَلَاكِ فَهَلَكُ

٢٠

وَالْمَنَايَا رَصَدَ * لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ

لَيْتَ شَعْرِي ضَلَّةً * أَيْ شَيْءٍ فَتَلَكَ

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ * حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ

لأبي العتاهية
في رثاء الأمين

لما قتل عبد الله المأمون أخاه محمد بن زبيدة ، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر
إلى أبي العتاهية يقول أياتا على لسانها للمأمون ، فقال :

أَلَا إِنَّ رَبَّ الدَّهْرِ يُدْنِي وَيُعِيدُ • وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تُنْذَمُ وَتُحْمَدُ
أَقُولُ لِرَبِّ الدَّهْرِ إِنَّ ذَهَبَ يَدٌ • فَقَدْ بَقِيَ وَالْحَدَّ اللَّهُ لِي يَدٌ
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَارْشِدٌ لِي • وَلِي جَعْفَرٌ ، لَمْ يَهْلِكْ ، وَمُحَمَّدٌ

وَكَبْتُ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ :

لَخَيْرِ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ مَعْشَرٍ • وَأَكْرَمِ بَسَائِمٍ عَلَى عَوْدِ مَنْتَبِرٍ
كَتَبْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ دُمُوعَهَا • إِلَيْكَ ابْنُ بَعْلَى مِنْ دُمُوعِي ^(١) وَتَحْجَرِي
فَجَعْنَا بِأَدْنَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً • وَمَنْ زَلَّ عَنْ كَيْدِي فَقَلَّ تَصَبُّرِي
أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهَرَ اللَّهُ طَاهِرًا • وَمَا طَاهِرٌ فِي نَفْسِهِ بِمُطَهَّرٍ
فَأَبْرَزَنِي مَكْشُوقَةً الْوَجْهَ حَاسِرًا • وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَخَرَّبَ أَدُورِي
وَعَزَّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ • وَمَا نَأْتِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورِ

فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحياء جزيل ، وكتب إليها يسألها القدوم
عليه ، فلم تأت في ذلك الوقت وقبلت منه ما توجه به إليها ؛ فلما صارت إليه بعد
ذلك قال لها : مَنْ قَاتِلُ الْآيَاتِ ؟ قالت : أبو العتاهية . قال : وكم أمرت له ؟
قالت : عشرين ألف درهم . قال المأمون : وقد أمرنا له بمثل ذلك . واعتذر إليها
من قتل أخيه محمد ، وقال لها : لست صاحبه ولا قاتله . فقالت : يا أمير المؤمنين ،
إن لكما يوما تجتمعان فيه ، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله .

أبو شأس يرى ابنه شأسا :

لأبي شأس في
رثاء ابنه

وَرَبِّيتُ شَاسًا لَرَبِّ الزَّمَانِ • فَتَنَّهُ تَرْيِيقِي وَالنَّصَبُ

فَلَيْتَكَ يَا شَاسُ فِيمَنْ بَقِيَ • وَكُنْتُ مَكَانَكَ فِيمَنْ ذَهَبَ ١

من رثى إخوته

الرياشي قال : صلى مُتَمِّم بن نُؤيرة الصبح مع أبي بكر الصديق رضى الله عنهم بن نُؤيرة
تعالى عنه ، ثم أنشد :

نعم القَتِيلُ إذا الرِّياحُ تَنَاحَتْ • بين^(١) البيوت قَتَلْتُ يابْنَ الأَزَوَرِ
أَدْعُوهُ بالله ثم قَتَلْتَهُ • لو هو دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ
لَا يُضْمِرُ الفَحْشاءَ تحت رِداءِهِ • حُلُوْ شَمَائِلُهُ عَفِيفُ المِثْرِ
قال : ثم بكى حتى سالت عينه العوراء . قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتله .
وقال متمم :

وَمُسْتَضْحَكٍ مَنى ادْعَى كَمَصِيئَتِي • وليس أخو الشجنو الحزينُ بضاحكٍ
يَقُولُ أَتَبْكِي مَنْ قَبُورِ رَأْيَها • لَقَبْرِ بِأَطْرَافِ اللَّوى فَاذا كَاذَكَ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى^(٢) • فدَعْنِي فَهَـذِي كُلُّها قَبْرُ مالِكَ
وقال متمم يرثى أخاه مالكا ، وهى التى تسمى أم المرائى :

لَعَمْرى وما دهرى بتأبين هَالِكٍ^(٣) • ولا جَزَعٍ عَمَّا أَلَمَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ غَيَّبَ المُنْهَالُ تحت رِداءِهِ • فَنَتَّى غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
وَلَا بَرَمًا تُهْدِي النِّساءَ لِعِرْسِهِ • إذا القَشْعُ من برد الشتاءِ تَقَهَّقَا
تَرَاهُ كَمِصْلِ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى • إذا لم تَحْدِ عندَ أمرئِ الشَّوْءِ مَطْمَعَا
فَعَبَتِ هَلَا تَبْكِيانِ لِمَالِكٍ • إذا هَزَّتِ الرِّيحُ الكَثِيفَ المَرْفَعَا^(٤)
وَأَرْمَلَةٌ تَدْعُو بِأَشْعَثِ مُخَشِّلٍ • كَفَرْنِجُ الحُبَارَى رِيشُهُ قد تَمَزَّعا
وما كانَ وَقَافًا إذا الحَيْلُ أَحْجَمَتْ • ولا طَالِبًا من خَشْبَةِ المَوْتِ مَفْزَعَا

(١) فى بعض الأصول : • تحت • .

(٢) فى بعض الأصول : • يبعث البكا • .

(٣) فى بعض الأصول : • مالِك • .

(٤) فى بعض الأصول : • الكَثِيبُ المَمَزَّعا • .

ولا بكهام سيفه عن عدوه • إذا هو لاقى حاسراً أو مقنعاً
 أبى الصبر آيات أراها وإننى • أرى كل حبل بعد حبلك أقطعاً
 وإنى متى ما أذع باسمك لم تجب • وكنت حريّاً أن تجيب وتُسَمِّعاً
 تحبته منى وإن كان نائماً • وأمسى تراباً فوقه الأرض بَلَقْعاً
 فإن تبكى الأيام فرّقن بيننا • فقد بان محموداً أخى حين ودّعا
 وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا • أصاب المنيابار هط كسرى وتُبعا
 وكما كنّ دمانى جذيمة حِقْبَةً • من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
 فلما تفرّقنا كأتى وما لكنا • لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
 فما شارف حنّت حيناً ورجعت • أنيناً فأبكى شجرها البرك أجمعا
 ولا وجد^(١) أظأر ثلاث رواهم • رأين تجراً من حواري ومصرعا
 بأوجد منى يوم قام بمالك • منادٍ فصيح بالفراق فأنشعا
 سقى الله أرضاً حلها قبر مالك • ذهاب الغواذى المذجات فأمرعا

قيل لعمر بن بحر الجاحظ : إن الأصمعى كان يسمى هذا الشعر أم المراتى .

فقال : لم يسمع الأصمعى :

أى القلوب عليكم ليس ينصدع • وأى نوم^(٢) عليكم ليس يمتنع^{١٥}
 وقال الأصمعى : لم يبتدى أحدٌ بمرثية بأحسن من ابتداء أوس بن حجر :
 أيتها النفس أنجلى جزعا • إن الذى تحذرين قد وقعا
 وبعدها قول زميل :

أجارتنا من يجمع يفرق • ومن يك رهناً للحوادث يغاق

قال ابن إسحاق ص - المغازى : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الصفراء - وقال ابن هشام : الأثيل - أمر علي بن أبي طالب بضرب عنق النضر

وتاء اخت
 النضر له

(١) فى بعض الأصول • ولا ذات • .

(٢) فى بعض الأصول • يوم • .

ابن الحارث بن كَلْدَة بن علقمة بن عبد مناف صبراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت أخته قتيبة بنت الحارث ترثيه :

يا راسكبا إن الاثيلَ مَظِنَّةٌ * من صبحِ خامسةٍ وأنتَ مَوْفَّقُ
أبلغُ بها ميثاً بأنَّ تحيةً * ما إنْ تَزَالَ بها النجائبُ تخفِقُ
مِنِّي إليك وعبرةٌ مسفوحةٌ * جادت بواكِفِها وأخرى تخنُقُ
هل يَسمَعُنِي النضرُ إنْ نادَيْتُهُ * أم كيف يَسمَعُ ميت لا يَنطِقُ
أُحَمَّدُ يا خيرَ ضِرْنٍ وكرامةٍ * من قومِهِ والفعلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كانَ ضَرَكٌ لو منكَ وربما * مَنّ الفتي وهو المَخِيطُ المُحَنَّقُ
فالنضرُ أَقْرَبُ مَنِ اسْرَتَ قَرَابَةً * وأحقُّهم إنْ كانَ عِتْقاً يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سيوفُ بني أبيه تَنوُّشُهُ * لَهِىَ أرحامُ هَناكَ تشقُّ
صبراً يُقَادُ إلى المنيّةِ مُتَعَباً * رَسَفَ المقيّدُ وهو عانٍ مُوْتَقُ

٥

١٠

قال ابن هشام : قال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشعر : لو بلغني قبل قتله ما قتلته .

الأصمعي قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب في وجهها ، فقال : ما هذه الندوب يا خنساء ؟ قالت : من طول البكاء على أخوتي أ قال لها : أخواك في النار أ قالت : ذلك أطول لحزني عليهما ؛ إني كنت أشتق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار ، وأنشدت :

١٥

وقائلةٍ والنعمشُ قد فاتَ خَطُوطُها * لَتُدْرِكُهُ يا لَهْفَ نفسى على صَخِرِ
ألا تَكَلَّتْ أُمُّ الذين غَدَوْا به * إلى القبرِ ماذا يَحْمِلونَ إلى القبرِ

دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعليها صِدار من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته أ قالت : إنَّ له معنًى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيدَ قومهِ ، وكان رجلاً متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفده ،

٢٠

عمر بن الخطاب
والخنساء في
أخوتها

عائشة والخنساء
في صدار كانت
تلبسه

ثم رجع في مالي فأنفذه أيضاً ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال لي : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ! قالت : فرحنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين وخيرنا في أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ؟ فقال :

وَاللّٰهُ لَا أَمْنُهَا شِرَارَهَا • فَلَوْ هَلَكْتُ قَدَدْتُ خِمَارَهَا

وَاتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا • وَهِيَ حَصَانٌ قَدْ كَفَّتِي عَارَهَا

فَالَيْتَ أَلَّا يَفَارِقَ الصِّدَارُ جَسَدِي مَا بَقِيَ .

١٠ قيل للخنساء : صيني لنا أخويك صخرًا ومعاوية . فقالت : كان صخر والله جنة الزمان الأغبر ، وذعاف الخيس الأحمر . وكان والله معاوية القاتل والفاعل . قيل لها : فأيهما كان أسنى وأغبر ، قالت : أما صخر فخر الشتاء ، وأما معاوية فبرد الهواء . قيل لها : فأيهما أوجع وأجفع . قالت : أما صخر فحمر الكبد ، وأما معاوية فسقام الجسد ! وأنشأت :

الخنساء في
أخويها

١٥ أَسْدَانٌ مُّحْمَرًّا الْمُخَالِبِ نَجْدَةً • بَحْرَانِ فِي الزَّمَنِ الْغُضُوبِ الْأَمْرِ

قِرَانِ فِي النَّادَى ، رَفِيعًا مُّحْتَدٍ • فِي الْمَجْدِ فِرْعَا سُودِدٍ مُّتَخَيِّرٍ

وقالت الخنساء ترى أباها صخر بن الشريد :

أَقْدَى بَعِيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ • أُمُّ أَفْقَرَتْ^(١) إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

كَأَنَّ دَمْعِي لَذِكْرَاهُ^(٢) إِذَا خَطَرْتُ • فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مَذَرَارُ

٢٠ فَالْعَيْنُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا • وَدَوْنَهُ مِنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ أَسْتَارُ

بُكَاءُ وَالْمَهْ صَلَّتْ أَلْفَمَهَا • لَهَا خَنِينَانِ إِصْغَارُ وَإِكْبَارُ

(١) في بعض الأصول : ذرفت . .

(٢) في بعض الأصول : من ذكرى . .

تَرعى إِذَا نَسِيتُ^(١) حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتُ * فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِذْبَارُ
وَأَنَّ صَخْرًا لَنَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ * كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
حَامِي الْحَقِيقَةِ ، مَحْمُودُ الْخَلِيقَةِ ، مَهْدَى الطَّرِيقَةِ ، نَفَاعٌ وَضَرَارُ
وَقَالَتْ أَيْضًا :

٥
أَلَا مَا لِعَيْنِي ، أَلَا مَا لَهَا * لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ مِرْبَاهَهَا
أَمِنْ بَعْدِ صَخْرٍ مَنِ آلِ الشَّرِيبِ دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا
فَأَلَيْتُ آتَى عَلَى هَالِكٍ * وَأَسْأَلُ بِأَكْبَةِ مَا لَهَا
وَقَمْتُ بِنَفْسِي كُلِّ الْهَمُومِ * فَأَوَّلَى لِنَفْسِي أَوَّلَى لَهَا
سَأَحْلُ نَفْسِي عَلَى خُطَّةٍ^(٢) * فَأَمَّا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا لَهَا
١٠ وَقَالَتْ أَيْضًا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا * أَلَا تَبْكِيَانِ لَصُخْرِ الذِّدَى ؟
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءِ الْجَوَادِ * أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا ؟
طَوِيلَ النَّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَا * د ، سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
يُحْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ * وَإِنْ كَانَ أَصْغَرُهُمْ مَوْلِدَا
١٥ جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ * يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنَّ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أَيْضًا :

فَمَا أَدْرَكْتَ كَمْ أَمْرٍ مُتَنَاوِلٍ * مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نِلْتَ أَطْوَلُ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ لِلدَّجِ غَايَةً * وَلَا جَهْدُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
وَمَا الْغَيْثُ فِي جَعْدِ الثَّرَى دَمَتْ الرُّبَا * تَبَعَّقَ فِيهَا الْوَابِلُ الْمُتَهَلِّلُ
٢٠ فَأَفْضَلَ سَيِّبًا مِنْ يَدَيْكَ وَنِعْمَةً * تَجُودُ بِهَا ، بَلْ سَيِّبُ كَفَيْكَ أَجُولُ
مِنَ الْقَوْمِ مَغْشَى الرُّوَاقِ كَأَنَّهُ * إِذَا سِيمَ ضَيْبًا خَادِرٌ مُتَبَسِّلُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : * تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : * لِأَحْلُ نَفْسِي عَلَى حَالَةٍ .

تَرْنَبْتُ أَطْرَافَ الْبَنَانِ ضَبَارِمَ • لَهُ فِي عَرِينِ الْفَيْلِ عَرِشٌ وَأَشْهَلُ

لأخت الوليد ابن
طريف في رثائه

وَقَالَتْ أخت الوليد بن طريف تَرَى أَخَاهَا الْوَلِيدَ بْنَ طَرِيفَ :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا • كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
فَقَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ النَّقَى • وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنًا وَسَيُوفِ
وَلَا الذُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ صَالِدِمَ • وَكُلَّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ حَلِيفِ
فَقَدْنَاهُ فَقَدَانِ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا • فَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا • وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي • أَرَى الْمَوْتَ وَقَفَا بِكُلِّ مَرَّيْفِ

وَقَالَ آخِرُ يَرَى أَخَاهُ :
لآخر في رثائه
أخيه

أَخْ طَالَمَا مَرِنِي ذَكَرُهُ • فَقَدْ صَرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ • فَقَدْ صَرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
وَكُنْتُ أُرَانِي غَنِيًّا بِهِ • عَنْ النَّاسِ لَوْ مُدَّ فِي عُمرِهِ
وَكُنْتُ إِذَا جَنَّتْهُ زَائِرًا • فَأَمْرِي يَجُوزُ عَلَى أَمْرِهِ

وَقَالَتْ الْخَنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا :

بَكَتْ عَيْنِي وَعَاوَدَهَا قَدَاها • بِمَوَارِ فَمَا تَقْضَى كَرَاهَا
عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ قَتَى كَصَخْرٍ • إِذَا مَا الْغَابُ لَمْ تَرِ أُمَّ طَلَاهَا
حَلَفْتُ بِرَبِّ صُحُبِ مُعْمَلَاتٍ • إِلَى الْبَيْتِ الْمَحْرَمِ مُتَهَاها
لَنْ جَزَعْتُ بَنُو عَمْرُو عَلَيْهِ • لَقَدْ رُزِئْتُ بَنُو عَمْرُو فَنَاهَا
لَهُ كَفِّ يَشْدُ بِهَا وَكَفِّ • تَجُودُ فَمَا يَجْفَ تَرَى نَدَاهَا
تَرَى الشَّمَّ الْفَطَارِفَ مِنْ سُلَيْمٍ • وَقَدْ بَلَّتْ مَدَامِعُهَا لِحَاهَا
أَحَامِيكُمْ وَمُطَمِّمَكُمْ تَرْكُمَ • لَدَى غِبْرَاءٍ مِنْهُمْ رَجَاهَا
فَنَ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شِمَالُ • مُرْعَزَةٍ تُنَاوِيهَا صَبَاهَا
وَأَلْجَأَ بِرَدِّهَا الْأَشْوَالَ حُدْبًا • إِلَى الْحُجْرَاتِ بَادِيَةً كُلَاهَا

هنالك لو نزلت بياب صخر • قرى الأضياف شحما من ذراها
وخيل قد دلفت لها بخيل • فدارت بين كبشها رحاها
تكفكف فضل سابعة دلاص • على خيفانة خفي حشاها

الكعب في أبي
المغوار

وقال كعب يرثي أخاه أبا المغوار :

• تقول سليمي : ما جسمك شاحبا • كأنك يحميك الطعام^(١) طيب
فقلت : شحون^(٢) من خطوب تنابت • على كبار والزمان يريب
لعمري لئن كانت أصابت مئة • أخى ، فالمايا للرجال شعوب
فإني لباكيه ، وإني لصادق • عليه ، وبعض القائلين كذوب
أخى ما أخى ! لا فاحش عند بيته • ولا ورع عند اللقاء هبوب
أخ كان يكفيني وكان يعينني • على نائبات الدهر حين تنوب
هو العسل الماذي لنا وشيمة • وليث إذا لاقى الرجال قطوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا • وماذا يؤدى الليل حين يؤوب
كمالية الرمح الرديني لم يكن • إذا ابتدر الخير الرجل يخيب
وداع دعا يامن يجيب إلى الندى • فلم يستجبه عند ذاك نجيب
فقلت أذع أخرى وارفع الصوت ثانيا • لعل أبا المغوار منك قريب
يحبك كما قد كان يفعل إنه • بأمله رحب الذراع أريب
وحدثتني أنما الموت في القرى • فكيف وهذي هضبة وكثيب
فلو كانت الموتى تُباعَ آثريته • بما لم تكن عنه الفوس تطيب
بعي أو يمتي يدي وخلتني • أنا الغانم الجدلان حين يؤوب
لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى • على يومه علق إلى حبيب
أنى دون حلو العيش حتى أمرد • خطوب على آثارهن نكوب

(١) في بعض الاصول : « الشراب » .

(٢) في بعض الاصول : « نحول » .

فوالله لا أنساه ما ذرّ شارِقٌ • وما اهتَزَّ بي فرغُ الإدراكِ قضيبِ
فإن تكن الأيامُ أحسنَّ مرةً • إلى لقد عادت لهنّ ذُنُوبِ

وقال امرؤ القيس يرى إخوته :

لامرؤ القيس
يرى إخوته

ألا يا عينُ جودى لي شيننا • وبكى للسلوكِ الداهينا
ملوكٌ من بني صخر بن عمرو • يُقَادُونَ العشيّةَ يُقتَلُونَ
فلم تَغسَلْ رءوسهم بِسدرٍ • ولكن في الدماءِ مُزَمِّلينا
فلو في يومٍ معركةٌ أُصِيبُوا • ولكن في ديارِ بني مَرِينا

وقال الأثيرد بن المعتذر الرياحي يرى أخاه بُرَيْدًا :

الأثيرد في دثاء
أخيه بريد

تَطَاوَلَ ليلي لم أَمْنِه تَقْلِبًا • كأن فراشي حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمامِ نجومه • لَدُنْ غابَ قَرْنُ الشمسِ حتى بدا الفجرُ
تذكرَ عِلْقِي بآنٍ مِنَّا بنصره • ونائله ياحبذا ذلك الذِّكْرُ
فإن تكن الأيامُ فزقنَ بيننا • فقد عذرتنا في صحابته العُذرُ
وكنْتُ أرى هجرًا فراقك ساعةً • ألا بل الموتُ التفرُّقُ والهجرُ
أحقًا عبادَ الله أنْ لستُ لاقِيًا • بُرَيْدًا طَوَالَ الدهرِ مالا لَّا العُقرُ
فتي ليس كالفتيانِ إلا خيارهم • من القومِ جَزَلٌ لا ذليلٌ ولا عُمرُ
فتي إن هو استغنى تخرَّقَ في الغنى • وإن كان فقرٌ لم يؤذِ مَسْنَه الفقرُ
وسامى جسيماتِ الأمورِ فَنالها • على العسرِ حتى يُدركَ العسرةُ اليُسْرُ
تري القومَ في العزائمِ ينتظرونه • إذا شئتَ رأى القومُ أو حَزَبَ الأمرُ
فلينك كنت الحَيُّ في الناسِ باقِيًا • وكنْتُ أنا الميتَ الذي ضمه القبرُ
فتي يشترى حُسْنَ الثناءِ بماله • إذا السَّنةُ الشهباءُ قلَّ بها الفطرُ
كانتْ لم يُصاحبنا بُرَيْدٌ بغيطةً • ولم تأتُنَا يوماً بأخباره البُشرُ
لعمري لنعم المرءُ عَالِي نعيه • لنا ابنُ عَرَيْنٍ بعد ما جَنَعَ العصرُ
تمصَّتْ به الأخبارُ حتى تَذَلَّعات • ولم تَنْتَهِ الاطباعُ عنا ولا الجُئَرُ

٥

١٠

١٥

٢٠

فلهـا نعى الناعى بُريداً تغوّلت * بى الأرض فرطاً الحزن وأنقطع الظهر
 عساكرُ تغشى النفسَ حتى كأننى * أخو نشوة دارت بهامته الخمر
 إلى الله أشكو فى بُريد مُصيتى * وشئى وأحزانا يجيش بها الصدر
 وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى * من الأجرلى فيه وإن سرّنى الأجر
 وما زال فى عيني بعدُ غشاوة * وسمعى عما كنتُ أسمعهُ وقر
 على أنى أقتى الحياء وأتقى * شماتة أقدام عُيونهمُ حُزُر
 فحياك عنى الليلُ والصبحُ إذ بدا * وهُوَجٌ من الأرواح غُدوتها شهر
 سبقُ جدثاً لو أستطيع سقيته * بأودَ فرواه الرواعد والقطر
 ولا زال يُسقى من بلادِ ثوى بها * ثباتٌ إذا صاب الريحُ بها نضر
 حلفتُ برب الرافعين أكتفهم * وربّ الهدايا حيث حلّ بها النحر
 ومُجتمع الحُجاج حيث توافقت * رفاقٌ من الآفاق تمكبيرها جأر
 يمين امرئ آلى وليس يكاذِب * وما فى يمين بَتّها صادق وزر
 لئن كان أُمسى ابنُ المعذِر قد ثوى * بُريدٌ لَنِعَمَ المرء غيبهُ القبر
 هو المرءُ للمعروف والدين والنبدى * ومِسَرُّ حرب لا كِهائم ولا عُمر
 أقام ونادى أهله فتعَمَّموا * وصُرِّمت الأسبابُ واختلَفَ النَجَر
 فأى امرئ غادرُتم فى يُيويتكم * إذا هى أُمست لَوْنُ أفاقها حُمَر
 إذا الشولُ أُمست وهى حُذِبٌ ظُهورها * عِجافاً ولم يُسمع لفعل لها هَدَر
 كثيرُ رَمادِ القَدَرِ يغشى فِناؤه * إذا نودى الأيسارُ واحتضِرَ الجُزُر
 ففى كان يغلى اللحمَ نيناً ولحمه * رخيصٌ بكفيه إذا تنزلُ القَدَرُ
 يُقسِّمه حتى يشيع ولم يكن * كآخَرُ يُضحى من غيبته دُخُر
 ففى الحى والأضياف إن رَوَّحتهم * بليلٍ وزادُ السَّفَرِ إن أرملَ السَّفَرُ
 إذا أجهَدَ القومُ المَطى وأدرجت * من الضميرِ حتى يبلغَ الحَقَبَ الضُّفَرُ
 وخَفَّتْ بقايا زَادِهِمُ وتواكَّروا * وأكسَفَ بالَ القومِ مجهولة قَفَر
 [٢٦ - ٢]

رَأَيْتَ لَهُ فَضْلاً عَلَيْهِمْ بِقُوَّةٍ • وَبِالْعَقْرِ لِمَا كَانَ زَادَهُمُ الْعَقْرُ
 إِذَا الْقَوْمُ أَمَرُوا لِلْهَمِّ ثُمَّ أَصْبَحُوا • غَدًا وَهُوَ مَا فِيهِ سِقْلُ وَلَا قَرُّ
 وَإِنْ خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ وَتَضَاءَلَتْ • مِنْ الْآيِنِ جَلَى مِثْلَ مَا يَنْظُرُ الصَّقْرُ
 وَإِنْ جَارَةٌ حَلَّتْ إِلَيْهِ وَفَى لَهَا • فَبَاتَ وَلَمْ يُهَيِّكْ لِجَارَتِهِ سِتْرُ
 عَفِيفٌ عَنِ السَّوَاءَاتِ مَا التَّبَسَّتْ بِهِ • صَلِيبٌ فَمَا يُلْقَى بُعُودٍ لَهُ كَسْرُ
 سَلَكْتَ سَبِيلَ الْعَالَمِينَ فَمَا لَهِمْ • وَرَاءَ الَّذِي لَا قِيَتَ مَعْدَى وَلَا قَضْرُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا مُلَاقٍ جِوَامِهِ • وَإِنْ بَاتَ الدَّعْوَى وَطَالَ بِهِ الْعُمْرُ
 وَأَبْلَيْتَ خَيْرًا فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا • ثَوَابُكَ عِنْدِي الْيَوْمَ أَنْ يَنْطِقَ الشَّعْرُ
 لِيُفْدِكَ مَوْلًى أَوْ أَخٌ ذُو ذِمَامَةٍ • قَلِيلُ الْغَنَاءِ لَا عِطَاءَ وَلَا نَصْرُ

١٠

لشبل بن معبد البجلي :

لشبل بن معبد
البجلي

١٥

أَتَى دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ • نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبُ
 تَابَعْنَ فِي الْأَحْبَابِ حَتَّى أَبْذَنَهُمْ • فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فِي الدِّيَارِ قَرِيبُ
 بَرْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ • كَمَا يَنْبَرِي دُونَ اللَّحَاءِ عَسِيبُ
 فَأَصْبَعْتُ إِلَّا رَحْمَةَ اللَّهِ مُفْرَدًا • لَدَى النَّاسِ صَبْرًا وَالْفَوَادُ كَثِيبُ
 إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ غُلَّتْ بِالْأَسَى • وَيَأْوِي إِلَى الْحَزْنِ حِينَ يَوْبُ
 وَنَامَ خَلِيُّ الْبَالِ عَنِّي وَلَمْ أُنْمِ • كَمَا لَمْ يَنْمِ عَارِي الْفِنَاءِ غَرِيبُ
 تَضَرَّ بِهِ الْأَيَّامُ حَتَّى كَانَهُ • بَطُولِ الَّذِي أَعْقَبَنَ وَهُوَ رَقُوبُ
 فَقَلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفْتُ بِنَا • نَوَى غُرْبَةٍ عَمَّنْ نَحَبُ شَطُوبُ
 مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ • لَهِمْ فِي فَوَادِي الْعِرَاقِ نَصِيبُ
 فَاتَرَكَ الطَّاعُونَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ • إِلَيْهِ إِذَا حَانَ الْإِيَابُ تَوُوبُ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارَ لَهُمْ مِنْكَ غُرْبَةً • بَعِيدٌ، وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبُ
 وَكُنْتُ تُرَجِّى أَنْ تَتُوبَ إِلَيْهِمْ • فَعَالَتْهُمْ مِنْ دُونَ ذَاكَ شُعُوبُ
 مَقَادِيرُ لَا يُغْفِلُنَ مَنْ حَانَ يَوْمُهُ • لَهْنٌ عَلَى كُلِّ النَّفُوسِ رَقِيبُ

٢٠

سَقَيْنَ بِكَاسِ الْمَوْتِ مَنْ حَانَ حَيْنُهُ • وَفِي الْحَيِّ مِنْ أَنْفَالِهِنَّ ذُنُوبُ
وَلَمَّا وَلَّيَاهُمْ كُؤَارِدٍ مِنْهَلٍ • عَلَى حَوْضِهِ بِالْبَالِيَاتِ نَهَبُ
إِلَيْهِ تَاهَيْنَا وَلَوْ حَالُ دُونِهِ • مِيَاهُ رِوَاهِ كُؤُوهِنَّ شَرُوبُ
فَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضُ وَجْدِي أَنِّي • رَأَيْتِ الْمَنَايَا تَقْتَسِدِي وَتَوُوبُ
وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا • إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَتُجِيبُ
وَإِنِ إِذَا مَا شُنْتُ لَا قِيَتْ أَسُوءَ • تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ تَطِيبُ
فَتَّى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ • بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهُوَ حَرِيبُ
وَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ • وَلَيْسَ لَهُ فِي الْغَابِرِينَ حَيْبُ
مَتَى يُذَكَّرُوا بِفَرْخِ قَوَادِي لَذِكْرِهِمْ • وَتَسْجُمُ دَمُوعُ يَبْنُوهِنَّ نُحَيْبُ
دَمُوعٌ مَرَاهَا الشُّجُو حَتَّى كَانَهَا • جَدَاوِلُ تَجْرَى يَبْنُوهِنَّ غُرُوبُ
إِذَا مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبَكَ • قَوَادٍ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طَرُوبُ
بِكِي شَجْوَهُ ثُمَّ ارْغَوْى بَعْدَ عَوْلِهِ • كَمَا وَاتَرْتُ بَيْنَ الْحَنِينِ سُلُوبُ
دَعَاهَا الْهَوَى مِنْ سَبَقِهَا فَهَيَّ وَاللهِ • وَرَدَّتْ إِلَى الْآنَ فَهِيَ تَحُوبُ
فَرُجْدِي بِأَهْلِي وَجَدُّهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ • شَبَابُ يَزِينُونَ النَّسْدَى وَمَشِيبُ

من رثت زوجها

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَرَنَّى زَوْجَهَا الزَّبِيرَ بْنِ
الْعَوَامِ، وَكَانَ قَلْبُهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ الْمُجَاشَعِيُّ بِوَادِي السَّبَاعِ وَهُوَ مُنْصَرَفٌ مِنْ وَقْعَةِ الْجَلِ
وَتَرَوِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَزَوْجَتِهِ عَانِكَةً الَّتِي تَزَوَّجَهَا بَعْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ بُهْمَةٍ • يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ • لَا طَائِشًا رَعِشَ الْجَنَانِ وَلَا الْبِدِ
ثِكْلَكَ أُمُّكَ إِنْ قُلْتَ لِمُسْلِيًّا • حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

لبانة زوجة
الأمين ترثه

الهلالي قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ربيعة ، وكانت

من أجل النساء ، فقتل محمد عنها ولم ين بها ، فقالت ترثيه :

أبكىك لا للنعيم والأنس • بل للمعالي والرحم والفرس
يا فارساً بالعراء مطرحاً • خاتته قوادته مع الحرس
أبكى على سيد فوجعت به • أرملنى قبل لبسة العرس
أم من ليرى أم من لعائدة • أم من لذكر الإله في الغلس
من للحروب التي تكون لها • إن أضرمت نارها بلا قبس

وقالت أعرابية ترى زوجها :

لأعرابية في زوجها

كنّا كغصنين في جُرثومة بسقا • حيناً على خير ما ينمى به الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهما • وطاب قنواهما وأستنظر الثمر
أخنى على واحد ريب الزمان وما • يبق الزمان على شيء ولا يذر
كنّا كأنجم ليل بينها قر • يتخلو الدجى فهو من بيننا القمر

الأصمعي قال : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحل والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجي ؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت : هل رأيت أعجب من هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبني أراه ! ثم قلت لها : يا هذه ، إنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن . فأنشأت تقول :

الأصمعي وجارية على قبر زوجها

فإن تسألانى فِيمَ حُزنى فإننى • رهينة هذا القبر يا فتیان
وإنى لأستح • والثربُ بيننا • كما كنت أستحيه حين يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى • مخافة يوم أن يسوءك شانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بى • بالا ويكثر فى الدنيا مواسق
قد زرت قبرك فى حلى وفى حلل • كأتى لست من أهل المصبات
أردت أتبك فيما كنت أعرفه • أن قد تسر به من بعض هياتى

فَنَ رَأَى رَأَى عِبْرَى مَوْلَهُ . عَجِيَّةَ الزَّيِّ تَبْكِي بَيْنَ أُمُوتِ
وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول :

هو وجارية
أخرى

خَدِّي بِقِيكَ خُسُونَةَ اللَّحْدِ . وَقَلِيلَةَ لَكَ سَيِّدِي خَدِّي
يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الَّذِي بُوْفَاتِهِ . عَمِيَتْ عَلَى مَسَالِكِ الرُّشْدِ
أَسْمِعْ أَبْنُكَ عَلَيَّ وَلَعَلَّنِي . أَطْنِي بِذَلِكَ حُرْقَةَ الْوَجْدِ

من رثى جاريته

كان لمعلّى الطائى جارية يقال لها وصف ، وكانت أدبية شاعرة ، فأخبرنى
محمد بن وضاح ، قال : أدركتُ معلّى الطائى بمصر وأعطى بجاريته وصف أربعة
آلاف دينار ، فباعها : فلما دخل عليها قالت له : بعتنى يا معلّى ! قال : نعم .
قالت : والله لو ملكتُ منك مثل ما تملك منى ما بعتك بالدنيا وما فيها ! فردّ
الدنانير واستقال صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ! فقال يرثيها :

يَا مَوْتَ كَيْفَ سَلَبْتَنِي وَصَفَا . قَدَّمْتَهَا وَتَرَكْتَنِي خَلْمَا
هَلَّا ذَهَبْتَ بِنَا مَعًا فَلَقِدْ . ظَفِرَتْ يَدَاكَ فَسُمْنِي خُسْفَا
وَأَخَذْتَ شِقَّ النَّفْسِ مِنْ بَدَنِي . قَقْبَرْتَهُ وَتَرَكْتَ لِي النُّصْفَا
فَعَلَيْكَ بِالْبَاقِي بَلَا أَجَلٍ . فَاَلَمَوْتُ بَعْدَ وَفَاتِهَا أَغْنَى
يَا مَوْتُ مَا أَبْقَيْتَ لِي أَحَدًا . لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى السَّيِّ وَصَفَا
هَلَّا رَحِمْتَ شَبَابَ غَانِيَةٍ . رَبَّيَا الْعِظَامِ وَشَعْرَهَا الْوُخْفَا
وَرَحِمْتَ عَيْنِي فَلَبِيَّةً جَعَلْتُ . بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظِيرُ الْخُسْفَا
تَغْنَى إِذَا انْتَصَبْتُ فَرَائِصَهُ . وَتَظَلُّلِ رَعَاهُ إِذَا أَغْنَى
فَإِذَا مَتَى اخْتَلَفَتْ قَوَائِمُهُ . وَقَتِ الرِّضَاعِ فَيَنْطَوِي ضَعْفَا
مُتَحِيرًا فِي الْمَشْيِ مُرْتَعِشًا . يَخْطُو فَيَضْرِبُ ظِلْفُهُ الظَّلْفَا
فَكَأَنَّهَا وَصَفَتْ إِذَا جَعَلْتُ . نَحْوَى تَعْيِيرُ حَاجِرًا وَطُفَا

١٥

٢٠

- ياموت أنت كذا لكل أخى • إلف يصون بيرة الإلفا
 خلقتى فرداً و بنت بها • ما كنت قبلك حاملاً وكفا
 فركتها بالرغم فى جدث • للريح تنسف ترابه نسفا
 دون المقطم لا ألبسها • من زينة قرطا ولا شفا
 أسكنتها فى قعر مظلية • بيتاً يوافق ترابه السفا
 بيتاً إذا ما زاره أحد • عصفت به أيدى البلى عصفا
 لا نلتقى أبدا معاينة • حتى تقوم لرئيسا صفا
 لبست ثياب الخنف جارية • قد كنت ألبس دونهما الخنفا
 فكانها والنفس زاهقة • غصن من الریحان قد جفا
 ١٠ يا قبر أبى على محاسنها • فلقد حوت البر والظرفا

لما هزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له
 خلفها بالرملة :

مروان بن محمد
 وجارية له خلفها
 بالرملة

- وما زال يدعوني إلى الصدمأرى • فأبى ويثني الذى لك فى صدرى
 وكان عزيزا أن تبينى وبيننا • حجاب قد أمسيت منك على عشر
 ١٥ وأنكاهما للقلب والله فأعلمى • إذا أزددت مثليها فصرت على شهر
 وأعظم من هذين والله أتى • أخاف بالآ نلتقى آخر الدهر
 سأبكيك لا مستقبلاً فيض عبرة • ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

وجدوا على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس أياتا ، ذكروا أن أبا نواس
 قالها ، وهى :

لأبى نواس يرى
 جارية

- ٢٠ أقول لقبر زرته مثلثاً • سقى الله برد العفو صاحبة القبر
 لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى • وشمس الضحى بين الصفا ومح والفر
 عجبت لعين بعدها ملئت البكا • وقلب عليها يرتجى راحة الصبر

الحبيب في مثله

وقال حبيب الطائي يرثى جارية أصيب بها :

جُفُوفَ الْبَيْلِ أَسْرَعْتُ فِي الْفُصْنِ الرُّطْبِ

وخطبَ الرَّدَى والموتَ أُبْرَحْتَ مِنْ خُطْبِ

لقد شَرِقتُ في الشرقِ بالموتِ غَادَةً • تَبَدَّلْتُ مِنْهَا غُرْبَةً الدَّارِ فِي الْقَرْبِ

وَأَلْبَسَنِي ثَوْبًا مِنَ الْحُزْنِ وَالْأَسَى • هَلَالٌ عَلَيْهِ نَسْجُ ثَوْبٍ مِنَ الثَّرْبِ

وَكُنْتُ أَرْجَى الْقَرْبِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ • فَقَدْ نُقِلْتُ بَعْدَى عَنِ الْبَعْدِ وَالْقَرْبِ

أقول وقد قالوا استراحَت لموتِهَا

من الكرب روح الموت شرٌّ من الكرب

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وَعَهْدُهَا • لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ

١٠ وقال يرثيها :

أَلَمْ تَرَنِي خَلَيْتُ نَفْسِي وَشَانَهَا • وَلَمْ أَحْفَلْ^(١) الدُّنْيَا وَلَا حَدَثَانَهَا

لَقَدْ خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا • وَلَوْ أَمْنَتْنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا

وَكَيْفَ عَلَى نَارِ اللَّيَالِي مُعْرِسُ • إِذَا كَانَ شَيْبُ الْعَارِضِينَ دُخَانَهَا

أَصْبْتُ بِخَوْدِ سَوْفٍ أَغْبَرُ بَعْدَهَا • حَلِيفَ أَسَى أَبْكِي زَمَانًا زَمَانَهَا

عِنَانٍ مِنَ اللَّذَاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِي • فَلَمَّا قَضَى الْإِلْفَ اسْتَرَدَّتْ عَنَانَهَا

مَنْحَتُ الْمَهَا هَجَرِي فَلَا مُحْسِنَاتَهَا • أُرِيدُ وَلَا يَهْوَى فَوَادِي حَسَانَهَا

يَقُولُونَ هَلْ يَبْكِي الْفَتَى الْخَرِيدَةُ • إِذَا مَا أَرَادَ اعْتَاَصَ عَشْرًا مَكَانَهَا

وَهَلْ يَسْتَعْبِضُ الْمَرْءُ مِنْ تَحْمِيصِ كَفِّهِ • وَلَوْ صَاغَ مِنْ حُرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانَهَا

وقال أعرابي يرثى امرأته :

فَوَاقَتْهُ مَا أَدْرَى إِذَا اللَّيْلِ جَنَّتْنِي • وَذَكَرْنِيهَا أَتَيْنَا هُوَ أَوْجَعُ

أُتْمَنُفَصِّلُ عَنْهُ ثَرَى أُمِّ كَرِيمَةٍ • أُمُّ الْعَاشِقِ النَّابِي بِهِ كُلُّ مُضْجَعٍ

(١) في بعض الاصول : • ولم أشتك • .

لأعرابي يرثى
امرأته

وقال محمود الوراق يرثي جاريته نشو : الوراق يرثي جارية

وَمُنْتَصَحٌ يُرَدِّدُ ذِكْرَ نَشْوٍ * عَلَى عَهْدٍ لَيْبَعَثُ لِي أَكْثَابًا
أَقُولُ - وَعَدَّ - مَا كَانَتْ تَسَاوَى * سَيَحْسَبُ ذَاكَ مَنْ خَلَقَ الْحَسَابَا
عَطِيَّتُهُ إِذَا أَعْطَى سُرُورًا * وَإِنْ أَخَذَ الَّذِي أَعْطَى أَثَابَا
فَأَيُّ النِّعَمَتَيْنِ أَعْمُ نَفْعًا * وَأَحْسَنُ فِي عَوَاقِبِهَا إِيَابَا
أَنْعَمْتَ الَّتِي أَهْدَتْ سُرُورًا * أَمْ الْآخَرَى الَّتِي أَهْدَتْ ثَوَابَا
بِلِ الْآخَرَى وَإِنْ تَزَلْتُ بِحَزْنٍ * أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ أَحْسَابَا

أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ؛ فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية في نومه فأنشدته هذه الآيات .

جَاءَتْ تَزُورُ وَسَادِي بَعْدَ مَا دُفِنْتُ * فِي النَّوْمِ أَلَيْمٍ خِذَا زَانَهُ الْجِيْدُ
فَقُلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي قَدْ نَعَيْتَ لَنَا * فَكَيْفَ ذَا وَطَرِيقَ الْقَبْرِ مَسْدُودُ
قَالَتْ هُنَاكَ عِظَامِي فِيهِ مُلْحَدَةٌ * تَنْهَشُ مِنْهَا هَوَامُ الْأَرْضِ وَالِدُودُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ قَدْ جَاءَتْكَ زَائِرَةً * فَأَقْبَلِي زِيَارَتَهُ مَنْ فِي الْقَبْرِ مَلْحُودُ

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشدونها . فما بقي بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها .

من رثي ابنة

قال البحرى في ابنة لأحد بني حميد :

البحرى في ابنة الحميدى

ظَلَمَ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَأَسَاءَ * فَعَزَاءُ بَنِي حُمَيْدٍ عِزَاءُ
أَنْفُسُ مَا تَزَالُ تَفْقَدُ فَقْدًا * وَصُدُورٌ مَا تَبْرَحُ الْبُرْحَاءُ
أَصْبَحَ السَّيْفُ دَائِمًا وَهُوَ الدَّاءُ * الَّذِي مَا يَزَالُ يُبْهِى الدَّوَاءُ
وَأَتَّخَى الْقَتْلُ فِيكُمْ فَبِكَيْنَا * بِدَمَاءِ الدَّمِوعِ تِلْكَ الدَّمَاءُ

يا أبا القاسم المقسم في النجدة والجود والندى أجزاء
والهزبر الذي دارت الحره به صرف الردى كيف شاء
الأسى واجب على الحر إمامه نية حرة وإمارة
وسفاه أن يجزع الحز بما كان حتماً على العباد قضاء
أُنبئني من لا يُنازل بالسيوف مُشيعاً ولا يهز اللواء
والفقى من رأى^(١) القبور لمن طاف به من بنائه الأكفاء
ليس من زينة الحياة كعد الله منها الأموال والأبناء
قد ولدن الأعداء قدما وورثن التلاد الأفاصى البعداء
لم يندثر بهن^(٢) قيس تميم علة بل حمية وإباء
وتغشى مهلهل الذل فيهن وقد أعطى الأديم جباء
وشقيق بن فائق حذر العار عليهن فارق الدهناء
وعلى غيرهن أحرن يعقو به وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة ضعفاً فاستأجر الأنبياء
وتلفت إلى القبائل فأنظر أمهات ينسبن أم آباء
وأسزل الشيطان آدم في الجنة لما أغرى به حواء
ولعمري ما العجز عندي إلا أن تبیت الرجال تبكى النساء

٥

١٠

١٥

مرآنى الأشراف

قال حسان بن ثابت يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ،
رضوان الله عليهم :

لسان يرفى
الرسول صلى
الله عليه وسلم
وأبا بكر وعمر

ثلاثة برزوا بسبقهم ، نصرتهم ربهم إذا نشروا

٢٠

(١) في بعض الأصول : ولا يرى ، .

(٢) في بعض الأصول : كثرهن ، .

عاشوا بلا فُرقة حياتهم • واجتمعوا في الممات إذ قُبروا
فليس من مسلم له بَصْرٌ • يُنكرهم فضاهم إذا ذكروا

وقال حسان يرثي أبا بكر رضى الله عنه :

وله في رثاء
أبي بكر

إذا تذكَّرتُ شجواً من أخى ثقة • فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أبقاها وأعد لها • بعد النبي وأوقاها بما حملا
الثاني اثنين والمحمود مشهده • وأول الناس طراً صدق الرُّسلا
وكان حب رسول الله قد علموا • من البرية لم يعدل به رجلا

وقال ^(١) يرثي عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عليك سلام من أهير وباركت • يدُ الله في ذلك الأديم الممزق
فمن يجر أو يركب جناحي نعمة • ليدرك ما قدمت بالأمس يُسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها • نوافج في أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته • بكفى سببني أزرق العين مُطرق

وقال يرثي عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وله في رثاء
عثمان

من سره الموت صِرَفاً لا مزاج له • فليات ماسره في دار عثمان
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا • مادمت حياً وما سُميت حسانا
باليث شغرى وليت الطير تُخبرني • ما كان شأن علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم • الله أكبر يا ثارات عثمان
ضخوا بأشخط عنوان السجود به • يُقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال الفرزدق في قتل عثمان رضى الله تعالى عنه :

الفرزدق في
رثاء عثمان

إن الخلافة لما أظننت ظننت • من أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
صارت إلى أهلها منهم ووارثها • لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا
السافكي دمه ظلما ومعصية • أي دم لا هُدُوا من غيرهم سفكوا

(١) في نسبة هذا الشعر لحسان خلاف .

السيد الحميري
في رثاء علي

وقال السيد الحميري يرثي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويذكر
يوم صفين :

إني أدين بما دان الوصي به • وشاركتُ كفه كَفِّي بصِفينا
في سفك ماسفكتَ • هنا إذا احتضروا • وأبرزَ الله للقسط الموازين
• تلك الدماء معاً ياربُّ في عُقِّي • ثم اسقني مثلها آمين آمينا
آمين من مثلهم في مثل حالهم • في فتية هاجروا لله سارينا
ليسوا يريدون غير الله ربهم • نعم المراد توخاه المريدونا
أنشد الرياشي لرجل من أهل الشام يرثي عمر بن عبد العزيز رضي الله
تعالى عنه :

١٠ قد غَيَّبَ الدَّافِنُونَ اللَّاحِدَ إِذْ دَفَنُوا • يَدِيرُ سَمْعَانُ قِسْطَاسَ الْمَوَازِينِ
ولم يكن هُمَّ عَيْنَا يُفَجِّرُهَا • وَلَا النَّخِيلُ وَلَا رَكْضُ الْبَرَازِينِ
أقول لما أتاني نعي مهلكه • لا تُبْعَدَنَّ قِوَامَ الْمُلْكِ وَالْدِّينِ

الفرزدق في
رثاء عبد العزيز
بن مروان

وقال الفرزدق يرثي عبد العزيز بن مروان :

١٥ ظَلُّوا عَلَى قَبْرِهِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ • وَقَدْ يَقُولُونَ تَارَاتٍ لَنَا الْعَبْرُ
يُقْبَلُونَ تَرَاباً فَوْقَ أَعْظَمِهِ • كَمَا يَقْبَلُ فِي الْمَعْجُوجَةِ الْحَجَرُ
لَهُ أَرْضٌ أَجْنَتُهُ ضَرِيحَتُهَا • وَكَيْفَ يُدْفَنُ فِي الْمَلْعُودَةِ الْقَمَرُ
إِنَّ الْمَنَابِرَ لَا تَعْتَاضُ عَنْ مَلِكٍ • إِلَيْهِ يَشْخَصُ فَوْقَ الْمَنِيرِ الْبَصَرُ

الجرير في رثاء عمر
بن عبد العزيز

وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز :

٢٠ بَنَى النُّعْمَةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا • يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَأَعْتَمَرَا
حَمَلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرَتْ لَهُ • وَسِرَّتْ فِيهِ بِحَكْمٍ " اللَّهُ يَا عُمَرَا
فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ • تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَا

الجرير في رثاء
الوليد

قال جرير يرثي الوليد بن عبد الملك :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شِمَائِلَهُ * غَبْرَاءَ مَلْعُودَةٍ فِي جُوهْلِهَا زَوْرُ
أَمْسَى^(١) بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مَصِيبَتُهُمْ * مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْتَهُ * عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُثْمَرُ

لبعض الشعراء في
رثاء قيس بن
عاصم

وقال غيره يرثي قيس بن عاصم المنقري :

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
تَحِيَّةً مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً * إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَامَا
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُوكَهُ هُلَاكَ * وَاحِدٍ * وَلَكِنَّهُ بُلِيَانٌ قَوْمٌ تَهْتَمَا

لسندي في رثاء
يزيد بن هبيرة

وقال أبو عطاء السندي يرثي يزيد بن عمر بن^(٢) هبيرة لما قُتل بواسط :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ * عَلَيْكَ بِحَارِي دَمْعُهَا لِحُودُ
عَشِيَّةٍ رَاحَ الدَّافِنُونَ وَشَقَّقَتْ * جِيوبُ بَأْيَدِي مَا تَمَّ وَخُدُودُ
فَإِنْ تَكِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا * أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودُ
وَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ * بَلَى إِنَّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ

لمنصور النخعي
في رثاء ابن يزيد

وقال منصور النخعي يرثي يزيد بن يزيد :

مَتَى يَبْرُدُ الْحُزْنُ الَّذِي فِي قُودَانَا * أَبَا خَالِدٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَا تَلْقَا
أَبَا خَالِدٍ مَا كَانَ أَذْهَى مُصِيبَةٍ * أَصَابَتْ مَعْدًا يَوْمَ أَصْبَحْتَ ثَاوِيَا
لَعَمْرِي لَنْ سُرَّ الْأَعَادَى وَأَظْهَرُوا * شِمَاتَا لَقَدْ سَرُّوا بِرُبْعِكَ خَالِيَا
وَأَوْتَارُ أَقْوَامٍ لَدَيْكَ لَوَيْتَهَا * وَزُرْتَ بِهَا الْأَجْدَاثُ وَهِيَ كَاهِيَا
فُعَزَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ * بِسَيْفٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ نَايَا
عَلَى مِثْلِ مَا لَاقَى يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ * عَلَيْهِ الْمَنَايَا فَالْقَى إِنْ كُنْتَ لَاقِيَا
وَإِنْ تَكِ أَفْتَتَهُ اللَّيَالِي وَأَوْشَكَتْ * فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سِيْفِي اللَّيَالِيَا

(١) في بعض الأصول : « أَمْسَى » .

(٢) في بعض الأصول : « إبراهيم بن هبيرة » .

وقال :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تنفض ٥ فحسبك مني ما تنجس الجوانح
 كأن لم يمت حتى سواك ولم تقم ٥ على أحد إلا عليك النوايح
 لئن حسنت فيك المرائي وذكركها ٥ لقد حسنت من قبل فيك المدائح
 فما أنا من رزء وإن جل جازع ٥ ولا بأسرور بعد موتك فارح ٥

للأعجم يرقى
 المغيرة

وقال زياد الأعجم يرقى المغيرة بن المهلب :

إن الشجاعة والسباحة ضننا ٥ قبرا بمرؤ على الطريق الواضح
 فإذا مررت بقبره فاعقر به ٥ كوم الهجان وكل طرف ساج
 وانضح جوانب قبره بدمائها ٥ ولقد يكون أبا ديم وذبايح
 ع الآذ لما كنت أكمل من مشى ٥ وأقرت نابك عن شبة القارج ١٠
 وتكاملت فيك المروءة كلها ٥ وأعنت ذلك بالفعال الصالح

للمهلي في
 رثاء التنوكل

للمهلي من مراثيه للتنوكل :

لا حزن إلا أراه دون ما أجد ٥ وهل كن فقلت عيناى مُفتقد
 لا يبعدن هالك كانت منبته ٥ كما هوى من عطاء الزية الأسد
 لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم ٥ إذ لا تمُد على الجاني عليك يد
 لو أن سني وعقلي حاضران له ٥ أبليتة الجهد إذ لم ييله أحد
 هلا أثنه أعاديه مجاهرة ٥ والحرب تسعر والأبطال تجتلد^(١)
 غرّ فوق سرير الملك مُجدلا ٥ لم يحمه ملكه لما آنقضى الأمد
 قد كان أنصاره يحمون حوزته ٥ وللردي دون أرساد^(٢) الفقى رصد
 وأصبح الناس فوضى يعجبون له ٥ ليثا صريعا تنزى حوله النقد ٢٠
 علّتك أسياف من لا دونه أحد ٥ وليس فوقك إلا الواحد الضمد

(١) في بعض الأصول : قطرد .

(٢) في بعض الأصول : أنصار .

جاءوا لدنيا عظيم يسعدون بها • فقد شقوا بالذي جاؤا وما ساءوا
 ضجت نساؤك بعد العز حين رأت • خذا كريماً عليه قارث جسد
 أضحى شهيد بنى العباس موعظة • لكل ذي عزة في رأسه صيد
 خليفة لم ينل ما ناله أحد • ولم يصنع مثله روح ولا جسد
 كم في أديمك من فوها هادرة • من الجوائف يغلي فوقها الزبد
 إذا بكيت فإن الدمع منهمل • وإن وتيت فإن القول مطرد
 قد كنت أسرف في مالي ويخلف لي • فعلتني الليالي كيف أقصد
 لما اعتقدتم أناساً لأحلوهم لهم • ضعتم وضيعتم من كان يُعتقد
 فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم • حتمكم السادة المركوزة الحشد
 قوم هم الجذم والأنساب تجمعكم • والمجد والدين والأرحام والبلد
 قد وتر الناس طراً ثم قد صمتوا • كأما كان ما يتلونه رشد
 إذا قريش أرادوا شد ملكهم • بغير قحطان لم يرح به أود
 من الألى وهبوا للجد أنفسهم • فما ينالون ما نالوا إذا حردوا

لبعض الشعراء وقال آخر :

١٥ وفتى كأن جبينه بدر الدجا • قامت عليه نوادب وروامس
 غرس الفسيل مؤملاً لبقائه • فَمَا الفسيل ومات عنه الغارس

لابن يعفر وقال الأسود بن يعفر :

٢٠ ماذا أوْمَلُ بعد آل محرق • تركوا منازلهم وبعد إباد
 أهل الخوزنق والسدير وبارق • والقصر ذي الشرفات من سندان
 نزلوا بأنقرة يسيل عليهم • ماء الفرات يحيى من أطواد
 جرت الرياح على محل ديارهم • فكأنما كانوا على ميعاد
 ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة • في ظل ملك ثابت الأوتاد
 فإذا النعيم وكل ما ينهى به • يوماً بصير إلى بلى ونهاد

وقال عبيد بن الأبرص :

لعبيد بن
الأبرص

يا حارِ مراح من قومٍ ولا ابتكروا • إلا وللـوتِ في آثارهم حادى
يا حارِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ • إلا تقربُ آجالا ليعادِ
هل نحن إلا كأرواحٍ يُمرُّ بها • تحتَ الترابِ وأجسادُ كأجسادِ

• لما مات أسماء بن خارجة الفزاري قال الحجاج : ذلك رجل عاش ما شاء ،
ومات حين شاء .

للحجاج في بن
خارجة

وقال فيه الشاعر :

لبعض الشعراء
فيه

إذا مات ابنُ خارجة بن زيد • فلا مطرت على الأرض السماء
ولا جاء البريدُ بغنمٍ جيش • ولا حملت على الطُّهر النساء
فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ • كثيرٍ عندهم نعمٌ وشاء

١٠

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

لمسلم بن الوليد

أمسعودُ هل غاداك يومٌ بفرحة • وأمسيَت لم تعرِض لها التَّرحاتُ
وهل نحن إلا أنفسٌ مستعارة • تمرُّ بها الرُّوحاتُ والغدوات
بكيتَ وأعطتك البكاء مصيبة • مضتْ وهي فردٌ ما لها أخوات
كأنك فيها لم تكن تعرف العزا • ولم تعتمدْ غيرك النكبات
سقى الضاحك الوسمى أعظمَ حفرة • طواها الردى في اللحدِ وهي رفات
أرى بهجة الدنيا رجيحَ دوائر • لمنَّ اجتماعُ مرةٍ وشَتات
طوى أيدي المعروفِ مصرعُ مالك • فهنَّ عن الآمالِ منقبضات
وقال أيضاً ^(١) :

٢٠

أما القبورُ فإنهن أوائس • بجوارِ قبرك والديارِ قبورُ
عمت فواضله وعمَّ مصابه ^(٢) • فالناسُ فيه كلهم مأجور

(١) ينسب هذا الشعر للثيمى في رثاء منصور بن زياد

(٢) في بعض الأصول : عمت مصيبته وعم هلاكه .

رذت صنائعهُ إليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

وقال أشجع بن عمرو السلمي يرثي منصور بن زياد :

لأشجع في ابن
زياد

يا حُفْرَةَ الْمَلِكِ الْمُؤَمَّلِ رَفْدُهُ * مافي ثراك من الندى والخير ؟

لازلت في ظِلِّينِ ظِلٌّ سَحَابَةٌ * وطفاء دانية وظيل حُبور

وسقى الولي على العهدِ عِراضَ ما * والآك من قبر ومن مقبور

يا يومَ مَنْصُورٍ أَتَجْتَ حِمَى الندى * وفجعتهُ بوليه المذكور

يا يومه أعريت راحلة الندى * من ربهَا وحرمت كل فقير

يا يومه ماذا صنعت بِمُرْمِل * يرجو الغنى ومُكَبَّل مأسور

يا يومه لو كنت جنت بُنْصَحِهِ * فجُملت بين الحي والمقبور !

الله أوصال تقسمها البلى * في اللحد بين صفائح وصخور

عجبا لخمسة أذرع في خمسة * غطت على جبل أشم كبير

من كان يملأ عرض كل تنوكة * واره حولا مأجد محفور

ذلت بمصرعه المكارم والندى * وذباب كل مُهَنَّدٍ مأثور

أقلت نجوم بني زياد بعدما * طلعت بنور أهله وبدور

لولا بقاء محمد لتصدعت * أكبادنا أسفاً على منصور

أبني مكارم لا تبعد صفاتها * ومضى لوقت حاميهِ المقدور

أصبحت مهجوراً بحفرتك التي * بدلتها من قصرِكَ المعمور

بليت عظامك والصفاحُ جديدة * ليس البلى لِفِعَالِكَ المشهور

إن كنت ساكن حُفْرَةٍ فلقد ترى * سكناً لعودي منبر وسرير

وقال يرثي محمد بن منصور :

وله في ابن
منصور

أنعى قى الجود إلى الجود * ما مثل من أنعى بموجود

أنعى قى مص الرى بعده * بقية الماء من العود

فانظروا المجد به ثلثة * جانبها ليس بمسدود

أنعى ابن منصور إلى سيده • وأيدٍ ليس برعيدٍ
 وأشعثٍ يسعى على صبية • مثل فراخ الطير مجهودٍ
 وطارقٍ أعيا عليه القرى • ومسلم في القيد مضافود
 اليوم نخشى عثرات الندى • وعدوة البخيل على الجود
 أوردته حوضاً عظيم الشأى • في المجد يوم غير محمود
 كل أمرئ يجرى إلى مدة • وأجل قد خط مغدود
 سينطق الشعر بأيامه • على لسان غير معقود
 فكل مفقود إلى جنبه • وإن تغالى غير مفقود
 يا وافردي قومهما إن من • طلبتما تحت الجلاميد
 طلبتما الجود وقد صممه • محمد في بطن ملحد
 فاتكما الموت بمعروفه • وليس ما فات بمردود
 يا عضداً للمجد مفتوقة • وساعداً ليس بمعضود
 أو هن زنديها وأكباهما • قرع المنايا في العناديد
 وهزت الركن الذي كان بال • أأمس عماداً غير مهدود

٥

١٠

١٥ وقال حبيب الطائي يرثي خالد بن يزيد بن مزيد :

الطائي في رثاء
 خالد بن يزيد

أشبان لاذك الهلال بطالع • علينا، ولا ذاك الغمام بدايد
 أشبان عمت نارها من رزية • فاشتكى وجداً إلى غير واجد
 فاجانب الدنيا بسهل ولا أضحى • بطلق ولا ماء الحياة باريد
 فيا وخشة الدنيا وكانت أنيسة • ووحدته من فيها بمصرع واحد

٢٠ وأنشد أبو محمد التيمي^(١) في يزيد بن مزيد :

التيمي في يزيد
 ابن مزيد

أحقاً أنه أودى يزيد • فبين أيها الناعي المشيد

(١) في بعض الأصول: الليث .

- أندرى من نصبت^(١) وكيف فاهت * به شفتاك وارك الصعيد
أحامي الملك والإسلام أودى * فإ للأرض ونحك لا تئيد
تأمل هل ترى الإسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمت سيوف بني زار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * يدريها وهل يخضر عود
أما هددت لمصرعه زار * بلى ، وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه إذ حل فيه * طريف المجد والمجد التليد
وهذا العز والإسلام لما * نوى وخليفة الله الرشيد
لقد أوتى ربيعة كل نخس * لمهلك وغيت السعود
وأصلحت الأيسنة من قناها * وأشرعت الرماح لمن يكيد
نعمي يزيد إن لم يبق بأس * غداة مضى وإن لم يبق جود
نعمي أبي الزبير لكل يوم * عبوس الوجه زينته الحديد
أودى عصمة الباري يزيد * وسيف الله والغيث الحميد
فمن يحمي حمى الإسلام أم من * يذب عن المكاره أو يذود
ومن يدعو الأنام لكل خطب * يخاف وكل معضلة تود
ومن تجلى به الغمرات أم من * يقوم بها إذا أعوج العنود
ومن يحمي الخبيث إذا تعايا * بجيلة نفسه البطل النجيد
وأين يوم متجعج ولاج * وأين تحط أرحلها الوفود
لقد رزئت زار يوم أودى * عميداً ما يقاس به عميد
فلو قيل الفداء فداء منّا * بمهجة المسود والمسود
أبعد يزيد تخترن البواكي * دموعاً أو تصان لها حدود
أما بالله لا تنفك عني * عليه بدمعها أبداً تجود

(١) في بعض الاصول : : ابن لي كيف قلت . .

وإن تجمد دموع لثيم قوم . فليس لدمع ذى حسب جُعود
 وإن يك غاله حسب فأودى . لقد أودى وليس له نديد
 وإن يعتز به دهر لما قد . يُفادى من مخافته الأسود
 وإن يهلك يزيد فكل حى . فربس للنية أو طريد
 فإن يك عن خلود قد دعت . مآثره فكان لها الخلود
 فأودى أمرؤ أودى وأبقى . لوارثه مكارم لا تبديد
 ألم تعلم أخى أن المنايا . غدرن به وهن له جنود
 قصدن له وكن يحدن عنه . إذا ما الحرب شب لها الوقوق
 فهلا يوم يقدمها يزيد . إلى الأبطال والخيلاں جيد
 ولولا فى الختوف على سواء . للاقاها به حتف عنيد
 أضرأب الفوارس كل يوم . ترى فيه الختوف لها وعيد
 فن يرضى القواطع والعوالى . إذا ما هزها فرغ شديد
 لتبيك قبة الإسلام لما . وهت أطنأها وهى العمود
 ليسك مرهق يتلوه خيل . إباله^(١) وهو مجدول وحيد
 ويبكك خامل ناداك لما . توالكه الأقارب والبعيد
 ويبكك شاعر لم يبق دهر . له نشأ وقد كسد القصيد
 تركت المشرفة والعوالى . محلاة وقد حان الورود
 وغادرت الجياد بكل لغز . عواطل بعد زينها ترود
 فإن تصبح مسلة فما . تفيد بها الجزيل وتستفيد
 ألم تك تكشف الغمرات عنها . عوابس والوجوه البيض سود
 أصيب المجد والإسلام لما . أصابك بالردى سهم شديد
 لقد عزى ربيعة أن يوما . عليها مثل يومك لا يعود

٥

١٠

١٥

٢٠

(١) فى بعض الاصول : « أباسل »

ومثلك مَنْ قصَدْنِ له المنايا • بأسهمها ومَنْ له جُنود
فيا للدهر ما صنعتْ يداه • كأنَّ الدهر منها مُستفيد
سقى جدًّا أقام به يزيد • من الوشمى بِسَآم رَعُود
فإنَّ أجزعَ لمهلكه فاني • على النكبات إذا ودى جليل
ليذهب مَنْ أراد فلستُ آسى • على مَنْ مات بعدك يا يزيد

وقال مروان بن أبي حفصة يرى معن بن زائدة : لابن أبي حفصة
في رثاء معن

زار ابنُ زائدةَ المقابرَ بعدما • أَلَقْتُ إليه عُرَى الأمورِ نِزارُ
إنَّ القبائلَ من نِزارٍ أصبحتْ • وقلوبُها أسفاً عليه حِرار
ودت ربيعةَ أنها قُسمتْ له • منها فعاش بشطَرها الأعمار
فلا بَكَيْنَ فتي ربيعةَ ما دجا • ليلٌ بظلمته ولاح نهار
لا زال قبرُ أبي الوليد تجوده • بجهادها وبوبلها الأمطار
قبرٌ يضمُّ مع الشجاعة والندى • حِلْبا يُخالطه نقي ووقار
إن الرزنةَ من ربيعةَ هالكٌ • تَرَكَ العيونَ دموعهنَّ غِزار
رحبُ السُرادقِ والضياءُ جيده • كالبدْرِ شقَّ ضياءُهُ الإسفار
لهفًا عليك إذا الطعانُ يمارقِ • تَرَكَ القنا وطوالهنَّ قِصار
خَلَّى الأَعِنَّةَ يومَ مات مُشَيِّعٌ • بطلُ اللِّقاءِ مُجَزَّبٌ مِغوارُ
يُمَيِّى ويصيحُ مُعلًا تذكى به • نارٌ بمُعتَرِكٍ وتُخمدُ نار
مهما يُمرُّ فليس يَرجو نَقضَهُ • أحدٌ وليس لنَقْضِهِ إِمْرارُ
لو كان خَلْفُكَ أو أَمامُكَ هائِبًا • أحدًا سِواكَ لها بَكَ المقدار

وقال يرثيه :

بكى الشامُ معنًا يومَ خَلَّى مكانَهُ • فكادتْ له أرضُ العِراقينَ رُجْفُ
نوى القايِدُ الميعونُ والدَّائِدُ الذى • به كان يُرمى الجانبُ المُتخوِفُ
أتى الموتُ معنًا وهو لا عِرضَ صائِرٍ • وللدَّجْدِ مُبتاعٌ وللحالِ مُتلفُ

وما مات حتى قلدته أمورها • ربيعة والحيات قيس وخندف
وحتى فشا في كل شرق ومغرب • أباد له بالضر والنفع تعرف
وكم من يد عندي لمعن كريمة • سأشكرها ما دامت العين تطرف
بكنه الجياد الأعوجية إذ توى • وحن مع التبع الوشيع المثقف
وقد غنيت ربح الصبا في حياته • قبولاً فأمتت وهي نكباء حرجف

٥

وقال أبو الشيص يرثي هارون الرشيد ويمدح ابنه محمد بن زبدة الأمين :

جرت جوار بالسعد والنحس • فنعن في وحشة وفي أنس
العين تبكي والسن ضاحكة • فنعن في مأثم وفي عرس
يضعكما القائم الأمين ويُسكينا وفاة الإمام بالأمس
بدران بدر أضحى ببغداد في السجود وبدر بطوس في الرمس

١٠

وأشد العتي :

والمرء يجمع ماله مستهتراً • فرحاً وليس بآكل ما يجمع
وليأتين عليك يوماً مرة • يسكى عليك مقتناً لا تسمع

للمتي

وقال حارثة بن بدر الغداني يرثي زياد بن ظبيان :

صلى الإله على قبر وطهره • عند الثوية يسقى فوقه المور
زقت إليه قريش نفس سديها • فثم كل الثقي والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة • وإن من عرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة • وكان عندك للتكبير تكبير
لو خلد الخير والإسلام ذا قدم • إداً لخلدك الإسلام والخير
قد كنت تحشى وتعطى المال من سعة • إن كان يتك أضحى وهو مهجور

١٥

٢٠

وقال نهار بن تويسعة يرثي المهلب :

ألا ذهب الغزو المقرب للعي • ومات الدى والحزم بعد المهلب
أقام يَمْزُو الروذ رهن ضريحه • وقد غييا عن كل شرق ومغرب

لأن الشيص في
رثاء الرشيد
ومدح الأمين

للغداني في ابن
ظبيان

لابن تويسعة في
رثاء المهلب

وقال المهلهل بن ربيعة : يرثي أخاه كليب بن وائل ؛ وكان كليب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوته :

للمهلهل وراثه
كليب

ذهب الخيار من المعاشير كلهم • وأستبَّ بعدك يا كليبُ المجلس
وتناولوا من كل أمر^(١) عظيمة • لو كنتَ حاضرًا أمرهم لم يندسوا

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي سعيد بن سلم :

لابن المدل
في رثاء سعيد
ابن سلم

كم يقيم جبرته بعد يئس • وعديم نعشته بعد عديم
كل ما غصَّ بالحوادث نادى • رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال ابن أخت تأبط شرًا يرثي خاله تأبط شرًا الفهمي ؛ وكانت هذيل قتلته :

لابن أخت
تأبط شرًا
يرثي خاله

إن بالشعب الذي دون سلع • لقتيلاً دمه ما يُطل

قدف العبد على وولي • أنا بالعبد له مستقل

ووراء الدار مني ابن أخت • مصع عقده ما تعل

مطرق يرشح موتاً كما أطرَق أفعى ينفث السم صل

خبر ما نابنا مُصملاً • جلّ حتى ذقّ فيه الأجل

بزنى الدهر وكان غشوما • بأبي جارُه ما يذل

شامس في القرّ حتى إذا ما • ذكّت الشعري فبرد وظل

يابس الجنين من غير بؤس • وندي الكفين شتم مدل

ظاعن بالخزم حتى إذا ما • حلّ حلّ الخزم حيث يحل

وله طعمان أرى وشرى • وكلا الطعنين قد ذاق كل

رائح بالمجد غاد عليه • من ثياب الحمد ثوب رقل

أفتح الراحة بالجوّد جواداً • عاش في جدوى يديه المقل

مسيل في الحمى أحوى رقل • وإذا يغزو فيسمع أزل

(١) في بعض الاصول : • وتكلموا في أمر كل •

يركب الهولَ وحيداً ولا يصحبه إلا اليأسُ الأفلُ
 فاحسبوا أنفاسَ يومٍ فلما * هوّموا رُغمتهم فاشمعلوا
 كلُّ ماضٍ قد تردى بماضٍ * كسنا البرق إذا ما يُسلُ
 فلئن قلتُ هُذيلٌ شِبَاهُ * لِمَا كان هُذَيْلاً يَقُلُ
 وبما أبركها في مُناخٍ * جعجع يَنقَبُ منه الأظُلُ
 صليتُ منه هُذيلٌ يَحرقُ * لا يَمَلُ الشرُّ حتى يَمَلوا
 يُنهلُ الصَّغْدَةُ حتى إذا ما * نهلتْ كانت لها منه عَلُ
 تَضَعُكَ الضُّبُعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ * وترى الذئبَ لها يَسْتَهْلُ
 عِناقَ الطيرِ تهفو بطائنا * تنخطأهم فما تستقلُ
 وفُتُوْهُمُ هَجَرُوا ثم اسروا * ليلهم حتى إذا آنجَبَ حَلُّوا
 فاسقنيها يا سَوَادَ بنِ عمرو * إنَّ جسمي بعد خالي لَحُلُ

وقال أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصلتِ يرثي قتلى بدر من قريش :

ألا بِكَيْتٍ على الكرامِ * مِ بنى الكرامِ أُولَى المَادِحِ
 كِبُكَ الحَمَامِ على فُرُو * عِ الأيْكَ في الغصنِ الجَوَانِحِ
 يَبْكِيْنَ حَرَىْ مُسْتَكِينَاتٍ يَرْحَنُ مَعَ الرَوَانِحِ
 أمثالهن الباكيا * تِ الْمُعْوِلَاتِ مِنَ النُّوَانِحِ
 من يَبْكِيْهِمْ يَبْكِيْ على * حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلَّ مَادِحِ
 من ذَا يَدْرِ فَالْعَقْنَ قَلٍ مِنْ مَرَاذِيَةِ جَعَا جَعِ
 شُطِ وَشَبَابٍ بِهَا * لَيْلٍ مَغَاوِرٍ وَحَاوِحِ
 ألا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى * وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَانِحِ
 أن قد تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّةَ فَهِيَ مُوَحَّشَةُ الْإِبَاطِحِ
 مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبَطْرِيقٍ نَفَى اللُّوْنِ وَاضِحِ
 رُغْمُوصِ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ وَجَائِبِ اللُّخْرِقِ فَاتِحِ

لابن أبي الصلت
 يرثي قتلى بدر

ومن السراطة الحلا . جمة الملازمة المناجح
القائلين الفاعلين الأمرين بكل صالح
المطعمين الشعم فو * ق الحيز شحا كالانافح
نقل الجفان مع الجفا * ن إلى جفان كالناضح
ليست بأصفار لمن * يعفو ولا رَحَّ رَحَارح
للضيف ثم الضيف بعد الضيف والبسط السلاطح
وهب المتين من المتين إلى المتين من اللواقح
سوق المؤبل للمؤ * بل صادرات عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا * م مزينة وزن الرواجح
كتناقل الأبطال بالقسطاس في الأيدي الموائح
لله در بنى على * أئيم منهم وناصح
إن لم يغيروا غارة * شعواء تُحجر كل ناصح
بالمقربات المبيدا * ت الطامحات مع الطوامح
مرداً على جرد إلى * أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرته * مشى المصافح للمصافح
يزهاء ألف ثم ألف بين ذى بدن وراح
الضارين التقديمية بالمهتدة الصفايح

السهم بن هارون روى الاخفش لسهل بن هارون :

ما للحوادث عنك منصرف * إلا بنفس مالها خلف
فكانها رام على حنق * وكأني لسهامها هدف
دهر سررت به فأعقبتى * حزناً به ما عشت ألحف

(١) في بعض الأصول : جريانة ما عشت ألحف .

فائبك الذى ولى لمهلك . عنك السرور وخلف الأسف
إذ لا يرد عليك ما أخذت . منك الحوادث دُمعة تكف
قبر بمختلف الرياح ، به . من لست أبلغه بما أصف
أنس الثرى بمحله وله . قد أوحش المستأنس الألف
فأصبر أحسن ما اعتصمت به . إذ ليس منه لدى مُنتصف

٥

وقال فروة بن نوفل الحرورى ، وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج ويقولون : والله لنحرقنهم ولنفعلن ولنفعلن . فقال فى ذلك فروة بن نوفل ، وكان من الخوارج :

ما إن بُالى إذا أروا حنا قبضت . ماذا فعلتم بأجساد وأبشار
تجرى المجزة والنيران بينهما * والشمس والقمر السارى بمقدار
لقد علمت وخير العلم أنفعه . أن السعيد الذى ينجو من النار

١٠

وقال يرى قومه :

هم نصبوا الأجساد للنبل والقنا . فلم يبق منها اليوم إلا رميمها
تظل عناق الطير تحجل نحوهم . يُعلن أجساداً قليلاً نعيمها
إطاف براها الصوم حتى كأنها * سيوف إذا ما الخيل تذى كلومها

١٥

التعازى

ل

قال عبد الرحمن بن أبى بكر لسليمان بن عبد الملك يعزیه فى ابه أيوب ، وكان
ولى عهده وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين ، إنه من طال عمره فقد أحبته ، ومن
قصر عمره كانت مصيبته فى نفسه ؛ فلو لم يكن فى ميزانك لكنت فى ميزانه !

لابن أبى بكر
يعزى سليمان
فى ابه

وكتب الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزیه فى ابه عبد الملك :

٢٠

وعرضت أجراً من فقيه ، فلا يكن * فقيدك لا باقى وأجرك يذهب

العتبي قال : قال عبد الله بن الأَهمم : مات لي ابن وأنا بمكة ، فجذعت عليه جزءاً شديداً ؛ فدخل عليّ ابنُ جُريج يعزيني ، فقال لي : يا أبا محمد ، آسلُ صبراً واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسياناً كما تسلو البهائم .

لابن جريج يعزى
ابن الأَهمم

وهذا الكلام لعلّي بن أبي طالب كرم الله وجهه يُعزى للأشعث بن قيس في ابن له ، ومنه أخذ ابن جريج ؛ وقد ذكره حبيب في شعره فقال :

وقال عليّ في التّعازي لِأَشْعَثَ * وخافَ عليه بعضَ تلكَ المآثمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبُلُوَى عَزَاءً وَحِسْبَةً * فَتُوجَرَ أَمْ تَسْلُو سُلوَ الْبِهَائِمِ

أتى عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه لأشعث يعزيه عن أبيه ، فقال : إن تحزن فقد استحققت ذلك منك ألّرحم ، وإن تصبر فإن في الله خُلُفاً من كل هالك ، مع أنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزيعت جرى عليك القدر وأنت آثم .

على والأشعث
في وفاة أبيه

وعزّى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فبه يعمل من احتسب ، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبةٌ إلا ومعها أعظمُ منها ، من طاعة الله فيها أو معصيته بها .

لابن السماك
يعزى رجلاً

الأصمعي قال : عزى صالحُ المزّي رجلاً بابنه ، فقال له : إن كانت مصيبتُك لم تُحدث لك موعظةً ، فمصيبتُك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك ؛ واعلم أن التهته على آجلِ الثواب أولى من التعزية على عاجلِ المصيبة .

لصالح المزّي
في مثله

العتبي قال : عزى أبي رجلاً فقال : إنما يستوجب على الله وعده من صبر لحقه ، فلا تجمع إلى ما لجمت به الفجيعة بالآجر ، فإنها أعظم المصيبتين عليك ، ولكل اجتماع فرقة إلى دار الحلول .

لوالد العتبي في مثله

عزّى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بُنى له صغير ؛ فقال : عوضك الله منه ما عوضه الله منك .

لابن عباس يعزى
عمر في ابن له

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا عزى قوماً قال : عليكم بالصبر

للي في النزاء

فإن به يأخذ الخازم ، وإليه يرجع الجازع .

وكان الحسن يقول في المصيبة : الحمد لله الذي آجرنا على ما لو كلفنا غيره .
لعجزنا عنه .

كتاب تعزية

- ٥ أما بعد : فإن أحق من تعزى ، وأولى من تأسى وسلم لأمر الله ، وقيل تأديبه في الصبر على نكبات الدنيا وتجرع غمص البلوى - من تنجز من الله وعده ، وفهم عن كتابه أمره ، وأخلص له نفسه ، وأعترف له بما هو أهله ، وفي كتاب الله سلوة من فقد كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه ، وأزس من كل فقيد وإن عظمت اللوعة به ؛ إذ يقول الله عز وجل : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وحيث يقول : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ والموت سبيل الماضين والغابرين ، ومورد الخلائق أجمعين ، وفي أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة ، وأحسن الأسوة ، فهل أحد منهم إلا وقد أخذ من بوائع الدنيا بأجزل الإعطاء ، ومن الصبر عليها بأحسن الحساب الأجر فيها بأوفر الأنصاء .
- ١٥

- فجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم ، وكان ذخر الإيمان ، وقرّة عين الإسلام ، وعقب الطهارة ، وسليل الوحي ، ونتيج الرحمة ، وحضين الملائكة ، وبقية آل إبراهيم واسماعيل صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى عامة الأنبياء والمرسلين فعمت الثقلين مصيبته ، وخصت الملائكة رزيته . ورضى صلى الله عليه وسلم من فراقه بثواب الله بدلا ، ومن فقدانه بموعوده عوضاً ؛ فشكر قضاه واتبع رضاه ؛ فقال : « يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون »
- ٢٠

وإذا تأمل ذو النظر ما هو مشنّب عليه من غير الدنيا ، وانتصح نفسه

وفكره في غيرها بتنقل الأحوال ، وتقارب الآجال ، وانقطاع يسير هذه المدة .
ذلت الدنيا عنده ، وهانت المصائب عليه ، وتسهلت الفجائع لديه ، فأخذ للأمر
أهبة ، واستعد للبت عدته ؛ ومن صحب الدنيا بحسن الروية ، ولاحظها بعين
الحقيقة ، كان على بصيرة من وشك زوالها .

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : **أَذْكُرُوا الْمَوْتَ فَإِنَّ هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُنْغَصُّ**
الشَّهَوَاتِ . وليس شيء مما أقتصصت إلا وقد جعلك الله مقدماً في العلم به ؛
ولعمري إن الخطب فيما أصبت به لعظيم ، غير أن معوضه من الأجر والثوبة
عليه بحسن الصبر ، يهونان الرزية وإن ثقلت ، ويسهلان الخطب وإن عظم ؛
فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين ، وقربة ^(١)
الشَّاكِرِينَ ، وجعلك من المرصدين قولاً وفعلًا ، الذين أعطاهم الحسن ، ووقفهم
الصبر والتقوى .

في عزاء عقبة بابه محمد بن الفضل عن أبي حازم قال : مات عُبَيْة بن عِيَّاض بن غَنَمٍ الفهري ،
فعرّى رجل أباه فقال : لا تجزع عليه فقد قُتِلَ شهيداً ، فقال : وكيف أجزع على
من كان في حياته زينة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

- ابن الغار قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل ، قال : سمعت الأصمعي يقول : **١٥**
دخلت على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزعاً على أخيه محمد بن سليمان ،
فأنشدته بيتين ، فما برحت حتى دعا بالمائدة ، فقلت للأصمعي : ما هما ؟ فسكت ،
فسأله ؛ فقال : أتدرى ما قال الأحوص ؟ قلت : لا أدري . قال : قال الأحوص :

قَدْ زَادَهُ كَلْفًا بِالْعُبِّ إِذْ مَنَعَتْ هـ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

- قال أبو موسى : والآيات لأراكة الثقي يرى بها عمرو بن أراكة ويُعرّى
نفسه ، حيث يقول :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ مَاضِي هـ بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقِ الْجِمَامِ إِلَى الْقَبْرِ

(١) في بعض الأصول : ومزید الشاکرین . .

لَتَسْتَفِدْنَ ماءَ الشُّونِ بِأَسْرِهِ ۝ وَإِنْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ تَبِيجِ الْبَحْرِ
تَبِينَ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا ۝ عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
فَلَا تَبْكِكَ مَيِّتًا بَعْدَ مَوْتِ أَحَبَّةٍ ۝ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

أبو عمر بن يزيد قال : لما مات أخو مالك بن دينار ، بكى مالك ، وقال : لما بك بن دينار
في أخيه يا أخى ، لا تقزع عيني بعدك حتى أعلم أنى الجنة أنت أم فى النار ؛ ولا أعلم ذلك
حتى ألحق بك !

وقالت أعرابية ورأت ميتاً يدفن : جأى الله عن جنيبه الثرى ، وأعانه لأعرابية فى بيت
على طول الليل .

وعزى أعرابى رجلاً فقال : أوصيك بالرضا من الله بقضائه ، والتشجر لما لأعرابية عزى
وعد به من ثوابه ؛ فإن الدنيا دار زوال ولا بد من لقاء الله .

وعزى أيضاً رجلاً فقال : إن من كان لك فى الآخرة أجراً ، خيرٌ لك ممن
كان لك فى الدنيا سروراً .

وجزع رجل على ابن له ، فشكا ذلك إلى الحسن ، فقال له : هل كان ابنك الحسن وجزع
على ابنه
يغيب عنك ؟ قال : نعم ؛ كان مغيبه عنى أكثر من حضوره . قال : فتركه غائباً ،
فإنه لم يَنْبَ عنك غيبةُ الأجر لك فيها أعظم من هذه الغيبة .

وعزى رجل نصرانى مسلماً ، فقال له : إن مثلى لا يعزى مثلك ، ولكن انظر لنصرانى يعزى
مسلماً
ما زهد فيه الجاهلُ فارغب فيه .

وكان على بن الحسين رضى الله عنه فى مجلسه وعنده جماعة ؛ إذ سمع ناعية لى بن الحسين
فى ناعية
فى بيته ؛ فنهض إلى منزله فأسكتهم ، ثم رجع إلى مجلسه ، فقالوا له : أمِنَ حَدَثٍ
كانت الناعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت
نطيع الله فيما نحب ، ونحمده على ما نكره .

تعزية : التمس ما وعد الله من ثوابه بالتسليم لقضائه ، والانتفاء إلى أمره ؛
فإن ما فات غير مستدرَك .

وعزى موسى المهدى إبراهيم بن سلم على ابن له مات ، فخرع عليه جزعاً

شديداً ، فقال له : أيمرك وهو بليّة وفنّة ، وبجزئك وهو صلوات وبرحة .

لابن جبير
سفيان الثوري ، عن سعيد بن جبير قال . ما أعطيت أمة عند المصيبة ما أعطيت هذه الأمة من قولها : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ . ولو أعطيتها أحد لأعطيها يعقوب حيث يقول : ﴿ يا أسفا على يومئذ ! وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ﴾ .

لرجل يزي
رجلا
وعزى رجل رجلا بابن له فقال له : لو ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك : فما بقاء من ذهب أصله وفرعه .

تعازى الملوك

لأكرم يعزى
ابن هند
العبي قال : عزى أكرم بن صفي عمرو بن هند ملك العرب على أخيه ، فقال له : أيها الملك ، إن أهل هذه الدار سفرٌ لا يحلون عُقد الرّحال إلا في غيرها ، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك ؛ واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل ، فجعلك بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكمته . واليوم : غنيمة وصدق ، أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته . وغد : لا تدرى من أهله ، وسيأتيك إن وجدك ؛ فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ؛ وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؛ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

فمهلك المنصور
لما هلك أمير المؤمنين المنصور ، قدمت وفود الأمصار على أمير المؤمنين المهدي ، وقدم فيهم أبو العيّن المحدث ؛ فتقدم إلى التعزية فقال : آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له ؛ فلا مصيبة أعظم من مصيبة إمام والد ، ولا عقي أفضل من خلافة الله على أوليائه ؛ فأقبل من الله أفضل العطية ، واصبر له على أعظم الرزية .

ولما مات معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد غائب ؛ صلى عليه الضحّاك

ان قيس الفهري ، ثم قدم يزيد من يومه ذلك ؛ فلم يقدم أحد على تعزيتيه حتى
دخل عليه عبد الله بن همام السلولى ، فقال :

أَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا مِقَّةٍ ۝ وَاشْكُرْ جِئَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ حَابَاكَ
لَا رَزْءَ أَعْظَمُ فِي الْأَقْوَامِ فَدَعَلُوا ۝ ثَمَّا رَزِمْتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
أَصْبَحْتَ رَاعِيَّ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ ۝ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَ
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ ۝ إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمُنْعَاكَ
فافتح الخطباء الكلام .

عزى شبيب بن شبة المنصور على أخيه أبى العباس فقال : جعل الله ثواب
مارُزِمْتَ به لك أجراً ، وأعقبك عليه صبراً ، وختم ذلك لك بعافية تامة ، ونعمة
عامة ؛ فتواب الله خير لك منه ، وما عند الله خير له منك ، وأحق ما صبر عليه
ماليس إلى تغييره سبيل .

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخلفاء يعزّيه : إن أحق من عرف حق الله
فيما أخذ منه ، من عرف نعمته فيما أبقي عليه . يا أمير المؤمنين ، إن الماضى
قبلك هو الباقي لك ، والباقي بعدك هو المأجور فيك ، وإن النعمة على الصابرين
فيما ابتلوا به أعظم منها عليهم فيما يُعَافُونَ منه

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين
قد أصيب الليلة بآفة له ووُلِدَ له آخر ! فلما دخل عليه قال سرك الله يا أمير المؤمنين
فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعل هذه هذه ، مثوبة على الصبر ، وجزاء
على الشكر .

ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزّيها بابنها الفضل بن سهل فقال :
يا أُمَّة ، إنك لم تفقدى إلا رؤيته ، وأنا ولدك مكانه ! فقالت : يا أمير المؤمنين ،
إن رجلاً أفادنى ولداً مثلك لجدير أن أجزع عليه .

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إن عبد الملك
كان عبداً من عبيد الله ، أحسن الله إليه وإلى فيه ؛ أعاشه ما شاء وقبضه حين شاء
بعد موت ولده

في موت معاوية
ابن أبى سفيان

عراء شبيب
المنصور في أبى
العباس

لابن إسحاق
يعزى بعض
الخلفاء

الرشيد وعبد
الملك بن صالح

المأمون يعزى أم
الفضل بن سهل

من عمر بن عبد
العزيز إلى عماله
بعد موت ولده

وكان - ما علمت - من صالحى شباب أهل بيته قراءة للقرآن وتحرياً للخير ، وأعوذ بالله أن يكون لى حجة أخالف فيها عجة الله ، فإن ذلك لا يحسن فى إحسانه إلى ، وتتابع نعمه على ، ولأعلن ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ؛ قد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه .

- ٥ دحل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك وقد توفى ابنه أيوب عزاء زياد
للسليمان بن
عبد الملك فى ابنه
فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يقول : من أحب البقاء
- ولا بقاء - فليوطن نفسه على المصائب .

لما مات معاوية دخل عطاء بن أبى صبيح على يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين أصبحت وزمت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ؛ فاحتسب على الله أعظم الرزية وأشكره على أحسن العطية . لعطاء يعزى
يزيد فى معاوية ✓

- ١٠ عزى محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال :
يا أمير المؤمنين ، أعيد لما ترى عذة تكن لك جنة من الحزن وسيراً من النار
فقال عمر : هل رأيت حزناً يُحتج به ، أو غفلة يذنبه ؟ عليها ؛ قال : يا أمير المؤمنين ،
لو أن رجلاً ترك تعزية رجل لعله وانتباهه لكنته ، ولكن الله قضى أن الذكرى
تنفع المؤمنين . لابن الوليد يعزى
عمر بن عبد العزيز
فى ابنه

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزاه ، فلم يرد عليه شيئاً ؛ ثم دنا إليه آخر فعزاه فلم يرد عليه شيئاً ، فلما رأى الناس ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه ؛ فلما بلغ الباب أقبل على الناس بوجهه وقال : أدركت الناس وهم لا يعزون بامرأة إلا أن تكون أمّاً ، انقلبوا رحمكم الله . عمر بن عبد العزيز
فى وفاة أخته

- ٢٠ وُجد فى حائط من حيطان تتبع مكتوباً : لبعض الشعراء
فى التعزية

أَصْبِرْ لِدَهْرِ نَالٍ مِنْهُ • لَكَ فَهَكَذَا مَضَتْ الدُّهُورُ
فَسَرَحْ وَحُزْنٌ مَرَّةً • لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا السُّرُورُ

وهذا نظير قول العتاني :

العتاني

وقائلة لما رأيتي مُسَهَّداً * كأن الحشا منى تلذعه الجمرُ
أباطنُ داءٍ أم جوى بك قاتلٌ * فقلتُ الذي بي ما يقومُ له صبرُ
تفرقُ آلاف وموتٌ أحبةٌ * وقد دوى الأفضالِ قالت كذا الدهرُ

لابن طاهر يمزى
التوكل في الله

٥ كتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزیه بآبن له :

إني أعزبك لأني على ثقةٍ * من الحياءِ ولكن سُنَّةَ الدينِ
ليس المعزى بياقٍ بعدَ ميته * ولا المعزى وإن عاشا إلى حينِ

لأبي عبيدة

وقال أبو عبيدة :

فإن أشك من ليلى بحر جان طوله * فقد كنت أشكو منه بالبصرة القصرُ
وقائلة ماذا نأى بك عنهم * فقلت لها : لا عِلْمُ لى فسلى القدرُ

١٠

الحكم يمزى
سليمان بن عبد
الملك في ابنه

وقال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أصيب بابنه أيوب : يا أمير المؤمنين
إن مثلك لا يوعظ إلا بدون علمه : فإن رأيت أن تقدم ما أخرت العجزة فرضى
ربك وتريح بدتك من حسن العزاء والصبر على المصيبة ، فافعل .

الحسن بن عمر
ابن عبد العزيز

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزیه في آبنه عبد الملك بيت شعر . وهو :
وعوّضت أجراً من فقدك فلم يكن . فقيدك لا يأتي وأجرك يذهبُ

١٥

الإسكندر بن
أمة عن ففده

ولما حضرت الإسكندر الوفة كتب إلى أمه أن أصنعى طعاماً يحضره الناس
ثم تقدمي إليهم أن لا يأكل منه محزون . ففعلت : فلم يبسط أحد إليه يده :
فقال : ما لكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ،
وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب . فقالت : مات والله ابني ! وما أوصى
إلى بهذا إلا ليعزيني به !

٢٠

اسهل بن هارون
في التعزية

وكان سهل بن هارون يقول في تعزیه : إن أجر التهئة بأجل الثواب ! أوجب
من التعزية على عاجل المصيبة .

كِتَابُ الْيَسِيْمَةِ

فِي النَّسَبِ وَفَصَائِلِ الْعَرَبِ

قال أحد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النوادب والمرأى ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في النسب الذي هو سبب التعارف ، وسُلم إلى التواصل ؛ به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القرية . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، ومن لم يعرف الناس لم يُعَدَّ من الناس .

في الحديث : تعلبوا من النسب ما تعرفون به أحسابكم وتصلون به أرحامكم .

وقال عمر بن الخطاب : تعلبوا النسب ولا تكونوا كنيط السواد : إذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا .

أصل النسب

قال معاوية صالح ، عن يحيى بن سعيد بن المسيب ، قال : ولد نوح ثلاثة أولاد : سام وحام ويافث ؛ فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والنبط ، وولد يافث الترك والصقالبة وبأجوج ومأجوج .

أصل قريش

كانت قريش تدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين في بني كنانة ، فجمعهم قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ، من كل أوب إلى البيت ؛ فسُموا قريشا . والتقريش : التجميع . وسُمي عي بن كلاب

بُجْمَعَا ، فقال فيه الشاعر :

قُصِيَ أَبُوكم مَن يُسَمَّى بُجْمَعَا * به جمع الله القبائل من فِهر

وقال حبيب :

غدوا في نواحي نَعَشِهِ وكأَنما * قريش قريش يوم مات مجع

- ٥ يريد بجمع قصي بن كلاب ، وهو الذي بنى المشعر الحرام ، وكان يقوم^(١) عليه أيام الحج : فسماء الله مشعرا ، وأمره بالوقوف عنده . وإنما جمع قصي إلى مكة بنى فهر بن مالك ، فجئتم قريش كلها فهر بن مالك : فما دونه قريش وما فوقه عرب مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر : وأما قبائل قريش فإنها تنتهي إلى فهر بن مالك لا تتجاوزها ، وكانت قريش تسمى آل الله ، وجيران الله ، وسكان الله .

لعبد المطلب في
قومه

وفي ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل الله في ذِمَّتِهِ * لم تزل فيها على عهدٍ قدّم
إن للبيتِ لربًّا مانِعًا * مَن يُرِدْ فيه يَأْثِمُ يُخْتَرَمُ
لم تزل لله فينا حُرْمَةً * يدفع الله بها عنا النِّقَمَ

- ١٥ وقال الحسن بن هانئ في بعض بني شيبه بن عثمان الذين بأيديهم مفتاح الكعبة :
إذا اشْتَعَبَ الناس البيوت فأتَمُّ * أولو الله والبيت العتيق المحرَّم

لأن نواس في
مدح بني شيبه

نسب قريش

قال أبو المندر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : تسمية من انتهى إليه الشرف

من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام ، عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : هاشم ،

وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجح ، وسهم .

فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب ، يسقى الحجيج في الجاهلية ،

بنو هاشم

وبقي له ذلك في الإسلام .

(١) في بعض الأصول : « يسرج » .

- ٥ وائمة : ومن بنى أمة : أبو سفيان بن حرب ، كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حيت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه .
- ٥ ومن بنى نوفل : الحرث بن عامر ، وكانت إليه الرقادة ، وهي ما كانت تُخرجه من أموالها وترفد به مُنقطع الحاج .
- ٥ ومن بنى عبد الدار : عثمان بن طلحة ، وكان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال والندوة أيضاً في بني عبد الدار .
- ١٠ ومن بنى أسد : يزيد بن زعقة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة : وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإن وافقه ولّاهم عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعواناً : واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف .
- ١٠ ومن بنى تيم : أبو بكر الصديق ، وكانت إليه في الجاهلية الأشناق . وهي الديات والمعرم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأهضوا حمالة من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه .
- ١٥ ومن بنى مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والاعنة : فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش : وأما الاعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب .
- ٢٠ ومن بنى عدى : عمر بن الخطاب ، وكانت إليه السفارة في الجاهلية : وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب ، يمشوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به .
- ٢٠ ومن بنى جُمح : صفوان بن أمة ، وكانت إليه الإيسار ، وهي الأزلام : فكان لا يُسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي يفسرون على يديه .
- ٢٠ ومن بنى سهم : الحرث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سُمّوها لأهلهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية، وهي: السقاية، والعمارة، والعقاب، مكارم قريش
والرفادة، والسدانة، والحجابة، والندوة، والاراء، والمشورة، والأشواق، والقبّة،
والأعنة، والسفارة، والأيسار، والحكومة، والأموال المحجرة - إلى هؤلاء
العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت في أوليتهم، يتوارثون ذلك كابراً
عن كابر؛ وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم؛ وكان كل شرف من شرف الجاهلية
أدركه الإسلام فوصله، فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان
النفر في بني هاشم.

فأما السقاية فمعروفة، وأما العمارة فهو ألا يتكلم أحد في المسجد الحرام
بهمجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته، وكان العباس ينههم عن ذلك.
وأما حلوان النفر، فإن العرب لم تكن تملكُ عليها في الجاهلية أحداً، فإن
كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة، فمن خرجت عليه القرعة أحضره، صغيراً
كان أو كبيراً. فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو
صغير فأجلسوه على المجن.

أبو الطاهر أحمد بن كثير بن عبد الوهاب قال: حدثني أبو ذكوان عن أحمد
بن يزيد الأنطاكي أنه سمع المأمون يقول لأبي الطاهر الذي كان على البحرين: من
أى قريش أنت؟ قال: من بني أسامة بن لؤي، فقال المأمون: ما سمعنا لأسامة
ابن لؤي نسباً في بطوننا العشرة، لو علمنا به على بُعدنا منا لكنا به بررة.

فضل بني هاشم وبني أمية

قيل لعلّ بن أبي طالب: أخبرنا عنكم وعن بني أمية. فقال: بنو أمية أغدرُ
وأمر وأفجر، ونحن أصبح وأفصح وأسمح.

وسأل رجل الشَّعْبِيَّ عن بني هاشم وبني أمية، فقال: إن شئت أخبرتك ما قال
عليُّ بن أبي طالب فيهم. قال: أخبرني. قال: أما بنو هاشم فأطعموها للطعام،
وأضرّوها للهمام؛ وأما بنو أمية فأبعدوها حِلماً وأطابها للأمر الذي لا يُنال فينالونه.

ولمساوية قيل للمعاوية : أخبرنا عنكم وعن بني هاشم . قال : بنو هاشم أشرف واحداً ، وتحن أشرف عدداً ، فسا كان إلا كلاً ولا ، حتى جلاؤا بواحدة بذت الأولين والآخرين . يريد النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول : أشرف واحداً : عبد المطلب ابن هاشم .

- الرياشي عن الأصمعي قال : تصدى رجل من بني أمية لهارون الرشيد فأنشده :
- يا أمين الله إني قائل * قول ذي فهمٍ وعلمٍ وأدبٍ
عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشماً * ومهما بعدُ لِأثمٍ ولِأَبٍ
فاحفظ الأرحامَ فينا إنما * عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطلب
لكم الفضل علينا ، ولنا * بكمُ الفضل على كلِّ العرب
- فأحسن جائزته ووصله .

١٠

سفيان الثوري يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خَلَقَ الخلق فجعلني في خيرِ خلقه ، وجعلهم أفرأقاً فجعلني في خيرِ فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلني في خيرِ قبيلة ، وجعلهم يوتاً فجعلني في خيرِ بيت . فأنا خيركم بيتاً وخيركم نسباً . وقال صلى الله عليه وسلم : كلُّ سببٍ ونسبٍ مُنقطع يومَ القيامة إلا سببي ونسبي .

١٥

جماعة بني هاشم بن عبد مناف

وجماعة قريش

- عبد المطلب بن هاشم ولده عشرة بنين ، منهم : عبد الله أبو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبو طالب ، والزيبر ، أمهم فاطمة بنت عمرو المخزومية . والعباس ، وضرار ، أمهما ثقيلة النمرية . وحزرة ، والمقوم ، أمهما هالة بنت وهيب . وأبو لهب ، أمه لبنى خزاعية . والحارث ، أمه صفية من بني عامر بن صعصعة . والغيداق ، أمه خزاعية .

٢٠

جماعة بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

- وهو أمية الأكبر : حرب بن أمية ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، أمية الأكبر ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العنابس ، والعاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ؛ وهؤلاء يقال لهم الأعياص ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان ، وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، ومنهم سعيد بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .

جماعة بني نوفل

- الحارث بن عامر صاحب الرقادة ، ومطعم بن نوفل ، ومنهم عدى بن الحيار ابن نوفل ؛ ومنهم شافع بن ظرب بن عمرو بن نوفل ؛ وهو كاتب المصاحف لعمر بن الخطاب ؛ ومسلم بن قرطه ، قتل يوم الجمل .

جماعة بني عبد الدار

- عثمان بن طلحة ، صاحب الحجابة ؛ وشببة بن عثمان بن أبي طلحة ؛ والحارث ابن علقمة بن كعدة ، كان رهينة قريش عند أبي يكسوم ؛ والنضر بن الحرث بن علقمة بن كعدة ، بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبراً ، أمر علي بن أبي طالب فقتله يوم الأثيل .

جماعة بني أسد بن عبد العزى

- منهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وأمه صفية ابنة عبد المطلب ، ويزيد ابن زمعة بن الأسود صاحب المشورة ؛ وأبو البختری ، واسمه العاص بن هشام ابن الحرث بن أسد ؛ وورقة بن نوفل بن أسد ، هو الذي أدرك الإيمان بعقله وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى تيم بن مرة

منهم أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو بن عبد الله بن معمر ،
وعبد الله بن جدعان ، وعلى بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة ، والمهاجر بن فهد بن
عمر بن جدعان ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير .

٥ جماهير مخزوم بن مرة

منهم المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ،
وعبد الرحمن بن الحرث ، وعمرو بن حُرَيْث ، وأبو جهل بن هشام بن
المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ،
وعبد الله بن المهاجر ، وعمار بن الوليد بن المغيرة ، وإسماعيل بن هشام بن
المغيرة — ولى المغيرة المدينة وضرب سعيد بن المسيب — ومنهم سعيد بن المسيب
ابن أبي وهب الفقيه .

جماهير عدى بن كعب

منهم : عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من
أصحاب حراء ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولى الكوفة
لعمر بن عبد العزيز ، وسرافقة بن المعتمر ، والنحام بن عبد الله بن أسيد ،
والنعمان بن عدى بن الضلة ، استعمله عمر على ميسان ، وعبد الله بن مطيع ،
وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حذافة ، وكان قاضيا لعمر بن العاص
بمصر : فقتله الخارجي وهو يظنه عمرو بن العاص ، وقال فيه : أردت عمراً
وأراد الله خارجة !

٢٠ جماهير جمح

منهم : صفوان بن أمية ، من المؤلفات لهم ، وأمّية بن خلف ، قتل يوم

بدر ؛ وأبى بن خلف ؛ ومحمد بن حاطب ؛ وجميل بن معمر بن حذافة ؛ وأبو عزة وهو عمرو بن عبد الله ؛ وأبو محذورة ، مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى سهم

الحرث بن قيس ، صاحب حكومة قريش ؛ وعمرو بن العاص ؛ وقيس بن عدى ؛ وحُنين بن حذافة ، ومنبه ؛ ونيه ، ابنا الحجاج ؛ ومنهم العاصي بن منبه ، قُتل مع أبيه ، قتله عليّ وأخذ سيفه ذا الفقار ، فصار إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير عامر بن لؤى

منهم : سهيل بن عمرو ، من المؤلفلة قلوبهم ؛ ومنهم ابن أبي ذئب الفقيه ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ؛ وحويطب بن عبد العزى ، من المؤلفلة قلوبهم ؛ وعبد الله بن مخزومة ، بدرى ؛ ونوفل بن مساحق ؛ وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، الفقيه ؛ وعبد الله بن أبي سرح ، بدرى ؛ ومنهم ابن أم مكتوم ، مؤذن النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير بنى محارب بن فهر بن مالك

منهم : الضحاك بن قيس الفهري ، وحبيب بن مسلمة .

جماهير بنى الحارث بن فهر بن مالك

منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، أمين هذه الأمة ؛ وسهيل ؛ وصفوان ، ابنا وهب ؛ وعياض بن غنم بن زهير ؛ وأبو جهم بن خالد ؛ وبنو الحرث . هؤلاء من المطيبين الذين تحالفوا وغمّسوا أيديهم في حفنة فيها طيب .

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش

بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك ، وهم قريش الظواهر لأنهم

نزلوا حول مكة وما والاها^(١).

فمن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، من المهاجرين الأولين .

ومن بنى مُحارب بن فهر : الضحاك بن قيس الفهري ، صاحب مرج راهط .

وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح : لأنهم سكنوا بطحاء مكة ، وهم البطون العشرة التي ذكرناها قبل هذا الباب .

ومن بطون قريش

بنو زُهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي . منهم وهب بن عبد مناف بن زُهرة ، أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، خال النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم بنو حبيب بن عبد شمس ؛ ومنهم ١٠ عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، صاحب العراق ؛ ومنهم بنو أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه علة ، فيقال لهم العبلات ؛ وبنو عبد العزى بن عبد شمس ، منهم أبو العاص بن الربيع ، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج ابنته التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه : « وَلَكِنَّ ١٥ أبا العاص لم يُذَمَّ صِهرُهُ » ؛ ومنهم بنو المطلب بن عبد مناف ؛ ومنهم محمد بن إدريس الشافعي .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : المطعم بن عدى .

ولعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف يقول أبو طالب :

فيا أخوتنا عبدَ شمس ونوفلاً هـ أعيدُ كما أن تبُعنا يبتنا حرباً

٢٠ وولد أمية الأكبر : العاص ، وأبا العاص ، والعيص ، وأبا العيص ، فهؤلاء .

يقال لهم الأعياص ، وحرباً وأبا حرب ، وهذه البطون التي ذكرنا كلها من قريش ليست من البطون العشرة التي ذكرناها أولاً وذكرنا جماهيرها .

(١) في بعض الأصول : « نزلوا حول مكة وليست لهم » .

فصل قريش

قال النبي عليه السلام : الأئمة من قريش . وقال : قدّموا قريشا ولا تقدّموها :
لنبي صلى الله عليه وسلم
ولما قُتل النضر بن الحارث بن كعدة بن عبد مناف ، قال : « لا يُقتل قرشي صبرا بعد اليوم » ، يريد أنه لا يكفر قرشي فيقتل صبرا بعد هذا اليوم .

٥ الأصمعي قال : قال معاوية : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من السجاء :- معاوية وأصحابه
يا أمير المؤمنين ، قوم ارتفعوا عن رئة العراق ، وتياسروا عن كشكشة بكر ،
وتيامنوا عن شذشنة تغلب ، ليست فيهم غنمة قضاة ، ولا طمطممانية حير .
قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين ، [قريش] . قال : صدقت ! فمن
أنت ؟ قال : من جرم . قال الأصمعي : جرم فصحاء العرب .

١٠ قدم محمد بن عُمير بن عطار في نيف وسبعين راكباً ، فاستزارهم عمرو بن
عتبة ، قال : فسمعتة يقول : يا أبا سفيان ، ما بال العرب تطيل كلامها وأتم
تقصرونها معاشر قريش ؟ فقال عمرو بن عتبة : بالجدل يُرمَى الجندل ، وإن
كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه ، ويُكنى بأولاه ويُستشفى بأخراه ، يتحدر
تحدر الزلال على الكبد الحزى ، ولقد نقصوا وأطال غيرهم فما أخلوا ^(١) ،
١٥ ولله أقوام أدركتهم كأنما خلّقوا لتحسين ما قبّحت الدنيا ، سهلت ألفاظهم كما
سهلت عليهم أنفاسهم ، فابتلوا أموالهم ، وصانوا أعراضهم ، حتى ما يجد الطاعن
فيهم مطعنا ، ولا الملاح مزيدا ، ولقد كان آل أبي سفيان مع قلتهم كثيرا منه
نصيبهم ، ولله در مولاهم حيث يقول :

وضع الدهرُ فيهمُ شفرَتَيْهِ هـ فضى سائِلا وأمَسُوا شُعبا

٢٠ شفرتان والله أفتتا أبدانهم ، وأبقتا أخبارهم ، فركتاهم حديثا حسنا في الدنيا ،
ثوابه في الآخرة أحسن ، وحديثا سيئا في الدنيا ، ثوابه في الآخرة أسوأ ،
فيامو عوْظا بمن قبله موعوْظا به من بعده ، اربح نفسك إذا خسرها غيرك .

(١) في بعض الأصول : « ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد ، » .

قال : فظننت أنه إن أراد أن يعمله أن قريشاً إذا شاءت أن تتكلم تكلمت .

العتبي قال : شهدت مجلس عمرو بن عتبة وفيه ناس من القرشيين ، فتشاحوا في موارد وتجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال : إن لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال ، وأفعالا تخضع لها رقاب الأقوال ، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكل عنها الشفار المشحودة ؛ ولو احتفلت الدنيا ما تزينت إلا بهم ، ولو كانت لهم ضاقت عن سعة أخلاقهم ؛ وإن قوما منهم تخلقوا بأخلاق العوام فصار لهم رفق باللوم ، وحرق في الحرص ولو أمكنهم لقاسموا الطير في أرزاقها ؛ إن خافوا مكروهاً تعجلوا له الفقر ؛ وإن عجّلت لهم النعم أخروا عنها الشكر ، أولئك أنضاء فكرة الفقر ، وعجزة حملة الشكر .

ابن عتبة
وقريشون
تشاحوا

قال أبو العيناء الهاشمي : جرى بين محمد بن الفضل وبين قوم من أهل الأهواز . ١٠ كلام ، فلما أصبح رجع عنه ؛ فقالوا له : ألم تقل أمس كذا وكذا ؟ قال : تختلف الأقوال إذا اختلفت الأحوال .

محمد بن الفضل
وقوم

ودخل محمد بن الفضل على والي الأهواز فسمعه يقول : إذا كان الحق استوى عندى الهاشمي والنبطي . فقال محمد بن الفضل : لئن استوت حالتهما عندك فما ذلك بزائد النبطي زينة ليست له ، ولا ناقص الهاشمي قدراً هو له ، وإنما يلحق النقص المسوي بينهما !

بينه وبين والي
الأهواز

العتبي قال : قال عمرو بن عتبة : اختبم قوم من قريش عند معاوية فتمنوا الحق ، فقال معاوية : يامعشر قريش ، ما بال القوم لا يتم يصلون بينهم ما انقطع ، وأنتم لعلات تقطعون بينكم ما وصل الله ، وتباعدون ما قرب ؛ بل كيف ترجون لغيركم وقد عجّزتم عن أنفسكم ؟ تقولون كفانا الشرف من قبلنا ؛ فعندها لزمتمكم الحجة : فاكفوه من بعدكم كما كفاكم من قبلكم ، أو تعلمون أنكم كنتم رقاعاً في جنوب العرب ، وقد أخرجتم من حرم ربكم ، ومنعتم ميراث أيكم وبلدكم ، وأخذ لكم ما أخذ منكم ؛ وسماكم باجتماعكم اسماً به أبانكم من جميع العرب ، وردّ به كيد العجم ، فقال جل ثناؤه : (لإيلاف قريش إيلافهم) فارغبوا

لابن عتبة ينصح
قريشيين

في الائتلاف أكرمكم الله به ، فقد حذرتمكم الفرقة نفسها ، وكفى بالتجربة واعظا .

مكان العرب من قريش

عن أبي عبد الله
عليه وسلم

يحيى بن عبد العزيز ، عن أبي الحجاج رياح بن ثابت ، عن بكر بن خنيس ،
عن أبي الأحوص ، عن أبي الحصين ، عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : قريش الجؤجؤ والعرب الجناحان ، والجؤجؤ لا ينهض إلا بالجناحين .

لماوية

قال عمرو بن عتبة : ما استدّر لعمى كلام قط فقطعه ، حتى يُذكر العربُ بفضل
أو يُوصى فيهم بخير . ولقد أنشده مروان ذات يوم للنابغة حيث يقول :

فهم درّعي التي استلّمتُ فيها • إلى يوم النّسار وهمُ يَجْنَى

فقال معاوية : ألا إن دروع هذا الحى من قريش إخوانهم من العرب ،
المتشابهة أرحامهم تشابك حلق الدرع ، التي إن ذهبت حلقة منه فرقت بين أربع ؛
ولا تزال السيوف تكبره مذاقة لحوم قريش ما بقيت دروعها معها ، وشدت
نطقها عليها ، ولم تفك حلقها منها : فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جزرا .

لابن عتبة في
معاوية

العتبي عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال : عقلت النساء أن يلدن مثل عمى ؛
شهدته يوما وقد قدمت عليه وفود العرب ، فقضى حوائجهم وأحسن جوائزهم ؛

فلما دخلوا عليه ليذكروا سبقتهم إلى الشكر ، فقال لهم : جزاكم الله يامعشر العرب

عن قريش أفضل الجزاء ؛ بتقدمكم إياهم في الحرب ، وتقديمكم لهم في السلم ،
وحقنكم دماءهم بسفكها منكم ؛ أما والله لا يؤثر عليكم غيركم منهم إلا حازم
كريم ، ولا يرغب عنكم منهم إلا عاجز لثيم ؛ شجرة قامت على ساق ، فنفزع أعلها
واجتمع أصلها ، عضد الله من عضدها ، فبالها كلمة لو اجتمعت ، وأيدياً لو ائتملت ؛

ولكن كيف ياصلاح ما يريد الله إفساده ؟

فضائل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنا أبو الحجاج رياح بن ثابت ، قال : حدثنا بكر
ابن خنيس ، عن أبي الأحوص ، عن أبي الحصين ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألتكم الجرائح فاسألوا العرب : فإنها تعطى لثلاث خصال : كرم أحسابها ، واستحياء بعضها من بعض ، والمواساة لله . ثم قال : « من أبغض العرب أبغضه الله .

لابن الكلبي

ابن الكلبي قال : كانت في العرب خاصة عشر خصال لم تكن في أمة من الأمم : خمس منها في الرأس ، وخمس في الجسد : فأما التي في الرأس : فالفرق ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنثار ، وقص الشارب : وأما التي في الجسد : فتقليم الأظفار ، ونف الإبط ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء : وكانت في العرب خاصة ، القيافة : لم يكن في جميع الأمم أحد ينظر إلى رجلين أحدهما قصير والآخر طويل ، أو أحدهما أسود والآخر أبيض ، فيقول : هذا القصير ابن هذا الطويل ، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض ، إلا في العرب .

لابن المقفع

أبو العيناء الهاشمي عن الفهزمي عن شبيب بن شبة قال : كما وقوفاً بالمربد ، وكان المربد مألوف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع ، فبششنا به وبدأناه بالسلام ، فرد علينا السلام ، ثم قال : لو ملتم إلى دار تيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب : فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل : فإن الذي تطلبونه لم تُفقاؤه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه .
فقبلنا وملنا : فلما استقر بنا المكان قال لنا : أي الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس . فقلنا : فارس . فقال : ليسوا بذلك : إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقد الأمر : فما استنبطوا شيئاً يعقوهم ، ولا ابتدعوا باقي حكم بنفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال :
أصحاب طرفة . قلنا : الهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خلق الله . قلنا : الترك . قال : كلاب ضالة ^(١) . قلنا : الحزر . قال : بقر سائمة . قلنا : فقل . قال : العرب . قال : فضحكنا .

(١) في بعض الأصول : « مختلصة » .

قال : أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتني حظي من النسبة ، فلا يفوتني حظي من المعرفة ؛ إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ؛ أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ؛ يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ؛ أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم همهم ، وأغلثهم قلوبهم وألسنتهم ؛ فلم يزل جاء الله فيهم وحباقهم في أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خسم ؛ ودفع الحق باللسان أكبت للجنان .

ذكر الأصمعي عن ذي الرمة قال : رأيت عبداً أسود لبني أسد قدم علينا من شق انيامة ، وكان وحشياً ؛ لطول تغربه في الإبل ، وربما كان لقي الأكرة فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رأاني سكن إلي ، ثم قال لي : يا غيلان ، لعن الله بلاداً ليس فيها عربي ، وقال الله الشاعر حيث يقول :

حُرُّ النَّوْرى مُسْتَغْرَبُ الثَّرَابِ

وما رأيت هذه العرب في جميع الناس إلا مقدار القرحة في جلد الفرس ؛ ولولا أن الله رقى عليهم لجعلهم في حشاه ؛ لطمست هذه العجبان آثارهم ، والله ما أمر الله نبيه بقتلهم إلا لضته بهم ، ولا ترك قبول الجزية منهم إلا لتركها لهم . الأكرة : جمع أكار ، وهم الحرث . وقوله : جعلهم في حشاه ، أي : استبطنهم . يقول الرجل للعربي إذا استبطنه : خبانك في حشاي وقال الراجز :

وصاحب كالدمل الميسد . جعلته في رُقعة من جلدي

وقال آخر :

لقد كنت في قوم عليك أئحية . يحبك إلا أن ما طاح طامح

يَوَدُّونَ لَوْ خَاطَبُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ * وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفْسُ الشَّحَاحُ

علماء النسب

كان أبو بكر رضى الله عنه نسابة ، وكان سعيد بن المسيب نسابة ، وقال له رجل : أريد أن تعلمنى النسب ، قال : إنما تريد أن تساب الناس :

أبو بكر
وان السب

- عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر ، حتى رُفِعْنَا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال علي : وكان أبو بكر مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نسابة . فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأي ربيعة أنتم ، أم من هاتمتها [أم من لهازمها] ؟ قالوا : من هاتمتها العظمى . قال : وأي هاتمتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر . قال أبو بكر : فنكم عوف بن محلم الذي يقال فيه : لا حُرَّ بوادى عوف ؟ قالوا : لا . قال : فنكم جساس بن مرة الحامى الذمار ، والمانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : فنكم أحوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا . قال : فنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم ذهلًا الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من شيبان حين بقل وجهه ، يقال له دغفل ، فقال :

أبو بكر
وبعض القبائل

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ * وَالْعِبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تُحْمَلُهُ

- يا هذا ، إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتفك شيئاً ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش ؟ قال : بخر بخر ! أهل الشرف والرياسة : فمن أى قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . قال : أمكنت والله الراى من سواء الثغرة . أفنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل فسعى جمعاً ؟ قال : لا . قال : أفنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْتَنُونَ عِجَاف ؟ قال : لا . قال : فنكم شبة الحمد ، عبد المطلب ، مطعم طير السماء ، الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟

قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمامَ الناقة ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الغلام :

صَادَفَ دَرُّ السَّبِيلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ • يَهْبِضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْدَعُهُ

قال : فتبسم النبي عليه السلام : قال علي : فقلت له : وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على بائقة . قال : أجل : قال : مامن طامة إلا وفوقها أخرى ، والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذو شجون .

دغفل وقوم من
الأنصار

قال ابن الأعرابي : بلغني أن جماعة من الأنصار وقفوا على دَغْفَلِ النسابة بعد ما كَفَّ ، فسلبوا عليه ، فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : سادة اليمن . فقال : من أهل مجدها القديم ، وشرفها العميم ، كسدة ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم الطوال قصبا المدحسون نسبا ، بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم أقودها للزحوف ، وأخرقها للصفوف ، وأضرُبها بالسيوف ، رهط عمرو بن معديكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم أحضرها قراء ، وأطيبها فناء ، وأشدّها لقاء رهط حاتم بن عبد الله [الطائي] ؟ قالوا : لا . قال : فأتتم الغارسون للنخل ، والمطعمون في المحل ، والقائلون بالعدل ، الأنصار ؟ قالوا : نعم .

ابن شيبان
وقوم من العرب

مسئلة بن شبيب ، عن المنقري ، قال : ذكروا أن يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس قال : خرجتُ حاجًّا ، حتى إذا كنت بالمحصب من مَنَى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب ، مع كل رجل منهم مِحْجَنٌ ، يُنْجُون الناس عنه ويوسعون له ؛ فلما رأيتُه دَنَوْتُ منه ؛ فقلت : مَن الرجل ؟ قال : رجل من مَهْرَة ، مَن يسكن الشجر . قال : فكرهته ووليت عنه ، فناداني من ورائي : مالك ؟ فقلت : لست من قومي ولست تعرفني ولا أعرفك . قال : إن كنت من كرام العرب فسأعرفك . قال : فكررت عليه راحلتي ، فقلت : إني من كرام العرب . قال : فمن أنت ؟ قلت : من مضر . قال : فمِنَ الفرسان أنت أم من الأرحاء ؟ فقلت أنه أراد بالفرسان قيسا ، وبالأرحاء خندقا ؛ فقلت : بل من الأرحاء . قال : أنت امرؤٌ من خندف ؟ قلت : نعم . قال : من الأرنبة

- أنت أم من الجاهل ؟ فعلت أنه أراد بالأرنية خزيمة ، وبالجحمة بني أذ بن طابخة ؛
 قلت : بل من الجحمة . قال : فأنت امرؤ من بني أذ بن طابخة ؟ قلت : أجل ؛
 قال : فمن الدواني أنت أم من الصميم ؟ قال : فعلت أنه أراد بالدواني الرباب
 ومزينة ، وبالصميم بني تميم ؛ قلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من بني تميم .
 قلت : أجل . قال : فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين ، أو من إخوانهم
 الآخرين ؟ فعلت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد مناة ، وبالأقلين ولد الحارث ،
 وإخوانهم الآخرين بني عمرو بن تميم ؛ قلت : من الأكثرين . قال : فأنت إذاً
 من ولد زيد ، قلت : أجل ؛ قال : فمن البحور أنت أم من الجُدود أم من النُماذ ؟
 فعلت أنه أراد بالبحور بني سعد ، وبالجُدود بني مالك بن حنظلة ، وبالنُماذ
 بني امرئ القيس بن زيد ؛ قلت : بل من الذرى . قال : فأنت من مالك بن حنظلة . .
 قلت : أجل . قال : فمن اللُهاب أنت أم من الشعاب أم من اللُصاب ؟ فعلت
 أنه أراد باللُهاب مجاشعا ، وبالشعاب نهشلا ، وباللُصاب بني عبد الله بن دارم ؛
 فقلت له : من اللُصاب . قال : فأنت من بني عبد الله بن دارم ؟ قلت : أجل .
 قال : فمن البيوت أنت أم من الزوافر ؟ فعلت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة ،
 وبالزوافر الأحلاف ؛ قلت : من البيوت . قال : فأنت يزيد بن شيان بن علقمة
 ابن زرارة بن عدس ، وقد كان لأيك امرأتان ، فأيهما أمك ؟

قول دغفل في قبائل العرب

- دغفل وزباد : الهيثم بن عدي عن عوانة قال : سأل زياد دغفلا عن العرب ، فقال :
 الجاهلية ليمَن ، والإسلام لمضر ، والفينة بينهما لريعة . قال : أخبرني عن مضر ؛
 قال : فاخِرُ بكنانة ، وكأثر بتميم ، وحارب بقيس ؛ ففيها الفرسان والأنجاد ؛
 وأما أسد ففيها دَل وكُبر .

- دغفل ومعاوية : وسأل معاوية بن أبي سفيان دغفلا فقال له : ما تقول في بني عامر بن صعصعة ؟
 قال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء ؛ قال : فما تقول في بني أسد ؟ قال : عاقه قاقه ،
 فصحاء كاقه . قال : فما تقول في بني تميم ؟ قال : حجر أخشن ، إن صادفته آذاك ،

وإن تركته أعفأك . قال : فما تقول في خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ! قال :
فما تقول في اليمين ؟ قال : شدة وإباء .

قال نصر بن سيار :

إنا وهذا الحيّ من يمين لنا ، عند الفخار أعزّة أكفاء
قوم لهم فينا دماء جمة ، ولنا لديهم أجنة ودماء
وربعة الأذنان فيما بيننا ، لأنهم لنا سلم ولا أعداء
إن ينصرونا لا نعز بنصرهم ، أو يخذلونا فالسواء سماء

مفاخرة يمين ومضر

- ١٠ قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك - وهما عند هشام بن عبد الملك - فقال له خالد : قل . فقال الأبرش : لنا ربيع البيت - يريد الركن اليماني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة .
- قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل .

قال الأبرش : لا فاخرت مضر يا بعدك !

- ١٥ ونزل بأبي العباس قوم من اليمين من أخواله من كعب ، ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال أمير المؤمنين [وأهله] ! قال : لا بد أن تقول . قال : وما [عسى أن] أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين حائك برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ؛ دل عليهم هدهد ، وملكتهم امرأة ، وغرقهم فارة ؟ فلم يثبت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج

- ٢٠ الحشني يرفعه إلى أنس ، قال : تفاخرت الأوس والخزرج ؛ فقالت الأوس :
منا غسيل الملائكة حظلة الراهب ، ومنا عاصم بن ثابت بن الأفلح الذي حمت .

لحمه الدبر ، ومنا ذو الشهادتين حزيمة بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد ابن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب سيد القراء ؛ ومنا الذي أیده الله بروح القدس في شعره ، حسان ابن ثابت .

البيوتات

- قال أبو عبيدة في كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مروان في سمرة علماء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فانفقوا على خمسة أبيات : بيت بني معاوية الأكرمين في كندة ، وبيت بني جشم بن بكر في تلعب ، وبيت ابن ذى الجدين في بكر ، وبيت زُرارة بن عدس في تميم ، وبيت بني بدر في قيس - وفيهم الأحرز بن مجاهد التغلبي ، وكان أعلم القوم ، فجعل لا يخوض معهم فيما يخوضون فيه ؛ فقال له عبد الملك : مالك يا أحيرز ساكتا منذ الليلة ؟ فوالله ما أنت بدون القوم علما . قال : وما أقول ؟ سبق أهل الفضل في فضلهم أهل النقص في نقصانهم ، والله لو أن للناس كلهم فرسا سابقاً لكانت غرته بنو شيبان فقيم الإكثار . وقد قال المسيّب بن عَلس :

تبيت الملوكُ على عَثِيها • وشيخان إن عَتَبْتَ تَعْتَبُ
فكالشَّهْد بالزَّاج أخلاقُهُم • وأحلامُهُم منها أَعْدَبُ
وكالمسك تُزْبُ تَقاماتُهُم • وتُزْبُ قُبورِهِم أَطْيَبُ

بيوتات مضر وفضائلها

- قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن مضر . فقال : كِنانة جُمُجَمَتْها وفيها العِنان ، وأَسَدُ لسانها ، وتميم كاهلها .

وقالوا : بيت تميم ، بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة ، وبيت قيس ، فزارة ومركزه بنو بدر ؛ وبيت بكر بن وائل شيبان ، ومركزه بنت بني ذى الجدين .

علماء النساب في
حضرة عبد الملك

لبي صلى الله
عليه وسلم

لبعضهم

وقال معاوية للكلي حين سأله عن أخبار العرب . قال : أخبرني عن أعز العرب فقال : رجل رأيته يباب قبه فقسم النبي بين الحليفين أسد وغطفان معا . قال : ومن هو ؟ قال : حصن بن حذيفة بن بدر . قال : فأخبرني عن أشرف بيت في العرب . قال : والله إني لأعرفه وإني لأبغضه ! قال : ومن هو ؟ قال بيت زرارة ابن عدس . قال : فأخبرني عن أفصح العرب . قال : بنو أسد .

والمجتمع عليه عند أهل النسب . وفيما ذكره أبو عبيدة في التاج ، أن أشرف بيت في مضر غير مدافع في الجاهلية ، بيت بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال النعمان بن المنذر ذات يوم ، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل ، ودعا ببردئ محرق . فقال : لِيَلْبَسَ هذين البردين أكرمُ العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة . فأحجم الناس ؛ فقام الأحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، فقال : أنا لهما ! فأنزرا بأحدهما وارتنى بالآخر ؛ فقال له المنذر : ما حجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار كلها في مضر . ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة . قال : هذا أنت في أصلك ؛ فكيف أنت في عشيرتك ؟ قال : أنا أبو عشرة ، وعم عشرة ، وأخو عشرة ، وخال عشرة ! قال : فهذا أنت في عشيرتك ؛ فكيف أنت في نفسك ؟ فقال : شاهدُ العين شاهدي . ثم قام فوضع قدمه في الأرض . وقال : من أزالها فله من الإبل مائة ! فلم يقم إليه أحد ولا تعاظم ذلك . فقيه يقول الفرزدق :

فما تم في سعدٍ ولا آل مالِك . غلامٌ إذا ماسيل لم يَبْهَدِلِ

لَمْ وَهَبَ النُّعْمَانُ بُرْدَيَّ مُحْرَقٍ . بِمَجْدٍ مَعَدَّ الْعَدِيدُ الْمُحْصَلِ

ومن بيت بهدلة بن عوف كان الزبرقان بن بدر ، وكان يسمى سعد بن تميم . عن بهدلة زيد مناة بن تميم أسعد الأكرمين . وفيهم كانت الإفاضة في الجاهلية في عطارذ بن عوف بن كعب بن سعد ، ثم في آل كرب بن صفوان بن عطارذ . وكان إذا اجتمع الناس أيام الحج بمنى لم يبرح أحد حتى يحوز آل صفوان ومن

ورث ذلك عنهم ، ثم يمر الناس أرسالا . وفي ذلك يقول أوس بن مغراء السعدي :

ولا يَريَمونَ في التَّعريفِ موقِفَهُمْ * حتى يُقالَ أَجيزُوا آلَ صفوانا
ما تَطْلُعُ الشَّمْسُ إلَّا عِنْدَ أوْلانا * ولا تَغيبُ إلَّا عِنْدَ آخرانا

قال الفرزدق :

رَى النَّاسَ ما سَرنَا يَسيرونَ خَلفنا * وإن نَحْنُ أوْمانا إلى النَّاسِ وقَّفوا

بيوتات اليمن وفضائلها

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأجدُ نفسَ ربكم من قِبَلِ اليمنِ »
معناه والله أعلم : أن الله ينفس عن المسلمين بأهل اليمن : يريد الأنصار .
ولذلك تقول العرب : نفَّسني فلان في حاجتي ، إذا رَوَّحَ بعض ما كان يَغُمُّه من
أمر حاجته .

لأنني صلى الله
عليه وسلم

وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجْمُها ومن الكعبة
رَكْنُها ومن الشرف صميمها .

لابن عباس

وقال عمر بن الخطاب : مَنْ أجودُ العربِ ؟ قالوا : حاتم طيٍّ ، قال :
فمن فارسُها ؟ قالوا : عمرو بن معديكرب . قال : فمن شاعرها ؟ قالوا :
امرؤ القيس بن حجر . قال : فأى سيفها أقطع ؟ قالوا : الصمصامة . قال : كنى
بهذا غمراً لليمن .

وامرؤ بن الخطاب

وقال أبو عبيدة : ملوك العرب حير ، ومقاولها غسان ولخم ، وعددها
وفرسانها الأزدي ، ولسانها مذحج ، وريحاتها كندة ، وقربشها الأنصار .

لأبي عبيدة

وقال ابن الكلبي : حَميرُ ملوك وأرادف الملوك ، والأزد أسد ، ومذحج الطعان
وهمدان أحلاس الخيل ، وغسان أرباب الملوك .

لابن الكلبي

ومن الأزدي الأنصار ، وهم الأوس والحزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ،
وهم أعز الناس أنفسا ، وأشرفهم همما : لم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك .

وكتب إليهم أبو كرب تُبَعِّعُ الْآخِرَ يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا أَنْ يَغْزَوْهُمْ ؛ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ :

الْعَبْدُ تُبَعِّعُكُمْ يُرِيدُ قِتَالَنَا ، وَمَكَائُهُ بِالْمَنْزِلِ الْمُتَذَلِّلِ
إِنَّا أَنَاسٌ لَا نَنَامُ بِأَرْضِنَا * عَضَّ الرَّسُولُ يُظِرُّ أُمَّ الْمُرْسِلِ

٥ قال : فغزاهم أبو كرب ، فكانوا يحاربونه بالنهار ، ويُقِرُّونه بالليل ، فقال أبو كرب : ما رأيتُ قوماً أَكْرَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ ؛ يَحَارِبُونَنَا بِالنَّهَارِ ، وَيُخْرِجُونَنَا الْعِشَاءَ بِاللَّيْلِ ! ارْتَحِلُوا عَنْهُمْ . فَارْتَحَلُوا .

لنبي صلى الله عليه وسلم

ابن لهيعة عن ابن هُبَيْرَةَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَغْلَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ سَبِيلِ مَا هُوَ : أَبْلَدُ أَمْ رَجُلٌ أَمْ امْرَأَةٌ ؟ فَقَالَ : بَلْ رَجُلٌ وَلَدَ لَهُ عَشْرَةٌ ، فَسَكَنَ الْبَيْنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ ، وَالشَّامُ أَرْبَعَةٌ . أَمَّا الْيَمَانِيُّونَ ، فَكَنْدَةُ وَمَذْحِجٌ وَالْأَزْدُ وَأَنْمَارٌ وَحَمِيرٌ وَالْأَشْعَرِيُّونَ . وَأَمَّا الشَّامِيُّونَ فَلَخْمٌ وَجَذَامٌ وَغَسَّانٌ وَعَامَلَةٌ .

١٠

ابن لهيعة قال : كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا جَاءَ الرَّسُولُ سَأَلَهُ عَنْ هُوَ ؟ فَإِذَا قَالَ مِنْ جَذَامٍ ، قَالَ : مَرْجَبًا بِأَصْهَارِ مُوسَى وَقَوْمِ شَعِيبٍ .

١٥ ابن لهيعة عن بكر بن سُوَادَةَ ، قَالَ : أَتَى رَجُلٌ مِنْ مَهْرَةٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَهْرَةٍ . قَالَ : ﴿ وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ .

وقال ابن لهيعة : قَبْرُ هُودٍ فِي مَهْرَةٍ .

تفسير القبائل والعمائر والشعوب

٢٠ قال ابن الكلبي : الشَّعْبُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَبِيلَةِ ، ثُمَّ الْعِمَارَةُ ، ثُمَّ الْبَطْنُ ، ثُمَّ الْفَخْدُ ثُمَّ الْعَشِيرَةُ ، ثُمَّ الْفَصِيلَةُ .

وقال غيره : الشَّعْبُ الْعَجَمُ ، وَالْقَبَائِلُ الْعَرَبُ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْقَبِيلَةِ قَبِيلَةٌ ، لِتَقَابُلِهَا وَتَنَاضُرِهَا ، وَأَنْ بَعْضُهَا يَكْفِي بَعْضًا ، وَقِيلَ لِلشَّعْبِ شَعْبٌ لِأَنَّهُ

انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة : وقيل لها عمائر ، من الاعتبار والاجتماع ، وقيل لها بطون ، لأنها دون القبائل ، وقيل لها أنخاذ ، لأنها دون البطون ، ثم المشيرة : وهي رهط الرجل ، ثم الفصيلة وهي أهل بيت الرجل خاصة . قال الله تعالى : ﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ .

تفسير الأرحاء والجماجم

لأبي عبيدة

وقال أبو عبيدة في التاج : كانت أرحاء العرب ستا ، وجاجها ثمانية ، فالأرحاء الست ، بمضر منها اثنتان ، ولريعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، واللنان في مضر : تيم بن مرة ، وأسد بن خزيمه ، واللنان في اليمن : كلب بن وبرة ، وطئ بن أدد . وإنما سُميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دُوراً ومياها لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ، ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجذب ، وذلك قليل منهم .

وقيل للجماجم جماجم ، لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها ، فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكنت باسمه معروف بموضعه .

١٥

والجماجم ثمان : فاثنتان منها في اليمن ، واثنتان في ربيعة ، وأربع في مضر فالأربع التي في مضر : اثنتان في قيس ، واثنتان في خندف ، ففي قيس : غطفان وهوازن ، وفي خندف : كنانة وتميم ، والتي في ربيعة : بكر بن وائل وعبد القيس ابن أفضى ، والتي في اليمن : مذحج - وهو مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ - وقضاة بن مالك بن زيد بن مالك بن حير بن سبأ .

٢٠

ألا ترى أن بكرا وتغلب ابني وائل قبيلتان متكافئتان في العدد والعدد ؟ فلم يكن في تغلب رجالٌ شُهرت أسماءهم حتى انتسب إليهم واجتزئ بهم عن تغلب ، فإذا سألت الرجل من بني تغلب لم يجتزئ حتى يقول تغلبي . ولبكر

رجال قد اشتهرت أسماءهم حتى كانت مثل بكر ، فمنها شيبان وعجل ويشكر وقيس وحنيفة وذهل .

ومثل ذلك عبد القيس ، ألا ترى أن عنزة فوقها في النسب ليس بينها وبين ربيعة إلا أب واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة ، فلا يحتزى الرجل منهم إذا سئل أن يقول : عنزى ؟

والرجل من عبد القيس ينسب شيباناً وجرمياً وبكرياً .

ومثل ذلك أن ضبة بن أدعم تميم لا يحتزى الرجل منهم أن يقول : ضبيّ .
والتميمي قد ينسب فيقول : منقرى ، وهجمي ، وطهوي ، ويربوعي ودارمي ، وكليّ .

وكذلك الكماني ينسب فيقول : لبثي ، ودؤلي ، وضرمي ، وفراسي ، وكل ذلك مشهور معروف .

وكذلك الغطفاني ينسب فيقول : عدي ، وذيباني ، وفزاري ، ومري ، وأشجمي ، وبغيضي .

وكذلك هوازن منها : ثقيف ، والأعجاز ، وعامر بن صعصعة ، وقشير ، وعقيل ، وجعدة .

وكذلك القبائل من يمن التي ذكرنا .

فهذا فرق ما بين الجاهل وغيرها من القبائل ، والمعنى الذي به سميت حجاج .
وجمرات العرب أربعة ، وهم : بنو نعيم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عدي بن بغيض ، وإنما قيل لها الجمرات لاحتماهم ،
والجمرة : الجماعة ، والتجمير : التجمع .

أسماء ولد نزار

قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني : لما احتضر نزار بن معد بن عدنان ، ترك أربعة بنين : مضر ، وربيعة ، وأنمار ، وإباد ، وأوصى أن يقسم .

سفع ونسيه
مراث نزار

ميراثهم بينهم سطيح الكاهن ؛ فلما مات نزار ، صفهم سطيح بين يديه ، ثم أعطاهم على الفراسة ؛ فأعطى ربيعة الخيل ، ويقال له ربيعة الفرس . وأعطى مضر الناقة الحمراء ، فيقال له مضر الحمراء . وأعطى أنماراً الحمار . وأعطى إِياداً أنثى البيت . قال : فقيل لسطيح : من أين علمت هذا العلم ؟ قال : سمعته من أخي حين سمعته من موسى يوم طور سيناء .

الاصمعي قال : أخبرني شيخ من تغلب ، قال أردقني أبي ، فلما أصبح رفع عقيرته فقال : شعر ربيعة ابن نزار

- رَأَتْ سِدْرَةً مِنْ سِدْرِ حَوْثٍ لَاقَبْتُهُ ۝ بِهِ يَنْتَهَا أَنْ لَا تُعَاذِرَ رَامِيَا
إِذَا هِيَ قَامَتْ فِيهِ قَامَتْ ظِلِيلَةٌ ۝ وَأَذْرَكَ رَوْقَاهَا الْغُصُونِ الدَّوَانِيَا
تَطْلُعُ مِنْهُ بِالْعَيْشِيِّ وَبِالضُّعْيِ ۝ تَطْلُعُ ذَاتِ الْخَدْرِ تَدْعُو الْجَوَارِيَا
ثم قال : أتدري من قاتل هذه الآيات يابني ؟ قلت : لا أدري . قال : قالها ربيعة بن نزار . فقلت : وما يصف ؟ قال : البقرة الوحشية .

أنساب مضر

- وَلَدَ مُضَرَ بْنَ نَزَارٍ : الْيَاسُ ، وَالنَّاسُ ، وَهُوَ عِيلَانُ . أُمُهُمَا الرِّبَابُ بِنْتُ حَيْدَةَ بْنِ مَعَدٍ ، فَوَلَدَ النَّاسُ - الَّذِي هُوَ عِيلَانُ بْنُ مُضَرَ - قَيْسَ بْنَ عِيلَانَ بْنَ مُضَرَ .
وَوَلَدَ الْيَاسُ بْنُ مُضَرَ : عَمْرًا . وَهُوَ مَدْرَكَةُ ، وَعَامِرًا ، وَهُوَ طَابِخَةُ . وَعَمِيرًا ، وَهُوَ الْقَمْعَةُ ، وَيُقَالُ إِنَّ الْقَمْعَةَ هُوَ أَبُو خَزَاعَةَ .
وَأُمُّهُمْ خَنْدَفُ ، وَهِيَ لَيْلَى بِنْتُ حُلَوَانَ بْنِ عَمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ ؛ لِجَمِيعِ وَلَدِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ مِنْ خَنْدَفٍ . وَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهَا خَنْدَفُ لِأَنَّهَا أُمُّهُمْ وَإِلَيْهَا يَنْسَبُونَ ، لِجَمِيعِ وَلَدِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ : قَيْسُ ، وَخَنْدَفُ .
وَمِنْ بَطْنِ خَنْدَفٍ : بَنُو مَدْرَكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ ، وَهُمْ : هَذِيلُ بْنُ مَدْرَكَةَ ، وَكِنَانَةُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ ، وَأَسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ ، وَالْهُونُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ . [وَمِنْ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ أَرْبَعُ عَشَارٍ : بَنُو كَاهِلٍ وَصَعْبٍ وَعَمْرٍو وَدُودَانَ ؛

فن دودان : بنو عمرو بن دودان ، قبيلة [: وهم وجوه بني أسد .

ومن بني طابخة بن اليأس بن مضر : ضبة بن أد بن طابخة ، ومزينة : وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة : والرباب بنو أد بن طابخة ، وهم عدي ، وتميم ، وثور ، وعكل ، وإنما سميت الرباب لأنها اجتمعت وتحالفت فكانت مثل الرابة : ويقال إنهم إذا تحالفوا وضعوا أيديهم في جفنة فيها رُب ، وصوفة : وهو الریط بن الغوث بن أد بن طابخة : وكانوا أصحاب الإجازة ، ثم انتقلت في بني عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم : وتميم بن مرة بن أد بن طابخة .

جميع قبائل مضر يجمعها قيس وخندف : وقد تنسب ربيعة في مضر : وإنما هم إخوة مضر : لأن ربيعة بن نزار ، ومضر بن نزار .

بطون هذيل وجماهيرها

منهم لحیان بن هذيل ، بطن : وكُخاعة بن سعد بن هذيل ، بطن : وحريث ابن سعد بن هذيل ، بطن : وكاهل بن سعد بن هذيل ، بطن : وصاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل ، بطن : وصبح بن كاهل ، بطن : وكعب بن كاهل ، بطن .

١٥ فن بني صاهلة : عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرا . ومن بني صبح بن كاهل : أبو بكر الهذلي الفقيه ، ومنهم صخر بن حبيب الشاعر ، الذي يقال فيه صخر الغي ، وأبو بكر الشاعر ، واسمه ثابت بن عبد شمس . ومنهم : أبو ذؤيب الشاعر ، وهو خويلد بن خالد . وبطون هذيل كلها لا يُنسب إلى شيء منها ، وإنما يُنسب إلى هذيل : لأنها ليست جمعة .

بطون كنانة وجماهيرها

كنانة بن خزيمه بن مدركة ، منهم قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة : ومنهم بكر ابن عبد مناة ، بطن : وحديج بن ليث بن بكر بن عبد مناة ، بطن : وغفار بن مُليل ابن ضمرة بن بكر ، بطن - منهم أبو ذر الغفاري صاحب النبي عليه الصلاة والسلام

- ومدلج بن مرة بن عبد مناة ، بطن - منهم سراقه بن [مالك بن] جشم المدلجي الذي تصوّر إبليس في صورته يوم بدر وقال لقريش : إني جائرٌ لكم - وبنو مالك ابن كنانة ، بطن - منهم جذل الطعان ، وهو علقمة بن أوس بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن كنانة . ومن ولد جذل الطعان ، ربيعة بن مكدم ، وهو أشجع بيت في العرب ، وفيهم يقول علي بن أبي طالب لأهل الكوفة : وَدِدْتُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي بِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْكُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ ثَعْلَبَةٍ . ومن بني الحارث بن مالك بن كنانة ، منهم العملس ، وهو أبو ثمامة الذي كان يفتي الشهور حتى أنزل الله فيه ﴿ إِنَّمَا النَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ ؛ وبنو مخدج بن عامر بن ثعلبة ، بطن ؛ وبنو ضمرة في كنانة الأحابيش ، منهم البراء بن قيس الذي يقال فيه : أَقْتَكِ مِنَ الْبَرَاءِ ، ومن بني كنانة الأحابيش ، منهم مبذول وعوف وأحر وعون ؛ ومن بني الحرث بن عبد مناة : الحليس بن عمرو بن الحارث ، وهو رئيس الأحابيش يوم أحد ؛ ومن بني سعد ليث : أبو الطفيل عامر بن وائلة ، ووائلة بن الأسقع ، كانت له صحبة مع النبي عليه الصلاة والسلام ؛ ومن بني حدج بن ليث : نصر بن سيار صاحب خراسان ؛ ومن بني ضمرة بن بكر : عمارة بن غنشى - الذي عاهد النبي عليه الصلاة والسلام على بني ضمرة .

١٥

بطون أسد وجماهيرها

أسد بن خزيمه بن مدركة بن اليأس بن مضر ؛ منهم دودان الذي يقول فيه امرؤ القيس :

قَوْلًا لِدُودَانَ عَيَّيْدِ الْعَصَا هـ مَا غَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ !

- ومنهم : كاهل بن عمرو بن صعب ، وحلة ؛ فأما بنو حلة فأفانهم امرؤ القيس ٢٠ ابن حجر بأبيه ؛ ومنهم غنم بن دودان ، وثعلبة بن دودان ؛ ومنهم قعيس بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ؛ ومنهم بنو للصيداء بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم قعيس بن طريف بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم جحوان بن قعيس ، ودثار ، ونوفل ، ومنقذ ، وهو حنظل ، بنو قعيس ؛ فمن بني جحوان طليحة

ابن خويلد الأبدى ؛ ومن بنى الصياد شيخ من عميرة القائد ، والصامت بن
الاقم الذى قتل ربيعة بن مالك أبا ليلى بن ربيعة الشاعر يوم ذى علق .
وفى بنى الصياد يقول الشاعر :

يا بني الصياد ردوا فرسى * إنما يفعل هذا بالذليل

ومن بنى قعيس : العلاء بن محمد بن منظور ، ولى شرطة الكوفة ؛ ومنهم
ذؤاب بن ربيعة الذى قتل عتية بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، ومنهم : قبيصة
ابن برمّة ، ومنهم بشر بن أبى خازم الشاعر ؛ ومن بنى سعد بن ثعلبة بن دودان :
سويد بن ربيعة ، وعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن شاس أبو عرار ، والكميت
ابن زيد ؛ ومنهم : ضرار بن الأزور صاحب المختار ؛ ومنهم بنو غاضرة بن مالك
ابن ثعلبة بن دودان ؛ ومن بنى غاضرة زر بن حبيش الفقيه ، ومنهم الحسحاس
ابن هند الذى ينسب إليه عبد بنى الحسحاس ؛ ومن أسد بنو غنم بن دودان ؛
ومنهم زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم أيمن بن خريم
الشاعر ، والاقشير الشاعر ؛ ومن بنى كاهل بن أسد علباء بن الحرث الذى يقول
فيه امرؤ القيس :

وأفلتھن علباء جريضا * ولو أدر كنته صفر الوطاب

الهون بن خزيمه بن مدركه

منهم القارة ، وهم عائدة وينتبع ، بنو الهون بن خزيمه بن مدركه : والقارة
أرمى حى فى العرب ، ولهم يقال :

* قد أنصف القارة من راماما *

فهذه قبائل بنى مدركه بن اليأس ، وهى : هذيل بن مدركه ، وكناة بن خزيمه
بن مدركه ، وأسد بن خزيمه بن مدركه ، والهون بن خزيمه بن مدركه .

ومن قبائل طابخة بن اليأس

بطون ضبة وجماهيرها

- ضبة بن أذ بن طابخة بن اليأس : ولد ضبة بن أذ سعدا وسعيداً وباسلاً ، وله المثل الذي يقال فيه : « أسعد أم سعيد » فقتل سعيد ولم يعقب ؛ ولحق باسل بأرض الديلم ؛ فتزوج امرأة من أرض العجم ، فولدت له الديلم . فيقال إن باسل ابن ضبة أبو الديلم . وفي ذلك يقول أبو بجير يعيب به العرب :

- زَعَمْتُمْ أَنَّ الْهِنْدَ أَوْلَادُ خِنْدِفٍ • وَيَدْنُكُمْ قُرْبَى وَبَيْنَ الْبَرَابِرِ
وَدَيْلَمٌ مَنْ نَسْلِ ابْنِ ضَبَّةَ بَاسِلٍ • وَبُرْجَانٌ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ
فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادَ وَاحِدٍ • وَصَارُوا سِوَاءً فِي أَصُولِ الْعَنَاصِرِ
١٠ بنو الأصفر الأملاك أكرم منكم • وأولى بقرابنا مملوك الأكابر

فمن بني سعد بن ضبة : بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .
وبنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .
وبنو زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر ، بطن . وبنو عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .

- ١٥ ومنهم : عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة ، وبنو ثعلبة بن سعد بن ضبة .
فمن بني كوز : المسيب بن زهير بن عمرو ، ومن بني زهير : عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ، وكان سيداً مطاعاً ، وولد له عبد الحارث ، وحسين ، وعمرو ، وأدهم ، وذبحه ، وعامر ، وقبيصة ، وحنظلة ، وخيار ، وحارث ، وقيس ، وشيبة ، ومنذر ، كل هؤلاء شريف قد رأس ورَبَعَ - يعني قد أخذ المربع - وكان الرئيس إذا غنم الجيش معه أخذ الرُّبْع .

٢٠

ومن ولد الحصين بن ضرار : زيد الفوارس ، وله يقول الفرزدق :
زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ • وَأَبُو قَبِيصَةَ وَالرَّئِيسُ الْأَوَّلُ
الرئيس الأول : محمّد بن سُوَيْط ربيع ضبة وتميم والرباب .

ومن بني زيد الفوارس : ابن شُبرمة القاضي . ومن بني عائذة بن مالك .
شِرْحاف بن المثلم - الذي قتل عمارة بن زياد العبسي . ومن بني السيد بن مالك :
زيد بن حصين ، ولي أصبهان . وعبد الله بن علقمة الشاء الجاهلي . ومنهم
عميرة بن اليثربّي قاضي البصرة ، وهو الذي قتل علباء و عبد الجلي . وقال في
قتلهما يوم الجبل :

إني أنا عُمَيْرَةُ بن اليثْرِيبِي * قَتَلْتُ عِلْبَاءَ وَهِنْدَ الْجَلِيَّ

ومن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة : عاصم بن خليفة بن يعقل ، الذي قتل
بسطام بن قيس .

مزينة

مزينة : بنو عمرو بن أذ بن طابخة بن اليأس ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة
كلب بن وبرة . منهم : النعمان بن مقرّن ، ومنهم معقل بن سنان بن تبيشة صاحب
النبي عليه الصلاة والسلام ، وزهير بن أبي سلمى الشاعر ، ومعن بن أوس الشاعر .
ومنهم إياس بن معاوية القاضي . وإنما مزينة كلها بنو عثمان وأوس بن عمرو
ابن أذ بن طابخة ، وفي ذلك يقول كعب بن زهير :

مَتَى أَدْعُ فِي أَوْسٍ وَعُثْمَانَ تَأْتِي * مَسَاعِيرُ قَوْمٍ كُلُّهُمْ سَادَةٌ دِعْمُ .
هُمْ الْأَسَدُ عِنْدَ الْبَاسِ وَالْحَشْدُ فِي الْقَرَى * وَهُمْ عِنْدَ عَقْدِ الْجَارِ يَوْفُونَ بِالذَّمِّ

الرباب

وهم : عدى ، وتميم ، وثور ، وعُكل ؛ وإنما سميت هذه القبائل الرباب ،
لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم في جفنة فيها رُب ؛ وقال بعضهم : إنما سموا الرباب
لأنهم إذا تحالفوا جمعوا أقداحا ، من كل قبيلة منهم قدح ، وجعلوها في قطعة آدم ،
وتسمى تلك القطعة الربة ، فسموا بذلك الرباب .

فن بني عدى بن عبد مناة بن أذ بن طابخة : ذو الرمة الشاعر ، وهو غيلان
ابن عقبة . ومن بني تميم بن عبد مناة : عمر بن لجأ الشاعر الذي كان يهاجى جريرا ؛

ومن بنى عكل بن عبد مناة : النمر بن تولب الشاعر ؛ ومن بنى ثور بن عبد مناة :
سفيان الثوري الفقيه . فهذه الرباب ، وهم بنو عبد مناة .

صوفة

- هم بنو الغوث بن مر بن أذ بن طابخة ، وفيهم كانت الإجازة في الجاهلية :
• هم كانوا يدفعون بالناس من عرفات ، ثم انتقلت الإجازة في بني عطار بن عوف
ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ فمن الغوث شرحبيل بن عبد العزى
الذى يقال له شرحبيل بن حسنة .

بطون تميم وجهاهيرها

- تميم بن مر بن أذ بن طابخة بن اليأس بن مضر . كان لقيم ثلاثة أولاد :
زيد مناة ، وعمر ، والحارث بن تميم .

فمن الحارث بن تميم : شقرة ، واسمه معاوية بن الحارث بن تميم ؛ وإنما
قبل له شقرة لبيت قاله ، وهو :

وقد أنجل الرُّحَّ الأَصَمَّ كَعُوبَه * به من دمَاءِ القَوْمِ كالشَّقَرَاتِ

والشقرات : هى شقائق النعمان ، شبه الدماء بها فى حرمتها .

- ومن بنى شقرة : المسيب بن شريك الفقيه ، ونصر بن حرب بن مخزومة .

ومن عمرو بن تميم : أسيد بن عمرو بن تميم ، ومنهم أكرم بن صيفى حكيم
العرب ، وأبو هالة زوج خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن حجر
الأسيدى الشاعر ، وحنظلة بن الربيع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام الذى
يقال له حنظلة الكاتب .

بنو العنبر بن عمرو بن تميم

منهم سَوار بن عبد الله القاضى ، وعبيد الله بن الحسن القاضى ، وعامر بن
قيس الزاهد . ومنهم : بنو دُعَّة بنت مِغْنَج التى يقال فيها : « أحق من دُعَّة » ؛

وهي من إبياد بن نزار تزوجها عمرو بن جندب بن العنبر ، فولدت له بني الهُجَيم
ابن عمرو بن تميم ، ويقال لهم الحبال .

بنو مازن بن عمرو بن تميم ، منهم : عباد بن أخضر ، وحاجب بن ذبيان
الذي يعرف بحاجب الفيل ، ومالك بن الرّيب الشاعر ؛ ومنهم : قطري بن الفُجاءة
صاحب الأزارقة ، وسلم وأخوه هلال بن أحوز .

الحبّطات

وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وذلك أنّ أباهم الحارث أكل طعاماً فخبط
منه ، أي ورم بطنه . منهم : عباد بن الحصين من فرسان العرب ، كان على شرطة
مصعب بن الزبير .

غيلان وأسلم وحرماز

١٠

بنو مالك بن عمرو بن تميم

فن بنى غيلان - أبو الجرّاء ، شهد يوم الجمل مع عائشة ، وقتل يومئذ . ومن
بنى حرماز : سُمرة بن يزيد . كان من رجال البصرة في أول ما نزلها الناس .

بنو سعد بن زيد مناة بن تميم

الآباء ، وهم ستة من ولد سعد بن زيد مناة ، يقال لهم : عبد شمس ، ومالك
وعوف ، وعُوفَة ، وجشم ، وكعب .

فبنو سعد بن زيد مناة ، وأولاد كعب بن سعد ، يسمّون مُقاعس والآجارب
إلا عمرًا وعوفًا ابني كعب .

فن بنى عبد شمس بن سعد : تَمَيْلَة بن مُرّة صاحب شرطة إبراهيم بن عبد الله
ابن الحسن . وإبراهيم بن قتادة ، حامل الدييات في حرب الازد لثميم - وهو ابن
أخت الأحنف بن قيس - وعبدية بن الطيب الشاعر . وجمان ، وهو عبد العزى
ابن كعب بن سعد .

الاجارب

هم بطنان في سعد ، وهم : ربيعة بن كعب بن سعد ، وبنو الأعرج كعب بن سعد . وفيهم يقول أحمر بن جندل :

ذودا قليلا تلحق الحلائب * يَلْحَقُنَا حِمَانُ والاجارب

• فن بنى الاجارب : حارثة بن قدامة ، صاحب شرطة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ وعمرو بن جرموز ، قاتل الزبير بن العوام .

مقاعس : هو الحادث بن عمرو بن كعب بن سعد . ومن أنخاذ مقاعس :

منقر بن عبيد بن مقاعس ؛ منهم قيس بن عاصم سيد الوبر ، وعمرو بن الأهم ، وخالد بن صفوان بن عمرو بن الأهم ، وشيب بن شبة بن عبد الله بن عمرو ابن الأهم . ومن بنى عبيد بن مقاعس ، وهم إخوة منقر : الأحنف بن قيس ، وسلامة بن جندل ، والسليك بن سلكة رجلى العرب ، ويقال له الرئبال ، كان يُغير وحده . ومنهم عبد الله بن صفار الذي تُنسب إليه الصُفْرية . وعبد الله بن إباح الذي تُنسب إليه الإباضية . فهذه مقاعس وجماهيرها .

بنو عطار د بن عوف

١٥ ابن كعب بن سعد

منهم : كرب بن صفوان بن حُباب . صاحب الإفاضة ، إفاضة الحاج يدفع بهم من عرفات ، وله يقول أوس بن مغراء :

ولا يريون في التعريف موقفهم * حتى يقال أجزوا آل صفوانا

قريع بن عوف

٢٠ ابن كعب بن سعد

منهم الأضبط بن قريع رئيس تميم يوم ميط ، وبنو لاي بن أنف الناقة الذين مدحهم الخطيبة ، فقال فيهم .

قومٌ همُ الأنف والأذنان غيرُهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

ومنهم أوس بن مَغرَاء الشاعر . وهذا أشرف بطن في تميم .

بهدة بن عوف

ابن كعب بن سعد

منهم الزبرقان بن بدر ، واسمه حصين . ومنهم الأحيمر بن خلف بن بهدة ،
صاحب بردى محرق ، والذي يقول فيه الفرزدق :

فيا أبنه عبد الله وأبنه مالك ، وبأبنت ذى البردين والفرس النهد

جشم بن عوف بن كعب بن سعد

يقال لبني جشم وعطارد وبهدة : الجذاع .

حنظلة بن مالك الأحمق

بن زيد مناة

البراجم خمسة من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهم : غالب ، وعمرو ،
وقيس ، وكلفة ، وظليم ، بنو حنظلة بن مالك الأحمق بن زيد مناة بن تميم . منهم
عميرة بن ضابئ الذي قتله الحجاج .

يربوع بن حنظلة

ابن مالك بن زيد مناة بن تميم

من ولده رياح بن يربوع بن حنظلة . منهم : عتاب بن ورقاء الرياحي وإلى
أصبهان وأحد أجواد الإسلام ، ومطر بن ناجية الذي غلب على الكوفة أيام
ابن الأشعث . وسُحيم بن وثيل الشاعر . والحارث بن يزيد ، صاحب الحسن بن
علي . وأبو الهندي الشاعر ، واسمه أزهر بن عبد العزيز ؛ ومعقل بن قيس صاحب
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والأيبرد بن قرة .

غُدانة بن يربوع ، منهم : وكيع بن أبي سود ، وحارثة بن بدر وكان
فارساً شاعراً .

ثعلبة بن يربوع ، منهم مالك ومنتهم ابنا نويرة ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ،
الذى يقال صياد الفوارس .

وبنو سَلِيط بن يربوع ، منهم : المساور بن رثاب .

كليب بن يربوع ، منهم : جرير بن الخطمي الشاعر .

٩ العنبر بن يربوع ، منهم : سجاح بنت أوس التي تنبأت في تميم .

زيد بن مالك ، وكعب الضراء بن مالك ، ويربوع بن مالك بن حنظلة بن
مالك بن زيد مناة : أمهم العدوية ، وبها يعرفون . يقال لهم بنو العدوية .

طهية ، وهم بنو أبي سُود بن مالك ، وعوف بن مالك . أمهم طهية بها
يعرفون ، ويقال لبني طهية وبني العدوية : الجمار .

١٠ ومن بني طهية بنو شيطان . ومنهم دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛
فولد دارم بن مالك : عبدالله ، ومجاشع ، وسدوس ، وخَيْرِي ، ونهشل ، وجرير وأبان ومناف
فن ولد عبدالله بن دارم : حاجب بن زرارة بن عُدُس بن عبدالله بن دارم . وهلال
ابن وكيع بن بشر ، وهو بيت بني تميم وصاحب القوس . ومحمد بن جُبَيْر بن عطار .
مجاشع بن دارم . منهم : الفرزدق الشاعر ، والأقرع بن حابس ، وأعين بن
ضبيعة بن عقال ، والعتات بن يزيد ، والحارث بن شُرَيْح بن زيد صاحب خراسان ،
١٥ والبعيث الشاعر - واسمه خَدَّاش بن بِشَر - والأصمغ بن نباتة ، صاحب علي .

نهشل بن دارم . منهم : خازم بن خزيمه قائد الرشيد ، وعباس بن مسعود
الذى مدحه الخطيئة ، وكثير عزة الشاعر ، والأسود بن يعفر الشاعر .

أبان بن دارم . منهم : سورة بن بَجَر - كان فارساً - صاحب خراسان ،
٢٠ وذو الحِرَق بن شُرَيْح الشاعر .

سدوس بن دارم ، وهؤلاء قد بادوا .

وربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ،
وربيعة بن مالك بن حنظلة : يقال لهم : الربائع .

- فمن ربيعة بن حنظلة : أبو بلال الخارجي ، واسمه مرداس بن جدير .
ومن ربيعة بن مالك بن زيد مناة : علقمة بن عبدة الشاعر ، وأخوه شأس .
ومن ربيعة بن مالك بن حنظلة : الحنيف بن السجف .
جُشيش بن مالك - وأمه حُطَي ، على مثال حَبلى ، وبها يُعرفون - منهم :
حصين بن تميم الذى كان على شرطة عبيد الله بن زياد . ويقال لجشيش وربيعة
ودارم وكعب بنى مالك بن حنظلة بن مالك : الحِشَاب . انقضى نسب الرباب
وضبة ومزينة وتميم .

بطون قيس وجماهيرها

- نسب قيس بن عيلان بن مضر ، قيس بن الناس ، وهو عيلان بن مضر .
فمن بطون قيس : عدوان وفَهْم ابنا عمرو بن قيس بن عيلان ، وأمهما جديلة .
بنت مُدركة بن اليأس بن مضر ، نسبوا إليها .
فمن عدوان : عامر بن الظرب حَكَم العرب بمكّاظ ، ومنهم أبو سيارة ، وهو
عَميلة بن الاعزل . ومنهم تابط شرًا ، وهو ثابت بن عَمَيْل .
غطفان بن قيس عيلان - وأعصر بن سعد بن قيس بن عيلان .
فمن بطون غطفان : أشجع بن ريث بن غطفان ، وأشجع بن ريث بن غطفان ؛
منهم : نصر بن دُهمان . وكان من المعمرين ، عاش مائتي سنة ، ومنهم فروة بن نوفل .
عَبَس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهى إحدى جمرات العرب ، منهم :
زهير بن جذيمة ، كان سيد عبس كلها حتى قتله خالد بن جعفر الكلابي ؛ وابنه
قيس بن زهير فارس داحس ؛ وعنترة الفوارس ؛ والحُطَيْنة ؛ وعروة بن الورد ؛
والربيع بن زياد ، وإخوته الذين يقال لهم الكلمة ؛ مروان بن زُبَاع الذى يقال
له مروان القرظ ، وخالد بن سنان الذى ضيَّعه قومه .
ذيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم : فزارة بن ذيسان بن بغيض ،

وفيهم الشرف ؛ ومنهم حذيفة بن بدر ؛ ومنهم منظور بن زِيَّان بن سيار ، وعمر
ابن هُبيرة ، وعدى بن أُرطاة .

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ؛ منهم هَرَم بن سنان المُرِّي الجواد الذي
كان يمدحه زُهَيْر ؛ ومنهم زياد النابغة الشاعر ؛ ومنهم الحارث بن ظالم الذي يقال
فيه « أَمْنَعُ مِنَ الْحَارِثِ » ؛ ومنهم : شَيْب بن البرصاء ، وأرطاة بن سُهيّة ، وعقيل
بن عُلْفَة المُرِّي ، وابن مَيَّادَة الشاعر ، ومسلم بن عقبة صاحب الحرة ، وعثمان بن
حيان ، وهاشم بن حَرَملة . الذي يقول فيه الشاعر :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرَمَلَةَ . يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ

والشماخ الشاعر ، وأخوه مُرَزَّد . ابنا ضرار .

ومن بطون أعصر : غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن الناس بن مُضر . ١٠
منهم طفيل الخيل . وقد رُبِعَ غنيًا ومنهم : مرثد بن أبي مرثد ، شهد بدرا . ١٠٠

بَاهِلَة

هم بنو معن بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة ، وهم : قتيبة ووائل وأود
وجأوة ، أمهم باهلة ، وبها يعرفون ، منهم : حاتم بن النعمان . وقتيبة بن مسلم ،
وأبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسليمان بن ربيعة ، ولّاه ١٥
أبو بكر الصديق ، وزيد بن الحُبَاب .

بنو الطفاوة بن أعصر

وهم : ثعلبة وعامر ومعاوية : أمهم الطفاوة وإليها ينسبون ، وهم إخوة غني
ابن أعصر ؛ فهذه غطفان .

٢٠ بنو خصفة بن قيس بن عيلان

محارب بن زياد بن خصفة بن قيس بن عيلان ، منهم الحكم بن مَبيع الشاعر ،
وبقيع بن صفار الشاعر الذي كان يهاجى الأخطل . وولده مُحارب : ذهل وغنم ؛

وهم الأبناء ؛ والحُضِر ، وهم بنو مالك بن محارب .

سُليم بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة . منهم : العباس بن مرداس ، كان فارساً شاعراً ، وهو من المؤلفة قلوبهم ؛ والفُجاءة الذي أحرقه أبو بكر في الردة .
ومنهم : صخر ومعاوية . ابنا عمرو بن الحارث بن الشريد ، وهما أخوا خنساء ؛
وخفاف بن عُمر الشاعر ، ونُبَيْشَة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكرم ، ومُجاشع بن
مسعود من أهل البصرة ، وعبد الله بن خازم صاحب خراسان .

بنو ذكوان وبَهْز وبُهْثة بنو سليم

منهم : أبو الأعور السَّلي صاحب معاوية ، وعُمير بن الحُباب قائد قيس ،
والجَعْفاف بن حكيم . فهذه بطون سُليم ومُحارب .

قبائل هوازن

١٠

هم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة بن قيس عيلان .

منهم سعد بن بكر بن هوازن ، وفيهم آسْتُرَضَّعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ومنهم
نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن - منهم مالك بن عوف النَّصْرِي قائد المشركين
يوم حُنين .

جُثَم بن معاوية بن بكر ، منهم : دُرَيْد بن الصَّمَّة فارس العرب .

١٥

ثَقِيف ، وهو قَيْسُ بن مُنْبه بن بكر بن هوازن . منهم : مسعود بن مُعْتَب ،
والمختار بن أبي عُبيد . ومنهم : عُرْوَة بن مسعود عظيم القريتين ، والمغيرة بن
شُعْبة ، وعبد الرحمن بن أم الحكم .

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

فمن بطون عامر : بنو هلال بن عامر بن صعصعة ، منهم : مَيْمونة زوج النبي

٢٠

عليه الصلاة والسلام ، ومنهم عاصم بن عبد الله صاحب خراسان ، ومُحمَّد بن
ثَوْر الشاعر ، وعمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر فارس الضُّعْيَاء ؛ ومن ولده

خالد وحرملة ابنا هُوذة ، صَحْبَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَخِدَاشُ بْنُ زَهِيرٍ .
 نَمِيرُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ . مِنْهُمْ : الرَّاعِي الشَّاعِرُ ، وَهُوَ عُبَيْدُ بْنُ حَصِينٍ ،
 وَهَمَامُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَشَرِيكُ بْنُ نُجَاشَةَ الَّذِي دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي الدُّنْيَا فِي أَيَّامِ عُمَرَ
 ابْنِ الْخَطَّابِ .

- ٥ بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
 وهم ستة بطون ، منهم عَقِيلُ بْنُ كَعْبٍ ، رَهْطُ تُوْبَةَ بْنِ الْحُمَيْرِ صَاحِبِ لَيْلَى
 الْأَخِيلِيَّةِ . مِنْهُمْ : بَنُو الْمُتَفَقِّحِ .
 بَنُو الْحَرِيشِ بْنِ كَعْبٍ ، رَهْطُ سَعِيدِ بْنِ عُمَرَ ، وَلِيُّ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ صَاحِبُ
 رَأْسِ خَاقَانَ .

- ١٠ بنو العجلان بن كعب
 رَهْطُ تَمِيمِ بْنِ مَقْبَلِ الشَّاعِرِ .
 وَمِنْهُمْ بَنُو قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ ، رَهْطُ مَالِكِ بْنِ سُلَيْمَةَ الَّذِي أَسْرَ حَاجِبُ بْنُ ذَرَارَةَ .
 وَمِنْهُمْ : بَنُو جَعْدَةَ بْنِ كَعْبٍ ، رَهْطُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ ، وَهُوَ أَبُو لَيْلَى ؛ فَهَذِهِ
 بَطُونُ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ .

- ١٥ ومن أنفاد ربيعة بن عامر بن صعصعة : كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛
 مِنْهُمْ الْمُحَلَّقُ بْنُ حَنْتَمِ بْنِ شَدَادٍ . وَمِنْهُمْ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيُّ ، وَيَزِيدُ بْنُ الصَّعِقِ ،
 وَوَكَيْعُ بْنُ الْجَزَّاحِ الْفَقِيه .

- جَعْفَرُ بْنُ كَلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ ، مِنْهُمْ الطُّفَيْلُ . فَارَسُ
 قُرَؤَلُ ، وَعَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَعَلَقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ ، وَأَبُو بَرَاءَ عَامِرُ بْنُ مَالِكِ
 مَلَاعِبِ الْأَسَنَةِ .

- ٢٠ الضُّبَابُ بْنُ كَلَابٍ ، مِنْهُمْ : شَيْبَرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ .
 هُوَلَاءُ بَنُو عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ .

بنو سسلول

هم بنو مرة بن صعصعة ، نسبوا إلى أمهم سلول .
 غاضرة ، وهم غالب بن صعصعة ، ومالك ، وربيعه ، وغُوَيْضرة ، وحارث ،
 وعبد الله ، - وهما عادية - وعوف ، وقيس ، ومُساور ، وسيار ، وهو غَزِيَّة .
 ٥ لَوْدان ، وَجَحُوش ، وَجَعَّاش ، وعوف ؛ وهم الوقعة ، بنو معاوية بن
 بكر بن هوازن .

بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، يقال لهم : الأبناء .
 هذا آخر نسب مضر بن نزار .

نسب ربيعة بن نزار

١٠ ولد ربيعة بن نزار : أسد ، وضبيعة ، وعائشة ، وهم باليمن في مراد ، وعمر ،
 وعامر ، وأكلب ؛ وهم رهط أنس بن مدرك .
 فمن قبائل ربيعة : نزار .

ضبيعة بن ربيعة بن نزار - وفيهم كان بيت ربيعة وشرفها . ومنهم الحارث
 الأضجم ، حكم ربيعة في زهرة ، وفيه يقول الشاعر :

١٥ قلوبُ الظلامِ من وائل * تزد إلى الحارثِ الأضجمِ
 فهما يشأُ يأت منه السدأُ * وهما يشأُ منهم يَهضمُ

ومنهم المتلّس ، وهو جرير بن عبد المسيح الشاعر ، صاحب طرفة بن العبد .
 الذي يقول فيه :

أودى الذي علق الصحيفةَ منها * ونجما حذارِ حِمَامِهِ المتلّسُ
 ٢٠ ومنهم المسيّب بن علس الشاعر . ومنهم المرقش الأكبر والمرقش الأصغر .
 وكان المرقش الأكبر عمّ المرقش الأصغر ، والمرقش الأصغر عم طرفة بن العبد
 ابن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .

عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، له ولدان : يقدم ويذكر ، فهما تفرقت

عنزة ؛ فن يذكر : بنو جِلَّان بن عتيك بن أسلم بن يَذْكَر ، وبنو هِرَّان بن
صُباح بن عتيك بن أسلم بن يَذْكَر ، وبنو الثَّوَل بن صُباح بن عتيك بن أسلم
ابن يَذْكَر ، وهم الذين أسروا حاتم طي وكعب بن مامة والحارث بن ظالم ؛ وفي
ذلك يقول الحارث بن ظالم :

- أبلغ سَراة بنى غَيْظٍ مُغلَغَةً • أنى أقسم فى هِرَّان أرباعا
ومنها كِدَام بن حيان من بنى هُميم ، كان من خيار التابعين ، وكان من خيار
أصحاب على ، ولها يقول عبد الله بن خليفة :

- يا أَخَوَيَّ من هُميمِ هُدَيْتِما • وَيُسِّرَتِما للصالحات فأبشِرا
ومن بنى يقدم عَنزة ، سيد بنى بغيض الشاعر ، وعُمران بن عِصان الذى
١٠ قتله الحجاج بدير الجماجم .

- عبد القيس بن أفضى بن دُغَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة . ولد لعبد القيس :
أفضى واللُّبُّ . وولد لأفضى : عبدُ القيس وشَنَ ولُكَيْز .
اللُّبُّ بن عبد القيس : منهم رثاب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضبيب ،
كان ممن وحد الله فى الجاهلية ، وسأل عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقد
١٥ عبد القيس ، وكان يُسقى قبر كل من مات من ولده . وفى ذلك يقول الأعجى
ابن عبد الله :

- ومنا الذى بالبعث يُعرَفُ نسلُهُ • إذا مات مِنْهُمْ مَيِّتٌ جَيِّدٌ بِالْقَطْرِ
رِثابٌ وَأُتَى لِلْبَرَّةِ كُلِّها • بِمِثْلِ رِثابٍ حينَ يُنْظَرُ بالسُّمْرِ
لُكَيْز بن عبد القيس ، منهم بنو نُكْرَة بن لُكَيْز بن عبد القيس . منهم
٢٠ الممزق الشاعر ، وهو شأس بن نهار بن أسرج الذى يقول :

فإن كنتُ مأْكولا فكنْ خَيْرَ آكلٍ • وإلا فأدِرْكُنِي وما أُنْزِقِ
وصُباح بن لُكَيْز . منهم : كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على
النبي عليه الصلاة والسلام .

وبنو غَم بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم حكيم بن جَبَلَة صاحب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفيه يقول :

دعا حكيم دعوة سَمِيعَة ه نال بها المنزلة الرفِيعَة

وبنو جَذِيمَة بن عوف بن بكر بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم الجارود العندي ، وهو بشر بن عمرو .

وعَصَر بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم عمرو بن مَرْجُوم الذي يمدحه المنثس .

وبنو حُطَمَة بن محارب بن عمرو بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، إليهم تنسب الدروع الحطمية .

وعامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن أنمار بن وداعة بن لُكَيْز ، منهم مِهْزَم بن الفِزَر ، الذي يقول فيه الجِرْمَازِي :

يَحْمِلُنَ بِالْمَوَاقِ بِحَرًّا يَجْرِي ه العامر بن المِهْزَم بن الفِزَر

العمور من عبد قيس : الدَّيْل وعجل ومحارب ، بنو عمرو بن وداعة بن لُكَيْز . فن بنو الدَّيْل : سُحَيْم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعد بن أبي وقاص .

ومن بني محارب : عبد الله بن همام بن أمراء القيس بن ربيعة ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بني عجل : صَعْصَعَة بن صُوحان ، وزيد بن صُوحان ؛ من أصحاب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . فهذه عبد القيس وبطونها وجواهرها .

النمر بن قاسط

٢٠

النمر بن قاسط بن هَنْب بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَة بن أسد بن ربيعة بن نزار . فن ولد النمر بن قاسط : تَيْم الله ، وأوس مناة ، وعبدُ مناة ، وقاسط ، ومُنَبّه ، بنو النمر بن قاسط .

أوس مناة بن النمر ، منهم صُبيب بن سنان بن مالك ، صاحب بُني عليه الصلاة والسلام . كان أصابه سبأ في الروم ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله ابن جُدعان فأعتقه ؛ وقد كان النعمان بن المنذر استعمل أباه سنناً على الأُبلّة . ومنهم : حُمران بن أبان ، الذي يقال له مولى عثمان بن عفان .

- ٥ ومن تيم الله : الضُّحيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بني شيبان ، وإنما سمي الضُّحيان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم ، وقد رُبِعَ ربيعة أربعين سنة . وأخوه عوف بن سعد ، ومن ولده ابن القرية البلّغ ، واسمه أيوب ابن زيد ، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج . ومنهم ابن الكيس النسابة ، وهو عُبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس . فهذا النمر بن القاسط .

تغلب بن وائل

١٠

تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . فن بطون تغلب : الأراقم ، وهم : جشم ، وعمرو ، وثعلبة ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب ؛ وإنما سموا الأراقم لأن عيونهم كعيون الأراقم .

- ١٥ ومن بطون تغلب : وكليب وائل الذي يقال فيه : « أعز من كليب وائل » وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ؛ وأخوه مهلهل بن ربيعة . ومن بني كنانة بن تيم بن أسامة : لمأس بن عَيْنان بن عمرو بن معاوية ، قاتل عُمَيْر بن الحباب ، وله يقول زفر بن الحارث :

ألا ياكلُ غيرك أرجفوني . وقد ألصقت خدك بالثرابِ

- ٢٠ ألا ياكلُ فانتشيري ونُحّي . فقد أودى عُمَيْرُ بن الحبابِ

رِمَاحُ بني كِنانة أقصدتني . رِمَاحُ في أعاليها اضطرابُ "

ومن بني حارثة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب : الهذيل بن هيرة ، وهو الذي

تقول فيه تهبشة بنت الجراح البهراني تُعيرُ قضاة :

إذا ما مغشَّرُ شربوا مُداماً • فلا شربتُ قضاةً غيرَ بَوَلٍ
فإِما أن تُقودُوا الخيلَ شُعْثاً • وإِما أن تدبِنوا لِلهُذَيْلِ
'وتتخذوه كالتعمانِ رَبّاً • وتعطوه خراجَ بني الدُمَيْلِ

الدُمَيْل : ابن لحم .

ومن عدى بن معاوية بن غنم بن تغلب : فارس العصا ، وهو الأخنس
ابن شهاب .

ومن بني القَدَو كس بن عمرو بن الحارث بن جُشم : الأخطل الشاعر النصراني
ومنه : قبصة بن والي ، له هجرة ، قتله شيب الحروري ، وكان جواداً كريماً ،
فقال شيب حين قتله : هذا أعظمُ أهل الكوفة جفنة ! قال له أصحابه : أطرى
المنافقين ؟ فقال : إن كان منافقاً في دينه فقد كان شريفاً في دنياه .

ومن الأوس بن تغلب : كعب بن جُعيل . الذي يقول فيه جرير :
وُسِّيت كعباً بِشَرِّ العِظامِ • وكان أبوك يُسمَى الجَمَلِ
وكان محمَّكٌ مِن • وائل • محلَّ القُرادِ مِن آتِ الجَمَلِ
فهذه تغلب ، ليس لها بطون يُنسب إليها كما يُنسب إلى بطون بكر بن
وائل ، لأن بكرأ جمجمة ، وتغلب غير جمجمة .

بكر بن وائل

القبائل من بكر بن وائل : يشكر بن بكر بن وائل ، وعجل ، وحنيفة -
ابنا لجُيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل - ، وشيخان وذهل وقيس بنو ثعلبة
ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وأمههم البرشاء من تغلب .

يشكر بن بكر

منهم الحارث بن حلزة الشاعر ، ومنهم شهاب بن مذعور بن حلزة ، وكان

من علماء الأنساب ؛ ومنهم سُويد بن أبي كاهل الشاعر .

عجل بن لجيم

- منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، كان سيّد بني عجل يوم ذي قار ؛ ومنهم
الفرات بن حيّان ، له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم إدريس بن معقل
يحدّ أبي دُلف ؛ ومنهم شبابة بن المعتمر بن لقيط ، صاحب الديوان ؛ ومنهم الأغلب
الراجز ؛ ومنهم أبحر بن جابر بن شريك ، وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

حنيفة بن لجيم

- ولد له الدّيل ، وعدى وعامر . فن بنى الدّيل بن حنيفة : قتادة بن مسلة ،
كان سيّداً شريفاً ؛ ومنهم ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلة ، ومنهم : هوذة بن
على بن ثمامة ، الذى يقول فيه أعشى بكر :

مَنْ يَرِ هُوَذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِدٍ ۝ إِذَا نَعَصَبَ فَوْقَ النَّاجِ أَوْ وَضَعَا

- ومن بنى الديل بن حنيفة : شمر بن عمرو ، الذى قتل المنذر بن ماء السماء
يوم عين أباغ ؛ ومنهم بنو هِفّان بن الحارث بن ذهل بن الديل ، وبنو عُيد بن
ثعلبة ، ويزبوع بن ثعلبة بن الديل . وبنو أبي ربيعة فى شيان ، سيدهم هانئ
ابن قيصة .

شيان بن ثعلبة بن عكابة

- منهم جَسّاس بن مرة بن ذهل بن شيان ، قاتل كليب بن وائل : وهام بن
مرة بن ذهل بن شيان ؛ وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وهو ذو الجدين ،
وابنه بسطام بن قيس ، فارس بنى شيان فى الجاهلية ، وقد ربيع النّظّلين واللّهّازم
اثنى عشر مرباعاً ومنهم : هانئ بن قيصة بن هانئ بن مسعود بن المزدلف عمرو بن
أبي ربيعة بن ذهل بن شيان ، الذى أجار عيال النعمان بن المنذر وماله عن
كسرى ، وبسببه كانت وقعة ذي قار ، ومنهم مصقلة بن هُبيرة ، كان سيّداً شريفاً ،

وفيه يقول الفرزدق :

وبيت أبي قابوس مَصَقْلَةَ الذِي • بَنَى بَيْتَ مَجْدٍ لِاسْمِهِ غَيْرُ زَائِلٍ

وفيه يقول الأخطل :

دَجِ الْمَغْمَرِ لَا تُقْتَلْ بِمَصْرِعِهِ • وَسَلْ بِمَصَقْلَةِ الْبِكْرِيِّ مَا فَعَلَا

بِمُتَلَفٍ وَمُفِيدٍ لَا يَمْنُ وَلَا • يُعْتَفُ النَّفْسَ فِيهَا فَاتَهُ عَذَلَا

إِنْ رِيْعَةً لَا تَنْفُكُ صَالِحَةً • مَا دَافَعَ اللَّهُ عَنْ حَوْبَائِكَ الْأَجَلَا

ومن ذهل بن شيبان : عوف بن محم الذي يقال فيه : « لَا حُرَّ بَوَادِي

عُوفٍ » والضحاك بن قيس الخارجي ، والمثنى بن حارثة ، ويزيد بن رزيم :

ومنهم الغضبان بن القبيعي ، ويزيد بن مسهر أبو ثابت ، الذي ذكره الأعشى :

والخوفزان ، وهو الحارث بن شريك ، ومطر بن شريك : ومن ولده : معن بن

زائدة : وشبيب الحروري .

ذهل بن ثعلبة بن عكابة

منهم : الحارث بن وعلة ، وكان سيداً شريفاً ، ومن ولده : الحُضَيْن بن المنذر

ابن الحارث بن وعلة صاحب راية ربيعة بصفين مع علي بن أبي طالب رضي الله

تعالى عنه ، وله يقول علي :

لَمَنْ رَايَةُ سَوْدَاءٍ يَخْفُقُ ظِلْمُهَا • إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا

ومنهم القعقاع بن شَوْر بن النعمان ، كان شريفاً ، ومنهم دَعْفَل بن حَنْظَلَة

العلامة ، كان أعلم أهل زمانه . وهؤلاء من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة ،

أهمهم رَقَاش ، وإليها يُنسبون ، ومنها يقال : الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث

ابن وعلة الرقاشي .

قيس بن ثعلبة بن عكابة

منهم الحارث بن عباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن حارثة : كان على جماعة بكر

ابن وائل يوم بَقِصَة ، فأسرهم لعل بن ربيعة وهو لا يعرفه نخلي سبيله . ومنهم :

مالك بن مسمع بن شيان بن ثعلبة ، يُكنى أبا غسان . ومنهم الأعمش ، أعشى بكر ، وهو من بني تيم اللات من قيس بن ثعلبة بن عكابة ؛ ومن بني تيم اللات أيضا : مطر بن فضة ، وهو الجعد بن قيس ، كان شريفاً سيداً ، وهو الذي أسر عاقان الفارسي بالقادسية ، ومن ولده عُبيد الله بن زياد بن ظبيان .

سدوس

من شيان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، منهم : خالد بن المعمر وبجزة بن ثور ، وآخره شقيق بن ثور ، وابن أخيه سُويد بن منجوف بن ثور ، وهران بن حطان .

الهمازم

وم : عنزة بن أسد بن ربيعة ؛ وعجل بن لجيم . وتيم الله . وقيس ابنا ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل ، وم حلفاء .

١٠

والذهلان : شيان وذهل ، ابنا ثعلبة بن عكابة . وأم عجل بن لجيم يقال لها حذام ، وفيها يقول لجيم :

إذا قالت حذام فصدّقوها * فإنّ القول ما قالت حذام

انقضى نسب ربيعة بن نزار .

١٥

إياد بن نزار

ولد إياد بن نزار : زهراً ودُعِيّاً ونمارة وثعلبة . فولد نمارة الطماح ، ولهم يقول عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ بني الطماح عنا * ودُعِيّاً فكيف وجدتمونا

وولد زهر بن إياد حذافة ، رطم أبي ذؤاد الشاعر .

٢٠

وأما أنمار بن نزار بن معد ، فلا عقب له إلا ما يقال في بحيلة وخشم ، فإنه يقال إنهما أبنا أنمار بن نزار ، وتأتي ذلك بحيلة وخشم ويقولون : إنما تزوج إراش بن عمرو بن العوث بن أخي الأزد بن العوث ، سلامة بنت أنمار ، فولدت له

أثمار بن إراش ، فنحن ولده . وقال حسان بن ثابت :

• وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنَ مُحَرَّقٍ •

أراد بالعنقاء : ثعلبة بن عمرو مُزَيْقِيَاءَ ، سُمِّيَ بالعنقاء لطول عنقه ؛ ومحرق هو الحارث بن عمرو مزريقاء ، وكان أول الملوك أحرق الناس بالنار ؛ والولادة التي ذكرها حسان ، أن هنداً بنت الخزرج بن حارثة كانت عند العنقاء ، فولدت له ولده كلهم ؛ وكانت أختها عند الحارث بن عمرو . فولدت له أيضا .
انقضى نسب بني نزار بن معد .

القبائل المشتبهة

الدُّثَلُ في كنانة ؛ والدُّثَلُ بن حنيفة في بكر بن وائل ، منهم : قتادة بن سلبة ، وهوذة بن علي ، صاحب التاج الذي يمدحه أعشى بكر بن وائل . ١٠

سُدُوسٌ : في ربيعة ، وهو سدوس بن شيان بن بكر بن وائل ، منهم : سويد ابن منجوف ؛ وسدوس ، مرفوعة السين ، في تميم ، وهو سدوس بن دارم .
مُحَارِبٌ بن فهر بن مالك في قريش ؛ ومحارب بن خفصة في قيس ؛ ومحارب ابن عمرو بن وداعة في عبد القيس .

١٥ غَاضِرَةٌ في بني صعصعة بن معاوية ؛ وغاضرة في ثقيف .

تَيْمٌ بن مُرَّةٍ في قريش رهط أبي بكر ، تيم بن غالب بن فهر في قريش أيضاً ، وهم بنو الأدرم ؛ وتيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة في مضر ؛ وتيم بن ذهل في ضبة ؛ وتيم في قيس بن ثعلبة ؛ وتيم في شيان .

تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ؛ وفي النمر بن قاسط ، وتيم الله في ضبة .

٢٠ كَلَابٌ بن مرة في قريش ؛ وكلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة في قيس .

عَدَى بن كعب من قريش ، رهط عمر بن الخطاب ؛ وعدى بن عبد مناة من الرِّبَابِ ، رهط ذى الرُّمَّةِ ؛ وعدى في فزارة ؛ وعدى في بني حنيفة .

ذَهَلٌ بن ثعلبة بن عكابة ؛ وذهل بن شيان ؛ وذهل بن مالك في ضبة .

ضُبيعة في ضَبّة ؛ وضُبيعة في عَجَل ؛ وضُبيعة في قيس بن ثعلبة ، وهم
رَهط الأعشى .

مازن في تيم ؛ ومازن في قيس عيلان ، وهم رَهط عُتْبة بن غَزْوان ؛ ومازن
في صعصة بن معاوية ؛ ومازن في شيبان .

٥ سهم في قريش ؛ وسهم في باهلة .

سعد بن ذبيان ؛ وسعد في بكر في هوازن ، أَظْأَر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؛ وسعد في عجل ؛ وسعد بن زيد مناة في تميم .

جُشم في معاوية بن بكر ، وجُشم في ثقيف ، وجُشم في الأرقام .
بنو ضمرة في كنانة ، وبنو ضمرة في قشير .

١٠ دُودان في بني أسد ، ودُودان في بني كلاب .

سُليم في قيس عيلان ، وسُليم في جُذام من اليمن .
جَدَيْلة في ربيعة ، وجدَيْلة في طي ، وجدَيْلة في قيس عيلان .
الحزرج في الأنصار ، والحزرج في النمر بن قاسط .

وأسد بن حُزَيْمة بن مدركة ، وأسد بن ربيعة بن نزار .

١٥ شِقْرة في ضَبّة ، وشِقْرة في تميم .

ربيعة : ربيعة الكبرى ، وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، ويلقب ربيعة
الجوع ، وربيعة الوسطى ، وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ؛ وربيعة
الصغرى ، وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة . وكل واحد منهم عم الآخر .

مفاخرة ربيعة

٢٠ قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خَبِرُونِي عن حَيٍّ من أحياء العرب
فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوع الناس في قومه ،
وأحلم الناس ، وأحضرهم جواباً . قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نعرف هذه القبيلة ،
ولكن ينبغي لها أن تكون في قريش . قال : لا قالوا : فني حمير وملوكها .

عبد الملك
وسعى جلساؤه

قال : لا . قالوا : فني مضر . قال : لا . قال مصقلة بن رُقَيْة العبدى : فهى إذا
 فى ربيعة ونحن هم . قال : نعم . قال جلساؤه : ما نعرف هذا فى عبد القيس إلا
 أن تجربنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم : أما أشد الناس لحكيم بن جَبَل ، كان
 مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فُقطعت ساقه فُضمَّها إليه حتى مر به الذى
 قطعها فرماه بها فجذله عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله وانكأ عليه ، فر به الناس
 فقالوا له : يا حكيم ، من قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا . وأنشأ يقول :

ياساقُ لا تُراعى • إنَّ معى ذراعى • أحمى بها كُراعى

وأما أسخى الناس ، فعبد الله بن سَوار ، استعمله معاوية على السند ، فسار
 إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار ، فيطعم الناس ؛
 ١٠ فينما هو ذات يوم إذ أبصر نارا ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ،
 اعتل بعض أصحابنا فاشتوى خبيصاً فعملنا له . فأمر خبازَه أن لا يطعم الناس
 إلا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردنا إلى الخبز واللحم !
 فسَمَّى مُطعم الخبيص .

وأما أطوع الناس فى قومه ، فالجارود بِشر بن العلاء : إنه لما قبض
 ١٥ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتدت العرب ، خطب قومه فقال :
 أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حيٌّ لا يموت : فاستمسكوا بدينكم ،
 فن ذهب له فى هذه الرِّدة دينارٌ أو درهم أو بعير أو شاة فله على مثلاه ! فما خالفه
 منهم رجل .

أما أحضر الناس جواباً فصعصة بن صُوحان ، دخل على معاوية فى وفد
 ٢٠ أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يا أهل العراق ! قدِمتم أرض الله المقدسة ؛
 منها المنشر وإليها المحشر ، قدِمتم على خير أمير ، يبرّ كبيركم ويرحم صغيركم ؛ ولو أن
 الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حُلماً عقلاء ! فأشار الناس إلى صعصة ، فقام
 فحمد الله وصلى على النِّبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يا معاوية

إنا قدعنا الأرض المقدسة : فلعمري ما الأرض تقدّس الناس ، ولا يقدّس الناس إلا أعمالهم ؛ وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمري ما ينفع قربها ولا يضر بُعدها مؤمننا ؛ وأما قولك لو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلباء عقلاء ، فقد ولدتم خير من أبي سفيان : آدم صلوات الله عليه ؛ فمنهم الحليم والسفيه ، والمجاهل والعالم .

٥

وأما أحلم الناس [فالأشجُّ العبدى] ، فإن وفد عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم وفيهم الأشج ، فقرّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرقه في أصحابه ؛ ثم قال : يا أشج ، أدن منى . فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة ، والحلم ! وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدا ؛ ويقال : إن الأشج لم يغضب قط .

١٠

جمرات العرب

وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ؛ وبنو الحارث بن كعب بن علة بن جلد ؛ وبنو ضبة بن أد بن طابخة ؛ وبنو عيس بن بغيض . وإنما قيل لهذه القبائل جمرات لأنها تجمعت في أنفسها ولم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير : التجميع ؛ ومنه قيل : جمره العقبة ، لاجتماع الحصى فيها ؛ ومنه قيل : لا تجمروا المسلمين فتفتنهم وتفتنوا نساءهم . يعنى : لا تجمعهم في المغازى .

١٥

وأبو عبيدة قال في كتاب التاج أطفئت جمرتان من جمرات العرب : بنو ضبة لأنها صارت إلى الرباب مخالفتها ؛ وبنو الحارث ؛ لأنها صارت إلى مذحج مخالفتها ؛ وبقيت بنو نُمير إلى الساعة لم تحالف ولم يدخل بينها أحد .

٢٠

وقال شاعرهم يرد على جرير :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ الْبَهَابَا
وَإِنِّي إِذْ أُسِبُّ بِهَا كُلِّيًّا فَتَحَتْ عَلَيْهِمُ لِلْخَنَفِ بَابَا
فَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نُمَيْرًا وَلَمْ نَسْمَعْ لَشَاعِرِهَا جَوَابَا

رَغِبْنَا عَنْ هِجَاءِ بَنِي كَلَيْبٍ * وَكَيْفَ يُشَامِ النَّاسُ الْكِلَامَا

أنساب اليمن

قحطان بن عابر - وعابر - هو هود النبي صلى الله عليه وسلم - ابن شالخ بن
أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمَك بن مَتَوْشَلَخ بن أَخْنُوخ - وهو
إدريس النبي عليه السلام - ابن يَرْد بن مهلايل بن قَيْنَان بن أُنُوش بن شِيث
- وهو هبة الله - ابن آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم .

فولد قحطان : يعرب - وهو المرعف - وسبأ ، والمسلم ، والمزداد ،
وودِئِل ، وَتَكْلَا ، وَأَيَّال ، وَعُوبَال ، وَأَزَال ، وَهَدُورَام ، وَهُوَ جَرَم ، وَأَوْفِير ،
وَهُوَيْلَا ، وَرُوح ، وَإِرم ، وَتُوبِت ؛ فهؤلاء ولد قحطان فيما ذكر عبد الله بن ملاذ .
وقال الكلبي محمد بن السائب : ولد قحطان : المرعف - وهو يعرب - ،
ولأى ، وجابر ، والمتلّس ، والعاصي ، والمتغشم ، وعاصب ، ومعوذ ، وشيم ،
والقطامي ، وظالم ، والحارث ، ونباتة . فهلك هؤلاء إلا ظالمًا ، فإنه كان
يغزو بالجيوش .

وقال الكلبي : ولد قحطان أيضا : جُرْمَا ، وحضرموت . فمن أشراف
حضرموت بن قحطان : الأسود بن كبير ، وله يقول الأعشى قصيدته التي أولها :

* مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ *

ومنهم مسروق بن وائل ، وفيه يقول الأعشى :

قَالَتْ قَبِيلَةٌ : مَنْ مَدَحْتَ فَقُلْتُ : مَسْرُوقٌ بْنُ وَائِلٍ

فولد يعرب بن قحطان يشجب ؛ وولد يشجب سبأ . وولد سبأ حميرا ،
وكهلان ، وصيفيل ، وبشرا ، ونصرا ، وأفلح ، وزيدان ، والعود ، ورثما ،
وعبد الله ، ونعمان ، ويشجب ، وشذادا ، وريعة ، ومالكا ، وزيدا . فيقال لبني
سبأ كلهم : السَّبِيُّونَ ، إلا حميرا وكهلان . فإن القبائل قد تفرقت منهما . فإذا
سألت الرجل : من أنت ؟ فقال : سبئي . فليس بحميري ولا كهلاني .

حمير

حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . فولد حمير بن سبأ : مالك
والهميسع ، وزيدا ، وأوسا ، وعرييا ، ووائلا ، ودرمييا ، وكهلان ، وعبيكرب ،
ومسروحا ، ومرة : رهط معديكرب بن النعمان القليل الذي كان يحضرموت .

- فمن بطون حمير : معدان بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن
ابن عريب . وملحان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن
وائل ، رهط عامر الشعبي الفقيه . وعذاد بن ملحان : وشيبان في همدان . فمن
كان منهم باليمن فهو حميري ، ويقال له شيباني .

- ومن بطون حمير : شرعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس . وإليه
تنسب الرماح الشرعية .

١٠

ومن بطون حمير : الدرون ، وقد يقال لهم الأذواء . وأيضا . رمقد ، فمنهم :
بنو فهد ، وعبد كلال ، وذو كلاع - وهو يزيد بن النعمان ، وهو ذو كلاع الأكبر .
يقال : تكأع الشيء . إذا تجمّع - وذو رعين ، وهو شراحيل بن عمرو القائل :

فإن تلك حمير غدت وخانت * فعذرة الإله لذي رعين

- ذو أصبح : واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث . وهو أول من
عملت له السياط الأصحية . ومن ولده : أبرهة بن الصباح كان ملك تهامة ، وأمه
ريحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحبشة . وابنه أبو شمر ، قُتل مع علي بن
أبي طالب يوم صفين . وأبو رُشد بن كُريب بن أبرهة ، كان سيد حمير بالأمم
زمن معاوية . ومنهم يزيد بن مفرغ الشاعر .

- ذو يزن ، واسمه عامر بن أسلم بن زيد بن الغوث بن قطن بن عريب .
ومنهم : النعمان بن قيس بن سيف بن ذي يزن الذي تقي الحبشة عن اليمن - وجاء
في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى حلة يضع وعشرين قلوفا ،
نأعظاها إلى ذي يزن - وإلى ذي يزن تنسب الرماح اليزنية .

٢٠

ذو جدن : وهو عَلس بن الحارث بن زيد بن الغوث ، ومن ولده علقمة بن شراحيل . ذو قَيْفان الذي كانت له صمصامة عمرو بن معديكرب ، وقد ذكره عمرو في شعره حيث يقول :

وَسَيْفٌ لِابْنِ ذِي قَيْفَانَ عِنْدِي ، تَخَيَّرَ فَضَّلَهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ

حَضُورِ بْنِ عَدَى بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ .
وهم في همدان .

فمن حَضُور : شُعَيْبُ بْنُ ذِي مِهْزَمٍ ، النَّبِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ قَوْمُهُ . فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمُخْتَصَرٍ فَقَتَلَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَاصْطَلَبَتْ حَضُورٌ ؛ وَيُقَالُ : فِيهِمْ نَزَلَتْ : ﴿ فَلْيَا أَحْسُوا بِأَسَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاءِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ خَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ فيقال إن قبر شُعَيْبِ هَذَا النَّبِيِّ فِي جَبَلٍ بِالْبَلْعَيْنِ فِي حَضُورٍ يُقَالُ لَهُ حُضَيْنٌ ، لَيْسَ بِالْبَلْعَيْنِ جَبَلٌ فِيهِ مَلْحٌ غَيْرُهُ ، وَفِيهِ فَاكِهَةٌ الشَّامُ ، وَلَا تَمْرٌ بِهِ هَامَةٌ مِنَ الْهَامِ .

الأوزاع

وهم : مَرثِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ زُرْعَةَ بْنِ سَبَأِ بْنِ كَعْبٍ ، وَهُمْ فِي هَمْدَانَ إِلَّا جُرْشَ ابْنِ أَسْلَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْغَوْثِ ، الْأَصْغَرُ بْنُ أَسْعَدَ بْنِ عَوْفٍ .
شَجِيجُ بْنُ عَدَى بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو .
وَصَبْقُ بْنُ سَبَأٍ ، الْأَصْغَرُ بْنُ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ تُبَّعٍ ، وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبٍ .

التبابعة

تُبَّعُ الْأَصْغَرُ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبٍ ، وَاسْمُهُ يَبَانُ بْنُ مَلِكِيكَرْبٍ ، وَهُوَ تَبَّعُ الْأَكْبَرِ ابْنُ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو ، ذِي الْأَذْعَارِ بْنِ أَرْهَةِ ذِي الْمَنَارِ .

وَتَبِعَ بِنُ الرَّائِثِ بِنُ قَيْسِ بِنُ صَيْفِي . وَمَلَكِيكَرْبُ تَبِعَ الْاَكْبَرُ ، يَكْنَى
أَبَا مَالِكٍ ، وَلَهُ يَقُولُ الْاَعْشَى :

وَخَانَ الزَّمَانَ أَبَا مَالِكٍ هـ وَأَيُّ أَمْرِي لَمْ يَخْنَسْهُ الزَّمَنُ

وَمِنْ بَنِي صَيْفِي بِنُ سَبَأَ : بَلْقَيْسُ ، وَهِيَ بَلْقَمَةُ بِنْتُ آلِ شَرْخِ بِنِ ذِي جَدْنِ
ابْنِ الْحَارِثِ بِنِ قَيْسِ بِنِ سَبَأِ الْاَصْفَرِ .

وَمِنْهُمْ : حَمِيرُ التَّبَاعَةِ . وَهُمْ تِسْعَةٌ ، مِنْهُمْ تَبِعَ الْاَصْفَرُ ، وَتَبِعَ الْاَكْبَرُ ؛ وَمِنْهُمْ
الْمِثَامَةُ ، وَهُمْ ثَمَانِيَةٌ رَهْطُ وِلَاةِ الْعُهْدِ بَعْدَ الْمُلُوكِ ؛ وَهُمْ الثَّمَانَةُ ، أَرْبَعَةُ آلَافٍ ؛
وَالْقَيْلُ الَّذِي يَكَلِّمُ الْمَلِكَ فَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَلَا يَكَلِّمُ غَيْرَهُ ؛ وَمِنْهُمْ أَبُو فُرَيْقَيْشِ بِنُ
قَيْسِ بِنِ صَيْفِي الَّذِي افْتَتَحَ لِافْرِيقِيَةِ فُسِّمَتْ بِهِ ، وَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَتْ الْبَرَابَرَةُ ؛ وَذَلِكَ
أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ : مَا أَكْثَرَ بَرَبَرَتِكُمْ .

قِضَاعَةُ

هُوَ قِضَاعَةُ بِنِ مَالِكِ بِنِ عَمْرٍو بِنِ مُرَّةَ بِنِ زَيْدِ بِنِ مَالِكِ بِنِ حَمِيرٍ ، وَأَسْمُ
قِضَاعَةٍ : عَمْرٍو .

فَمِنْ قِبَائِلِ قِضَاعَةٍ وَبَطُونِهَا وَجَاهِيئِهَا : كَلْبُ بِنِ وَبَرَةٍ بِنِ ثَعْلَبِ بِنِ حُلَوَانَ
ابْنِ عَمْرَانَ بِنِ الْحَافِ بِنِ قِضَاعَةٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ وَبَرَةَ وَلَدَتْ لَهُ : كَلْبًا ، وَأَسَدًا ،
وَنَمْرًا ، وَذَنْبًا ، وَثَعْلَبًا ، وَفَهْدًا ، وَضَبَّعًا ، وَدُبَّ ، وَسَيْدًا ، وَسَرِحَانَ . فَمِنْ أَشْرَافِ
كَلْبٍ : الْفُرَافِصَةُ بِنِ الْأَحْوَصِ بِنِ عَمْرٍو بِنِ ثَعْلَبَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي تَزَوَّجَ عُثْمَانُ بِنُ
عَفَانَ ابْنَتَهُ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفُرَافِصَةِ ؛ وَمِنْهُمْ زَهِيرُ بِنُ جَنْصَابِ بِنِ هُبَلِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ كِنَانَةَ .

وَمِنْ أَسْلَافِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ دَحِيَّةُ بِنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ فِي صُورَتِهِ .

وَمِنْهُمْ حَسَانُ بِنُ مَالِكِ بِنِ جَذِيمَةَ .

وَمِنْ قِضَاعَةٍ : الْقَيْنُ بِنُ جَعْفَرِ بِنِ شَيْعِ اللَّاتِ بِنِ أَسَدِ بِنِ وَبَرَةٍ ؛ فَمِنْ أَشْرَافِ

القين : دَعَج بن كُثَيْف ، وهو الذي أسر سِنَان بن حارثة المَرِّي ؛ ومنهم نَدِيمَا جَدِيعة ، وهما مالِك وعَقِيل ابنا فارج ، ولهما يقول المُنْخَل :

ألم تَعْلَى أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا ۝ خَلِيلَا صَفَاءِ مَالِكٍ وَعَقِيلُ

ومنهم سعد بن أَبِي عمر وكان سيد بني القين ورئيسهم .

ومن قضاة : تَوَخ ، وهم ثلاثة أبطن : منهم بنو تيم الله بن أسد بن وبرة ، ومنهم مالِك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن ثعلبة بن مالِك بن فهم ، ومنهم أذينة الذي يقول فيه الأعشى :

أزالَ أَذِينَةَ عَنْ مُلْكِهِ ۝ وأخرج من قصره ذَا يَزَنَ

ومن بني قضاة : جَرَم وهو عمرو بن عِلَاف بن حُلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاة ، وإلى عِلَاف تنسب الرحال العلافية ، وقال الشاعر :

” بَجُوفِ عِلَافٍ وَنِطْعٍ وَتُفْرِقُ ۝ ”

ومن جَرَم : الرَّعْل بن عُرْوَة وكان شريفاً ، ومنهم عصام بن شُهَيْر بن الحارث

وكان شاعراً شجاعاً ، وله يقول النابغة :

فَلَأَيَّ لَا أَلُومُكَ فِي دُخُولٍ ۝ وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ

وله قيل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا ۝ وَعَلَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وجعلته مَلِكاً هَمَامًا

ولجرم أربعة من الولد : قدامة ، وجدة ، ومِلْكَان ، ونَاجِيَة ؛ فمن بني قدامة :

كِنَانَة بن صَرِيم الذي كان يُهاجى عمرو بن معد يكرب ، ووَعْلَة بن عبد الله بن

الحارث الذي قتل الحارث بن عبد المَدَان .

ومنهم بنو شَن ، وهم باليمامة مع بني هِزَّان بن عَنزة ؛ ومنهم أبو قَلَابَة الفقيه

عبدُ الله بن زيد ؛ والمساور بن سَوَار ، ولى شرطة الكوفة لمحمد بن سليمان .

ومن بني جُدَة بن جَرَم : بنو راسب ، وهم بنو الخزرج بن جدعة بن جرم .

ومن قضاة : سَلِج ، وهو عمرو بن حُلوان ، بن عمران .

ومن بني سعد بن سَليح : الضَّجَاعَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَلُوكَ الشَّامِ قَبْلَ غَسَّانَ .

ومن بني النمر بن وَبَرَةَ حُشَيْنَ ، منهم أَبُو ثَعْلَبَةَ الْحُشْنِي صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن بني النمر بن وَبَرَةَ : غَاضِرَةُ وَعَاتِيَةُ ابْنَا سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورَ .

- ومن بني أَكْثَمَ بْنِ النَّمْرِ : مَشْجَعَةُ بْنُ الْغَوْثِ : مِنْهُمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ حِجَارَ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ قَارِبَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ دَاوُدَ بْنَ هَبْلَةَ السَّلِيحِي ، وَكَانَ مَلِكًا .
بِهَرَاءَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ : فُلْدُ بَهْرَاءَ : أَهْوَدَ ، وَقَاسِطًا ، وَعَبْدَةَ وَقَسْرًا ، وَعَدْيًا ، بِطُونُ كُلِّهَا .

- ومِنْهُمْ قَيْسُ وَشَيْبُ ، بَطْنَانِ عَظِيمَانِ ، وَمِنْهُمْ الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ : لِأَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ كَانَ تَبَنَّى ، وَقَدْ آتَتْهُ الْمَقْدَادُ إِلَى كَنْدَةَ : وَذَلِكَ أَنَّ كَنْدَةَ سَبَتْهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَقَامَ فِيهِمْ وَاتَّسَبَ إِلَيْهِمْ .

- ومن قُضَاعَةَ : بَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ : مِنْهُمْ الْمُجَدَّرُ بْنُ ذِيَادَ قَاتَلَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ الْعَاصِ بْنِ هِشَامَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزَى فِي يَوْمِ بَدْرَ وَهُوَ يَقُولُ :

- بَشْرٌ يُلْتَمِمْ مَنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِيُّ هـ أَوْ بَشْرٌ يَمِثُلُهَا مَنِ أَبِي
أَنَا الَّذِي أَرْعَمُ أَصْلِي مَنْ بَلِي هـ أَضْرِبُ بِالْهَنْسِدِيِّ حَتَّى يَنْتَنِي
وفِيهِمْ بَنُو إِرَاشَةَ بْنِ عَامِرَ : مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ الْأَنْصَارِيُّ صَاحِبُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَسَهْلُ بْنُ رَافِعَ صَاحِبُ الصَّاعِ .

- وفِيهِمْ بَنُو الْعِجْلَانِ بْنِ الْحَارِثِ : مِنْهُمْ ثَابِتُ بْنُ أَرْقَمَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ طَلْحَةُ فِي الرِّدَّةِ .

ومِنْهُمْ بَنُو وَائِلَةَ بْنِ حَارِثَةَ أَخِي بَنِي عِجْلَانَ : مِنْهُمْ النُّعْمَانُ بْنُ أَحْمَرَ ، شَهِدَ بَدْرًا .

ومن قضاة : مَهْرَة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وهو الذي
تُنسب إليه الإبل المهرية .

ومنهم : كرز بن روعان . من بني المُنْزَم الذي صار إلى معديكرب بن جبلة
الكندي ، وهو الذي يقول :

٥ تَقُولُ بُنَيْتُ لِمَا رَأَيْتُ . أَكْكَ عَلَيْهِمْ وَأَذُبُ وَحْدِي

لَعْمُكَ إِنْ وَنِيتَ الْيَوْمَ عَنْهُمْ . لَسْتَنَقِلِبَنَّ مَصْرُوعًا بِخَدِّ

ومنهم ذَهَبَن بن قِرَضِم بن العُجَيْل ، وهو الذي كان وفد إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وكتب له كتاباً وردّه إلى قومه .

١٠ جُهَيْنَة بن لَيْث بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قضاة . منهم : سُويْد بن
عَمْرُو بن جَذِيمَة بن سِرَّة بن خُذَيْج بن مَالِك بن عَمْرُو بن ثَعْلَبَة بن رِفَاعَة بن مُضَر
ابن مَالِك بن عَطْفَان بن قَيْس بن جُهَيْنَة ، وكان شَرِيفًا .

١٥ ومن قضاة : نَهْد بن زَيْد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قضاة . منهم
الصُّعْق ، وهو جُشَم بن عَمْرُو بن سَعْد ، وكان سَيِّد نَهْد في زَمَانِهِ ، وكان قَصِيرًا
أَسْوَدَ دُمِيًّا ، وكان النعمان قد سمع شرفه فأثامه ؛ فلما نظر إليه نَبَتْ عَنْهُ عَيْنُهُ ،
فقال : « تَسْمَعُ بِالْمُعَيَّدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ » ، فقال : أَيْدِ اللَّعْنِ ! إِنْ الرِّجَالُ
لَيْسَتْ بِمُسُوكٍ يُسْتَقَى فِيهَا الْمَاءُ ، وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَخْزَرِيهِ : قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، إِذَا نَطَقَ
نَطَقَ بِيَانٍ ، وَإِنْ صَالَ صَالَ بِجَنَانٍ . قال : صَدِيقُ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ عَلَيْكَ
بِالْأُمُورِ ؟ قال : أَبْغَضُ مِنْهَا الْمَقْبُولَ ، وَأَبْرَمُ الْمَسْهُولَ ، وَأَحْلَاهَا حَتَّى تَحُولَ ،
وَلَيْسَ لَهَا بِصَاحِبٍ ، مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْعَوَاقِبِ .

٢٠ ومنهم : وَدْعَة بن عَمْرُو صَاحِبُ بَسْبَسٍ ، طَلِيعَة رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
عُدْرَة بن سَعْد هَذِيم بن زَيْد بن لَيْث : مِنْهُمْ خَالِد بن عَرَفْطَة ، وَلَاهُ سَعْد
ابن أَبِي وَقَاصٍ مِمْنَة النَّاسِ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ . وَمِنْهُمْ عُرْوَة بن حِزَام صَاحِبُ عَفْرَاءَ
وَمِنْهُمْ رَزَاح بن رِبْعَة أَخُو قُصَيٍّ لِأُمِّهِ ، وَهُوَ الَّذِي أَعَانَ قُصَيًّا حَتَّى غَلَبَ عَلَى
الْبَيْتِ . وَمِنْهُمْ جَمِيل بن عَبْدِ اللَّهِ بن مَعْمَر بن نَهْيك صَاحِبُ بَيْتَةِ .

وبنو الحارث بن سعد . إخوة عُدرة .

فهؤلاء بطون قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة . وهؤلاء أولاد حمير بن سبأ .

كهلان بن سبأ

٥ الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان .
فمن قبائل الأزد : الأنصار ، والأوس ، والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأمهما قيلة .

هؤلاء الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة - وهو العنقاء - ابن عمرو بن ثعلبة - وهو المزقييا - ابن عامر ، وهو ماء السماء .

١٥ فمن بطون الأوس والخزرج وجماهيرها : عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس - وهم بنو السميعة ، بها يعرفون - وهم عوف [وحبيب] وثعلبة ولوذان ، بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . منهم : عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح الذي تحمّ له الدبر ، والأحوص [بن محمد] بن عبد الله الشاعر ، وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأبو سفيان الحارث ، بدرى . وأبو مليل ١٥ ابن الأزعر ، بدرى .

حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، منهم : سويد بن الصامت قتله المجذّر بن زياد في الجاهلية ، فوثب ابنه على المجذّر فقتله في الإسلام ، فقتله النبي عليه الصلاة والسلام .

٢٥ عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . منهم : سعد بن معاذ الذي اهتز لموته العرش ، بدرى ، حكم في بني قريظة والنضير ، وعمرو أخو سعد بن معاذ ، شهد بدرًا وقتل يوم أحد . والحارث بن أُنس ، شهد بدرًا وقتل يوم أحد ، وعمار بن زياد قتل يوم بدر ، وأسيد بن الحضير بن سمالك ،

شهد العقبة وبدرًا : وريعة بن زيد شهد العقبة وبدرًا .

ريعة بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك
ابن الأوس . منهم : رفاعة بن قيس ، قتل يوم أحد . وسلمة بن سلامة بن وقش ،
شهد بدرًا وقتل يوم أحد . وأخوه عمرو بن سلامة ، قتل يوم أحد ، ورافع بن
يزيد ، بدرى . ٥

زَعُورًا بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . منهم :
مالك بن النِّهَان أبو الهيثم ، نقيب بدرى عقي ؛ وأخوه عتبة^(١) بن النِّهَان ، بدرى
قتل يوم أحد .

خطمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس . منهم : عدى بن خرشة ،
وعمر بن خرشة ، وأوس بن خالد ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وعبد الله
ابن يزيد الأنصاري ، ولى الكوفة لابن الزبير . ١٠

واقف : هو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . منهم : هلال بن
أمية ، وعائشة بن نمير الذى ينسب إليه بئر عائشة بالمدينة ، وهرم بن عبد الله السلى
ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . ومنهم : سعد بن خيثمة بن الحرث ، بدرى
عقي نقيب ، قتل يوم أحد . ١٥

عامرة : هم أهل رابح بن مرة بن مالك بن الأوس . منهم : وائل بن زيد بن
قيس بن عامرة ، وأبو القيس بن الأسلت .

الخزرج

فن بطون الخزرج : النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج : غنم بن مالك بن
النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . منهم : أبو أيوب خالد بن زيد ، بدرى . ٢٠
وثابت بن النعمان ؛ وسراقة بن كعب ؛ وعمارة بن حزم ؛ وعمرو بن حزم ؛ بدرى
عقي ؛ وزيد بن ثابت صاحب القرآن والفرائض ؛ بدرى ؛ ومعاذ ومعوذ وعوف

(١) ويروى عتيك،

بنو الحارث بن رفاعه . وأهمهم عفراء ، بها يعرفون ، شهدوا بدرًا ؛ وأبو أمامة
أسعد بن زرارة ؛ نقيب عقبى بدرى ؛ وحارثة بن النعمان ، بدرى .

مبذول : اسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج .
منهم : حبيب بن عمرو ، قتل يوم اليمامة ، وأبو عمرة ، وهو بشير بن عمرو ،
قتل مع علي بن أبي طالب بصفين . والحارث بن الصمة ، بدرى . وسهل بن
عتيك ، بدرى .

حُدَيْلَة : هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .
أمه حديلة وبها يعرفون . منهم : أبي بن كعب بن قيس بن عُيَيْد بن معاوية .
وأبو حبيب بن زيد ، بدرى .

مَعَالَة : هو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار . منهم : حسان بن ثابت بن
المنذر بن حرام شاعر النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو طلحة وهو زيد بن سهل
ابن الأسود بن حرام .

ملحان بن عدى بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : سُليْم بن
ملحان ، وحرام بن ملحان ، بدريان ، قتل يوم بدر معونة .

غَنَم بن عدى بن النجار . منهم : صِرْمَة بن أنس بن صرمة صاحب النبي
صلى الله عليه وسلم . ومحرز بن عامر ، بدرى . وعامر بن أمية ، بدرى ، قتل
يوم أحد . وأبو حكيم وهو عمرو بن ثعلبة ، بدرى . وأبو خارجة وهو عمرو
ابن قيس ، بدرى . وابنه سبرة أبو سليط ، بدرى . وثابت بن خنساء ، بدرى .
قتل يوم أحد ، وأبو الأعور وهو كعب بن الحرث ، بدرى . وأبو زيد أحد
الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبنو الحسحاس
الذين ذكروهم حسان في قوله :

« ديارٌ من بني الحسحاس قفرُ »

مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن زيد ، قطع

مسبلة جسده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليه ؛ وعبد الرحمن بن كعب من الذين تولوا وأعييهم تفيض من الدمع ، بدرى . وقيس بن أبي صعصعة ، بدرى . وغزوة بن عمرو ، عقي .

- ٥ بنو الحارث بن الخزرج . منهم : عبد الله بن رواحة الشاعر ، بدرى عقي نقيب . وخلاد بن سويد ، بدرى ، قتل يوم قريظة . وسعد بن الربيع ، بدرى عقي نقيب ، قتل يوم أحد . وخارجة بن زيد ، بدرى عقي نقيب قتل يوم أحد . وابنه زيد بن خارجة الذى تكلم بعد موته . وثابت بن قيس بن شماس ، خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم اليمامة وهو على الأنصار ؛ وبشير بن سعد ، بدرى عقي . وأبو النعمان بن بشير . وزيد بن أرقم . وابن الأطنابة الشاعر .
- ١٠ وزيد بن الحارث الشاعر ، بدرى . وأبو الدرداء وهو عويمر بن زيد . وعبد الله بن زيد الذى أرى الأذان . وسيدع بن قيس ، بدرى . وعامر بن كعب الشاعر .
- بنو خثيرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . منهم : أبو مسعود عقبة بن عمرو ، بدرى عقي . وعبد الله بن الربيع ، بدرى . وأبو سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك .

- ١٥ بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج . منهم سعد بن عبادة بن دليم ، كان من النقباء ، وهو الذى دعا إلى نفسه يوم سقيفة بني ساعدة . والمنذر بن عمرو ، بدرى عقي نقيب ، قتل يوم بئر معونة . وأبو دجانة وهو سمالك بن أوس بن خرشة . وقيس ابن سعد . وأبو أسيد وهو مالك بن ربيعة قتل يوم اليمامة . ومسبلة بن غلذ .
- سالم بن عوف بن الخزرج . منهم : الرَّمَق بن زيد الشاعر ، جاهلى . ومالك ابن العجلان بن زيد بن سالم سيد الأنصار الذى قتل الفِطْطِيُّون .

٢٠ القَوَقْل : هو غنم بن عمرو بن عوف بن الخزرج . منهم : عبادة بن الصامت ، بدرى نقيب . ومالك بن الدُّخُثُم ، بدرى . والحارث بن خزيمة ، بدرى .

بنو يياضة بن عامر بن زُرَيْق . منهم : زياد بن لبيد ، بدرى . وفروة بن عمرو ، بدرى عقي . وخلاد بن قيس ، بدرى . وعمرو بن النعمان رأس الخزرج

يوم بعث . وابنه النعمان صاحب راية المسلمين بأحد .

المجلان بن زيد بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ ومن
بنى المجلان : عبد الله بن فضلة بن مالك بن المجلان البدرى ، قتل يوم أحد .
وعياش بن عباد بن فضلة . ومُليل بن وبرة ، بدرى . وعصمة بن الحصين بن وبرة
بدرى . وأبو خيثمة ، وهو مالك بن قيس .

الحبلى : وهو سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ سمي
الحبلى لعظم بطنه . منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ؛ وابنه
عبد الله بن عبد الله ، شهد بدرًا وقتل يوم اليمامة . وأوس بن خولى ، بدرى .

بنو زريق بن عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج .
منهم : ذكوان بن عبد قيس ، بدرى عقبى قتل يوم أحد . وأبو عباد سعد بن
عثمان ، بدرى . وعُتْبة بن عثمان بدرى . والحريث بن قيس ، بدرى . وأبو عياش بن
معاوية فارس جُلوة ، بدرى . ومسعود بن خَلْدَة ، بدرى . ورفاعة بن رافع ،
بدرى . وأبو رافع بن مالك ، أول من أسلم من الأنصار .

بنو سَلَة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج . منهم :
جابر بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . ومعاذ بن الصَّمة ، بدرى .
وخراش بن الصمة ، شهد بدرًا بفرسين . وعُتْبة بن أبي عامر ، بدرى . ومعاذ بن
عمرو بن الجوح ، بدرى ، وهو الذى قطع رجل أبي لهب . وأخوه معوذ بن
عمرو ، قتل يوم بدر . وأبو قتادة واسمه النعمان بن ربيع . وكعب بن مالك
الشاعر وأبو مالك بن أبي كعب الذى يقول :

لَعَمْرُ أبيها ما تقول حَليلتى ، إذا فرغها مالك بن أبي كعب

وبشر بن عبد الرحمن ؛ والزبير بن حارثة ؛ وأبو الخطاب وهو عبد الرحمن
ابن عبد الله ؛ ومعن بن وهب - هؤلاء الخمسة شعراء - وعبد الله بن عتيك ، قاتل
ابن أبي الحقيق . هذا نسب الأنصار .

خزاعة

هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ؛ وإنما قيل لهم خزاعة ؛
لأنهم انخزعوا من ولد عمرو بن عامر في إقبالهم من اليمن ؛ وذلك أن بني مازن
من الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد - نزل بنو مازن على ماء بين زبيد
ورمع يقال له غسان ؛ فن شرب منه فهو غساني ؛ وأقبل بنو عمرو فانخزعوا من
قوتهم فنزلوا مكة ؛ ثم أقبل أسلم ومالك ومليكان بنو أقصى بن حارثة فانخزعوا ،
فسموا خزاعة ، واقترب سائر الأزد ، فالأنصار وخزاعة وبارق والهجن وغسان ؛
كلها من الأزد ، لجميعهم بن عمرو بن عامر ، وذلك أن عمرو بن عامر ولد له حفنة
والحارث وهو محرق ، لأنه أول من عذب بالنار ، وثعلبة العنقاء ، وهو أبو الأنصار ،
وحارثة ، وهو أبو خزاعة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووداعة ، وهو في
همدان ، وعوف ، وذهل ، وهو وائل ، وعمران . فلم يشرب أبو حارثة ولا
عمران ولا وائل من ماء غسان ، فليس يقال لهم غسان .

بطون من خزاعة

حليل بن حُبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . وهو كان صاحب
البيت قبل قريش ، منهم المحترش بن حليل بن حبشية - الذي باع مفتاح الكعبة
من قصي بن كلاب - ، وهلال بن حليل ، وكرز بن علقمة - الذي قفا أثر النبي
صلى الله عليه وسلم حتى دخل الغار ، وهو الذي أعاد معالم الحرم في زمن معاوية
فهو إلى اليوم - ، وطارق بن باهية الشاعر .

قير بن حُبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . فن بني قير : بُسر
ابن سفيان الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وجلجلة بن عمرو الذي
ذكره أبو الكنود في شعره ، ومن ولده قبيصة بن ذؤيب بن جلجلة ، ومالك بن
الهيثم بن عوف .

كليب بن حُبَشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة ؛ منهم : السفاح

ابن عبد مناة الشاعر ، وخراش بن أبي أمية حليف بني مخزوم ، وهو الذي حجم^(١) النبي عليه الصلاة والسلام .

ضاطر بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : حفص ابن هاجر الشاعر ، وقرة بن إياس الشاعر . وكان ابنه يحيى بن قرة سيد قومه . وطلحة بن عبيد الله بن كُريز بن الحداية الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو .

حَرام بن عمر بن حبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم أكرم ابن أبي الجون ، وسلطان بن صرد بن الجون ، ومعتب بن الأكوع الشاعر . وأم معبد : وهي عاتكة بنت خُليف التي نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم في مهاجرة إلى المدينة .

غاضرة بن عمرو بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : ١٠ عمران بن حصين صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وسعيد بن سارية ، ولي شرطة علي بن أبي طالب . وأبو جمعة جد كثير عزة . وجعدة وأبو الكنود ابنا عبد العزى .

مليح بن خزاعة ، منهم : عبد الله بن خلف ، قتل مع عائشة يوم الجمل . وأخوه سليمان بن خلف ، كان مع علي يوم الجمل ، وابنه طلحة بن عبد الله ١٥ ابن خلف يقال له طلحة الطلحات ، وهو أجود العرب في الإسلام ، وعمرو بن سالم الذي يقول :

لَا تُمِّ إِنْ نَاشَدُ مُحَمَّدًا ۖ حَلَفَ أَيْنَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَا

ومنهم كثير عزة الشاعر ، كنيته أبو عبد الرحمن .

عدي بن خزاعة . منهم : بديل بن ورقاء الذي كتب إليه النبي صلى الله ٢٠ عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، وابنه عبد الله بن بديل ، ونافع بن بديل ، قتل يوم بدر . ومحمد بن ضمرة كان شريفا ، والحيسمان بن عمرو الذي

(١) في بعض الأصول : ه حلق .

جاء بقتلى أهل بدر إلى مكة وأسلم بعد ذلك .

سعد بن كعب بن خزاعة ؛ منهم : مطرود بن كعب الذي رثى بنى عيـد مناف ، وعمرو بن لَحْمِيق صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وأبو مالك القائد وهو أسد ابن عبد الله ؛ والحصين بن نضلة ، كان سيد أهل تهامة ، مات قبل الإسلام ؛ والحارث بن أسد ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

المُصْطَلِق بن سعد بن خزاعة ؛ منهم جُورِيَّة بنت الحُزْرَج زوج النبي عليه الصلاة والسلام .

وإخوة خزاعة وهم يُنسَبون في خزاعة : أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو ابن عامر ؛ منهم : بريدة بن الحُصَيْنْب صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . وسَلَمَةُ ابن الأَكْوَع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومَلَكَان بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر . ومنهم ذو الشمالين ، وهو عمير بن عبد عمرو ، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومالك بن الطَّلَاطلة ، كان من المستهزئين من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونافع بن الحارث ولي مكة لعمر بن الخطاب .

مالك بن أفضى بن عمرو بن عامر ؛ منهم : عويمر بن حارثة ؛ وسليمان بن كُثَيْير ، من نُقباء بني العباس ، قتله أبو مسلم بخراسان .

سلامان بن أسلم بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : جَرَهْد ابن رِزَاح كان شريفًا ، وأبو بردة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

فرغت خزاعة .

بارق والهجن

ولد عدى بن حارثة بن عامر : سعدا - وهو بارق - ، وعمراً - وهم الهجن - نخزاعة وبارق والهجن : من بنى حارثة بن عمرو بن عامر .

فمن مارق : سراقه بن مرداس الشاعر وجعفر بن أوس الشاعر ، ومنهم
النعمان بن خميصه ، جاهلي شريف . وبارق والهجن لا يقال لهما غسان ؛ وغسان
ماء بالمشلل ، فمن شرب منه من الأزد فهو غساني ، ومن لم يشرب منه فليس بغساني ؛
وقال حسان :

• إنا سألت فإنا معشر نُجِبٌ • الأزدُ نِسبتنا والماء غان

ومن الهجن : عرفة بن هرة الذي جند الموصل ، وعداده في بارق ؛ ومنهم
ربعة وملادس وثعلبة وشيب وألع ، بنو الهجن .

حجر بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن
الأزد ؛ ومنهم : أبو شجرة بن حجنة ، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم :
صيفي بن خالد بن سلمة بن هريم .

والعتيك : هو ابن الأزد بن عمران بن عمرو ؛ منهم : المهلب بن أبي صفرة ،
واسم أبي صفرة ظالم بن سراقه : وجديع بن سعيد بن قبيصة . ومن العتيك :
عمرو بن الأشرف ، قتل مع عائشة يوم الجمل ؛ وابنه زياد بن عمرو ، كان
شقيقا ؛ وثابت قطنة الشاعر . ويقال إن العتيك : ابن عمران بن عمرو بن
أسد بن خزيمة . فهؤلاء بنو عمران بن عمرو بن عامر ؛ وهم : الحجر ،
والأزد ، والعتيك .

ومن بطون الأزد :

بنو ماسخة بن عبد الله بن مالك بن النصر بن الأزد ، إليهم تنسب القسي
الماسخية ، كان أول من رمى بها بنو زهران بن كعب بن الحارث بن كعب
ابن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد . ومنهم : حمزة بن رافع ؛ وفيهم :
بنو النمر بن عثمان بن النصر بن هوازن ؛ ومنهم : أبو الكنود صاحب
ابن مسعود ، قتل يوم الفجار ؛ وأبو الجهم بن حبيب ، كان والياً لأبي جعفر :

وأبو مرسيم ، وهو حذيفة بن عبد الله ، صاحب رأيهم يوم رستم ، والحارث بن حصيرة الذي يحدث عنه ، ومخلد بن الحسن ، كان فارساً بخراسان .

وفهم بن زهران بطن وحذان بطن ، وزيادة بطن . ومَعُولَة ، بنو شمس ابن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن هوازن .

٥ فمن بني حُذَان : صبرة بن شيان ، كان رأس الأزد يوم الجمل ، وقتل يومئذ .

ومن بني مَعُولَة بن شمس : الجُلندي بن المُستكين صاحب عثمان ، وابنه جَيْفَر . وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جيفر وعُبيد ابني الجلندي ، ومنهم الغطريف الأصغر والغطريف الأكبر من بني دُهْمَان بن نصر بن زهران ، ومنهم سبالة ، وحدروج ، ورثن بنو عمرو بن كعب بن الغطريف ، بطون كلهم ، وبني جَعْنَمَة بن يشكر بن ميسر بن صعب بن دُهْمَان .

بنو راسب بن مالك بن ميثعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، منهم : عبد الله ابن وهب ذو الثغينات ، رئيس الخوارج ، قتله علي بن أبي طالب يوم النهروان . ومن الناس من ينسب بني راسب في قُضَاعَة .

١٥ ثُمَالَة ، وهو عوف بن أسلم بن أُنْجَر بن كعب بن الحارث بن كعب بن ثُمَالَة عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وثُمَالَة منزلهم قريب من الطائف ، وهم أهل روية وعقول ، ومنهم : محمد بن يزيد النحوي المعروف بالمبرد صاحب الروضة ، وقال فيه بعض الشعراء :

سألنا عن ثُمَالَة كُلِّ حَيٍّ ٥ فقال القائلون ومن ثُمَالَة

٢٠ فقلت : محمد بن يزيد منهم ، فقالوا الآن زدت بهم جهالة

بنو لُحَب بن أُنْجَر بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أعْيَف كل حي في العرب - العائف : الذي يزجر الطير - ولهم يقول كثير عزة :

تيممتُ لُحَباً أبتغي العلمَ عندهم ٥ وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لُحَب

دوس

دوس بن عُدْثَان بن عبد الله بن زهران ، ومنهم حُمة بن الحارث بن رافع ،
 كان سيد دوس في الجاهلية ، وكان طمحنى العرب ، وهو مُطعم الحاج بمكة ، ومنهم
 أبو هُريرة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، واسمه عُمر بن عامر . ومنهم
 جَذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وجهضم بن عوف بن مالك
 ابن فهم بن غنم بن دوس ، ومنهم الجراميز ، جمع جرموز ، والقراديس ، جمع
 قردوس ، والقسامل ، جمع قسمة ، والأشقر ، جمع أشقر ، وهم بنو عائذ بن دوس ،
 وفيهم يقول الأعجم :

قالوا الأشاقر تهجوكم فقلت لهم . ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
 وهم من الحسب الزاكي بمنزلة . كطحلب الماء لا أصل ولا ورق
 لا يكبرون وإن طالت حياتهم . ولو يبول عليهم ثعلبُ غرقوا

عك بن عُدْثَان بن عبد الله بن زهران . وعك أخو دوس بن عُدْثَان بن
 عبد الله بن زهران عند من نسبهم إلى الأزد ، ومن قال غير ذلك ، فهو عك
 ابن عُدْثَان أخو معد بن عُدْثَان . وفي عك : قرن ، وهو بطن كبير ، منهم مقاتل
 ابن حكيم ، كان من نقباء بني هاشم بخراسان .

غسان

غسان ، وهم بنو عمرو بن مازن ، وفيهم : صُريم ، وبنو نفيل ، وهم الصُبر ،
 سُموا بذلك لصبرهم في الحرب ، وفي بني صُريم شقران وتمران ابنا عمرو بن صُريم ،
 وهما بطنان في غسان .

بنو عزة

وبنو عَزْزة بن عمرو بن عوف بن عمرو بن مازن بن
 الأزد . منهم : الحارث بن أبي شمر الأعرج ، ملك غسان الذي يقال فيه الجفنى ،
 وليس بجفنى ولكن أمه من بني جفنة . ومن بني عمرو بن مازن : عبد المسيح
 ابن عمرو بن ثعلبة صاحب خالد بن الوليد ، ومنهم عبد المسيح الجُهَند ، ومنهم
 سطيج الكاهن ، وهو ربيعة بن ربيعة .

ومن بني غسان : بنو جَفنة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة

ابن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ؛ ومنهم : ملوك غسان بالشام ، وهم سبعة وثلاثون ملكا ، ملكوا ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن جاء الإسلام .

بجيلة ، وهم عبقر والغوث وصهيب ، ووداعة وأشهل ؛ نسبوا إلى أمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ؛ وهم بنو أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخو الأزد بن الغوث . منهم : جَرير بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان يُقال لجرير : يوسف هذه الأمة ؛ لحسنه . وفيهم يقول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلةٌ * نِعَمَ العَيِّ وبُذِستِ القَبيلةُ

ومنهم : الضبين بن مُضر الذي وقع بيني كنانة ، ومنهم القاسم بن عُقيل أحد بني عائذة بن عامر بن قُداد . كانت شريفا . وهو الذي ابتدأ منافرة بجيلة وقضاة .

وفي بجيلة قيس بن عبقر منهم : خالد بن عبد الله القسري صاحب العراق . ومنهم بنو أحس ، وهم بنو علقمة بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو ابن الغوث ؛ وبنو زيد بن الغوث بن أنمار ؛ وبنو دهن بن معاوية بن أسلم ابن أحس رهط عمار الدَّهني .

ومن قبائل بجيلة : هُدم ، وهديم ، وأحس ، وعادية ، وعدية ، وقيان ، وعُرينة بن زيد .

خثعم - هو : خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخى الأزد ابن الغوث . فقي خثعم : عِفْرَس ، ونَاهَس ، وشَهْران ، فيها الشرف والعدد .

فمن بني شهران : بنو قُحافة بن عامر بن ربيعة ؛ منهم : أسماء بنت عُحميس ، ومالك بن عبد الله الذي قاد خيل خثعم إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ربيعة بن عِفْرَس : نُفَيْل بن حبيب دليل الحبشة على الكعبة ، وهو القائل :

وكاهمُ يُسائلُ عن نُفَيْلٍ * كَأَنَّ عَلَى الحُبْشانِ دينا

وما كانت دلائلهم بزيين . ولكن كان ذاك على شينا
فإنك لو رأيت ولم تره . لدى جنب المحصب مارأينا
إذا لم تفرحى أبداً بشيء . ولم نأسى على ما فات عينا
حدث الله إذ أبصرت طيراً . وحصب حجارة ترمى علينا

ومن خشم : عثت بن قحافة ، وهو الذى هزم همدان وسدحج . وله
يقول الشاعر :

وجرثومة لم يدخل الذل وسطها . قرية أنساب كثير عيدها
معلمة فيها فوارس عثت . بنوه وأبناء الأقيصر جيدها
ومنهم حمران الذى يقول :

أقسمت لا أموت إلا حراً . وإن وجدت الموت طعماً مرّاً
أخاف أن أخدع أو أغرّاً
ويقال إن خشم اسمه أقتل ، وإنما خشم جمل كان لهم نسبوا إليه .

همدان

وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن زيد
ابن كهلان ؛ فولدت همدان : حاشداً وبكيلاً ؛ ومنهما تفرقت همدان .
فن بطون همدان شيام ، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد .

ومنهم ناعط وهو ربيعة بن مرثد بن حاشد بن جشم بن حاشد . ومنهم وداعة
ابن عمرو بن عامر ، وهط مسروق بن الأجدع ؛ ومن الناس من يزعم أنه وداعة
ابن عمرو بن عامر بن الأزد ، ولكنهم انتسبوا إلى همدان

وهو همدان : بنو السبيع بن الصعب بن معاوية بن كبير بن مالك بن جشم
ابن حاشد ؛ منهم : سعيد بن قيس بن زيد بن حرب بن معديكرب بن سيف بن عمرو
السبيعي ؛ ومن بنى ناعط : الحارث بن حميرة الذى يمدحه أعشى همدان بقوله :
إلى ابن حميرة تحدى بنا . على أنها القاص الضعف

ومن بني بكيل بن جشم بن خَوان بن نوف بن همدان : بنو جَوْب - وهم الجويون - ابن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دُؤمان بن بكيل .
وبنو أرحب بن دُعَام بن مالك بن معاوية بن صعب . وبنو شاكر ، وهم أبو ربيعة ابن مالك بن معاوية بن صعب ، وهم الذين قال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته . وكان إذا رآهم تمثل بقول الشاعر :

ناديتُ همدانَ والأبوابُ مُغلقةً • ومثلُ همدانَ سَتَى فتحةَ البابِ
كالهتدواني لم تُفَلِّلْ مضاربُهُ • وجهه جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجابِ
وقال فيهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزيْنُهُم • وبأسٌ إذا لاقوا وحُسنُ كلامِ ١٠

فلو كنتُ بواباً على بابِ جَنَّةٍ • لقلتُ لهمدانَ أدخلوا بسلامِ

ومن أشراف همدان : مالك بن حُرَيم اللّاتاني ، وكان فارساً شاعراً ؛ ومنهم محمد بن مالك الحَيَواني ، وكان مُبجِر قريشاً في الجاهلية على اليمن ؛ وفي همدان : جُشَم ، وهم رهط أعشى همدان ؛ وفيهم خَيوان ، وهو مالك بن زيد بن جشم بن حاشد ؛ وفيهم دَالان بن سابقة بن ناشج بن دافع ؛ منهم مالك بن حُرَيم الذي يقول :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْتِي غزَوْتُهُم • فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ
مَنى تجمع القلبَ الذكيَّ وصارِماً • وأنفاً حَيّاً تجتديكَ المظالمُ

ومنهم : أرحب بن دُعَام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دُؤمان بن بكيل .
منهم : أبو رُهم بن مُطعم الشاعر ، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بن خمسين ومائة سنة . ٢٠

وفي همدان : إلهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك ، ومنهم : حَوْشب .
قتل بصفين مع معاوية .

كندة

كندة بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

فن بطون كندة : الرائش بن الحارث بن معاوية بن كندة ؛ منهم : شريح بن الحارث القاضي ؛ ومنهم معاوية الأكرمين الذي مدحهم الأعشى ؛ ومنهم الأشعث ابن قيس بن معديكرب ؛ والصباح بن قيس وشرجيل بن السمط ، ولى حص ؛ وحجر بن عدى الأديب صاحب على ، وهو الذي قتله معاوية صبراً .

ومنهم : بنو مرة بن حجر ، لهم مسجد بالكوفة ؛ ومنهم : الأسود بن الأرقم ؛ ويزيد بن فروة الذي أجار خالد بن الوليد يوم قطع نخل بني وليعة ؛ وفي كندة معاوية الولادة . سُمي بذلك لكثرة ولده ؛ ومنهم حجر الفرد ، سُمي بذلك لجوده ، وأهل اليمن يُسمون الجواد : الفرد ، ومنهم معاوية مقطّع النجد ، كان لا يتقلد أحد معه سيفاً إلا قطع نجاهه .

فن بنى حجر الفرد الملوك الأربعة : يخوس ، ومِشرَح ، وجند ، وأبضعة ؛ وأختهم العمزة ، بنو معديكرب بن وليعة بن شرجيل بن حجر الفرد ؛ وهم الذي يقول فيهم الشاعر :

نَحْنُ قَتَلْنَا بِالنُّجَيْرِ أَرْبَعَةً مِّنْ يَخُوسِ مِشْرَحًا وَجَنْدًا أَبْضَعَهُ

ومن بنى امرئ القيس بن معاوية : رجاء بن حيوة الفقيه ، وامرؤ القيس ابن السمط . ومن أشرف بنى الحرث بن معاوية بن ثور : امرؤ القيس الشاعر ابن حجر بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور ؛ وهم ملوك كندة ؛ ومنهم : حجر بن الحارث بن عمرو ، وهو ابن أم قَاطم بنت عوف بن علم الشيباني .

ومن بطون كندة : السكاسك والسكون . ابننا أشرس بن كندة ؛ ومنهم معاوية بن حديج ؛ قاتل محمد بن أبي بكر ؛ ومنهم الجون بن يزيد ، وهو أول

من عقد الحلف بين كندة وبين بكر بن وائل ؛ ومنهم حصين بن نعيم السكوني ،
صاحب الجيش بعد مسلم بن عقبة صاحب الحرّة .

ومن السكون : تحيب ؛ وهما عدى وسعد ابنا أشرس بن شبيب بن السكون
وأمهما تحيب بنت ثوبان بن مذحج ، إليها ينسبون .

٥ فن أشراف تحيب : ابن غزالة الشاعر ، جاهلي ، وهو ربيعة بن عبد الله ؛
وحارثة بن سلة ، كان على السكون يوم مُحَيَّاة ، وهو يوم اقتتلت معاوية بن كندة
وكمانة بن بشر الذي ضرب عثمان يوم الدار .

والسكاسك بن أشرس بن كندة ، منهم الضعّاك بن رمل بن عبد الرحمن ؛ وحويّ
ابن مانع الذي زعم أهل الشام أنه قتل عمار بن ياسر ؛ ويزيد بن أبي كبشة صاحب
١٠ الحجاج . انقضى نسب كندة .

مذحج

ومن بني أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان : مالك بن أدد ، وهو مذحج وطّيّ بن أدد
والأشعر بن أدد .

١٥ وقال ابن الكلبي : إن مذحج بن أدد هو ذو الأنعام ، وله ثلاثة نفر : مالك
ابن مذحج وطّيّ بن مذحج والأشعر بن مذحج .

فن قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛ وولده الحكم بن سعد
العشيرة ، وهو قبيل كبير ؛ منهم الجراح بن عبد الله الحكمي ، قتله أترك أيام
عمر بن عبد العزيز ، وهم موالي أبي نواس . وفي بعضهم يقول :

٢٠ ياشقيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ هـ نِمْتَ عَنْ لَيْلٍ وَلَمْ أَسْمِ

وإنما سمي سعد العشيرة ؛ لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده
ثلثمائة رجل ؛ ومنهم عمير بن بشر ، ومنهم بُندقة بن مظة .

ومن بطون سعد العشيرة : جُعْف بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛

وصعب بن سعد العشيرة ، دخل في جُحف وجزء بن سعد العشيرة فمن ولد جزء بن سعد العدل ، والجد ؛ وكان العدل على شُرطة تبع ، وكان إذا أراد قتل رجل قال : يُجعل على يدي عدل . وهو قولُ الناس : فلان على يدي عدل ، إذا كان مشرفاً على الهلاك .

- ٥ ومن أشرف جُحف : أبو سبرة ، وهو يزيد بن مالك ؛ كان وقد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له ؛ ومنهم شراحيل بن الأصهب ، كان أبعد العرب غارة كان يغزو من حضرموت إلى البلقاء في مائة فارس من بني أبيه ؛ فقتله بنو جعدة فبه يقول نابغة بني جعدة .

- أَرْحَنَا مَعْدًا مِنْ شَرَا حِيلَ بَعْدَ مَا هَ أَرَاهَا مَعَ الصُّبْحِ الْكَوَاكِبِ مَظْهَرَا
١٠ وَعَلَقْمَةُ الْحَرَابِ أَذْرَكَ رَكْعَتَنَا هَ يَذِي الرَّمْثِ إِذْ صَامَ الْهَارَ وَهَجْرَا
وعلقمة الحزاب كان رأس بني جعف بعد شراحيل . ومن بني جُحف : زُحر . ابن قيس صاحب علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومنهم الأشعر بن أبي حمران الذي يقول فيه :

- أُرِيدُ دُعَاءَ بَنِي مَازِنٍ هَ وَرَاقَ الْمُعَلَّى بِيَاضِ اللَّبَنِ
١٥ خَلِيلَانِ مُخْتَلَفَ بَيْنَنَا هَ أُرِيدُ الْعَلَاءَ وَيَنْغِي السَّمَنِ

ومنهم : عُبيد الله بن مالك الفانك الجعفي .

- ومن بني سعد العشيرة : أود ؛ وزُيد ، واسمه مُنبه ؛ وهما ابنا صعب بن سعد العشيرة وزُيد الأصغر ، وهو منبه الأصغر بن ربيعة بن سلة بن مازن بن ربيعة بن زُيد بن صعب بن سعد العشيرة . ومنهم : أبو المغراء الشاعر ، ومنهم الزعافر وهو عامر بن حرب بن سعد بن مُنبه بن أود ؛ ومنهم عبد الله بن إدريس ٢٠ الفقيه ، ومنهم الأفوه الشاعر ، واسمه صلامة بن عمرو ، ومنهم : بنو رَمان بن كعب بن أود ، من ولده عافية بن يزيد القاضى ، وبنو قرن لهم مسجد بالكوفة .
زُيد بن صعب بن سعد العشيرة . واسمه مُنبه وهو زيد الأكبر . من

ولده زُيد الأصغر ، وهو زيد بن ربيعة بن سلة بن مازن بن ربيعة بن زيد ابن صعب .

ومن بني زيد الأصغر : عمرو بن معديكرب ، وعاصر بن الأصقع الشاعر ، ومعاوية بن قيس بن سلة ، وهو الأفكل ، وكان شريفاً ، وإنما سمي الأفكل لأنه كان إذا غَضِبَ أَرَعَد ؛ ويقال : الأفكل من بني زيد الأكبر . ومنهم : الحارث ابن عمرو بن عبد الله بن قيس بن أبي عمرو بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن زيد الأصغر . فهذه سعد العشيرة .

ومن مذحج : جنب ، وصداء ، ورُهاء ؛ فن بن جنب : مُنبه ، والحارث ، والغلي وشيخان ، وشمران ، وهفان . فهؤلاء الستة - وهم جنب - بنو يزيد بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد ؛ وإنما قيل لهم جنب ؛ لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة ؛ وحالفت صداء بني الحارث بن كعب . فن جنب أبو طبيان الجنبي الفقيه . ومنهم : معاوية الخير بن عمرو بن معاوية صاحب لواء مذحج . وهو الذي أجاز مهلهل بن ربيعة التغلبي على بكر بن وائل ، فتزوج ابنة مهلهل . وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب وائل :

هان على تغلبٍ بما لقيتُ * أختُ بني الأكرمين من جُشم
أنكحها فقدُها الأراقم في * جنبٍ وكان الجباء من آدمٍ
لو بأبائين جاء يخطبُها * رُمْل ما أنف خاطبٍ بدمٍ

وقوله : وكان الجباء من آدم ، أي إنه ساق إليها في مهرها قبة من آدم .

صداء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد ، وهم حلفاء بني الحارث بن كعب بن مذحج .

رهاء بن مُنبه بن علة بن جلد بن مالك . ومنهم : هِزَان بن سعيد بن عيس رهاء بن سرح ، كان من أشرف أهل الشام .

بنو الحارث بن كعب بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد ، وهو بيت بنو الحارث

مذحج . منهم : زَعْبِل ، بطن في بني الحارث ، وهو الذي يقال فيه : لا يكلم زَعْبِل .
 وكان شريفا . ومنهم الْمُحَجَّل بن حَزْن . ومنهم بنو حماس بن ربيعة . منهم النجاشي
 واسمه قيس بن عمرو . وفيهم بنو الْمُعْقِل بن كعب بن ربيعة . ومنهم مَرثد ومُرَيْد
 ابنا سلة بن المعقل ، قيل لهم المرائد . ومنهم المأمون بن معاوية اجتمعت عليه
 مذحج ومُزاحم بن كعب . ومنهم اللجلاج ، وأخوه مُسهر الذي فقأ عين عامر بن
 الطفيل يوم قَيْف قَيْف الريح ، وعبد يَغوث بن الحارث الشاعر قتل التيم يوم
 الكلاب ، وهو القاتل :

أقول وقد شَدُّوا لسانِي بِذِئْبَةٍ ۝ أَلَا يَال تَيْمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا

وَتَضَحَكْ مِنْ شَيْخَةٍ عَبْشِيمَةٍ ۝ كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

ومنهم بنو قُنَان بن سَلَة . منهم : الْحُصَيْن ذو النُّصَّة بن مَرثد بن شَدَاد بن
 قُنَان ، وهو رأس بني الحارث ، عاش مائة سنة ، وكان يقال لبنيه : فوارس الأرباع ،
 قتله همدان ؛ من ولده : كثير بن شهاب بن الْحُصَيْن .
 ومنهم : محمد بن زُهرة بن الحارث .

وفي بني الحارث بن كعب : الضُّباب ؛ منهم هند بن أسماء الذي قتل
 الْمُنتَشِر الباهلي .

وفيهم : بنو الدِّيَّان . فيهم زياد بن النضر صاحب علي . والربيع بن زياد ،
 ولي خراسان أيام معاوية . والنابعة الشاعر ، واسمه يزيد بن أبان . هؤلاء
 بنو الحارث بن كعب .

الضُّباب في بني الحارث بن كعب : مفتوحة الضاد ، وفي عامر بن صعصعة :
 مكسورة الضاد .

ومن بطون مذحج : مُسْلِيَة بن عامر بن عمرو بن عُلَة بن جَلَد بن مالك . فولد
 مُسْلِيَة ، كنانة وأسدا : منهما تفرقت مُسْلِيَة .

كنانة وأسدا ابنا مُسْلِيَة . فن بنى كنانة بن مُسْلِيَة : بنو صُبَّح وتعلبة ابنا ناشرة ،

مسلية

بنو حبابة

وأُمهما حُبابة بها يعرفون . منهم أُنَى بن ربيعة بن صُبْح الذي يقول له عمرو بن معد يكرب :

تَمْنَانِي لِيَقْتَلَنِي أُنَى ۝ وَدَدْتُ وَأَيْنَا مَنِي وَدَادِي^(١)

ومن بني حبابة : عامر بن إسماعيل القائد ، وابن الحبابة الشاعر ، جاهلي ومن
مذحج النَّخَع بن عمرو بن عُلَّة بن جَلَد بن مالك بن أدد .

فمن بطون النَّخَع : عمرو ، بطن ؛ وَصْهَان ، بطن ؛ وَوَهَيْل ، بطن ؛ وعامر ،
بطن ؛ وَجَذِيمَة ، بطن ؛ وَحَارِثَة ، بطن ؛ وَكَعْب ، بطن .

فمن بني جَذِيمَة سعد بن مالك بن جلد بن النَّخَع : الْأَشْتَر ، واسمه مالك بن
الحارث ؛ وَثَابِت بن قَيْس بن أَبِي الْمُنَقَّع .

ومن بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع : إِبْرَاهِيم بن يزيد الفقيه ، والحجاج
ابن أَرْطَاة .

ومن بني وَهَيْل بن سعد بن مالك بن النَّخَع : سِنَان بن أَنَس الذي قتل الحسين
ابن علي ؛ وَشَرِيك بن عبد الله القاضي .

ومن بني صُهْبَان بن سعد بن مالك بن النَّخَع : كُمَيْل بن زياد صاحب علي بن
أبي طالب ، قتله الحجاج .

وفي النَّخَع : جُشَم ، وبكر . فمن بني جُشَم : العُريَان بن الهيثم بن الأسود .
ومن بني بكر بن عوف بن النَّخَع : يزيد بن المكفف . وعلقمة بن قيس .
وأخوه أُنَى بن قيس ، قُتِلَ مع عليّ بصفين . وأخوهما يزيد بن قيس . وابنه
الأسود بن يزيد العابد .

ومن مَذْحِج : عَنَس بن مالك بن أدد . فولد عَنَس : سعداً الْأَكْبَر ،
وسعداً الْأَصْغَر ، ومالكا ، وعمرأ ، ومخامرا ، ومعاوية ، وعَرِيَا ، وَعَتِيْكََا ،
وشهابا ، والقَرْيَة ، وياما .

(١) في بعض الاصول : ۝ ثَمَامَة قَفْرَة بَغْت المِيضَاء .

فمن بنى مالك بن عَنَس : الأسود بن كعب الذي تنبأ باليمن .

ومن بنى يام بن عَنَس : عمار بن ياسر صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومن بنى سعد الأكبر : الأسود بن كعب : تنبأه سعد الأكبر ، وكان كاهناً .

ومن أشرف عَنَس : عامر بن ربيعة ، شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم

وهو حليف لقريش .

ومن بطون مذحج : مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ، ويسمى يُحَاكِر .

سراد

فمن بطون مراد : ناجية وزاهر وأنعم . فمن بنى ناجية بن مراد : فروة بن

مُسَيْك ، كان والياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نَجْران .

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث . ومنهم أُويس

الْقَرْنِي بن عمرو بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عَصْوَان بن قَرْن بن

رُدْمان بن ناجية بن مراد ، وهو الذي يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه :

يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر . وكان من التابعين ، وقد أتى عمر بن

الخطاب رضي الله عنه .

وفي ناجية بن مراد : بنو غُطَيْف بن عبد الله بن ناجية ، ويقال إنهم من

الْأَزْد . وهانئ بن عُروَةَ المقتول مع مُسْلِم بن عَقِيل .

وفي ناجية بن مراد : بنو جمل بن كنانة بن ناجية ، منهم : هند بن عمرو ،

قتله عمرو بن البَرْثِي يوم الجمل ، وقال في ذلك :

إِنِّي لَمَنْ يَجْهَلُنِي ابْنَ الْبَرْثِي ۖ قَتَلْتَ عِلْبَاءَ وَهَنْدَ الْجَمَلِيَّ

وابناً لَصُوحَانَ عَلَى دِينَ عَلَى

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث ، وهو قيس

بن مكشوح .

طِيء

هو طِيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان أخو مذحج ،

ويقال ابن مذحج في رواية ابن الكلبي : فولد طيئ الغوث وفُطرة والحارث .

فبن بطون طيئ : جديلة وهم بنو جندب وبنو حور ، وأمهما جديلة وبها يعرفون ، وهي جديلة طيئ . فأما بنو حور بن جديلة فسهليون وليسوا من الجبليين ، وأما بنو جندب بن جديلة فهم من الجبليين ، وفيهم الشرف والعدد ، وفيهم الثعالب ، وهم بنو ثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب .

فبنو ثعلبة بن جدعاء : المعلى بن تيم بن ثعلبة بن جدعاء ، عليه نزل امرؤ القيس بن حجر الشاعر : إذ قُتل أبوه حجر بن الحارث ، وقال في المعلى :
كأنّي إذ نزلتُ على المعلّى • نزلت على البواذخ من شَمَام
فما ملّكُ العراقِ على المعلّى • بمقتديرٍ ولا مُلْكُ الشَّام
أقرحشا امرئ القيس بن حجرٍ • بنو تيمٍ مصابيحُ الظلام
فسمّى بنو تيم بن ثعلبة : مصابيح الظلام .

فبنو ثعلبة بن جدعاء : الحر بن مشجعة بن النعمان ، كان رئيس جديلة يوم مُسيلة الكذاب ؛ ومنهم أوس بن حارثة بن لام سيد طيئ ؛ ومنهم حاتم بن عبد الله الجواد ؛ وابنه عدى بن حاتم ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة وأجلسه عليها وجلس هو على الأرض . قال عدى : فارمت حتى هداني الله للإسلام ، وسرّني ما رأيت من إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى بنو عمرو بن العوّث بن طيئ : ثعل ، بطن ، ونبهان ، بطن ؛ وبولان ، بطن ؛ وسلامان ، بطن ؛ وهني ، بطن .

فبنو هني : إياس بن قبيصة ؛ وأبو زيد الشاعر ، واسمه حرملة بن المنذر .
ومن بنو سلامان : بنو بُحتر ، بطن طيئ ، ومن بنو بُحتر معرض بن صالح ، اجتمعت عليه جديلة والغوث .

ومن بنو ثعل : عمرو بن عبد المسبيع ، كان أرمى العرب ، وإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ هـ مَخْرَجٌ كَفَيْهِ مِنْ قُتْرَةٍ

وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس ومائة سنة ، فأسلم .

ومن بني ثعل : أبو حنبل الذي يعد في الأوفياء نزل به امرؤ القيس ومدحه
ومتهم زيد الخيل ، وقد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه زيد الخير ، وقال :
« ما بلغتني عن أحدٍ إلا رأيته دون ما بلغتني ، إلا زيد الخيل » .

٥

وفي طي : سُدُوس . وهي مضمومة السين ، والتي في ربيعة مفتوحة السين .

الاشعر

هو الأشعر بن أدد أخو مذحج - ويقال : ابن مذحج ، في رواية ابن الكلبي -
فولد الأشعر : الجماهر ، والأرغم ، والأدغم ، والأنعم ، وجدة ، وعبد شمس ،
وعبد الثريا .

١٠

فمن بطون الأشعرين : مُرَاطة ، وُصْنامة ، وأسد ، وسهلة ، وعُكابة ،
والشراعبة ، وعُسامة ، والدعاج .

١٥

ومن أشراف الأشعرين : أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، صاحب
النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم مالك بن عامر بن هاني بن خِفَاف ، وقد على
النبي صلى الله عليه وسلم وشهد القادسية ، وهو أول من عبر دجلة يوم المدائن ،
وقال في ذلك :

امضُوا فَإِنَّ الْبَحْرَ بِحَرْ مَأْمُور هـ وَالْأَوَّلُ الْقَاطِعُ مِنْكُمْ مَأْجُورُ

قد خَابَ كَثْرَى وَأَبُوهُ سَابُورُ هـ مَا تَصْنَعُونَ وَالْحَدِيثُ مَأْثُورُ

٢٠

وابنه سعد بن مالك ، كان من أشراف أهل العراق ، ومنهم : السائب ابن مالك ،
كان على شرطة المختار وهو الذي قَوَّى أمره : ومنهم : أبو مالك الأشعري ، زوجه
النبي عليه الصلاة والسلام إحدى نساء بني هاشم وقال لها : « ما رضيت أن زوجتك
رجلا هو وقوه خير مما طلعت عليه الشمس » ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام :
« يا بني هاشم ، زوجوا الأشعرين وتزوجوا إليهم : فإنهم في الناس كَصُرة المسك

وكالاترج الذى إن شمته ظاهراً وجدته طيباً ، وإن آخبرته باطنه وجدته طيباً .
فهؤلاء بنو أدد ، وهم مذحج وطئ والاشعر ، بنو أدد بن زيد بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان .

لخم

٥ هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد . فولدت لخم : جزيلة ،
ونمارة ؛ ومنهما تفرقت بطون لخم .

فن بنى نمارة : بنو الدارى ، وهو هاني بن حبيب بن نمارة . منهم تميم
الدارى صاحب النبی عليه الصلاة والسلام .

١٠ وفى نمارة الأجود ، وهم بنو مازن بن عمرو بن زياد بن نمارة رهط الطرماح
ابن حكيم الشاعر : ويقال إن الطرماح من طيء . ومنهم : قصير بن سعد صاحب
جذيمة الأبرش .

ومن بنى نمارة : ملوك الحيرة اللخميون . رهط النعمان بن المنذر بن امرئ
القيس بن النعمان .

١٥ وفى جزيلة بن لخم بطون كثيرة ، منهم : إراش ، وحجر ، ويشكر وأدب ،
وخالفة - وهو راشدة - وعنم ، وجديس ، بطن عظيم .

وفى جزيلة بن لخم أيضاً العمرط ، وفيهم عباد الحيرى منهم رهط عدى
ابن زيد العبادى . وفيهم بنو منارة ، وفيهم جدس بن إدريس بن جزيلة بن لخم
منهم مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم ؛ يقال إنه الذى أستخرج يوسف
ابن يعقوب - صلوات الله وسلامه عليه - من الجب .

جذام

٢٠

هو جذام بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد . فولد جذام حراماً وحشماً ؛
ومنهما تفرقت جذام .

فمن بنى حِثْم بن جُذَام : بنو عتيب بن أسلم بن خالد بن شنوءة بن تَدِيل
ابن حِثْم بن جُذَام ، وهم الذين يُنسبون في بني شيان .
وفي حرام بن جُذَام بنو غَطَفَان ، وأقصى ، ابنا سعد بن إياس بن حرام ؛
وفيها عدد جُذَام وشرُفُها ؛ ويقال إن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عيلان
هو هذا .

فمن بنى أقصى بن سعد : رَوْح بن زُبَاع ، وزير عبد الملك بن مروان ؛
وقيس بن زيد ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .
ومن بنى غَطَفَان بن سعد : عَبَس ، ونضرة ، وأبامة ، وعبد ، وحرب ،
وريث ، وعبد الله ، بطون كلهم ؛ فانتسب ريث وعبد الله في غَطَفَان بن قيس ،
وغيرهم في جُذَام

عاملة

هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب
ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ولد الحارث الزهد ومعاوية وأمهما
عاملة بنت مالك بن ربيعة بن قضاة ، فنسبا إلى أمهما ؛ ويقال عاملة هو
الحارث نفسه .

فمن بنى معاوية بن عاملة : شُعْل ، وسَلَبه ، وعجل ، بطون كلهم .
فمن أشراف عاملة قَوال بن عمر ؛ وشهاب بن برهم ، وكان سيداً ؛ وهمام
ابن معقل ، وكان شريفاً مع مسلمة بن عبد الملك ؛ ومنهم عَدِي بن الرقاع الشاعر ؛
ومنهم قُعيْسِيْس الذي أسر عدى بن حاتم الطائي فأخذه منه شُعيب بن الريح
الكلبي فأطلقه بغير فداء .

فهؤلاء بنو عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب
ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ وهم لحم وجُذَام وعاملة ، بنو عدى بن الحارث ؛
وكندة بن عُمَيْر بن عدى بن الحارث .

خولان

هو خولان بن عمرو بن يَعْقُر بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أدد . فولد
خولان : حَيِّيا ، وعمرًا ، والأصهب ، وقيسا ، ونبثا ، وبكرًا ، وسعدا ؛ منهم
أبو مسلم عبد الرحمن بن مِشْكَم الفقيه .

جرهم

هو من القبائل القديمة ، وهو جُرهم بن يَقْطَن بن عابر . وعند عابر تجتمع يمن
ومضر ؛ لأن مَضَرَ كلها بنو فالغ بن عابر ، واليمن كلها بنو قحطان بن عابر .

حضر موت

هو ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث
ابن حيدان بن قُصَي بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أَيْمَن بن المَمِيسَع بن حَير .
منهم : ذو مَرَحِب ، وذو نَحْو ؛ ومنهم الأعدل ؛ ومنهم : بنو مَرْتَد ،
وبنو ضَجْع ، وبنو حُجَر ، وبنو رَحَب ، وبنو أَقْرَن ، وبنو قَلِيان .

قول الشعوية وهم أهل التسوية

ومن حجة الشعوية على العرب أن قالت : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية ،
وأن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد .

واحتجنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون إخوة ، تكافأ دماءهم
ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على مَنْ سِوَاهُمْ . وقوله في حجة الوداع ، وهي
خطبته التي ودع فيها أُمَّتَهُ وختم نبوته : «أيها الناسُ ، إن الله أذهبَ عنكم نخوةَ
الجاهلية وفخرها بالآباء . كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ من ترابٍ ، ليس لعربيٍّ على عجميٍّ
فضلٌ إلا بالتقوى»

وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافقٌ لقول الله تعالى :

- (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) فَأَبْتُمْ إِلَّا غُرًّا وَقَلْتُمْ لَا تُسَاوِينَا الْعَجَمُ وَإِنْ تَقَدَّمْتُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ حَتَّى تَصِيرَ كَالْحَنِيِّ ، وَصَامَتُ حَتَّى تَصِيرَ كَأَوْتَارٍ ، وَنَحْنُ نَسَاحُكُمْ وَنَجِييُكُمْ إِلَى الْفَخْرِ بِالْآبَاءِ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا خِلَافَهُ ، وَإِنَّمَا نَجِييُكُمْ إِلَى ذَلِكَ لِاتِّبَاعِ حَدِيثِهِ وَمَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَرَدُّ عَلَيْكُمْ حُجَّتُكُمْ فِي الْمَفَاخِرَةِ ، وَنَقُولُ : أَخْبَرُونَا إِنْ قَالَتْ لَكُمْ الْعَجَمُ هَلْ تَعْدُونَ ٥
- الْفَخْرَ كُلَّهُ أَنْ يَكُونَ مُلْكًا أَوْ نَبُوءَةً ؟ فَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مَلِكٌ قَالَتْ لَكُمْ : وَإِنْ لَنَا مُلُوكُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنَ الْفَرَاعَةِ وَالنَّمَارِدَةِ وَالْعِمَالِقَةِ وَالْأَكَاسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ ، وَهَلْ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَلِكِ سُلَيْمَانَ الَّذِي تُخَرَّتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالطَّيْرُ وَالرِّيحُ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِثْلُنَا ؟ أَمْ هَلْ كَانَ لِأَحَدٍ مِثْلُ مَلِكِ الْإِسْكَانْدَرِ الَّذِي مَلِكُ الْأَرْضِ ١٠
- كُلِّهَا وَبَلَغَ مَطْلَعُ الشَّمْسِ وَمَغْرِبُهَا وَبَنَى رَدْمًا مِنْ حَدِيدٍ سَاوَى بِهِ بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ ، وَبَحَنَ وَرَأَاهُ خَلْقًا مِنَ النَّاسِ تَرَبَّى عَلَى خَلْقِ الْأَرْضِ كُلِّهَا كَثْرَةً ؛ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) فَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْلَ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ مِنْ هَذَا ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ مِثْلُ آثَارِهِ فِي الْأَرْضِ ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا مَنَارَةُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ الَّتِي أَسَسَهَا فِي قَعْرِ الْبَحْرِ وَجَعَلَ فِي رَأْسِهَا مِرَآةً يَظْهَرُ الْبَحْرُ كُلُّهُ فِي زَجَاجَتِهَا . وَكَيْفَ وَمِنَّا مُلُوكُ الْهِنْدِ ١٥
- الَّذِينَ كَتَبَ أَحَدُهُمْ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مِنْ مَلِكِ الْأَمْلاكِ الَّذِي هُوَ ابْنُ أَلْفِ مَلِكٍ ، وَالَّذِي تَحْتَهُ بَنَتْ أَلْفُ مَلِكٍ ، وَالَّذِي فِي مَرْبِطِهِ أَلْفُ فَيْلٍ ، وَالَّذِي لَهُ نَهْرَانِ يَنْبَتَانِ الْعُودَ وَالْقُوهَ وَالْجُوزَ وَالْكَافُورَ ، الَّذِي يَوْجَدُ رِيحُهُ عَلَى آثْنَى عَشَرَ مِيلًا - إِلَى مَلِكِ الْعَرَبِ الَّذِي لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُرَدْتُ أَنْ تَبْعَثَ إِلَيَّ رَجُلًا يَعْلَمُنِي الْإِسْلَامَ وَيُوقِفُنِي عَلَى حُدُودِهِ وَالسَّلَامِ . ٢٠

وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْفَخْرُ إِلَّا بِنَبُوءَةٍ فَإِنَّ مِنَّا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ قَاطِبَةً مِنْ لَدُنِ آدَمَ مَا خَلَا أَرْبَعَةً : هُودًا وَصَالِحًا وَإِسْمَاعِيلَ وَمُحَمَّدًا ؛ وَمِنَّا الْمُصْطَفَوْنَ مِنَ الْعَالَمِينَ : آدَمَ وَنُوحَ ، وَهُمَا الْعَنْصَرَانِ اللَّذَانِ تَفْرَعُ مِنْهُمَا الْبَشَرُ : فَنَحْنُ الْأَصْلُ وَأَنْتُمْ الْفَرْعُ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ غُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِنَا ، فَقُولُوا بَعْدَ هَذَا مَا شِئْتُمْ .

وادعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض [لها] ملوك
تجمعها ، ومدائن تضمها ، وأحكام تدين بها ، وفلسفة تنتجها ، وبدائع تفتقها
في الأدوات والصناعات : مثل صنعة الديساج ، وهي أبدع صنعة ؛ ولعب
الشطرنج ، وهي أشرف لعبة ، ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة
رطل ؛ ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون ، والأسطرلاب الذي
يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودوران الأفلاك ، وعلم الكسوف
[وغير ذلك من الآثار المتقنة] ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم
قواصمها ، ويقمع ظالمها ، وينهى سفيها ؛ ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ،
ولا أثر في فلسفة ، إلا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم ، وذلك
أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض ؛ فما الذي تفخر به العرب على
العجم ؟ وإنما هي كالذئب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ،
ويغير بعضها على بعض ، فرجالها مَوْتَقُونَ في حلق الأسر ، ونساؤها سبائا
مُرْدَفَات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريح استنقذن بالعشى وقد وطئن
كما توطأ الطريق المهيّج ، فخر بذلك شاعر فقال :

وَأَلْحَقُ رَكْبَ " الْمُرْدَفَاتِ عَشِيَّةً

١٥

فقبل له : ويحك ! وأى فخر لك أن تلاحق بالعشى وقد نُكِصَ وَأَمُتْهُنَّ ؟

وقال جرير يعير بني دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وَبَرَحْرَحَانَ غَدَاةً كُبِّلَ مَعْبَدٌ • نُكِصَتْ نِسَاؤُكُمْ بِغَيْرِ مَهْوَرٍ

وقال عنترة لامرأته :

إِنَّ الرَّجَالَ لَمْ • إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ • إِنْ يَأْخُذُوكَ تَكْهَلِي وَتَخْضِي

٢٠

وَأَنَا أَمْرُؤٌ إِنْ يَأْخُذُونِي عَنُودٌ • أَقْرَنُ إِلَى سَيْرِ الرِّكَابِ وَأَجْنَبِ

وَيَكُونُ مَرَكَبُكَ الْقَعُودُ وَرَحْلُهُ • وَأَبْنِ النِّعَامَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مَرَكَبِي

أراد بآبن النعمانة : باطن القدم .

وسى ابنُ هَبُولَةَ الغَسَّانِي امرأةَ الحارث بن عمرو الكندي . فلحقه الحارث
فقتله وارْتَجَعَ المرأةَ وقد كان مال منها ، فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم
واؤه ، فما اشتملت النساء على مثله ! فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما حتى
قطماها ؛ وقال في ذلك :

كُلُّ أَشْيٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا ٥ آيَةُ الْوَدِّ عَهْدُهَا خَيْتَعُورُ
إِنَّ مَنْ غَزَاهُ النِّسَاءُ بَوَدَّ ٥ بَعْدَ هَنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ

وسبت بنو سُليم رِيحَانَةَ أخت عمرو بن معد يكرب فارس العرب ، فقال
فيها عمرو :

١٠ مِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ٥ يُؤَزَّقُنِي وَأَصْحَابِي هَجُوعُ
وفيها يقول :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعُهُ ٥ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وأغار الحوفزان على بني سعد بن زيد مناة ، فاحتمل الزرقاء من بني ربيع
ابن الحارث ، فأعجبته وأعجبها ؛ فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم ، فاستنقذها
وردها إلى أهلها بعد أن وقع بها .

١٥ فهذا كان شأن العرب والعجم في جاهليتها . فلما أتى الله بالإسلام كان للعجم
شطر الإسلام ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الأحمر والأسود
من بني آدم ، وكان أول من تبعه حز وعبد واختلف الناس فيهما ، فقال قوم :
أبر بكر وبلال ، وقال قوم : عليٌّ وصُهب .

٢٠ ولما طعن^(١) عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيياً على المهاجرين
والأنصار فصلى بالناس وقيل له : استخلف . فقال : ما أجد من^(٢) استخلف .
فذكر له الستة من أهل حراء ، فكلهم طعن عليه ، ثم قال : لو أدرك سالمًا مولى

(١) في بعض الأصول : احتضر .

(٢) في بعض الأصول : لا إغالي عن .

أبي حذيفة حيا لما شككت فيه . فقال في ذلك شاعر العرب :

هذا ضُهِيبٌ أُمُّ كلِّ مُهاجِرٍ * وَعَلَا جَمِيعَ قَبَائِلِ الْأَنْصَارِ
لَمْ يُرَضْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَصَلَاتِنَا * وَهُمْ الْهَدَاةُ وَقَادَةُ الْأَخْيَارِ
هَذَا وَلَوْ كَانَ الْمُتَرَّمُ سَالِمٌ * حَيًّا لَنَالْ خِلَافَةَ الْأَمْصَارِ
مَا بَالُ هَذِي الْعُجْمِ تَحْيَا دُونَنَا * إِنَّ الْغَوَى لِنِي عَمَى وَخَسَارِ

٥

وقال بُجَيْرُ يَعْيَرُ الْعَرَبَ بِاخْتِلَافِهَا فِي النَّسَبِ وَاسْتِلْحَاقِهَا لِلْأَدْعِيَاءِ :

زَعَمْتُ بَأَنَ الْهِنْدَ أَوْلَادُ خَنْدِفٍ * وَبَيْنَكُمْ قُرْبَى وَبَيْنَ الْبَرَابِرِ
وَدَيْلُمُ مِنْ نَسْلِ ابْنِ صَبَّةَ بَاسِلٍ * وَبُرْجَانُ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ
فَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ أَوْلَادَ وَاحِدٍ * وَصَارُوا سِوَاهُ فِي أَصُولِ الْعَنَاصِرِ
بِوَالِصْفَرِ الْأَمْلَاكُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ * وَأَوَّلَى بِقُرْبَانَا مُلُوكُ الْأَكَاكِرِ
أَتَطْمَعُ فِي صِهْرِي دَعِيًّا مُجَاهِرًا * وَلَمْ تَرِ سِتْرًا مِنْ دَعَى مُجَاهِرِ
وَتَشْتُمُ لَوْ مَا رَهْطَهُ وَقَبِيلَهُ * وَتَمْدَحُ جَهْلًا طَاهِرًا وَأَبْنَ طَاهِرِ
وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا الشَّعْرَ تَامًا فِي كِتَابِ الْفَسَاءِ وَالْأَدْعِيَاءِ وَالنَّجَاءِ .

١٠

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوية :

وَجَاوَزْتُ قَوْمًا لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ * أَوْاصِرُ إِلَّا دَعْوَةٌ وَبُطُونُ
إِذَا مَا دَعَا بِأَسْمَى الْعَرِيفِ أَجْنَبَتْهُ * إِلَى دَعْوَةٍ مِمَّا عَلَى يَهُونِ
لَا زِدِّعِمَانَ بِالْمُهْلَبِ نَزْوَةً * إِذَا أَفْتَخَرَ الْأَقْوَامُ ثُمَّ تَلَيْنِ
وَبَكَّرَ يَرَى أَنَّ النَّبْوَةَ أُنْزِلَتْ * عَلَى مَسْمَعٍ فِي الْبَطْنِ وَهُوَ جَنِينِ
وَقَالَتْ تَمِيمٌ لَا تَرَى أَنَّ وَاحِدًا * كَأَخْنَفْنَا حَتَّى الْمَمَاتِ يَكُونِ
فَلَا كُنْتُ قَبَسًا بَعْدَهَا فِي قَتِيئَةٍ * إِذَا أَفْتَخَرُوا إِنْ الْفَخَارُ فَنُونٌ^(١)

١٥

٢٠

(١) في بعض الأصول : الحديث شجون .

رد ابن قتيبة على الشعوبية

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب :

- وأما أهل التسوية فإن منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث ،
فقتضوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ٥
أَتَقَامُكُمْ ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ وإلى قول
النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع : أيها الناس ، إن الله قد
أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء . ليس لعربي على عجمي غر إلا بالتقوى ،
كلكم لآدم وادم من راب . وقوله : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم
أدناهم ، وهم يد على من سواهم . وإنما المعنى في هذا أن الناس كلهم من المؤمنين ١٠
سواء في طريق الأحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة .

- لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة ،
لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ؛ فاما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قويم فأكرموه . وقوله صلى الله عليه
وسلم : أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم . وقوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم : ١٥
هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول : لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساوت
هلكوا . تقول : لا يزالون بخير ما كان فيهم أشراف وأخيار ، فإذا جملوا كلهم
جملة واحدة هلكوا .

- وإذا ذقت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الخمار . وكيف يستوى
الناس في فضائلهم والرجل الواحد لا تستوى في نفسه أعضاؤه ولا تتكافأ ٢٠
مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ، وللرأس الفضل على جميع البدن
بالعقل والحواس الخمس . وقالوا : القلب أمير الجسد . ومن الأعضاء خادمة ،
ومنها مخدومة .

قال ابن قتيبة : ومن أعظم ما ادعت الشعيرية نفخهم على العرب بآدم عليه السلام
وبقول النبي عليه الصلاة والسلام : لا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ ، فإنما أنا حسنة من حسناته .
ثم نفخهم بالأنبياء أجمعين وأنهم من العجم غير أربعة : هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم
الصلاة والسلام ؛ واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا
وآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .
ثم نفخوا بإسحاق بن إبراهيم ، وأنه لسارة ، وأن إسماعيل لآمة تسمى هاجر .
وقال شاعرهم :

في بلدةٍ لم تصل عُكْلُهَا طنباً ٥ ولا خِباءٌ ، ولا عَكٌّ وهَمْدان
ولا الجُزْمَ ولا بهراء من وطنٍ ٥ لكنها لبني الأحرار أوطان
أرض يُنْتَبَى بها كسرى مساكنه ٥ فما بها من بني اللُخْءِ إنسان ٥

فبنو الأحرار عندهم : العجم ؛ وبنو اللُخْءِ عندهم : العرب ؛ لأنهم من ولد
هاجر وهي أمة ، وقد غلطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللُخْءِ .
إنما اللُخْءِ من الإماء الممتهنة في رعي الإبل وسقيها وجمع الخطب ، وإنما أخذ من
اللخن ، وهو ثمن الريح ؛ يقال : لَحْنُ السقاء ، إذا تغير ريحه ؛ فأما مثل هاجر
التي طهرها الله من كل دنس وارتضاها للخليل فراشاً ، وللطَّيِّبِينَ إسماعيل ومحمد
أُمّاً ، وجعلهما سلالة - فهل يجوز لِمُلْحِدٍ فضلاً عن مسلم أن يسميها لُخْءاً ؟

رد الشعوية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس
وتفاضلهم ، والسيد منهم والمسود .

٢٠ إننا نحن لا نتكر تباين الناس ولا تفاضلهم ، ولا السيد منهم والمسود ، والشريف
والمشروف ؛ ولكننا نزع أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأبائهم ولا بأحسابهم ،
ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعدهم منهم ؛ ألا ترى أنه من كان
دنىء الهممة ، ساقط المروءة ، لم يشرف وإن كان من بني هاشم في ذوابها ، ومن

أمية في أرومتها ، ومن قيس في أشرف بطن منها ؛ إنما الكريم من كُرِّمت أفعاله ،
والشريف من شُرِّفت همته ؛ وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : إذا
أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله في قيس بن عاصم : هذا سيدُ أهل الوبر . إنما
قال فيه لسودده في قومه بالذب عن حريمهم ، وبذله رفده لهم ؛ ألا ترى أن عامر
ابن الطفيل كان في أشرف بطن في قيس يقول :

وإني وإن كنت ابن سيِّدٍ عامرٍ • وفارسها المشهور في كلِّ موكب
فما سوَّدتني عامرٌ عن ورائتي • أبا الله أن أُنمو بأيمٍ ولا أبِ
ولكنني أُنحى حِمَاها وأنتي • أذاها وأري من رماها بمنكبِ

وقال آخر :

١٠ إنا وإن كُرِّمت أوائلنا • لسنا على الأحساب تُكِلُّ
تَبني كما كانت أوائلنا • تَبني وتُفعل مثل ما فعلوا
وقال قس بن ساعدة : لأقْضَيْنَّ بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي
ولا يردها أحد بعدي : أيما رجل رمى رجلاً بلامه دونها كرم ، فلا لؤم عليه ،
وأيما رجل ادعى كرمًا دونه لؤم فلا كرم له .

١٥ ومثله قول عائشة أم المؤمنين : كل كرم دونه لؤمٌ فاللؤم أولى به ، وكل لؤم
دونه كرمٌ فالكرم أولى به . تعني بقولها ، أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه
وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوليته ، وإن لؤمت فلا ينفعه كرم أوليته .

وقال الشاعر :

نفس عصامٍ سوَّدتْ عصاما • وعلَّته العكز والإقداما

٢٠ وصَبَّرْته مِلْكا مُهَمَّاما

وقال آخر :

مَالِي عَقْلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي • مَا أَنَا مَوْئِي وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِنْ أَنتمى مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ • فَإِنِّي مُنْتَمٍ إِلَى أَدَبِي

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ما سمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي نلت بها هذا المقعد منك ! قال : صدقت !

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : حَسَبُ الرجل ماله ، وكرمه دينه .

وقال عمر بن الخطاب : إن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك دين فلك كَرَم .

وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب : إنه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوية ، فنقض في آخره كل ما بنى في أوله ؛ فقال في آخر كلامه : وأعدل القول عندى أن الناس كلهم لأب وأم ، خلقوا من تراب ، وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في مجرى البول ، وطرا عليهم الأقدار ؛ فهذا نسبهم الأعلى الذي يرتدع به أهل العقول عن التّعظم والكبرياء ، والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فنقطع الأنساب ، وتبطل الأحساب ، إلا من كان حسبه التقوى ، أو كانت ماثته طاعة الله .

قول الشعوية في مناكح العرب

قالت الشعوية : إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد نكاح ولا استبراء من طمث ، فكيف يدرى أحدهم من أبوه . وقد نخر الفرزدق بنى ضبة حين يبتزون العيال في حروبهم في سيئة سبواها من بنى عامر بن صعصعة فقال :

فَظَلَّتْ وَظَلُّوا يَرْكَبُونَ هَبِيرَهَا هـ وليس لهم إلا عواليهم يُسْتَر

والهبير : المطمئن من الأرض ؛ وإنما أراد هاهنا فرجها .

وهو القائل في بعض ما يفخر به :

ومنا التَّسْمِيَةُ الذي قام أَيْرُهُ هـ ثلاثين يوما ثم قد زادها عَشْرًا

باب المتعصبين للعرب

- قال أصحاب العصبية من العرب : لو لم يكن منا على المولى عتاقة ولا إحسان إلا استنقأنا له من الكفر وإخراجنا له من دار الشرك إلى دار الإيمان كما في الأثر : إن قوماً يُقادون إلى حظوظهم بالسراجير . كما قال : عجب ربنا من قوم يُقادون إلى الجنة في السلاسل .
- ٥ على أنا تعرضنا للقتل فيهم ؛ فنَّ أعظم عليك نعمة بمن قتل نفسه لحياتك ؟ فاقه أمرنا بمقتالكم ، وفرض علينا جهادكم ورغبنا في مكائبتكم .
- وقدم نافع بن جبيرة بن مطعم رجلاً من أهل الموالي يصلي به ، فقالوا : له في ذلك ؛ فقال : إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه .
- ١٠ وكان نافع بن جبيرة هذا إذا مرت به جنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا قرشي ؛ قال : واقوماه ؛ وإذا قالوا : عربي ؛ قال : وابلدناه ؛ وإذا قالوا : مولى ؛ قال : هو مال الله ، يأخذ ما شاء ويدع ما شاء .
- قال : وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار ، أو كلب أو مولى . وكانوا لا يكتونهم بالسكنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ، ولا يمشون في الصف معهم ، ولا يتقدمونهم في الموكب ، وإن حضروا طعاماً قاموا على رؤسهم ، وإن أطعموا المولى لستة وفضله وعلمه أجلسوه في طرف الخوان ؛
- ١٥ ثلاثاً يخفى على الناظر أنه ليس من العرب ، ولا يدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب ، وإن كان الذي يحضر غريباً ؛ وكان الخاطب لا يخطب المرأة منهم إلى أبيها ولا إلى أخيها ، وإنما يخطبها إلى موالها ؛ فإن رضى زواج وإلا ودَّ ، فإن زوج الأب والأخ بغير رأى مواله فُسخ النكاح ، وإن كان قد دخل بها كان سفاح غير نكاح .
- ٢٠ وقال زياد : دعا معاوية الأحنف بن قيس وسمرّة بن جندب فقال إني رأيت هذه الخراء قد كثرت ، وأراها قد طعنت على السلف ، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسלטان ؛ فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة

السوق وعمارة الطريق ؛ فما ترون ؟

فقال الأحنف : أرى أن نفسى لا تطيب ؛ أخى لأمى وغالى وسولاي ، وقد
شاركناهم وشاركونا فى النسب . فظننت أنى قد قتلت عنهم ؛ وأطرق .
فقال سمرة بن جندب : اجعلها إلى أيها الأمير ، فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه .
فقال : قوموا حتى أنظر فى هذا الأمر .

قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف ، وأتيت أهلى حزينا ؛ فلما كان بالغداة
أرسل إلى ، فعلبت أنه أخذ برأى وترك رأى سمرة .

وروى أن عامر بن عبد القيس فى نسكه وزهده وتقشفه وإخباته وعبادته
كلمه حمران مولى عثمان بن عفان عند عبد الله بن عامر صاحب العراق فى تشنيع
عامر على عثمان وطعنه عليه ، فأنكر ذلك ، فقال له حمران : لا كثر الله فينا
مثلك ! فقال له عامر : بل كثر الله فينا مثلك ! فقل له : أيدعو عليك وتدعو له ؟
قال : نعم ، يكسحون طارقنا ، ويخززون خفافنا ، ويحوكون ثيابنا . فاستوى
ابن عامر جالسا ، وكان متكئا ، فقال : ما كنت أظنك تعرف هذا الباب ، لفضلك
وزهادتك . فقال : ليس كل ما ظننت أنى لا أعرفه ، لا أعرفه .

وقالوا : إن خالد^(١) بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما توجه أخاه عبد العزيز
إلى قتال الأزارقة ، هزموه وقتلوا صاحبه مقاتل بن مسمع ، وسبوا امرأته
أم حفص بنت المنذر بن الجارود العبدى ، فأقاموها فى السوق حاسرة بادية المحاسن ،
وغالوا فيها^(٢) وكانت من أكمل الناس كالا وحسنا ، فتزايدت فيها العرب والموال
وكانت العرب تزيد فيها على المصيبة ، والموال تزيد فيها على الولاء ، حتى بلغت
العرب عشرين ألفا ، ثم تزايدوا فيها حتى بلغت تسعين ألفا ، فأقبل رجل من
الخوارج من عبد القيس من خلفها بالسيف فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى
قطرى بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفا من

(١) فى بعض الاصول : ه أمية بن خالد . .

(٢) فى بعض الاصول : فاعترضوها وقلبوها . .

بيت المال وقتل أمة من إمام المؤمنين . فقال له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
 إني رأيت هؤلاء الإسماعيلية والإسحاقية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات
 واحمرت الحلق ، فلم يبق إلا الخطب بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفاً في جنب
 ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة . فقال قطري : خلّوا عنه ، عين من عيون
 الله أصابتها . قالوا : فأقذ منه . قال : لا أقيد من وزعه الله . ثم قدم هذا العبدى
 بعد ذلك البصرة ، فإذا النعمان بن الجارود يستجديه بذلك السبب ، فوصله وأحسن إليه .
 قال : أبو عبيدة : مر عبد الله بن الأهم بقوم من الموالي وهم يتذاكرون
 النحر ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده . قال أبو عبيدة : ليته سمع
 لحن صفوان وخاقان ومؤمل بن خاقان .

١٠ الأصمعي قال : قدم أبو مهدية الأعرابي من البادية فقال له رجل : أبا مهدية
 أتوضئون بالبادية ؟ قال : والله يا ابن أخي لقد كنا نتوضأ فتكفينا التوضئة
 الواحدة ثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه الخمر - يعني الموالي -
 فجعلت تليق آستانها بالماء كما تلاق الدواة .

ونظر رجل من الأعراب إلى رجل من الموالي يستنجد بماء كثير ، فقال له :
 إلى كم تغسلها ويلك ! أتريد أن تشرب بها سويقاً ؟
 ١٥ وكان عقيل بن علفه المرمي أشد الناس حمية في العرب ، وكان ساكناً في
 البادية ، وكان يصهر إليه الخلفاء ؛ وقال لعبد الملك بن مروان وخطب إليه ابنته
 الجرباء : جنبني هجاء ولدك . وهو القاتل :

كُنَّا بَنُو غَبْطَ رَجَالًا فَأَصْبَحَتْ • بَنُو مَالِكٍ غَنَظًا وَصِرْنَا لِمَالِكٍ
 ٢٠ لِحَى اللَّهِ دَهْرًا ذَغَذَعَ الْمَالَ كُلَّهُ • وَسُودَ أَشْبَاهَ الْإِمَاءِ الْعَوَارِكِ
 وقال ابن أبي ليلى : قال لي عيسى بن موسى وكان جائراً^(١) شديد العصية :
 من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن . قال : ثم من ؟ قلت :
 محمد بن سيرين . قال : فما هما ؟ قلت : موليّان .

(١) في بعض الأصول : ديانا .

قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ،
وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار . قال : فما هؤلاء ؟ قلت موالى .
فتغير لونه ، ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأى ، وابن أبي الزناد ،
قال : فما كانا ؟ قلت من الموالى .

٥ فاربذ وجهه ، ثم قال : فمن كان فقيه اليمن ؟ قلت : طائوس ، وابنه وهمام بن
منبه . قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى .

فانتفخت أوداجه فانتصب قاعداً ، [ثم] قال : فمن كان فقيه خراسان ؟
قلت : عطاء بن عبد الله الخراساني . قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى .

١٠ فازداد وجهه تريناً واسودت أسوداداً حتى خفته ، ثم قال : فمن كان فقيه
الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى .

فازداد تغيظاً وحنقاً ؛ ثم قال : فمن كان فقيه الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن
مهران . قال : فما كان ؟ قلت : مولى .

١٥ قال : فتنفس الصعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قلت : فوالله لولا
خوفه لقلت : الحكم بن عيينة ، وعمار بن أبي سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر ،
فقلت : إبراهيم ، والشعبي . قال : فما كانا ؟ قلت : عريان . قال : الله أكبر !
وسكن جأشه .

٢٠ وذكر عمرو بن بحر الجاحظ ، في كتاب الموالى والعرب : أن الحاجب لما
خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ، ولقي مالتى من قراء أهل العراق
وكان أكثر من قاتله وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل
البصرة : فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم
ويفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتعاقدوا ، فأقبل على الموالى وقال : أتم علوج
وعجم ، وقراكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وصيرهم كيف شاء ،
ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجه إليها : وكان الذي تولى
ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل بن لجيم ، يقال له خراش بن جابر ؛

وقال شاعرهم :

وَأَنْتَ مَنْ نَفَسَ الْعِجْلِيُّ رَاحَتَهُ * وَفَرَّ شَيْخُكَ حَتَّى عَادَ بِالْحَكَمِ

يريد : الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج على البصرة .

وقال آخر ، وهو يعني أهل الكوفة ، وقد كان قاضيه رجلاً من الموالي

يقال له : نوح بن دزاج :

إِنَّ الْقِيَامَةَ فِيمَا أَحَسَبُ اقْتَرَبْتُ * إِذْ كَانَ قَاضِيَكُمْ نُوْحُ بْنُ دَزَاجٍ

لَوْ كَانَ حَيًّا لَهُ الْحَجَّاجُ مَا بَقِيَتْ * صَحِيحَةُ كَفُّهُ مِنْ نَفْسِ حَبَّاجٍ

وقال آخر :

جَارِيَةٌ لَمْ تَذِرْ مَا سَوَّقُ الْإِبِلُ * أَخْرَجَهَا الْحَجَّاجُ مِنْ كِنٍ وَظِلِّ

لو كان عمرؤ شاهداً وابنُ جَبَلٍ^(١) * مَا نَقِشَتْ كِفَاكَ مِنْ غَيْرِ جَدَلٍ

ويروى أن أعرايا من بني العنبر دخل على سوار القاضي فقال : إن أبي مات

وتركني وأخألى - وخط خطين - ثم قال : وهجينا - ثم خط خطا ناحية - فكيف

يقسم المال ؟ فقال له سوار : ها هنا وارث غيركم ؟ قال : لا . قال : فالمال

بينكم أثلاثاً . قال : ما أحسبك فهمت غنى ، إنه تركني وأخى وهجيا ، فكيف

يأخذ المهجين كما أخذ أنا وكما يأخذ أخى ؟ قال : أجل . فغضب الأعرابي ثم أقبل

على سوار فقال : ما علمت والله ، إنك قليل الخالات بالدهناء . قال سوار :

لا يضرني ذلك عند الله تعالى شيئاً .

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ ويليهِ - إن شاء الله تعالى

الجزء الرابع . وأوله : كتاب المسجدة : في كلام الأعراب

فهرس الجزء الثالث من العقد الفريد

صفحة	صفحة
٢٠ إنجاز الوعد . التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا . الدعاء بالخير . تعيير الإنسان صاحبه بعيبه .	كتاب الجوهرة : في الأمثال
٢١ الدعاء على الإنسان	لابن عبد ربه
٢٢ رمى الرجل غيره بالمعضلات . المكر والخلافة للهو والباطل . خلف الوعد	٣ أمثال رسول الله ﷺ
٢٣ اليقين الغموس	٥ أمثال روتها العلماء
أمثال الرجال وأختلاف نعمتهم	٦ ابن بشير على منبر الكوفة
في الرجل المبرز في الفضل . الرجل النبيه الذكر	ابن الزبير وأمل العراق
٢٤ الرجل العزيز يمز به الذليل . الرجل الصعب . النجد يلقي قره	مثل في الرياء
٢٥ الأريب الداهي التنبيه بلا منظر ولا سابقة	فخ الإسرائيل والمصفورة
الرجل العالم التحرير	٧ إسرائيل وقبرة . من أمثال الهند
٢٦ الرجل المجرب	٨ من ضرب به المثل من الناس
٢٧ الذب عن الحرم . الصلة والقطيعة . الرجل يأخذ حقه قسراً . الإطراق حتى تصاب الفرصة	من يضرب به المثل من النساء
٢٨ الرجل الجلد المصحح . الذل بعد العز . الانتقال من ذل إلى عز	٩ ماتمثلوا به من البهائم
٢٩ تأديب الكبير . الدليل المستضعف . الدليل يستعين بأدل منه . الاحق المائق	١٠ ما يضرب به المثل من الحيوان
٣٠ الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان . الواهن العزم الضعيف الرأي	١١ أمثال أكرم بن صيفي وبزرجهر الفارسي
٣١ الذي يكون ضاراً ولا نفع عنده . الرجل يكون ذا منظر ولا خيره . أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافترافهم . المساويان في الخير والشر	١٤ ومن أمثال العرب
٣٢ الفضلان وأحدهما أفضل . الرجل يرى لنفسه فضلاً على غيره . المكافأة	في حفظ اللسان
	١٥ لكثارة الكلام وما يتق منه . في الصمت . القصد في المدح
	١٦ صدق الحديث . من أصاب مرة وأخطأ مرة
	١٧ سوء المسألة وسوء الإجابة . من صمت ثم فلق بالفهامة . المعروف بالكذب يصدق مرة . المعروف بالصدق يكذب مرة . كتمان السر
	١٨ انكشاف الامر بعد اكتتاه . إبداء السر الحديث يتذكر به غيره .
	١٩ العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه . الاعتذار في غير موضعه . التعريض بالكناية
	المن بالمعروف الحمد قبل الاختيار .

صفحة	صفحة
٤٩ العادة . ترك العادة والرجوع إليها اشتغال الرجل بما يعنيه . قلة الاكثرات قلة اهتمام الرجل بصاحبه .	الأمثال في القربى التعاطف بين ذوى الأرحام
٥٠ الجشع والطمع . الشره إلى الطعام . الغلظ في القياس .	٣٣ من أمثالم في التحنن على الأقارب حماية القريب وإن كان مبغضاً
٥١ وضع الشيء في غير موضعه . كفران النعمة . التبذير . التهمة .	٣٤ إعجاب الرجل بأهله . تشبيه الرجل بأبيه . تحاسد الأقارب .
٥٢ تأخير الشيء وقت الحاجة إليه . الإساءة قبل الإحسان . البخل .	٣٥ قولهم في الأولاد . الرجل يؤق من حيث أمن
٥٣ الجبن . الجبان يراود بما لا يفعل الاستغناء بالحاضر عن الغائب . المقادير .	٣٦ الأمثال في مكارم الأخلاق الحلم . العفو عند المقدرة
٥٤ الرجل يأتي إلى حتمه . لا يقال للجاني على نفسه جالب الشر على أهله . تصرف الدهر	٣٧ المساعدة وترك الخلاف . مداراة الناس . مفاكهة الرجل أهله .
٥٥ الأمر الشديد المعضل . هلاك القوم .	٣٨ اكتساب الحمد واجتناب الذم . الصبر على المصائب . الحض على الكرم .
٥٦ إصلاح مالا صلاح له صفة العدو . البخيل يفعل بالعسر اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل . البخيل يمنع غيره ويحود على نفسه .	٣٩ الكريم لا يجد . القناعة والدعة . الصبر على المكاره تحمده العواقب .
٥٧ موت البخيل وماله وافر . البخيل يعطى مرة طلب الحاجة المتذرة .	٤٠ الاتقاع بالمال . المتصافيان . خاصة الرجل من يكسب له غيره .
٥٨ الرضا ببعض دون الكل . التثوق في الحاجة استتمام الحاجة .	٤١ المروءة مع الحاجة . المال عند من لا يستحقه الحض على الكسب .
٥٩ المصاغة في الحاجة . تعجيل الحاجة . الحاجة تمكن من وجهين . من منع حاجة فطلب أخرى . الحاجة يحول دونها مانع .	٤٢ التحير بالأمر البصير به . الاستخبار عن علم الشيء . وثيقته . انتحال العلم بغير آله .
٦٠ اليأس والخيبة . طلب الحاجة في غير موضعها طلب الحاجة بعد فوتها .	٤٣ من يوصى غيره ويبنى نفسه . الأخذ في الأمور بالاحتياط . الاستعداد للأمر قبل نزوله
٦١ الرضا من الحاجة بتركها . من طلب الزيادة فانتقص . الخلاه بالحاجة .	٤٤ طلب العافية بمسألة الناس . توسط الأمور .
٦٢ إرسائك في الحاجة من ثنن به . قضاء الحاجة قبل السؤال . الانصراف بحاجة تامة مقضية تجديد الحزن بعد أن يبكي منه .	٤٥ الإجابة بعد الإجماع . مدافعة الرجل عن نفسه . قولهم في الانفراد .
٦٣ جامع أمثال الظلم . الظلم من نوعين .	٤٦ من أبلى بشيء مرة مخافة أخرى . اتباع الهوى الحذر من العطب .
	٤٧ حسن التدبير والهي عن الخرق . المشورة . الجِد في طلب الحاجة .
	٤٨ التأني في الأمر . سوء الجوار . سوء المرافقة .

صفحة	صفحة
٨٦	٦٤ من يزد غما على غمه . المنبون في تجارته .
٨٧	٦٥ الكرم يتبضمه اللثم . الانتصار من الظلم .
٨٨	٦٦ المتبرئ من الشيء . سوء معاشرته الناس . الجبان
٨٩	٦٧ وما ينم من أخلاقه .
٩٠	٦٨ الجبان يهدد غيره . تصرف الدهر . الاستعداد
٩١	٦٩ نفى المال عن الرجل . إذا لم يكن في الدار
٩٢	٧٠ في ترك الزيارة .
٩٣	٧١ استجهال الرجل ونفى العلم عنه . أمثال مستعملة
٩٤	في الثمر .
٩٥	كتاب الزمردة في المواعظ والزهد
٩٦	٧٦ النبي صلى الله عليه وسلم .
٩٧	٧٧ لابن عباس في كلام لعلى . حكيم بيباب
٩٨	بعض الملوك .
٩٩	٧٨ مواعظ الأنبياء عليهم السلام .
١٠٠	٨٠ من وحى الله تعالى إلى أنبيائه .
١٠١	٨١ المسيح عليه السلام . موسى عليه السلام .
١٠٢	٨٢ يوسف عليه السلام .
١٠٣	مواعظ الحكماء
١٠٤	٨٣ الحسن . كلمات أربع للعرب والعجم . وصية
١٠٥	أبي بكر لعمر . الحسن وابن الأهم .
١٠٦	٨٤ لعليم يعظ قوما . لابي الدرداء .
١٠٧	٨٥ لعليم يعظ رجلا . الرشيد وابن المماك .
١٠٨	مكاتبة جرت بين الحكماء
١٠٩	الحسن وعمر بن عبد العزيز
١١٠	
١١١	

صفحة	صفحة
١٣٣	١١٢ قولم في الخوف . لابن عباس وعلى رضى الله
١٣٤	عنهما . عمر بن عبد العزيز في مرضه .
١٣٥	١١٣ لعل رضى الله عنه . للفضيل بن عياض .
١٣٦	لعمر بن ذر .
١٣٧	١١٤ قولم في الرجاء .
١٣٨	١١٥ معاوية عند الموت . لأعرابي في دعائه .
١٣٩	١١٦ قولم في التوبة . للمسيح عليه السلام . لعل
١٤٠	رضى الله عنه . ابن العلاء في عابد .
١٤١	١١٧ لابن عبد ربه . لابن عباس .
١٤٢	١١٨ المبادرة بالعمل الصالح للنبي صلى الله عليه وسلم
١٤٣	لابن المبارك .
١٤٤	١١٩ العجز عن العمل .
١٤٥	١٢٠ لعل رضى الله عنه . لابن السماك الحسن ورجل
١٤٦	١٢١ قولم في الموت
١٤٧	بين النبي ﷺ وابن الخطاب . لأبي العتاهية
١٤٨	لعمر بن عبد العزيز . يعقوب عليه السلام .
١٤٩	١٢٢ لامية بن أبي الصلت . لأصمغ بن الفرج .
١٥٠	لصريع الغواني .
١٥١	١٢٣ للصلتان العبدى . لأبي العتاهية .
١٥٢	١٢٤ لابن عبد ربه .
١٥٣	١٢٥ لأبي الأسود .
١٥٤	١٢٦ لعدى بن زيد . لحريث بن جبلة .
١٥٥	١٢٧ قولم في الطاعون
١٥٦	عمر بن الخطاب وابن الجراح في طاعون
١٥٧	وقع بالشام .
١٥٨	١٢٨ ابن وهب وابن الزيات . ابن الزيات وابن
١٥٩	أبي دواد .
١٦٠	١٣٠ من أحب الموت ومن كرهه .
١٦١	١٣١ للنبي ﷺ وعبد الله بن عمر .
١٦٢	١٣٢ التهجيد .
١٦٣	لنبي صلى الله عليه وسلم .
١٦٤	البكاء من خشية الله عز وجل .
١٦٥	
١٦٦	
١٦٧	
١٦٨	
١٦٩	
١٧٠	
١٧١	
١٧٢	
١٧٣	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٦	
١٧٧	
١٧٨	
١٧٩	
١٨٠	
١٨١	
١٨٢	
١٨٣	
١٨٤	
١٨٥	
١٨٦	
١٨٧	
١٨٨	
١٨٩	
١٩٠	
١٩١	
١٩٢	
١٩٣	
١٩٤	
١٩٥	
١٩٦	
١٩٧	
١٩٨	
١٩٩	
٢٠٠	

صفحة	صفحة
١٦٤	١٥٠
عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة . الحجاج وموت ابنه محمد . عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك مسلة بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز في احتضاره . أرسول ﷺ في قبضه .	تواضع ابن سيرين . للنبي ﷺ أنما ينظر إبنته للأشعث في تخفيف الصلاة . بين طاهر ابن الحسين والمروزي .
١٦٥	١٥١
عائشة مع أبيها في احتضاره . عمر مع أبي بكر في احتضاره .	لمحمود الوراق . لمساور الوراق . للفضال لابي عثمان المزدني .
١٦٦	١٥٢
لمعاوية في احتضاره . عمرو بن العاص في احتضاره الجرع من الموت	أبو العتاهية ومتصرف .
١٦٧	١٥٣
لابن عياض . حزن سعيد بن أبي الحسن على أخيه . الحسن في احتضاره . حجر بن الادبر في موته .	الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس . لعائشة في النبي ﷺ .
١٦٨	١٥٤
البكاء على الميت لأبراهيم الأحنف وبأكية . للنبي ﷺ في وفاة ابنه إبراهيم ، النبي ﷺ وبأكيات من الأنصار . النبي ﷺ وبأكيات قتلى أحد ابن الخطاب حين نعى إليه ابن مقرن . ابن الخطاب حين نعى إليه زيد أخوه .	عمر بن ذر ودعاء له . لعروة بن الزبير في مناجاته دعاء داود . من دعاء يوسف .
١٦٩	١٥٥
عمر ورواة خالد . لمعاوية في النساء . لابن عباس . للفرزدق . القول عند المغابر . لزيد بن علي . للرقاشي .	من دعاء علي بن الحسين . دعاء الفضيل بن عياض . دعاء لابن مسعود .
١٧٠	١٥٦
لعلي . للنبي صلى الله عليه وسلم . للحسن البصري لابن الفضل . لأعرابي على قبر الرسول ﷺ لماطمة على قبر أبيها ﷺ . ابن مسعود على قبر عمر بن الخطاب . علي بن أبي طالب على قبر خباب . الحسن على قبر علي .	كيف يكون الدعاء . دعاء النبي ﷺ وأبي بكر وعمر الدعاء عند الكرب .
١٧١	١٥٧
ابن السماك في رثاء الطائي . للأحنف على قبر أخيه عائشة على قبر أبي بكر . رثاء علي لأبي بكر . عبد الملك على قبر معاوية . للضحك في زياد لعلي في فاطمة . امرأة الحسن على قبره . نائلة على قبر عثمان .	الكلمات التي تلقى آدم من ربه اسم الله الأعظم الاستغفار دعاء المسافر
١٧٢	١٥٨
	الدعاء عند الدخول على السلطان .
١٧٣	١٥٩
	لابن عباس المنصور وجعفر بن محمد الدعاء على الطعام . الدعاء عند الأذان . الدعاء عند الطيرة .
١٧٤	١٦٠
	الساعة التي يستجاب فيها الدعاء والتعويذ .
	١٦٢
	كتاب الثروة
	في النوادب والتعاضد والمرأى
	لابن عبد ربه لابن ذر . القول عند الموت .
	١٦٣
	بين أبي بكر وطلحة . لمعاذ في احتضاره . لعمر بن عتبة في مثله لابن الخطاب في مثله الأسواري وأزاد مرد في احتضاره .

صفحة	صفحة
١٩٢	١٧٥
لأبي القناحية في رثاء الأمين . لأبي شمس في رثاء ابنه .	الراثون على قبر الاسكندر لأبي القناحية في ابن له
١٩٣	لأبي ذر في مثله لابن سليمان في مثله . لاعراية في أبيها . لاعراية في رثاء ابنها .
من رثى إخوته .	١٧٦
لمة م بن نورية .	عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه . ابن ذر
١٩٤	وجنازة جاز له . لجارية على قبر أبيها .
رثاء أخت النضر له .	خصي لوليد على قبره . معاوية على قبر أخيه
١٩٥	لابن خفاق .
عمر بن الخطاب والحنفاء في أخويها . عائشة والحنفاء في صدار كانت تلبسه .	١٧٧
للحنفا في أخويها .	لعروة بن حزام . للطرماع . لابن اريب .
١٩٨	١٧٨
لاخت الوليد بن طريف في رثائه . لآخر في رثاء أخيه .	لافتون في بكاء نفسه .
١٩٩	١٧٩
لكعب في أبي المغوار .	لهدية العنزي لمحمد بن بشير .
٢٠٠	١٨٠
لامرئ القيس يرثى إخوته ، للأبيد في رثاء أخيه بريد	لأبي القناحية في أبيات أوصى أن تكتب على قبره
٢٠٢	لبعض الشعراء في معارضته . أبيات قبل إنها
لشبل بن معبد البجلي	لأبي نواس . لأبي نواس .
٢٠٣	١٨١
من رثت زوجها	أبيات على قبر الإيادي . أبيات على قبر .
لاسماء في الزبير . لبانة زوجة الأمين ترميه	لمحمد بن عبد الله .
٢٠٤	١٨٢
لاعراية في زوجها . الاصمعي وجارية على قبر زوجها .	من رثى ولده .
٢٠٥	١٨٤
من رثى جاريته .	لأبي ذؤيب في رثاء بنيه . وله في طفله .
الاصمعي وجارية .	١٨٥
٢٠٦	للحسن بن هانئ . لابن الاعمى يرثى ابنه له .
سروان بن محمد وجارية له خلفها بالرملة .	١٨٦
٢٠٧	لأبي القناحية في رثاء ابن له . لاعراي في رثاء ابنها
لحبيب في مثله . لاعراي يرثى امرأته .	رثاء ابن له . عمر بن الخطاب وأعرابي فقد
٢٠٨	ابناً له . المنصور وشعر المطيع حين مات ولده
للوراق يرثى جارية حب وجارية له ماتت .	١٨٧
من رثى ابنة .	لاعراية تندب ابنها . لأبي الخطار في رثاء
لبحترى في ابنة الحميدى .	ابنه . لجريم يرثى ولده سودة . لأبي الشغب
٢٠٩	في ابنه . لابن عبد الأعلى في رثاء أيوب بن سليمان
مرأى الاشراف .	١٨٨
لحسان يرثى الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر .	لأب في رثاء ابنه . لاعراي في رثاء ابنه .
٢١٠	١٨٩
وله في رثاء أبي بكر وله في رثاء عثمان .	لابن عبدربه في طفل له لاعراية في ولد لها .
لفرزوق في رثاء عثمان .	لاعراي في ابنين له .
٢١١	١٩٠
للسيد الحميري في رثاء علي . لفرزدق في رثاء	لهذيلة في رثاء إخوة وابن .
عبد العزيز بن مروان . لجريم في رثاء عمر بن	١٩١
عبد العزيز .	لشيبانية في حزنها على أهلها . لابن ثعلبة في
	وله له . للمتي في مثله . لأب في رثاء ابنه .

تعاوى الملوك

لاكم يعزى ابن هند . في مهلك المنصور .
 ٢٢١ في موت معاوية بن أبي سفيان . عزاء شبيب
 للمنصور في أبي العباس لابن إسحاق يعزى
 لبعض الخلفاء . الرشيد وعبد الملك بن صالح
 المأمون يعزى أم الفضل بن سهل . من عمر بن
 العزيز إلى عماله في موت ولده .
 ٢٢٢ عزاء زياد لسليمان بن عبد الملك في ابنه .
 لعطاء يعزى يزيد في معاوية لابن الوليد يعزى
 عمر بن عبد العزيز في ابنه . عمر بن عبد العزيز
 في وفاة أخته لبعض الشعراء في التعزية .
 ٢٢٣ للعتابي . لابن طاهر يعزى المتوكل في ابنه .
 لأبي عينة . لحكيم يعزى سليمان بن عبد الملك
 في ابنه . للحسن يعزى عمر بن عبد العزيز .
 للاسكندر يعزى أمه عن فقده . لسهل بن
 هارون في التعزية .

كتاب القيمة

٢٢٤

في النسب وفضائل العرب

في الحديث . لعمر بن الخطاب
 أصل النسب .
 أولاد نوح .
 أصل قريش .
 ٢٢٥ لعبد المطلب في قومه . لأبي نواس في مدح بني
 شيبه . بنو هاشم .
 ٢٢٦ بنو أمية . بنو نوفل . بنو عبد الدار . بنو أسد
 بنو تميم . بنو مخزوم . بنو عدى . بنو جهم .
 ٢٢٧ مكارم قريش . بين المأمون وأبي الطاهر .
 فضل بني هاشم وبني أمية
 لعلي فيهم . وللشعبي .

٢١٢ لجرير في رثاء الوليد . لبعض الشعراء في رثاء
 قيس بن عاصم . للسندی في رثاء يزيد بن
 هبيرة . لمنصور النخعي في رثاء ابن مزهد .
 ٢١٣ للأعجم يرثي المنيرة .
 ٢١٤ لبعض الشعراء . لابن يعفر .
 ٢١٥ لميبد بن الأبرص . للحجاج في ابن خارجة .
 لبعض الشعراء فيه . لمسلم بن الوليد .
 ٢١٦ لأشجع في ابن زياد . وله في ابن منصور .
 ٢١٧ للطائي في رثاء خالد بن يزيد . للتيمي في
 يزيد بن مزهد .
 ٢٢٠ لابن أبي حفصة في رثاء معن .
 ٢٢١ لأبي الشيص في رثاء الرشيد ومدح الأمين .
 للعدائي في ابن ظبيان . لأبي توسعه في رثاء المهلب
 ٢٢٢ للهلهل في رثاء كليب . لابن المعدل في رثاء
 سعيد بن سلم . لابن اخت تأبط شرا يرثي خاله
 ٢٢٣ لابن أبي الصلت يرثي قتلى بدر .
 ٢٢٤ لسهل بن هارون .
 ٢٢٥ لغزوة الحريري في رثاء الخوارج . وله في رثاء قومه
 التماري لابن أبي بكر يعزى سليمان في ابنه .
 ٢٢٦ لابن جريج يعزى ابن الأهم . على والأشعث
 في وفاة ابنه . لابن الصالح يعزى رجلاً لصالح
 المرو في مثله . لوالد العتي في مثله . لابن
 عباس يعزى عمر في ابن له . لعلي في العزاء .
 ٢٢٧ للحسن في المصيبة .

كتاب تعزية

٢٢٨ في عزاء عقبة بابنه . عزاء الأصمعي للجعفر بن
 سليمان في أخيه .
 ٢٢٩ لمالك بن دينار في أخيه . لأعرابية في ميت
 لأعرابي يعزى الحسن وجازع على ابنه لنصراني
 يعزى مسلماً . لعلي بن الحسين في ناعية .
 ٢٣٠ لابن جبيل لرجل يعزى رجلاً .

صفحة	صفحة
٢٥١ مفاخرة بين ومضر .	٢٣٨ معاوية الزشيد وأموى لثني
الابرش يفاخر ابن صفوان . أبو العباس	جماعة بني هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش .
وقوم من اليمن .	عبد المطلب .
مفاخرة الاوس والخزرج .	٢٣٩ أمية الأكبر .
٢٥٢ البيوتات .	٢٤٠ جماهير بني تيم بن مرة .
علماء النسب في حضرة عبد الملك .	• مخزوم بن مرة .
بيوتات مضر ونضائنها .	• كعب بن عدى
لثني صلى الله عليه وسلم . لبعضهم .	• جهم .
٢٥٣ معاوية والكلي . النعمان والاحيمر . شيء	٢٤١ • بني سم .
عن بهدلة .	• عاصم بن لوى .
٢٥٤ بيوتات اليمن وفنائها .	• بني محارب بن فهر بن مالك .
لثني . لابن عباس . لعمر بن الخطاب .	• بني الحارث بن فهر بن مالك .
لابي عبيدة . لابن الكلي .	قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش .
٢٥٥ لثني . لابن الكلي .	٢٤٢ ومن بطون قريش
٢٥٦ تفسير الارحاء والجاهم . لابي عبيدة .	٢٤٣ فضل قريش .
٢٥٧ أسماء ولد نزار .	لثني . معاوية وأصحابه . ابن عتبة
سطيح وتقسيم ميراث نزار .	وابن عمير .
٢٥٨ شعر لريعة بن نزار .	٢٤٤ ابن عتبة وقرشيون تشاحوا . محمد بن الفضل
أنساب مضر	وقوم . بينه وبين والى الامواز . لابن عتبة
٢٥٩ بطون هذيل وجماهيرها .	ينصح قرشيين .
بطون كنانة وجماهيرها .	٢٤٥ مكان العرب من قريش .
٢٦٠ بطون أسد وجماهيرها .	لثني . معاوية . لابن عتبة في معاوية .
٢٦١ الهون بن خزيمه بن مدركة .	٢٤٦ لابن الكلي . لابن المقفع .
٢٦٢ ومن قبائل طابخة بن الياس .	٢٤٧ ذو الرمة وعبد أسود .
بطون ضبة وجماهيرها .	٢٤٨ علماء النسب .
٢٦٣ مزينة — الرباب .	أبو بكر وابن المسيب . أبو بكر وبعض القبائل
٢٦٤ صوفة .	٢٤٩ دخل وقوم من الانصار . ابن شيان وقوم
بطون تميم وجماهيرها .	من العرب .
بنو العنبر بن عمرو بن تميم .	٢٥٠ قول دخل في قبائل العرب .
	دخل وزباد . دخل ومعاوية .

صحيفة	صحيفة
٢٨٦ ح - ير .	٢٦٥ الجبلات .
٢٨٧ الاوزاع - النباية .	غيلان وأسلم وحرماز . بنو مالك بن عمر
٢٨٨ قضاعة .	ابن تميم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم .
٢٩٢ كهلان بن سبأ .	٢٦٦ الاجارب .
٢٩٣ المزرج .	بنو عطار بن عوف بن كعب بن سعد .
صحيفة	قريع بن عوف بن كعب بن سعد .
٢٩٧ خزاعة .	٢٦٧ بهلة بن عوف بن كعب بن سعد .
بطون من خزاعة .	حنظلة بن مالك الاحق بن زيد مناة .
٢٩٩ بارق والهجن .	يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم
٣٠٠ ومن بطون الازد .	٢٦٩ بطون قيس وجاهيرها .
٣٠١ بنو لخب .	٢٧٠ باعة - بنو الطفاوة بن ادھر .
٣٠٢ دوس . عك . غسان . بنو عنزة .	بنو خصفة بن قيس بن عيلان .
٣٠٣ بجيلة خثعم .	٢٧١ بنو ذكوان وبنو وبنو بنو سليم .
٣٠٤ حمدان .	٢٧١ قبائل هوازن .
٣٠٦ كندة .	عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
٣٠٧ مذحج .	٢٧٢ بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
٣١٠ مسلية . بنو حبابة .	بنو العجلان بن كعب .
٣١١ النخع . بنو جذيمة . بنو حارثة . وهيل .	٢٧٣ بنو - لول . نسب ربيعة بن نزار .
صبيان جشم وبكر عفس .	٢٧٥ النمر بن قاسط .
٣١٢ مراد - طيء .	٢٧٦ قنبل بن وائل .
٣١٤ الاشعر .	٢٧٧ بكر بن وائل . يشكر بن بكر .
٣١٥ لحم - جذم .	٢٧٨ عجل بن لجيم . حنيفة بن لجيم .
٣١٦ عاملة .	شيبان بن ثعلبة بن عكابة .
٣١٧ خولان - جرم - حضرموت .	٢٧٩ ذهل بن ثعلبة بن عكابة .
قول الشعوبية وهم أهل القسوية .	قيس بن ثعلبة بن عكابة .
٢٢٢ رد ابن قتيبة على الشعوبية .	٢٨٠ صروس - الهازم - إيار - بن نزار .
٢٢٣ رد الشعوبية على ابن قتيبة .	٢٨١ القبائل المشتهية .
٢٢٥ قول الشعوبية في مناكح العرب .	٢٨٢ مفاخرة ربيعة . عبد الملك وبعض جلساته
٢٢٦ باب المنصبين للعرب .	٢٨٤ جمرات العرب .
	٢٨٥ أساب اليمن .

العقود الفريدة

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي

المتوفى سنة ٨٣٢٨

بتحقيق

محمد سعيد العربي

الجزء الرابع

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

١٩٥٣ — ١٣٧٢

كِتَابُ الْعِجْدَةِ فِي كَلَامِ الْأَعْرَابِ

فرش كتاب العجدة

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في النسب الذي هو سبب التعارف ، وسلم إلى التواصل ، وفي تفضيل العرب ، وفي كلام بعض الشعوية :
ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصة : إذ كان أشرف الكلام حسبا ، وأكثره رونقا ، وأحسنه دياجا ، وأقله كلفة ، وأوضحه طريقة ؛ وإذ كان مدار الكلام كله عليه ، ومُنْتَسَبُهُ إليه .

- قال رجل من منقر : تكلم خالد بن صفوان بكلام في صلح لم يسمع الناس كلاما قبله مثله ، وإذا بأعرابي في بَت ، ما في رجله حذاء ، فأجابه بكلام وددت أني مت قبل أن أسمعه ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال لي : ويحك ! كيف نجاريهم وإنما نحكيهم ؟ أم كيف نسايقهم وإنما نجري بما سبق إلينا من أعراقهم ؟ قلت له : أبا صفوان ، والله ما ألومك في الأولى ، ولا أدع حمدك على الأخرى .

- وتكلم ربيعة الرأي يوما بكلام في العلم فأكثر ، فكان العُجْبُ داخله ، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال : ما تمدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلت الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تمدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم . فكانما ألقمه حجرا .

قول الأعراب في الدعاء

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب ،
لولا جفاء فيهم .

وقال غيلان : إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب .

- ٥ قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابي يقال له مرشد : اللهم اغفر لي والجلدُ
بارد ، والنفس رطبة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية ،
والتوبة مقبولة ، والآنفس مريحة ، والتضرع مرجو ، قبل أز العروق ، وحشك
النفس ، وعز الصدر ، وتزيل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحيف التراب ؛
وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل ، وينقطع العمل . أعني على
الموت وكرهه ، وعلى القبر وغمته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ،
وعلى يوم القيامة وروعته ؛ أغفر لي مغفرة واسعة لا تغادر ذنبا ، ولا تدع كربا ؛
أغفر لي جميع ما اقترضت علي ولم أؤده إليك ؛ أغفر لي جميع ما تبث إليك منه
ثم عدت فيه . يارب تظاهرت على منك النعم ، وتداركت عندك مني الذنوب ؛
فلك الحمد على النعم التي تظاهرت ، وأستغفرك للذنوب التي تداركت . أمسيت
١٥ عن عذاب غيا ، وأصبحت إلى رحمتك فقيرا : اللهم إني أسألك نجاح الأمل
عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عملي ما ولي أجلي ؛ اللهم اجعلني من الذين
إذا أعطيتهم شكروا ، وإذا آتيتهم صبروا ، وإذا أذكرتهم ذكروا ، واجعل لي
قلبا توابا أوابا ، لا فاجرا ولا مرتابا . اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ،
وإذا أساءوا استغفروا ، اللهم لا تحقق علي العذاب ، ولا تقطع بي الأسباب ،
٢٠ وأحفظني في كل ما تحيط به شفقتي ، وبأني من ورثة سُبْحَتِي ، وتجز عنه قوتي ،
أدعوك دعاء ضعيف^(١) عمله ، متظاهرة ذنوبه ، ضنين على نفسه - دعاء من بدنه
ضعيف ، ومُنْتَه عاجزة : قد انتهت عدته ، وخلقت جدته ، وتم ظمؤه ؛ اللهم

(١) في بعض الأصول : وخفيف . .

لا تخيبي وأنا أرجوك ، ولا تغذبي وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسبة ، وحسن التباعة ، وتشنج العروق ، وإساعة الريق ، وتأخر الشدائد ؛ والحمد لله على حله بعد عله ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ والحمد لله الذي لا يؤدى قتله ، ولا يخيب سوله ، ولا يرد رسوله . اللهم إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ؛ وأعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى فجورا ، أو أكون بك مغرورا ؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعُضال الداء ، وخيبة الرجاء ، وزوال النعمة ، وفجأة النعمة .

لأعرابي في
الذواف

دعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال : إلهي ، مَنْ أُولَى بالتقصير والزلل
مني وأنت خلقتني ، وَمَنْ أُولَى بالعفو منك عني وعليك بي ماضٍ ، وقضاؤك بي
مُحِيط ؛ أطلعتك بقوتك والمينة لك ، وعصيتك بعلمك ، فأسألك يا إلهي بوجوب
رحمتك ، وانقطاع حجتى ، وافترارى إليك ، وغناك عني - أن تغفر لي وترحمني ؛
إلهي لم أحسن حتى أعطيتني . فتجاوز عن الذنوب التي كتبت عليّ ، اللهم إنا
أطلعناك في أحب الأشياء إليك : شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ،
ولم نقصك في أبغض الأشياء إليك : الشرك بك ؛ فاغفر لي ما بين ذلك ؛
اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للتوكلين عليك ^(١) . إلهي
أنت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّى لك مكشوف ، وأنا إليك
ملهوف ؛ إذا أوحشتني الغربة ، آنسني ذكرك ؛ وإذا أكبت عليّ الغموم ،
لجأتُ إلى الاستجارة بك ؛ علما بأن أزمنة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها
عن قضائك ، فأقللني إليك مغفورا لي ، معصوما بطاعتك باقى عمري ،
يا أرحم الراحمين .

٢٠

الأصمعي قال : حَجَجْتُ فرأيت أعرابيا يطوف بالكعبة ويقول : يا خير
موفودٍ سعى إليه الوُفْدُ ، قد ضَعُفَتْ قوتى ، وذهبتْ مُنتى ، وأتيتُ إليك بذنوب
لا تفصلها الأيام ولا تحملها البحار ؛ أستجير برضائك من سخطك ، وبِعَفْوِكَ من

لآخر في مثله

(١) في بعض الأصول : وخير المعينين للتوكلين عليك ،

عقوبتك ، ثم التفت فقال : أيها المُشفقون ، ارحموا من شملته الخطايا ،
وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ممالك من التلاد ؛ ارحموا
من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب ؛ ارحموا أسير ضُرّ ، وطريد فقر .
أسألكم بالذي أعملتكم الرغبة إليه ، إلاما سأتم الله أن يهب لي عظيم أجرى .
ثم وضع في حلقة الباب خذه وقال : ضَرَعَ خدي لك ، وذل مقامى بين يديك ،
ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنب مكروبٌ • من الخيرات مطلوبُ

وقد أصبحتُ ذا فقرٍ • وما عندك مطلوب

العتبي قال : سمعت أعرابيا بعرفات عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن هذه
عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك ،
أن لا يشرك بك شيئا بكل لسان فيها يدعى ، ولكل خير فيها يرجى ؛ أنتك
العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العنة من شعب المَهْضِق ؛ رجاء ما لا خلف له
من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ؛ أثبت لك وجوها المصونة ،
صابرة على وهج " السائم ، وبرد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك ؛ يا غفار ،
يا مُسْتَزَاداً من نعمه ، ومُسْتَعَاذاً من نقمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير
وشهيق . ثم بسط كلنا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إن كنتُ بسطتُ يدي إليك
راغباً . فظالماً كَفَيْتَنِيهِ : ساهياً بنعمتك التي تظاهرت علىّ عند الغفلة ، فلا أياس
منها عند التوبة ؛ ولا تقطع رجائى منك لما قدمت من أقتراف ، وهب لي الإصلاح
في الولد ، والأمن في البلد ، والعافية في الجسد ، إنك سميع مجيب .

ودعا أعرابى فقال : يا عمادَ مَنْ لاعماد له ، وياركنَ مَنْ لاركن له ،
ويا مجير الضعفاء ، ويا مُنْقِذَ المَلَكى " ، ويا عظيم الرجاء ، أنت الذى سبج لك
سواد الليل وياض النهار ، وضوء القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر

(١) في بعض الاصول : دلفح .

(٢) في بعض الاصول : د الغرق .

ودوى الماء : يا محسن ، يا مجمل ، يا مُفضل ، لا أسألك الخير بخير هو عندك ،
ولكني أسألك برحمتك ، فاجعل العافية لي شعاراً ودثاراً ، وُجَّةً دون كل بلاء .

الآخر بنى
الأصمعي قال خرجت أعراية إلى منى فقطع بها الطريق ، فقالت : يا رب ،
أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت ، وكل ذلك منك عدلٌ وفضلٌ ، والذي عظم
على الخلاق أمرك : لا بسطت لساني بمسئلة أحد غيرك ، ولا بذلت رغبتي إلا إليك
ياقرة أعين السائلين ، أغنى بجود منك أتبعج في فراديس نعمته ، وأثقل في
رواق نضرتي ، أحلني من الرُجلة ، وأغنى من العيلة ، وأسدل علي سترك الذي
لا تخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، إنك سمع الدعاء .

لأعراب في فلاة
قال : وسمعت أعرايا في فلاة من الأرض وهو يقول في دعائه : اللهم إن
استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للؤم ، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك
لعجز إلهي كم تحييت إلي بنعمتك وأنت غني غني ، وكم أتبغض إليك بذنوبي
وأما فقير إليك ! سبحان من إذا توعد عفا ، وإذا وعد وفى .

قال : وسمعت أعرايا يقول في دعائه : اللهم إن ذنوبي إليك لا تضرك ، وإن
رحمتك إياي لا تنقصك : فاغمر لي ما لا يضرك ، وهب لي ما لا ينقصك .

الآخر بنى
قال : وسمعت أعرايا وهو يقول في دعائه : اللهم إني أسألك عمل الخائفين ،
وخوف العالمين ، حتى أتنعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .
اللهم أعذني من سطواتك : وأجرني من نقماتك ؛ سبقت لي ذنوبٌ وأنت تغفر
لمن يتوب ^(١) : إليك بك أتوسل ، ومنك إليك أفر .

قال : وسمعت أعرايا يقول : اللهم إن أقواما آمنوا بك بالسنتهم ليحرقوا
دماءهم فأدركوا ما أتملوا ، وقد آمنوا بك بقلوبنا لنجبرنا من عذابك فأدرك منا
ما أتملناه .

قال : ورأيت أعرايا متعلقا بأستار الكعبة رافعا يديه إلى السماء وهو يقول
رب ، أترك معدننا وتوحيدك في قلوبنا ، وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لتجمعنا

مع قوم طالما أينضام لك .

الأصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول في صلاته : الحمد لله حمداً لا يلبى جديده ولا يحصى عديده ، ولا يبلغ حدوده ؛ اللهم اجعل الموت خيراً غائباً تنتظره ، واجعل القبر خيراً بيت نعمره ؛ واجعل ما بعده خيراً لنا منه ؛ اللهم إن عيني قد أغرورقتا دموعاً من خشيتك ؛ فاغفر الزلة ، وعُدْ بحملك على جهل من لم يرجُ غيرك .
الأصمعي قال : وقف أعرابي في بعض المواسم فقال : اللهم إن لك عليّ حقاً فتصدق بها عليّ ، وللناس قبليّ تباعات فتعملها عني ؛ وقد وجب لكل ضيف قري ، وأنا ضيفك الليلة ، فاجعل قراي فيها الجنة .

قال : ورأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : سائلك عبد بابك ذهب أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباعته فأرض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعفُ عنه غير راض .

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ؛ فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمر ^(١) : سمعت طاوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دفتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فني لي وساداً فجلست ؛ فبينما نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابي في الوادي رافعا صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : عليّ بالملتبي . فأقْبَى به ، فقال : مَنْ الرجل ؟ قال : من أفناء الناس . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتني ؟ قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفت محمد بن يوسف ؟ يعني أخاه ، وكان عامله على اليمن ؛ قال : خلفته عظيمًا جسيماً خراجاً ولأجاً . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمّ سألتني ؟ قال : كيف خلفت سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخائف مطيعاً للمخلوق ؛ فازور من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته مني ؟ فقال له الأعرابي أفترأه بمكانته منك أعزّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافد

(١) في بعض الاصول : د عمرو ،

بيته ، وقاضى دينه ، ومصدق نبه صلى الله عليه وسلم ! قال : فوجم لها الحجاج ولم يُجِر له جوابا ، حتى خرج الرجل بلا إذن . قال طاوس : فبعتته حتى أتى الملتزم فتملق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك ألوذ ، فاجعل لى فى اللهم إلى جوارك والرضا بضمانك : مدوحة عن منع الباطلين ، وغنى عما فى أيدى المستأثرين : اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة .

٥

قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألفيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجى ونصبي وتعبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبتى فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رحمتك ^(١)

الأصمعى قال : رأيت أعرابيا يطوف بالكعبة وهو يقول : إلهى عَجَّتْ إليك الأصواتُ بضروبٍ من اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرنى على طول البلاء ^(٢) إذا نسيت أهل الدنيا . اللهم هَبْ لى حَقك ، وأَرْض عني خلقك ، اللهم لا تُعَيِّن بطلب مالم تقدره لى ، وما قدرته لى فيسره لى .

١٠

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة ، فقالت : كان الله صاحبك فى أمرِك ، وخليفتك فى أهلك ، ووليُّ نَجج طلبتِك . أمضِ مُصاحبا مكلوا ، لا أشمت الله بك عدوًّا ، ولا أرى محبيك فىك سوءا .

١٥

قال : ومات ابن لأعرابي فقال : اللهم إني وهبتُ له ما قصر فيه من برى ، فهب له ما قصر فيه من طاعتك : فإنك أجود وأكرم .

لأعرابياته

قولهم فى الرقائق

العتبي قال : ذكر أعرابي مصيبة فقال : والله تركت سودَّ الرأسِ أيضا ، ويبيض الوجوه سودًّا ، وهوت المصائبَ بعدها .

لأعراب

٢٠

(١) فى بعض الأصول : درغبتك .

(٢) فى بعض الأصول : البلاء .

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثى آل أبي سفيان :

رمى الحدثنان نسوة آل حرب ٥ بمقدار سمدن له سُمودا
فرد شعورهن السود بيضا ٥ وردّ وجوههن البيض سودا
فإنك إذ سمعت بكاء هند ٥ ورملة إذ يطمئن الحدودا
بكيت بكاء موجعة بحزن ٥ أصاب الدهر واحداها الفريدا

٥

قال : قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءك قالت : إن فقدى إياه
أمتنى كل فقد سواه ، وإن مصيتى به هونت على المصائب بعده : ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمت ٥ فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لفلقي ٥ فعليك يبكي الناظر
ليت المنازل والديار ٥ رَحَقَارُ ومقابر

١٠

وقيل لأعرابي : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك همّ الغداء
والعشاء لي حزنا ١

وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : من طال أمدى ، وكثر ولده ، وذهب
جلده : ذهب شبابه .

وقيل لأعرابي : ما أنحل جسمك ؟ قال : سوء الغداء ، وحُدوبة الرعى ،
واختلاجُ الهموم في صدرى . ثم أنشأ يقول :

١٥

الهمّ مالم تُنْضِ لبيله ٥ داءُ تَضْمَنهُ الضَّلوعُ عظيمُ
ولربما استيأست ثم أقول لا ٥ إن الذى ضمنَ الجاح كريمُ

وقيل لأعرابي قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تقيّدتى
الشعرة ، وأعثر في البعرة : قد أقام الدهر صغرى بعد أن أقت صغره .

٢٠

وقال أعرابي : لقد كنت أنكر البضاء فصرت أنكر السوداء ، فما خير
مبدول وباشرٌ بدل ١

وقال أعرابي :

لبعض الشعراء

إذا الرجال وَلَدَتْ أولادُها . وجعلت أسقامُها تتناذُها
واضطربت من كِبَرِ أعضادُها . فهي زُرُوعٌ قد دنا حصادُها

وذكر أعرابي قطعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرت عِبابُ الودِّ بعد

لأعرابي في
القطعة

امتلائها واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها ؛ فأدبر ما كان مقبلا ، وأقبل
ما كان مدبراً .

وذكر أعرابي منزلا باد أهله ، فقال : منزل والله رحلت عنه ربات الخدور

لآخرين في تغير
الديار

وأقامت فيه أنفأ^(١) القدور ، وقد اكتسب بالنبات كأنما ألبس الحُلل ؛ وكان
أهله يُعَفِّون فيه آثار الرياح ، وأصبحت الريح تُعَفِّي آثارهم فالعهد قريب
والملتقى بعيد .

١٠

ذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم ، فقال : أعينٌ والله حكمت بالعبرة بعد
العبرة ، وأنفسٌ لبست الحزن بعد السرور .

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم ، فقال : كانوا والله في عيش رقيق الحواشي
فظواه الدهر بعد سعة ، حتى يبدت أبدانهم من القُر ، ولم أر صاحباً أغرَّ من
الدنيا ، ولا ظالماً أغنم من الموت ؛ ومن عصفت به الليل والنهار أروياه ، ومن
وُكِّل به الموت أفاه .

١٥

وقف أعرابي على دار قد باد أهلها ، فقال : دارٌ والله معتصرة للدموع ،
حطت بها السحاب أثقالها ، وجرت بها الرياح أذيالها .

وذكر أعرابي رجلا تغيرت حاله ، فقال : طُوِيت صحيفته وذهب رزقه ،
فأبلا مُسْرِعٌ إليه ، والعيش عنه قابض كفيهِ .

٢٠

وذكر أعرابي رجلا ضاق عيشه بعد سعة ، فقال : كان والله في ظل عيش
عدود ، فقدحت عليه من الدهر زَند عين كاية الزند .

(١) في بعض الأصول : « رواحل » .

لأعرابية ترى
انها

الأصمعي قال : أنشدني العقيل لأعرابية ترى ابنها :

خَتَلَتْهُ الْمُنُونُ بَعْدَ آخِيَالٍ هـ بَيْنَ صَفْتَيْنِ مِنْ قَمَاءٍ وَنِصَالٍ
فِي رِداءٍ مِنَ الصَّفِيحِ صَقِيلٍ " هـ وَقَبِصٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُذَالٍ
كَنتُ أَخْبَاكَ لِاعْتِدَاءِ يَدِ الدَّهْرِ وَلَمْ تَخْطِرِ الْمُنُونُ بِيَالٍ

لأعرابي في مثله

٨ وقال أعرابي يري ابنه :

كَفَنْتُ بِكَفِي بَعْضِ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ هـ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِرٌ وَدَقِينٌ
وَقَالَ أَعْرَابِي : إِنْ الدُّنْيَا تَنْطَلِقُ بِغَيْرِ لِسَانٍ فَتُخْبِرُ عَمَّا يَكُونُ بِمَا قَدْ كَانَ .
خَرَجَ أَعْرَابِي : هَارِبًا مِنَ الطَّاعُونَ ؛ فَبَيْنَا هُوَ سَائِرٌ إِذْ لَدَغَتْهُ أَفْعَى فَمَاتَ ،
فَقَالَ فِيهِ أَبُوهُ :

١٠ طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً هـ مِنْ هَلَاكِ فَهَلَكُ
لَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةً هـ أَيْ شَيْءٌ قَتَلَكُ
وَالْمَنَايَا رَصْدٌ هـ لِلْفَتَى حَيْثُ مَلَكَ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ هـ حِينَ تَلَقَّى أَجْلَكَ

وذكر أعرابي بلدا فقال : بلد كالترس ، ماتمشي فيه الرياح إلا عابرات سبيل ، لأعرابي في ند

١٥ ولا يمر فيها السفر إلا بأدلة دليل .

قولهم في الاستطعام

من بن زائدة
وأعرابي

قدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال : إني والله
ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثلي من أهل السن والحسب
إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في
المعروف ؛ فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك
٢٠ فافعل . فوصله وأحسن إليه .

الريسم بن سليمان قال : سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : وقف أعرابي

لأسرا

على قوم فقال : إنا - رحمكم الله - أبناء سبيل ، وأنضاء طريق وفلّال سنة ؛ رحم الله امرأ أعطى عن سعة ، وواسى من كفاف . فأعطاه رجل درهما ، فقال : آجرك الله من غير أن يتليك .

ووقف أعرابي بقوم فقال : يا قوم ، تنابعت علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رُجْع ، ولا للأرض فيها صدْع ، فنضب العِدْ ، ونشف الوشل ، وأحبل الخصب ، وكلع الجذب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشظف المعاش ، وذهب الرياش ؛ وطرحني الأيام إليكم غريب الدار ، نأى المحل ، ليس لي مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ؛ فرحم الله امرأاً رحم أعرابى ، وجعل المعروف جوابى .

١٠ المهدى وفاخواف خرج المهدى يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول : قوم معوزون^(١) ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ؛ باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهل من أمرٍ بخير ، كلاه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ؟ فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

١٥ الأصمعى قال : أغير على إبل خزيمة ، فركب بحيرة ، فقبل له : أتركب حراماً ؟ خزيمة فى إبل أغير عليها قال : يركب الحرام من لا حلال له .

وأقال أعرابى لأعرابى

يأبى لى نعلين من جلد الضبع . كلّ الحذاء يحتذى الحافى الوقع

٢٠ أبو الحسن قال : اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة . قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : فيا أخاه ! قال : أسمعته فقل . قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخُثولة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف ضر ، وعندك ما يسعُه ويصرف

بين عتبة بن أبى سفيان وأعرابى

عنه بؤسه فقال عتبة أستغفر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بفنائك ،
فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وسأل أعرابي فقال : رحم الله مسلماً لم تمجُّ أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذاً
من مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والدار مضيعة ، والحيا زاجر يمنع من كلامكم ،
والعدم عاذر يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله أمراً يميز
وداعياً يجير . فقال له بعض القوم : ممن الرجل ؟ فقال : ممن لا تنفعكم معرفته ،
ولا تضركم جهالته . ذلُّ الاكتساب ، يمنع من عز الانتساب .

العتي قال : قدم علينا أعرابي في فُشاش^(١) قد أطردت اللصاصُ إبله ، لجمعت
له شبتاً من أهل المسجد ، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول :

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته . لولا شماتةُ أعداءِ ذوى إحنٍ
ما سرّنى أنْ إنبلى في مباركها . وأنْ أمراً قضاهُ الله لم يكن

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال :

لولا شماتةُ أعداءِ ذوى حسدٍ . وأنْ أنال بنفعي من يُرجئني
لما خطبتُ إلى الدنيا مطالبها . ولا بذلتُ لها عرضي ولا ديني
لكن مُنافسةَ الأكفاءِ تَحْمِلُنِي . على أمورٍ أراها سوف تُرديني
وقد خشيتُ بأنْ أبقى بمنزلةٍ . لا دين عندي ولا دنيا تُواتيني

العتي قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فلما مثل بين يديه
أنشأ يقول :

أصلحك الله قلُّ ما بيدي . فما أطبق العيال إذ كُثروا
أناخ دهرٌ ألقى بكلِّكـلـه . فأرسلوني إليك وانتظروا

قال : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ، فأمر
له بأربعة أبعرة موقورة بُراً وتمراً وخلع عليه .

(١) الفشاش : كساء غليظ .

ابن طوق
وأعرابي

الشياني قال : أقبل أعرابي إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرجة حيناً ، وكان الأعرابي من بني أسد صعلوكا في عباءة صوف وشملة شعر ، فكلمها أراد الدخول منه الحجاب ، وشمته العبيد ، وضربه الأشراف ؛ فلما كان في بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التزه حول الرجة ، فعارضه الأعرابي ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك حتى أخذ يعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إني عائد بالله • من أشرطك هؤلاء ، فقال مالك : دعوا الأعرابي ؛ هل من حاجة يا أعرابي ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير ؛ أن تُصنعي إلي بسمعك ، وتُنظر إلي بطرفك ، وتُقبل إلي بوجهك . قال : نعم . فأنشأ الأعرابي يقول :

يَبَايَكَ دُونَ النَّاسِ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي • وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى حَوْلَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْنَعُنِي الْعُجَابُ وَالسَّرُّ مُسْبِلٌ • وَأَنْتَ بَعِيدُ الشَّرْطِ صَفُوفُ ١٠
يَدُورُونَ حَوْلِي فِي الْجُلُوسِ كَأَنَّهُمْ • ذُنَابُ جِيَاعٍ يَدْنُهُنَّ خُرُوفُ
فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا • فَأَضْرَفَ عَنْهُ إِنِّي لَضَعِيفُ
وَمَالِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَلَا لِمَنْ • تَرَكْتُ وَرَائِي مَرْبِعٌ وَمَصِيفُ
وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسٌ وَخُنْدَفٌ • وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرَحَلْتِي • إِلَيْكَ وَقَدْ حَنَنْتُ إِلَيْكَ صُرُوفُ ١٥
فَجَسْتُكَ أَيْنِي الدُّسْرَ مِنْكَ فَرَزِي • يَبَايَكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلْنِي لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً • فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الشَّرْطِ مَخُوفُ

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ؛ ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوباً بثوبين ؟ فوقعت عليه الثياب والدرهم من كل جانب حتى تحير الأعرابي ؛ ثم قال له : هل بقيت لك حاجة يا أعرابي ؟ قال : ٢٠ أما إليك فلا ؛ قال : فإلى من ؟ قال : إلى الله أن يبيحك للعرب ؛ فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل أعرابي إلى هشام بن عبد الملك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت علينا

ثلاثة أعوام : فعام أذاب الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام آتق العظم ؛ وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن للناس فلم تُحَبِّبْ عنهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا ؛ إن الله يحزى المتصدقين ! قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ قال : ما ضربت إليك أكباد الإبل أدرع الهجير ، وأخوض الدجا لخاص دون عام ، ولا خير في خير لا يعم . فأمر له هشام بأموال فرقت في الناس ؛ وأمر للأعرابي بمال فرقته في قومه .

طلب أعرابي من رجل حاجة فوعده قضاءها ؛ فقال الأعرابي : إن من وعد بعض الأعراب قضي الحاجة وإن كثرت ؛ والمطل من غير عسر آفة الجود .

وقال أعرابي ، وأتى رجلا لم تكن بينهما حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن ؛ لحقق الأمل ، وأحسن المثوبة ^(١) ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد .

وقب أعرابي على حلقة يونس النحوى ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . إنا أناس قدمننا هذه المدينة ثلاثون رجلا ؛ لا ندفن ميتاً ؛ ولا نحول من منزل وإن كرهناه ؛ فرحم الله عبداً تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، ورسل سنة ؛ فإنه لا قليل من الأجر ؛ ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ . إن الله لا يستقرض من عوز ؛ ولكن ليلو خيار عباده .

وقف أعرابي في شهر رمضان على قوم ؛ فقال : يا قوم لقد ختمت هذه الفريضة على أفواهنا من صبح أمس ، ومعنى بننان لي ، والله ما عليهما تحللاً بخلال ؛ فهل رجل كريم يرحم اليوم مقامنا ^(٢) ، ويرد حشاشتنا ؛ منعه الله أن

(١) في بعض الأصول : المذلة .

(٢) في بعض الأصول : ذلنا .

يقوم مقام ذل وعار وصنار ! فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ! فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال : أشدُّ والله على من سوء حالى وفاقى ، توهمى فيكم المواساة ! انتعلوا الطريق لاصحبكم الله .

الاصمعي قال : وقف أعرابي علينا فقال : يا قوم ، تنابعت علينا سنون بتغير وانتفاص ، فما تركت لنا هُبماً ولا رُبماً ، ولا عافطة ولا نافطة ، ولا ناغية ولا راغية : فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة : فأعينوني من فضل ما آتاكم الله ، وارحوا أبا أيّام ، ونضو زمان : فلقد خلفت أقواما يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه : ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى ^(١) .

١٠٠

الاصمعي قال : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقالت : إني أتيتُ من أرض شاسعة ، تبيضني هائضة ^(٢) وترفعني رافعة في بوايدٍ برّين لحمي ، وهضن عظمي : وتركنتي والهة ، قد ضاق بي البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد : لا قرابة تُؤويني ، ولا عشيرة تحميني : فسألت أحياء العرب : من المرتجى سَيِّئِهِ ، المأمونُ عِيهِ ، الكثيرُ نائِلُهُ ، المكنى سائلُهُ ؟ فدللتُ عليك : وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع في أمرى واحدة من ثلاث : إما أن تُحيين صَفْدِي ، وإما أن تُقيم أودى ، وإما أن تُردني إلى بلدي . قال : بل أجمعهن لك ! ففعل ذلك بها أجمع .

لأعرابية مع عبد الرحمن ابن أبي بكر

وقال أعرابي :

شعر لبعض الأعراب

يا عاملَ الخيرِ رُزِقْتَ الجنةَ * أكسُ بُنيّاتي وأمّهنة
وكنْ لنا مِنَ الزمانِ جنةً * وأرددْ علينا إنَّ إنَّ إنَّ
أقسمتُ باللهِ لتفعلنَّ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « الثرى » .

(٢) في بعض الأصول : « تبيضني هابطة » .

الأصمعي قال : وقفت أعرابية فقالت : يا قوم ، سَنَة جردتُ وأيد جدت ، لبعض الأعراب
و حال أجهدت ؛ فهل من فاعل لخير ، وآمر يميز ؟ رحم الله من رَحِم ، وأقرض
من يُقرض ^(١) .

الأصمعي قال : أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة
منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول : أيها الناس ، إخوانكم في الدين ،
وشركاؤكم في الإسلام ، عابرو سبيل ، وفلال يؤس ، وصرعى جذب ، تابعت
علينا سنون ثلاثة ، غيرت النعم وأهلك النعم ، فأكلنا ما بقي من جلودها فوق
عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمْنَى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاماً ،
وعاد إشرافنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، ويكتنا السهل ، وهذه آثار
مصائبنا ، لائحة في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومواسياً من قليل ، فلقد
عظمت الحاجة ، وكسف البال وبلغ المجهود ، والله يجزى المتصدقين .

الأصمعي قال : كنتُ في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال :
أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُبرز الكعاب ؛ وقد حملتنا سنو المصائب ،
ونكبات الدهور ، على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد
فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

أتى أعرابي عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته إليك
الحاجة ، وبلغت به الغاية ، والله سائلك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ
أبلغ من قائل ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا ^(٢) .

سمع عدى بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول : يا قوم ، تصدقوا على
شيخ مَعِيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهره ، وسمِع شكواه خالفه ، بدنه مطلوب
وثوبه مسلوب ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بني سعد في دية لزمته ،
قال : فكم هي ؟ قال : مائة بعير . قال : دونكها في بطن الوادى !

(١) في بعض الأصول : من لا يظلم ،

(٢) في بعض الأصول : ولا أوعظ من واعظ ولا أبلغ من مقول له منك ومنى .

سأل أعرابي رجلاً فأعطاه ، فقال : جعل الله للمعروف إليك سيلاً ، وللخير عليك دليلاً ، ولا تجعل حظ السائل منك عذرة صادقة .

وقف أعرابي يقوم فقال : أشكو إليكم أيها الملأ زمانا كلع في وجهه ، وأناخ على كلكله ، بعد نعمة من البال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ؛ اعتورتني شدائده ، بقبل مصائبه ، عن قسي نوائبه ، فسا ترك لي ثاغية أجتدي ضرعها ، ولا راغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعِدٍ على حتفه ؟ فرد القوم عليه ولم يُنبِلوه شيئاً ؛ فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأمل من أمثالكُم * جوداً وليس الجود من فعالِكُم
لا برك الله لكم في مالِكُم * ولا أزاح السوء عن عيالِكُم
فالفقر خير من صلاح حالِكُم

١٠ الأصمعي قال : سأل أعرابي فلم يُعط شيئاً ، فرفع يديه إلى السماء وقال :
يا رب أنت ثقي وذخري * لصيبة مثل صغار الذر
جاءم البرد وهم بشر * بغير لحف وبغير أزر
كأنهم خائف في جحر * تراهم بعد صلاة العصر
وكلهم ملتصق بصدري * فاسمع دعائي وتول أمرى

١٥ سأل أعرابي ومعه ابنتان له ، فلم يُعط شيئاً ؛ فأنشأ يقول :

أيا أبتى صار أباكا * إنكا بعين من يراكا
الله ولاي وهو ولاكا * فأخلصا الله في تجواكا
تضرعاً لا تذخر أبكاكا * لله يرحم من آواكا
٢٥ إن تبكيا فالدهر قد أبكاكا

العتبي قال : كانت الأعراب تتجمع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام ، فتقدم إليهم الحاجب بأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابي فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ؛ والمنع مبغضة ؛ فلأن

هشام وأعرابي

نحبك خير من أن نفضلك ! فأعطاه وأجزل له .

الاصمعي قال : وقف أعرابي غَنَوِيٌّ على قوم : فقال بعد التسليم : أيها الناس ، ذهب النِيلُ : وعجف الخَيْلُ : وبُخس الكَيْلُ : فن يرحم نضو سفر ، وقل سنة ، ويُقرض الله قرضاً حسناً . لا يستقرض الله من عُدَم ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هل من فتى مقتدرٍ معينٍ * على فقيرٍ بائسٍ مسكينٍ
أبي نباتٍ وأبي بنينٍ * جزاء ربِّي بالذي يُعطيني
أفضلَ ما يُجزي به ذو الدينِ

الاصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول لرجل : أطعمك الله الذي أطعمتني له : لبس الأعراب ١٠
فقد أحيتني بقتل جوعي ، ودفعت عني سوء ظني يومي : فحفظك الله على كل جنب ، وفرج عنك كل كرب ، وغفر لك كل ذنب .

وسأل أعرابي رجلاً فاعتلَّ عليه ، فقال : إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً !

وقال أعرابي للأمين : للأموء وأعراب

قل للإمام الذي تُرْجى فضائله * رأس الأنام وما الأذنب كالرأس ١٥
إني أعوذ بهرون وخُفرتة * وبأن عم رسول الله عباس :
من أن تُشدَّ رحال العيس راجعةً * إلى اليمامة بالحرمان واليأس

الاصمعي قال : أصابت الأعراب جماعةً ، فررت برجل منهم قاعد مع زوجته ٢٠
بقارعة الطريق وهو يقول :

يا ربَّ إني قاعدٌ كما ترى * وزوجتي قاعدةٌ كما ترى
والبطن مني جائعٌ كما ترى * فسا ترى ياربنا فيما ترى

الاصمعي قال : حدثني بعض الأعراب قال : أصابنا سنةٌ وعندنا رجل غني ٢٠
أعرابي في جماعة وله كلب ، فجعل كلبه يعوى جوعاً ، فأنشأ يقول :

تَشْكِي إِلَى الْكَلْبِ شِدَّةُ جُوعِهِ * وَبِ مِثْلِ مَا بِالْكَلْبِ أَوْ بِي أَكْثَرُ
قُلْتُ : لَعَلَّ اللَّهَ يَأْتِي بَغْيُهُ * فَيُضْحِي كَلَانًا قَاعِدًا يَتَكَبَّرُ^(١)
كَأَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَنَى * وَأَنْتَ مِنَ النِّعَمِ كَأَنَّكَ جَعْفَرُ
الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : سَأَلَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَقَالُ لَهُ عَمْرُو ، فَأَعْطَاهُ دَرَاهِمِينَ ؛ فَرَدَّهَا
عَلَيْهِ وَقَالَ :

أعرابي
اسم عمرو

تَرَكْتُ لِعَمْرُو دَرَاهِمِيهِ وَلَمْ يَكُنْ * لِيُنْفِي عَنِّي فَاقَتِي دَرَاهِمَا عَمْرُو
وَقُلْتُ لِعَمْرُو خُذْهُمَا فَاصْطَرْفَهُمَا * سَرِيعَيْنِ فِي نَقْضِ الْمَوْدَةِ وَالْأَجْرِ
أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : أَخٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَجَارٌ فِي بِلَادِ
اللَّهِ ، وَطَالِبٌ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ؛ فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ مُوَاسٍ فِي اللَّهِ ؟ .

لبعض الأعراب

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : ضَجَرَ أَعْرَابِي بِكَثْرَةِ الْعِيَالِ وَالْوَلَدِ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ الْوَبَاءَ يَخِيرُ
شَدِيدٌ ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهَا يَعْزِضُهُمْ لِلْمَوْتِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
قُلْتُ لِحُمَيٍّ خَيْرَ آسْتَعْدَى * هَاكِ عِيَالِي فَاجْهَدِي وَجِدِّي
وَبَاكِرِي بِصَالِبٍ وَوَرْدٍ * أَعَانَكِ اللَّهُ عَلَى ذِي الْجَنْدِ
فَأَخَذَتْهُ الْحُمَى ، فَمَاتَ هُوَ وَبَقِيَ عِيَالُهُ .

سَأَلَ أَعْرَابِي شَيْخًا مِنْ بَنِي مَرْوَانَ وَحَوْلَهُ قَوْمٌ جُلُوسٌ ، فَقَالَ : أَصَابَتْكُمُ سَنَةٌ .
وَلِي بَضْعُ عَشْرَةِ بَنَاتٍ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : أَمَّا السَّنَةُ فَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَنْتَكُمُ وَيَبِينَ السَّمَاءُ
صَفَاحٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَيَكُونُ مَسِيلُهَا مَا يَلِينِي فَلَا تَقْطُرُ عَلَيْكُمْ قَطْرَةٌ ؛ وَأَمَّا الْبَنَاتُ
فَلَيْتَ اللَّهُ أَوْضَعَهُنَّ لَكَ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ، وَجَعَلَكَ بَيْنَهُنَّ مَقْطُوعَ الْبَيْدِينَ وَالرَّجُلِينَ
لَيْسَ لَهُنَّ كَاسِبٌ غَيْرُكَ ! قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْأَعْرَابِي ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَا أَقُولُ لَكَ ، وَلَكِنْ أَرَاكَ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ ، سَيِّئَ الْخَلْقِ ، فَأَعْصَكَ اللَّهُ يَبْظُرَ أَقْمَهَاتُ
هَؤُلَاءِ الْجُلُوسِ حَوْلَكَ !

مروان وأعرابي

وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى رَجُلٍ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ انْطِلَافٍ ، فَذَكَرَ لَهُ سَنَةً وَسَأَلَهُ .

طائف وأعرابي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : وَ يَتَذَمَّرُ . .

فقال : وددت والله أن الأرض خطة لا تنبت شيئا ١ قال : ذلك أيدس لجفير
أتمك في آستها .

قولهم في المواعظ والزهد

أبو حاتم عن الأصمعي قال : دخل أعرابي على هشام بن عبد الملك هشام وأعرابي
٥ فقال له : عظمي يا أعرابي . فقال : كني بالقرآن واعظا ، أعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيْلٌ لِلطَّافِقِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا
اكتالوا على الناس يستوفون ۝ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۝ ألا يظنُّ
أولئك أنهم مبعوثون ۝ ليومٍ عظيمٍ ۝ يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ﴾ ثم
قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان ، فما ظنك
١٠ بمن أخذه كله ؟ !

وقال أعرابي لأخيه : يا أخى ، أنت طالب ومطلوب ، يطلبك ما لا تقوته ،
وتطلب ما قد كُفيتَه ، فكأن ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت
عنه ، فامهد لنفسك ، وأعد لغدك ، وخذ في جهازك .

ووعظ أعرابي أخاه أفسد ماله في الشراب ، فقال : لا الدهر يعطاك ،
١٥ ولا الأيام تُنذكرك ، ولا الشيب يزجرك ؛ والساعات تُحصي عليك ، والأنفاس
تُعدّ منك ، والمايا تُقاد إليك ؛ أحب الأمور إليك أعودها بالمضرة عليك .

وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لثلاث خلال فيه : لأنه
متلف للمال ، مذهب للعقل ، مُسقط للبرومة .

وقال أعرابي لرجل : أى أخى ، إن يسار النفس أفضل من يسار المال ،
٢٠ فإن لم ترزق غنى ، فلا تحرم تقوى ، فرب شعبان من النعم ، غرثان^(١) من الكرم ؛
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَى خَيْرٍ . تَرَحَّبَ بِهِ الْأَرْضُ ، وَتَسْتَبْشِرُ بِهِ السَّمَاءُ ؛ وَلَنْ يُسَاءَ
إِلَيْهِ فِي بَطْنِهَا ، وَقَدْ أَحْسَنَ عَلَى ظَهْرِهَا .

(١) في بعض الأصوات : « غريبان » .

وقال أعرابي : الدرامُ ميايم تسمُ حمداً وذمّاً ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ؛ وما كلُّ من أُعْطِيَ مالا أُعْطِيَ حمداً ولا كل عديمٍ ذميراً .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أَنْتَ لِلْبَالِ إِذَا أَمْسَكَتُهُ * فَإِذَا أَنْفَقْتُهُ فَاَلْمَسَالُ لَكَ

لابن عباس وهذا نظير قول ابن عباس - ونظر إلى درهم في يد رجل - فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك .

وقال أعرابي لأخيه : يا أخى ، إن مالك إن لم يكن لك ، كنت له ؛ وإن لم تُنفقه أفتاك ؛ فكلُّه قبل أن يأكلك .

وقال أعرابي : مضى لنا سلفُ أهل تواصل اعتقدوا منا ، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً ، وإظهار البرِّ واجباً . ثم جاء الزمان بينين اتخذوا مِنْهُمْ بضاعة ، وبرَّهم مراجحة ، وأيادهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة كنقد [السوق] : خذ منى وهات .

وقال أعرابي لولده : يا بنى ، لا تكن رأساً ولا ذنباً ، فإن كنت رأساً فتها للنطاح ، وإن كنت ذنباً فتها للنكاح .

قال : وسمعت أعرابياً يقول لابن عمه : سأخطب ذنبك إلى عُذْرِكَ ، وإن كنتُ من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين ؛ ولكن ليتمَّ المعروف منى إليك ، ولتقوم الحجة لى عليك .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : إن الموفق من ترك أرفق الحالات به لأصلحها لدينه ، نظراً لنفسه إذا لم تنظر لنفسه لها .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : الله يُخْلِفُ ما أنفد الباس ، والدمر مُتْلِفٌ ما أخلفوا ، وكل من مينة عليها طلب الحياة ، وكل من حياة سببها التعرض للموت .
وقال أعرابي : إن الآمال قَطَعَتْ أعناق الرجال ، كالسراب : غرٌّ من رآه ، وأخلف من رجاه .

وقال أعرابي لصاحب له : أصحب من يتناسى معروفةً عندك ، ويتذكر حقوقك عليه .

وقال أعرابي : لا تسأل عن يفر من أن تسأله ، ولكن سل من أمرك أن تسأله ، وهو الله تعالى .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : تمام العدة ، وانقضاء المدة .
ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر ، فقال : يا هذا ،
ه أنشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقالت أعرابية لابنها : يا بني ، إن سؤالك الناس مافي أيديهم أشد من الافتقار إليهم ، ومن افتقرت إليه هنت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب فإذا ألحنت عليك الحاجة ولزمتك سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمستول ، فإنه يعطى السائل .

وقالت أعرابية توصي ابناً لها أراد سفراً : يا بُني ، عليك بتقوى الله فإنها
١٠ أجدي عليك من كثير غيرك ؛ وإياك والنائم ، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثل لنفسك مثالا تستحسنه من غيرك فاحذر عليه واتخذة إماماً ، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء ، فقد أجاد الحلة إزارها ورداءها .

قال الأصمعي : لا تكون الحلة إلا ثوبين : إزاراً ورداء .
أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عاتقه حول الكعبة :
١٥ إن تركبي على قدالي فاركي ه فطالما حملتني وميرت بي
في بطنيك المطهر المطيب ه كم بين هذالك وهذا الماركب
وأنشد لآخر كان يطوف بأمه :

ماحج عبد حجة بأمه ه فكان فيها منقفاً من كده
٢٠ إلا آستم الأجرا عند ربّه

قال وسمعت أعرابياً يقول : ما بقاء عمي تقطعه الساعات ، وسلامة بدن معرض
للآفات ؛ ولقد عجبت من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي
أحيا له ليله وأظلم له نهاره .

وذكر أهل الساطان عند أعرابي فقال : أما والله لن عزوا في الدنيا بالجور

لقد ذلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل فإن عوضاً عن كثير باق ، وإنما
تزل القدم حيث لا ينفع الندم .

ووصف أعرابي الدنيا فقال : هي رنقةُ المشارب ، جمة المصائب لا تمتنع
الدهر بصاحب .

وقال أعرابي : من كان مطينه الليل والنهار ساراً به وإن لم يسِرْ ، وبلغاً به
وإن لم يبلغ .

قال : وسمعت أعرابياً يقول : الزهادة في الدنيا مفتاحُ الرغبة في الآخرة
، والزهادة في الآخرة مفتاحُ الرغبة في الدنيا .

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : وإذا متُّ فإلى أين يُذهب بي ؟
قالوا : إلى الله ! قال : فما كراحتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه ؟

وقال أعرابي : من خاف الموت بادره الموت ، ومن لم يُنَحِّ النفس عن
الشهوات أسرعته إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك .

وقال أعرابي لصاحب له : والله لئن هملجت إلى الباطل إنك لمطوف عن الحق ،
وإن أبطأت لئسِرَ عَنِّي إليك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم راجحون ؛ فلا
تغرَّنك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك .

وقال أعرابي : خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة ، وشر من
الموت ما إذا نزل بك أحبت له الموت .

وقال أعرابي : حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع ، وأخفافاً
ترفع ، والخير يُطلب عند غير أهله ، والفقير قد حل غير محله .

وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له : قُلِ الْحَقَّ وَإِلَّا أَوْجَعْتُكَ ضَرْباً ! قال له :
وأنت فاعمل به ، فوالله ما أوددك الله على تركه أعظم مما توعَّدني به .

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال الكريم يسأط عليه اللئيم ،
والعاقل يسأط عليه الجاهل .

وقيل له : أي الداعين أحق بالإجابة ؟ قال المظلوم .

- وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : من أفرد الله بمجافته .
ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة غار العينين . مُشرف الحاجبين نائقُ الجبهة ،
فقال له : يا أعرابي ، أين ربُّك ؟ قال : بالمرصاد .
- الاصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما
أقرب من هواك فخالقه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . ٥
- قال : وسمعت أعرابيا يقول : من نتج^(١) الخير أنتج له فراخا تطير بأجنحة
السرور ؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقضبانة الغيظ ، وثمرته الندم .
وقال أعرابي : الهوى^(٢) عاجله لذيقه ، وآجله وخيم .
- وقيل لأعرابي : إنك لحسن الشارة . قال : ذلك عنوان نعمة الله عندي .
- قال الاصمعي : ورأيت أعرابيا أمامه شيء فقلت له : لمن هذه الشاة ؟ قال :
هى لله عندي . ١٠
- وقيل لأعرابي : كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار .
وقال أعرابي : من كساه الحياء ثوبه خفى على الناس عيبه .
وقال : بئس الزاد التعدى على العباد .
- وقال : التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة . ١٥
- وقال : من ثقل على صديقه خفى على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما
يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .
- قال وسمعت أعرابيا يقول لابنه وهو يعاتبه : لا توهمن - على من يستدل
على غائب الأمور بشاهدها - الغفلة عن أمور يعاينها ، فتكون بنفسك بدأت ،
وحظك أخطأت . ٢٠
- ونظر أعرابي إلى رجل حسن الوجه بضه فقال : إني أرى وجهها ما علقه

(١) فى بعض الأصول : • ولد • .

(٢) فى بعض الأصول : • الشر • .

بَرْدٌ وَضَوْءُ السَّحَرِ ، وَلَا هُوَ بِالَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

من كلِّ مجتهدٍ برى أوصاله • صومُ النهار وسجدة^(١) الأسحار

الاصمعي قال : سمعت أعرابيا ينشد :

وإذا أظهرتُ أمراً حسناً • فليكن أحسن منه ما قُسرَ

٥ فُسرَ الخيرَ مَوسومٌ به • ومُسرُّ الشرِّ مَوسومٌ يشرُّ

وقول الأعرابي هذا على ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسر

امرؤ سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

قال : وأنشدني أعرابي :

وما هذه الأيام إلا مُعاراة • فما استطعت من معروفها فتزود

١٠ فإنك لا تدري بأية بلدة • تموت ولا ما يحدث الله في غد

يقولون لا تبعدْ ومن يك مُسدلاً • على وجهه سترٌ من الأرض يبعد

وقال أعرابي : أعجز الناس من قصّر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع

من ظفر به منهم .

وقال أعرابي لابنه : لا يسرك أن تغلب بالشر ؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب .

١٥ وقال أعرابي لأخ له : قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه .

فإن حظك من عطيته السؤال .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ،

وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره .

وشهد أعرابي عند سوار القاضي بشهادة ، فقال له : يا أعرابي ، إن مداننا

٢٠ لا يجرى من العتاق فيه إلا الجياد . قال : لئن كشفت لتجدنني ثوراً ! فسأل

عنه سوار فأخبر بفضل وصلاح ، فقال له : يا أعرابي ، أنت ممن يجرى في ميداننا .

قال : ذلك بستر الله .

وقال أعرابي : والله لولا أن المروءة ثقيل محلها ، شديدة مؤتها ، مترك
النام للكرام شيئاً .

احتضر أعرابي ، فقال له بنوه : عظام يا أبت . فقال : عاشروا الناس معاشرة
إن غبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوا عليكم .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شمة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال
له : إن الشمة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .

مز أعرابي يقوم يدفنون جارية ، فقال نعم الصهر ما صاهرتم ! وأنشد :

وفي الأعياص أكماء لليلي * وفي الحيد لها كفء كريم

وقال أعرابي : رب رجل يرره منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه
قلبه التحاف الجناح على الخوافي .

ومز أعرابيان رجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أنبتته الطاعة
وحصدته المعصية ! وقال الآخر : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبه ، ومن فارق
الحق فالجذع راحلته .

العتبي عن زيد بن عُمارة ، قال : سمعت أعرابيا يقول لأخيه وهو يبنى
منزلا : يا أخى :

أنت في دارِ شَتَاتٍ * فمأهَبُ لِشَتَاتِكَ

واجعل الدنيا كيوْمٍ * صُنْمَتِهِ عَنْ شَهْوَاتِكَ

واجعل الفِطْرَ إذا ما * نَلْتَهُ يومَ مَمَاتِكَ

واطلبِ الفوزَ بعِشْرِ الزَّ * هد^(١) من طول حَيَاتِكَ

ثم أطرق حيناً ورفع رأسه وهو يقول :

قائدُ الغَفَلَةِ الأمل * والهوى قائدُ الزَّوَالِ

قتلَ الجَهِلُ أهله * ونجا كلُّ من عقل

(١) في بعض الاصول : « الدهر » .

فاغنم دولة السلافة واستأنف العمل
 أيها المبتقى القصور وقد شاب واكهل
 أخبر الشيب عنك أنسك في آخر الأجل
 فعلام الوقوف في عرصة العجز والكسل
 أنت في منزل إذا حله نازل رحل
 منزل لم يزل يضيق وينبو بمن نزل
 فتأهب لرحلة ليس يسعى بها بجل
 رحلة لم تزل على السدھر مكروهة القفل

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : ما جوفى له إلا قبر .

لأعرابي
 في السر

وقال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل . ودوام عهده ، فانظر إلى
 حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ماضى من زمانه .

لآخر في الوفاء

وقال أعرابي : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من
 لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه - ضاعت الأمور .

لآخر فيما يضيع
 الأمور

وسئل أعرابي عن القدر فقال : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس :
 يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها .

لآخر في القدر

وسئل آخر عن القدر فقال : علمٌ اختصت فيه العقول ، وتناول فيه
 المختلفون ، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .
 وقال أعرابي تكوير^(١) الليل والنهار ، لا يُبقى على الأعمار ، ولا لأحد
 فيه الخيار .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر . وحضر
 غداؤه فقال : اطلبوا من يتغدى معنا . فطلبوا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة ،
 فأتوه به ، قال له : هلم . قال له : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُهُ ! قال :

الحجاج وأعرابي

(١) في بعض الأصول : تعاور .

ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعاني إلى الصيام ، فأنا صائم . قال : صوم في مثل هذا اليوم على حر ؟ قال صمت ليوم هو أحرُّ منه ! قال فأفطر اليوم وتصوم غدا . قال : ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غدا ؟ قال : ليس ذلك إلى قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجلٍ ليس إليه سبيل ! قال : إنه طعام طيب . قال : والله ما طيبه خبازك ولا طبّاخك ، ولكن طيبته العافية ! قال الحجاج : والله ما رأيت كالיום ، أخرجوه عني .

لأعرابي

أبو الفضل الرياشي قال : أنشدنا أعرابي :

أَبَاكِه رَزِينَةُ ابْنِ أَنَا هَا . نَعِيٍّ أَمْ يَكُونُ لَهَا اضْطِبَارُ
إِذَا مَا أَهْلُ وُدِّي وَدَّعُونِي . وَرَاحُوا وَالْأَكْفُ بِهَا غُبَارُ
وَعُودِرَ اعْظُمْنِي فِي لَحْدِ قَبْرِ . تَعَاوَرَهُ الْجَنَائِبُ وَالْفِطَارُ
تَظَلُّ الرِّيحُ عَاصِفَةً عَلَيْهِ . وَيَرَعَى حَوْلَهُ اللَّهُقُ النَّوَارُ
فَذَاكَ النَّأْيُ لَا الْهَجْرَانُ حَوْلًا . وَحَوْلًا ثُمَّ تَجْمَعُنَا الدِّيَارُ

ليلي الأخيلية

وهذا نظير قول ليلي الأخيلية :

لَعَمْرُكَ مَا الْهَجْرَانُ أَنْ تَشْطَطِ النَّوَى . وَلَكِنَّمَا الْهَجْرَانُ مَا غَيَّبَ الْقَبْرُ

للخنساء

ونظيره قول خنساء :

نَأْيُ الْحَلِيلَيْنِ كَوْنُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا . هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا رِمَا

لبعض الشعراء

وأنشد الآخر :

إِذَا مَا الْمَنَايَا أُنْخَطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ . حَبِيكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

عمر وأعرابي
بالجبانة

الرياشي قال : مرَّ عمر بن الخطاب بالجبانة فإذا هو بأعرابي ، فقال : ما تصنع هنا يا أعرابي في هذه الديار الموحشة ؟ قال : ودبعة لي ها هنا يا أمير المؤمنين . قال : وما وديعتك ؟ قال : بُنِيَّ لي دفنته ، فأما أخرج إليه كل يوم أندبه . قال : فاندبه حتى أسمع . فأنشأ يقول :

يَا غَائِبًا مَا يُوُوبُ مِنْ سَفَرِهِ . عَاجِلُهُ مَوْتُهُ عَلَى صِغَرِهِ

يَا قَرَّةَ الْعَيْنِ كُنْتَ لِي سَكْنًا هـ فِي طَوْلِ لَيْلِي نَعْمَ وَفِي قِصَرِهِ
شَرِبْتُ كَأَسَا أَبُوكَ شَارِبُهَا هـ لَا بُدَّ يَوْمًا لَهُ عَلَى كِبَرِهِ
يَشْرَبُهَا وَالْأَنَامُ كُلُّهُمْ هـ مَنْ كَانَ فِي بَدْوِهِ وَفِي حَضَرِهِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ هـ الْمَوْتُ فِي حُكْمِهِ وَفِي قَدْرِهِ
قَدْ قَسَمَ الْعَمْرُ^(١) فِي الْعِبَادِ فَا هـ يَقْدِرُ خَلْقُ يَزِيدُ فِي عُمرِهِ هـ

قولهم في المدح

ذكر أعرابي قوما عبادا، فقال : تركوا والله النعيم لينعموا ؛ لهم عبارات
متدافعة ، وزفرات متتابعة ، لا ترام إلا في وجه وجهه عند الله .

وذكر أعرابي قوما فقال : أدبهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ؛ فلم تغرهم
السلامة المنظوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويغ الذي به قطع الناس مسافة
آجالهم ؛ فدلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالوجد^(٢) فأحسنوا المقال ،
وشفعوه بالفعال .

وستل أعرابي عن قوم فقال : كانوا إذا اصطموا سفرت بينهم السهام ؛
وإذا تصالحوا بالسيوف ففرت المنايا أفواهاها ؛ قرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه ،
وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم ؛ إنما قومي البحر . ما ألقمته التقم .

وذكر أعرابي قوما فقال : ما رأيت أسرع [منهم] إلى داع بلبل على فرس
حسيب وجل نجيب . ثم لا ينتظر الأول السابق الآخر اللاعن .

وذكر أعرابي قوما فقال : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم . فالخير بهم
زائد ، والمعروف لهم شاهد ؛ فيعطونها بطيبة أنفسهم إذا طلبت إليهم . ويياشرون
المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغِيَ لديهم .

وذكر أعرابي قوما فقال : والله ما أنالوا شيئا بأطراف أناملهم إلا وطنناه

(١) في بعض الأصول : الموت .

(٢) الوجد : الغنى والسعة .

بأشخاص أقدامنا ؛ وإن أقصى ممهم لأدنى فعالتنا .

وذكر أعرابي أميرا فقال : إذا ولي لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيون
على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالحسن راج والمسيء خائف .
ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلني زماما
من أزمتهك تجزبه الأعداء ، فإن مسعر حرب ، ورَكاب نُجَب ، شديد على الأعداء
لين على الأصدقاء ؛ منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، نومي غرار ، قد غَدَتْنِي
الحرب بأفوايقها ، وحلبت الدهر أشطره ؛ ولا تمنعك مني الدمامة ؛ فإن من
تحتها شهامة .

وذكر أعرابي رجلا براءة المنطق فقال : كان والله بارع المنطق ، جزل
الألفاظ ، عرقى اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشي الكلام ، بليغ الريق ،
قليل الحركات ، ساكن الإشارات .

وذكر أعرابي رجلا فقال : رأيت له حلما وأناة ، يحدثك الحديث على
مقاطعه ، ينشدك الشعر على مدارجه ، فلا تسمع له لحنا ولا إحالة .

العتبي قال : ذكر أعرابي قوما ، فقال : آلت سيوفهم ألا تقضى
دينا عليهم ، ولا تضيّع حقهم ، فما أخذ منهم مردود إليهم ، وما أخذوا
مترك لهم .

ومدح أعرابي رجلا ، فقال : ما رأيت عينا قط أخرج لظلمة الليل من عينه
ولحظة أشبه بلهب النار من لحظته ؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة
بجرأة الليث إذا غضب .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان المهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ؛
لم أر أحدا أرتق لخلل الرأي منه ، بعيد مسافة العقل ومراد الطرف ، إنما يرى
بهمته حيث أشار الكرم .

ومدح أعرابي رجلا فقال : ذاك والله فيج النسب ، مستحكم الأدب ، من
أى أقطاره أتيت انتهى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، آمراً بإرشاد ،
وناهياً عن فساد ، لحديث السوء غير منقاد .

وقال أعرابي : إن فلاناً « نعم » للسانه قبل أن يخلق لسانه لها : فما تراه الدهر
إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج ؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه
المذنب . وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسمى .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : اشتري والله عرضته من الأذى ؛ فلو كانت
الدنيا له فأنفقها لرأى بعدها عليه حقاً ، وكان منهاجاً للأمور المشككة إذا تناجز
الناس باللائمة .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : كان والله يغسل من العار وجوها مسودة ،
ويفتح من الرأي عبونا منسدة .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : ذاك والله ينفع سلبه ولا يستمر ظلمه ؛ إن قال
فعل ، وإن ولي عدل .

ومدح أعرابي رجلاً فقال : ذاك والله يعنى في طلب المكارم ، غير ضالٍّ
في مسالك طرقها ، ولا مُشْتَغَل عنها بغيرها .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : يفوق^(١) الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم
من الرمية . فما أصاب قتل . وما أخطأ أشوى ، وما عطف له سهم منذ تحرك
لسانه في فيه .

وذكر أعرابي أخاه فقال : كان والله ركوباً للأهوال ، غير ألوف لربات
الحِجَال ؛ إذا أرعد القوم من غير كز^(٢) ، يهين نفساً كريمة على قومها ، غير
مبقية لغد ما في يومها .

ومدح رجل رجلاً فقال : كأن الألسن رِيضت فما تنعقد إلا على ودّه ،
ولا تنطق إلا بثنائه .

(١) في بعض الأصول : يسدد .

(٢) في بعض الأصول : قر .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصولا ، وللإمال بَذولا ، وكان
الوفاء بهما عليه كفيلا ، فمن فاضله كان مفضولا .

وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ قال : التباعد من حشو الكلام ، والدلالة
بالقليل على الكثير .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كان والله من شجر لا يخلف ثمره ، ومن بحر
لا يخاف كدره .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك والله قتي زانه الله بالخير ناشئا ، فأحسن
لبسه ، وزين به نفسه .

ومدح أعرابي رجلا فقال : يصم أذنيه عن استماع الحنا ، ويخرس لسانه
عن التكلم به : فهو الماء الشريب ، والمصقع الخطيب .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رجل سبق إلى معروفه قبل طلبي إليه ،
فالعرض وافر ، والوجه بمائه ؛ وما أستقل بنعمة إلا أتقنت^(١) بأخرى .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك رضيع الجود والمفطوم به ، عَيَّ^(٢) عن
الفحشاء ، معتصم بالنقوى ؛ إذا خرس^(٣) الألسن عن الرأي حذف بالصواب
كما يحذف الأرنب ؛ فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام
القوم سابقا .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن جليسه لطيب عشرته أطرب من الإبل على
الحداء ، والثل على الغناء .

وذكر أعرابي رجلا فقال : كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه
كذب ، كأنه الوبل عند الخبل .

(١) في بعض الأصول : أتقنت .

(٢) في بعض الأصول : عقيم .

(٣) في بعض الأصول : حذف .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما رأيت أعشق للبعروف منه ، وما رأيت
المنكر أبغض لأحد منه ^(١) .

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بني برمك ، فقيل له : كيف رأيتهم ؟ قال :
رأيتهم قد أنست بهم النعمة كأنها من بناتهم ^(٢) .

قال : وذكر أعرابي رجلاً فقال : ما زال يبنى المجد ، ويشترى الحمد ، حتى
بلغ منه الجهد .

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلاً أن يقول المادح بخلاف
ما يعرف من الممدوح ، وإنى والله ما رأيت أعشق للكارم في زمان اللوم
منك . ثم أنشد :

١٠ مالى أرى أبوابهم مهجورة • وكأن بابك يجمع الأسواق
حأبوك أم هأبوك أم شاه والندى • يديك فاجتمعوا من الآفاق
إنى رأيته لك للكارم عاشقاً • والمكرّمات قليلة العشاق
وأنشد أعرابي في مثل هذا المعنى :

لبعض الشعراء

١٥ بَنَيْتُ الْمَكَارِمَ وَسَطَ بَيْتِكَ يَتَّهَا ^(٣) • فَيَلَاذُهَا بَكَ لِلصَّدِيقِ مُبَاحٌ
وَإِذَا الْمَكَارِمُ أَغْلَقَتْ أَبْوَابَهَا • يَوْمًا فَأَنْتَ لِقُفْلِهَا مِفْتَاحٌ
وأنشد أعرابي في بني المهلب :

لشاعر في بني
المهلب

قَدِمْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا • قَصِيًّا بَعِيدَ الدَّارِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِّ
فَمَا زَالَ بِي لِطَافُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ • وَيَرْمِي حَتَّى حَسْبَتَهُمْ أَهْلِي

لأعرابي في مثله وأنشد أعرابي :

٢٠ كَأَنَّكَ فِي الْكِتَابِ وَجَدْتَ لَاءً • مُحَزَمَةً عَلَيْكَ فَا تَحَلُّ

(١) في بعض الأصول : • بغضه • .

(٢) في بعض الأصول : • ثيابهم • .

(٣) في بعض الأصول : • كهفها • .

وما تدرى إذا أعطيت مالا • أن تكثر من سماحك أم تقل
إذا دخل الشتاء فأنت شمس • وإن دخل المصيف فأنت ظل

لشاعر في عمر
ابن عبد العزيز

وقال أعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز :

مُقابل الأعراق في الطاب الطاب • بين أبي العاص وآل الخطاب

لشاعر

وأنشد أعرابي :

لنا جَوَادُ أَعَارَ النَّبِلَ نائله • والنَّيْلَ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةَ النَّبِلِ
إن بارز الشمس ألقى الشمس مُطْلَبَةً • أوزاحم الصُّمَّ أَلْجَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ تَأْتِيهِ مُشْكَلَةٌ • وعند إِمضَائِهِ أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ
والموتُ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى مِنْتَهُ • في شدة عند لَفِّ الخَيْلِ بِالْخَيْلِ

قولهم في الذم

١٠

الأصمعي قال : ذكر أعرابي قوما فقال : أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ
بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ وَجُوهُهُمْ بِاللُّزْمِ : لِبَاسِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَزَادَهُمْ إِلَى
الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ .

قال : وذكر أعرابي قوما فقال : لهم بيوت تُدْخَلُ حُبُورًا إِلَى غَيْرِ نِمَارِقٍ
وَلَا وَسَائِدَ ، فَصُحُّ الْأَلْسِنِ بِرَدِّ السَّائِلِ : جُعِدَ الْكَافُ عَنِ النَّائِلِ .

١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول : لقد صَغُرَ فَلَانًا فِي عَيْنِي عَظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ،
وَكُنَّا نَرَى السَّائِلَ إِذَا أَنَاهُ ، مَلَأَكَ الْمَوْتُ إِذَا رَأَاهُ .

وسئل أعرابي عن رجل ، فقال : ما ظنكم بِسَكِيرٍ لَا يَفِيْقُ ، يَتَمُّ الصَّدِيقُ ،
وَيَعْصِي الشَّفِيقُ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرَمْتُ فِيهِ الصَّلَاةَ ، وَلَوْ أَفْلَتَتْ كَلِمَةٌ
سِوَهُ لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَهًا ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةُ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ .

٢٠

وذكر أعرابي قوما فقال : أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجزما
على أصدقائهم ! يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : إن فلانا ليعدي يائمه من تسمى باسمه ، وإن خيبي فلرب باقية قد ضاعت في طلب رجل كريم .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده يُدور الآثام ، مُعِدِمٌ مما تُحب ، مُثَرٌّ^(١) مما تكره . وصاحب السوء قطعة من النار

وقال أعرابي لرجل : أنت والله عن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوف ، وإذا حدث حلف ، وإذا وعد أخلف ؛ تنظر نظر حسود ، وتعرض إعراض حقود . وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لما سئل عن سفره : ما رجنا في سفرنا إلا ما قصرنا من صلاتنا ؛ فأما الذي لقينا من الهواجر ، ولقيت منا إلا باعراً ، فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا . ثم أنشأ يقول :

رجعنا سالمين كما خرجنا • وما خابت سرية سالمينا

لشاعر في الهجاء . وقال أعرابي :

لما رأيتك لا فاجراً • قوياً ولا أنت بالزاهد

ولا أنت بالرجل المتقى • ولا أنت بالرجل العابد

عرضتك في السوق سوق الرقيق • وناديتُ هل فيك من زائد

على رجلٍ خان وذو الصديق^(٢) • كغفورٍ بأنعمه جاحد

فما جاءني رجل واحد • يزيد على درهم واحد

سوى رجلٍ زادني دانقاً • ولم يك في ذاك بالجاهد

فيمتلك منه بلا شاهد • بخافة ردك بالشاهد

وأبت إلى منزلي غائماً • وحلّ البلاء على الناقد

قال : وذكر أعرابي رجلاً ، قال : كان إذا رأني قرب من حاجب حاجبا ، فأقول له : لا تُقبِّح وجهك إلى قُبْحه ، فوالله ما أتيتك لطمع راغباً ، ولا لخوف راهباً .

لبعض الأعراب

(١) في بعض الأصول : مكتر . .

(٢) في بعض الأصول : خائن للصديق . .

وذم أعرابي رجلا فقال : عبد الفعال ، حر المقال ؛ عظيم الرواق ، ذى الأخلاق ؛ الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه .

وذم أعرابي رجلا فقال : ضيق الصدر ، صغير القدر ، عظيم الكبر ، قصير الشبر ، لثيم النَجْر ، كثير الفخر .

٥ وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد ؛ إقبالُ حظهم إقبالُ حظ الكرام ، شجرُ أصوله عند فروعه ، شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك يتيم " ، أعيا ما يكون عند جلسائه أبلغ ما يكون عند نفسه .

١٠ وذكر أعرابي رجلا فقال : ذلك إلى من يداوى عقله من الجهل ، أحوج منه إلى من يداوى بدنه من المرض ؛ إنه لا مرض أوجع من قلة عقل .

وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثأره ، فقال : كيف يدرك بثأره من في صدره من اللؤم حشو مرفقته ؛ ولو دُقَّت بوجهه الحجارة لرثها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها .

١٥ وذكر أعرابي رجلا فقال : تسهر والله زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعاً ؛ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت ، ونكحت ما وجدت .

٢٠ وسمع أعرابي رجلا يزعم ، فقال : ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم ، ولست بواحد منهما ؛ وأراك يخف عليك ثقل الذنوب فيحسن عندك مقايح العيوب . وذكر أعرابي رجلا بضعف فقال : سيئ الروية ، قليل الثقة ، كثير السعاية ، ضعيف النكايه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه ؛ وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال .

وذكر أعرابي رجلا بذلة فقال : عاش خاملا ومات موتورا .

وذكر قوما فقال : ألبسوا نعمة ثم عروا منها فقال : ما كانت النعمة إلا طيفا لما انتبهوا لها ذهبت عنهم .

وذم أعرابي رجلا فقال : هو كعبد القين يسرك شاهدا ويسوءك غائبا .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : أمكن الله منك عدوا حسودا ، وجفع بك صديقا ودودا ؛ وسلط عليك همتا بضنيك ، وجاراً يؤذيك .

وقال أعرابي لرجل شريف البيت دنى الهمة : ما أحوجك أن يكون عرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن حدثته يسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكنت عنه أخذ في الترهات .

وذكر أعرابي أميرا فقال : يصل النشوة ، ويقضى بالعشوة ، ويقبل الرشوة .

وذكر أعرابي رجلا راكبا هواه ، فقال : والله لو أسرع^(١) إلى مايهواه ، من الأسن^(٢) إلى راكد المياه ، أقره ذلك أو أغناه .

وقال أعرابي : ليت فلانا أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطيئة ؛ ولكن من لم تحمكه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالذم إلى من يستوجب المدح .

وقال أعرابي لرجل : هل أنت إلا أنت لم تغير ! ولو كنت من حديد وضعت على أتون محمي لم تذب .

وسمعت أعرابيا يقول لأخيه : قد كنت نهيتك أن تدنس عرضك بعرض فلان ، وأعلبتك أنه سمين المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصير عمر الغنى ، طويل عمر الفقر .

أقبل أعرابي إلى سوار فلم يصادف عنده ما أحب ، فقال فيه :

رأيت لي رؤيا وعبرتها . وكنت للأحلام عبّارا

(١) في بعض الأصول : أقصد .

(٢) في بعض الأصول : الطرق .

بَأْتِي أَخِيضُ فِي لَيْلَتِي • كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَارًا

وقال أعرابي في ابن عم له يسمى زيادا :

مَنْ يُبَادِلُنِي قَرِيبًا • يَبْعِدُ مِنْ إِيَادِي ؟

مَنْ يُقَادِرُ، مِنْ يُطَافِسُ • مَنْ يُنَادِلُ بَرِيَادِي

وقال سعيد بن سلم الباهلي : مدحني أعرابي ، فاستبطن الثواب فقال :

لِكُلِّ أَخِي مَدْحٌ ثَوَابٌ يُعِدُّهُ • وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ

مَدَحْتُ سَعِيدًا وَالمَدِيحَ مَهْزَةً • فَكَانَ كَصَفْوَانٍ ، عَلَيْهِ تُرَابٌ

وقال أيضا :

وإِنَّ مِنْ غَايَةِ حَرْصِ الْفَتَى • طِلَابَهُ الْمَعْرُوفَ فِي بَاهِلِهِ

كَبِيرُهُمْ وَغَدٌّ وَمَوْلَاؤُهُمْ • تَلْعَنُهُ فِي قُبْعِهِ الْقَالِيلَهُ

وقال أيضا :

سَبَّكَاهُ وَنَحَسَبَهُ لُجَيْنًا • فَأَبْدَى الْكَبِيرُ مِنْ خُبْثِ الْحَدِيدِ

وقال فيه :

لَمَّا رَأَانَا فَرَّ بَوَّابُهُ • وَأَتَسَدَّ مِنْ غَيْرِ يَدٍ بِأَبِهِ

وَعِنْدَهُ مِنْ مَقْتِهِ حَاجِبٌ • يَحْجِبُهُ إِنْ غَابَ حُجَّابُهُ

دخل أعرابي على المساور بن هند وهو على الرمي ، فلم يعطه شيئا : فخرج في هباء المساور

وهو يقول :

أَتَيْتُ الْمَسَاوِرَ فِي حَاجَةٍ • فَذَا زَالَ يَسْأَلُ حَتَّى ضَرِطَ

وَحَكَّ قَفَاهُ بِكُرْسُوعِهِ • وَمَسَحَ عَشْوَتَهُ وَامْتَنَحَ

فَأَمْسَكَتُ عَنْ حَاجَتِي خِيفَةً • لِأُخْرَى تُقَطِّعُ شَرْجَ السَّفَطِ

فَأَقْسَمُ لَوْ عُدْتُ فِي حَاجَتِي • لِلطَّائِحِ بِالسَّائِحِ وَتَجِ النَّمَطِ

وقال غلطنا بحساب الخراج • فقأت من الضرط جاء الغلط

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغلط . حتى هرب من غير

عزل إلى بلاد أصبهان .

في رجل قصير أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :

يكادُ خليلي من تقاربِ شخصِهِ • يعضُّ القرادُ أسنَّتَهُ وهو قائِمُ

وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : ترخى ذيلها على عرقوبِي نعاماً ، ونسدت خمارها على وجه كالجمالة .

لبعض الأعراب العنبي قال : سمعت أعرابياً يقول : لا ترك الله محناً في سُلامَى ناقة حملتني إليك وللدأعي عليها أحق بالدعاء عليه ؛ إذ كلفها المسير إليك .

وقال أعرابي لابن الزبير لا بُوركت ناقةٌ حملتني إليك . قال : إنَّ وصاحبها قوله : إنَّ ، يريد « نعم » . قال قيس الرقيات :

وتقولُ شَيْبٌ قد علا • كَ وقد كبرتَ فقلتُ إنه

يريد : نعم .

وذكر أعرابي رجلاً ، فقال : لا يؤنس جاراً ، ولا يؤهل داراً ، ولا يُثَقِّبُ ^(١) ناراً .

وسأل أعرابي رجلاً فخرمه ، فقال له أخوه : نزلت والله بوادٍ غيرٍ ممطور ، وبرجلٍ غيرٍ مبرور ^(٢) ؛ فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ؛ فلما خرجت سلت عنها ، فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلاً ؛ كأن بطنها قرية ، وكأن ثديها دبة ، وكأن استها رُقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نقش عِفْرِيَّتَهُ يقاتل ديكاً .

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنك لمشرقة الأذنين ، جاحظة

العينين ، ذات خلق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبت بطرت ، وإن جعت صحت ، وإن رأيت حسناً دفتيه ، وإن رأيت سيئاً أذعته ؛ تكرمين من حقرتك ، وتحقرين من أكرمك .

(١) في بعض الأصول : « يبعث » .

(٢) في بعض الأصول : « مسرور » .

في هجاء امرأة

وهجا أعرابي امرأته فقال :

يَا بَكْرُ حَوَاءَ مِنَ الْأَوْلَادِ • وَأُمُّ آلَافٍ مِنَ الْعِبَادِ
عُرُكُ مَمْدُودٌ إِلَى التَّنَادِي • لِحَدِيثِنَا بِحَدِيثِ عَادِ
وَالْعَهْدِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْاَوْتَادِ • يَا أَقْدَمَ الْعَالَمِ فِي الْمِيلَادِ
إِنِّي مِنْ شَخْصِكَ فِي جِهَادِ

٥

وقال أعرابي في امرأة تزوجها ، وقد خطبها شابة طرية ودسوا إليه عجوزاً :

في عجوز

عَجُوزٌ تُرَجِّي أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً • وَقَدْ تَحُلُ الْجُنْبَانَ وَآحِدَوْدَبَ الظَّهْرِ
تَدْسُ إِلَى الْعِطَارِ سَلْعَةً^(١) أَهْلِهَا • وَهَلْ يُصْلِحُ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الْدَهْرُ
تَزَوَّجْتُهَا قَبْلَ الْحَقِّ^(٢) بَلِيلَةً • فَكَانَ مُحَاقًا كُلَّهُ ذَلِكَ الشَّهْرُ
وَمَا غَزَنِي إِلَّا خِضَابٌ بِكَفِّهَا • وَكُلُّ بَعِينِيهَا وَأَنْوَابِهَا الصُّفْرُ

١٠

وقال فيها :

وَلَا تَسْتَطِيعُ التَّكْحُلَ مِنْ ضَيْقِ عَيْنِي • فَإِنْ عَاجَلْتَنِي صَارَ فَوْقَ الْحَاجِرِ
وَفِي حَاجِيهَا حَزَّةٌ كَفَرَارَةٍ • فَإِنْ حُلِقْنَا كَانَا ثَلَاثَ غَرَائِرِ
وَقَدَيَانِ أَمَّا وَاحِدٌ فَهُوَ مِرْوَدٌ • وَآخَرُ فِيهِ قَرْبَةٌ لِلْبَسَافِرِ

وقال فيها :

١٥

لَهَا جِسْمٌ بُرْغوثٌ وَسَاقًا بِعَوْضَةٍ • وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الْقَرْدِ بَلْ هُوَ أَقْبَحُ
وَتَبْرِقُ عَيْنَاهَا إِذَا مَارَأَتْهَا • وَتَعْبِسُ فِي وَجْهِ الضَّجِيعِ وَتَكْلَحُ
لَهَا مَضْحَكٌ كَالْحَشِّ تَحْسَبُ أَنَّهَا • إِذَا ضَحَكَتْ فِي أَوْجْهِ الْقَوْمِ تَسْلَحُ
وَتَفْتَحُ - لَا كَانَتْ - فَمَا لَوْرَائِتِهِ • تَوْهَمَتَهُ بَابًا مِنْ النَّارِ يُفْتَحُ
إِذَا عَاينَ الشَّيْطَانَ صُورَةَ وَجْهَهَا • تَعُوذُ مِنْهَا حِينَ يُمَسَّى وَيُصْبَحُ

٢٠

(١) في بعض الأصول : د ميرة .

(٢) في بعض الأصول : د الهلال .

في سوداء وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحل في مِرْوِدِها * تَكْحَل عَيْنُهَا ببعض جلدِها

وقال فيها :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعدة

لاشك إذ لونُكا واحدٌ * أنكا من طينة واحدة

٥

لكتير في نميب وقال كُتير في نصيب بن رباح ، وكان أسود :

رأيت أبا الحِجَاء في الناس حائراً * ولون أبي الحِجَاء لون البهائم

تراه على ملاحه من سَوَادِهِ * وإن كان مظلوماً له وجه ظالم

أعرابي وعامل وقال رجل من العمال لأعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة ؟

فقال له : فإن عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة ؟ قال : نعم . قال :

إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تُضَيِّع

قال : صدقت ، هات مسألتك ؟ قال له : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك ؟

١٥

قولهم في الغزل

لبعض الأعراب ذكر أعرابي امرأة فقال : لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل

عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها

وما نقص منه .

٢٠ وقال أعرابي في امرأة ودعها للسير : والله ما رأيت دمنة تفرق من عين

يأتمد على دياجة خد ، أحسن من عبرة أطرنتها عينيها فأعشب لها قلبي .

قال : سمعت أعرابيا يقول : إن لي قلباً مَرَوْعا ، وعيناً دَمَوْعا ؛ فإذا يصنع

كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داهما ، دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟

وقال أعرابي : دخلت البصرة ، فرأيت أعينا دُججا ، وحواجب زُججا ، يسحب
التياب ، ويسلبن الألباب .

وذكر أعرابي امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزنها القمر ، فلما غاب أرتبته ،
قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ^(١) ما أحل الله مما حرم الإشارة بغير
باس ، والتقرب من غير مساس . ٥

وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .
قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفظام النفس
عن الصبا ؛ ولقد تقطعت كبدى للعاشقين . لوم العاذلين قرطه في آذانهم ،
ولوعات الحب جبرات على أبدانهم ^(٢) ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني .
وذكر أعرابي امرأة فقال : لقد نعمت عينٌ نظرت إليها ، وشق قلب تفجع ١٠
عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بي طرفها ، ويتجهمني لسانها .
قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إني ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ،
فأجد لذكرها ريح المسك .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق ١٥
كأعناق البعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة
تعلق ، وكم أسير لمن وكم مطلق .

قال : وسمعت أعرابيا يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس ^(٣) الشام ؛ والحريص
جاحد ، والمُضِل ناشد ؛ ولو خضت إليها النار ما ألتها ^(٤) .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الهوى هوان ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف ٢٠
من يقول ، من أبكته المنازل والطلول .

(١) في بعض الأصول : « أعذب » .

(٢) في بعض الأصول : « نيران في أبدانهم » .

(٣) في بعض الأصول : « أطوار » .

(٤) في بعض الأصول : « الملتها » .

وقال أعرابي : كنت في شبابي أعضّ على الملام ، عضّ الجواد على اللجام ،
حتى أخذ الشيب بعنان شبابي .

وذكر أعرابي امرأة فقال : إن لسانى لذكرها لندلول ، وإن حبها لقلبي
لقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

• وصف أعرابي نساء يلاغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع
بالقلب من الوبل بالملح : فروعهنّ أحسن من فروع النخل .

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذئقاء ، ومعها صبي يبكي : فكلما
بكى قبلته : فأنشأ يقول :

ياليثني كنت صبياً مُرضعاً . تحملى الذئقاء حوْلاً أكتعاً

١٠ إذا بكيتُ قبلتى أربعا . فلا أزال الدهر أبكى أجمعا

وأشيد أبو الحسن علي بن عبد العزيز بمكة لأعرابي :

جارية في سَقَوَانِ دارها . تمشي الهوينا مائلاً خمارها

قد أعصرت أوقدنا أعصارها . يطير من غُلَّتِها إزارها

العتي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء ، فقال : تبسم عن تحش اللثات ،

١٥ كأفاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه .

وقال العتي : خرجت ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها : فزال

أصدع الليل حتى أنصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم ، فجعلت أغازلها ، فقالت :

يا هذا ، أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله

ما يرانى إلا الكواكب . قالت : فأين مكوكبها .

٢٠ ذكر أعرابي امرأة فقال : هي السقم الذي لا بُره معه ، والبره الذي لا سقم

معه ؛ وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما .

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأتم :

بَصْرِيَّةٌ لم تُبهر العينُ مثلها . غدت بيضاء في ثياب سوادٍ

غَدَوْتُ إِلَى الصَّحراءِ تَبْكِينَ هَالِكًا • فَأَهْلَكْتَ حَيًّا ، كُنْتَ أَشَامَ عَادٍ ۖ
فِيَارِبُ خُذْ لِي رِخَةً مِنْ قُوَادِمِهَا • وَحُلْ بَيْنَ عَيْلِيهَا وَبَيْنَ قُوَادِي
وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ وَدَّعَهَا :

مَالَتْ مُوَدَّعِي وَالسَّمْعُ يَمْلُبُهَا • كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالنَّصْنِ
ثُمَّ آسَمَرْتُ وَقَالَتَ وَهِيَ بَاكِبَةٌ • يَا لَيْتَ مَعْرِقِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنِ
الْعَتِي قَالَ : أَنْشُدْ أَعْرَابِي :

يَا زَيْنَ مَنْ وَلَدَتْ حَوَاءَ مِنْ وَلَدِ • لَوْلَاكَ لَمْ تَحْسُنِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَطِبِ
أَنْتِ الَّتِي مِنْ أَرَاهُ اللَّهُ صُورَتَهَا • نَالَ الْخُلُودَ فَلَمْ يَهْرَمْ وَلَمْ يَشِبْ
وَأَنْشُدِ الرِّيَاشِي لَأَعْرَابِي :

مِنْ دِمْنَةٍ خُلِقْتَ عَيْنَاكَ فِي هَيْئَةٍ • فَمَا يُرَدُّ الْبُكَاءُ جَهْلًا مِنَ الدَّمَنِ ۱٠
مَا كُنْتَ لِلْقَلْبِ إِلَّا فِتْنَةً عَرَضَتْ • يَا حَبِذَا أَنْتِ مِنْ مَعْرُوضَةِ الْقَيْنِ
تَسَى سَلَمِي وَأَجْزِيهَا بِهِ حَسَنًا • فَمَنْ سِوَايَ يُجَاوِزِي السُّوءَ بِالْحَسَنِ
قَالَ وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيَا يَصِفُ امْرَأَةً : فَقَالَ : يَبْضَاءُ جَعْدَةً ، لَا يَمَسُّ الثَّوْبُ
مِنْهَا إِلَّا مُشَاشَةً كَكَنْفِهَا ، وَحَلَّتْ يَدَيَّهَا ، وَرَضَفَتِي رَكْبَتَيْهَا ، وَرَانِفَتِي
أَلَيْتِيهَا . وَأَنْشُد : ١٥

أَبَتْ الرُّوَادِفُ وَالْثُدَيُّ لِقَمَصِهَا • مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهْرًا
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاجَحَتْ • نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهِنْ غَيُورًا
وَقَالَ أَعْرَابِي : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَظِي مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ يَرْتُهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبِضَ لِبَاسُ الْأَعْرَابِ
الْأَلِيلُ بَصْرَى دُونَهَا ؛ وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي مِنَ الظَّمَا .
وَذَكَرَ أَعْرَابِي أَمْرًا فَقَالَ : تِلْكَ شَمْسٌ بَاهَتْ الْأَرْضَ شَمْسَ سَمَائِهَا ، وَلَيْسَ لِي ٢٠
شَفِيعٌ فِي اقْتِضَائِهَا ، وَإِنْ نَفْسِي لَكُنْتُ لَدَائِهَا ، وَلَكِنهَا تَقْبِضُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا .
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى حَبِيبٌ فَقَالَ :

وَيَا شَمْسَ أَرْضِيهَا الَّتِي تَمُورُهَا • فَبَاهَتْ بِهَا الْأَرْضُ شَمْسَ سَمَائِهَا

شكوتُ وما الشكوى لِثُلِيَّ عَادَةٍ . ولكنْ تَفِيضُ النَّفْسِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا
وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :
نعم ، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة ؛ إن أطمعته شيئاً أحبها ، وإلا فلا :
كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حَوَلاً ، ويفرح إن رأى مَنْ رآها ، وإن
ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا للأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ،
وبعدها وتعهده فإذا اجتمعا لم يشكوا حباً ، ولم ينشدا شعراً ، ولكن يرفع رجلها
ويطلب الولد .

وقال أعرابي :

شكوتُ ! فقالت : كلُّ هذا تَبَرُّماً . يَحْيَى ! أراح الله قلبَكَ من حُبِّي
فلما كنتُ الحبَّ قالت : لَشَدِّماً . صَبَرْتُ ! وما هذا بفعلٍ شجِي القلبِ !
وأذنو فتَقَصَّيْنِي ، فَأَبْعَدُ طَالِباً . رِضاها ، فتَعْتَدُ التَّبَاعِدَ من ذَنْبِي
فشكواي تَوْذِيها ، وصبري يَسُوءُها * وتَجْرُعُ من بُعْدِي ، وتَنْفِرُ من قُرْبِي
فيا قوم هل من حيلةٍ تَعْلَوْنَهَا . أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربِّي

قولهم في الخيل

بعض الأعراب الأصمعي قال : سمعتُ أعرابياً يقول : خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع ،
كَأَنَّ هَوَادِيَهَا أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وفرسانها أسودُ آجام .

أخذ هذا المعنى عدى بن الرقاع فقال :

يَخْرُجْنَ من فُرْجَاتِ النَّقْعِ دَائِمَةً * كَأَنَّ أَذَانَهُنَّ أَطْرَافُ أَقْلَامٍ
وقال أعرابي : خرجنا حفاةً حين انتعل كلُّ شيءٍ بظِلِّهِ ، وما زادنا إلا التوكل
ولا مطايانا إلا الأرجل ؛ حتى لحقنا القوم .

وذكر أعرابي فرساً وسرعته ؛ فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطاناً في
أشطان ، فلما أُرْسِلَتْ لمع لمع البرق ؛ فكان أقربها إليه الذي تقع عينه [من
بُعْدٍ] عليه .

وقال أعرابي في فرس الأعور السلي :
 ٥

مرّ كلّ مع البرق سام ناظره • يسبح أولاه ويطفئ آخره

فما يمس الأرض منه حافره

سئل أعرابي عن سوابق الخيل ، فقال : الذي إذا مشى ردّى ، وإذا عدادها ؛

وإذا استقبل ألقى ، وإذا استدبر جي^(١) ، وإذا اعترض استوى .

وذكر أعرابي خيلا ؛ فقال : والله ما انحدرت في وادٍ إلا ملأت بطنه ،

ولا ركبت بطن جبل إلا أسهلت حزنه .

وقال أعرابي : خرجت على فرس يخال اختيال الشوان ، فسوف للحزام ؛

مهادش للجام ؛ فما متع النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة .

قولهم في الغيث

١٠

الاصمعي قال : قلت لأعرابي : أي الناس أوصف الغيث ؟ قال : الذي

لامرئ القيس
وعبيد بن
الأبرص

يقول - يعني امرأ القيس - :

ديمّة هطلاء فيها وطف • طبق الأرض تحرى وتدّر

قلت : فبعده من ؟ قال : الذي يقول - يعني عبيد بن الأبرص - :

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه • في عارض مكفهر المزن دلاج

دان مسف فوبق الأرض هيدبه • يكاد يدفعه من قام بالراج

١٥

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتك سماء في وجهك

سليمان وأعرابي

يا أعرابي ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سخاء^(٢) طخياء وطفاء ؛ كأن

هوادها الدلاء ، مرجحة النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛

كثير زجلها ، قاصف رعدا ، خاطف برقها ، حثيث ودقها ، بطي سيرها ؛

٢٠

مُشعجِر قطرها ، مظلم نوزها ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصوله

(١) في بعض الأصول : جنا .

(٢) في بعض الأصول : سماء .

بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ؛ فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بمضاهِ الشجر ،
وتعلقنا بقنن الجبال ، لكنا جُفَاء في بعض الأودية ولقَم الطريق ، فأطال الله للأمة
بقاءك ، ونسألهافي أجلك ، فهذا بركتك وعادة الله بك على رعيته ، وصلى الله
على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أهلك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن
كانت محبرة لقد أجدت . قال : بل محبرة مزورة " يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام
أعطه : فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته .

قيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : قصور يبيض فى حدائق خضر .
وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : بيضة فى روضة غب سارية
والشمس مكبدة .

وقال أعرابي : لقد رأيت بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهي
تروع واللابس لها أروع .

الغني قال : سمعت أعرابيا يقول : مررت ببلد ألقى بها الصيفُ بعاغه ، فأظهر
غديراً يقصر الطرف عن أرجائه ، وقد نفت الريح القذى عن مائه : فكأنه سلاسل
درع ذات فضول .

وأشدد أبو عثمان الجاحظ لأعرابي :

شعر بعض
الأعراب

أين إخواننا على السراء . أين أهل القباب والدهناء
جاورنا والأرض مُلبسة نو . ر إقاح مجاذ بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد . تضحك الأرض من بكاء السماء

ابن عمران المخزومي قال : أتيت مع أبي واليا على المدينة من قريش ، وعنده

لابن مطير

أعرابي يقال له ابن مطير ، وإذا مطر جود ؛ فقال له الوالي : صفه ؛ فقال : دعني
أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم قال :

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه . فإذا تُحلب فاضت الأطباء

وله ربابٌ هَيْدَبٌ لَرِيقِهِ • قَبْلَ التَّبَعِ دِيمَةٌ وَطَفَاءُ
وَكَأَنَّ بَارِقُهُ حَرِيقٌ تَلْتَقِ • رِيحٌ عَلَيْهِ وَعَرْفَجٌ وَأَلَاءُ
وَكَأَنَّ رَيْقُهُ وَلَمَّا يَخْتَفِلُ • وَذُقِ السَّمَاءَ عَجَاجَةً طَخِيَاءُ
مُسْتَضْحِكٌ بِلَوَامِعٍ مُسْتَعْبِرٌ • بِمَدَامِغٍ لَمْ تُنْمِرْهَا الْأَقْدَاءُ
فَلَهُ بِلَا حَزَنٍ وَلَا بِمِسْرَةٍ • ضَحِكٌ يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ وَبُكَاءُ
حَيْرَانٍ مُتَّبِعٌ صَبَاهُ تَقْوَدُهُ • وَجَنُوبُهُ كَفٌ لَهُ وَرِهَاءُ
ثَقُلَتْ كُلُّهُ فَهَرَّتْ أَصْلَابُهُ • وَتَبَعَّتْ عَنْ مَائِهِ الْأَحْشَاءُ
غَدَقٌ تَبَعَّجَ بِالْأَبَاطِيجِ مُزَقَّتٌ • تِلْكَ الشُّيُولُ وَمَالُهَا أَشْلَاءُ
غُرٌّ مُحْجَلَةٌ دَوَالِجٌ خُصِمَتْ • خَمَلُ اللَّقَاجِ وَكُلُّهَا عَنَاءُ
مُحْمٌ فَهَنْ إِذَا عَبَسَتْ فَوَاحِمٌ • سَوْدٌ، وَهَنْ إِذَا ضَحِكَنْ وَضَاءُ
لَوْ كَانَ مِنْ لُجَجِ السَّوَاوِلِ مَائُهُ • لَمْ يَبْقَ فِي لُجَجِ السَّوَاوِلِ مَاءُ

قوله هشام بن عبد الملك لأعرابي: أخرج فانظر كيف ترى السحاب . نخرج
يفطر ، ثم انصرف فقال : سفائن ، وإن احتمعت فعين .

هشام وأعرابي
يصف له السحاب

قولهم في البلاغة والإيجاز

- ١٥ قيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أحسنهم لفظاً وأسرعهم يديهة .
الأصمعي قال : خطب رجل في نكاح فأكثر وطول ، فقيل : من يجيبه ؟
قال أعرابي : أنا . قيل له : أنت وذاك ؟ فالتفت إلى الخاطب فقال : إني والله
ما أنا من تخطيطك وتمطيطك في شيء . قد مَتَّ بجرمة ، وذكرت حقاً ، وعظمت
مرجواً ؛ فذلك موصول ، وفرضك مقبول ، وأنت لها كفء كريم ، وقد
أنكحناك وسلنا .

وتكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر ، فكان العُجب داخله ، وأعرابي إلى جنبه ،
فأقبل على الأعرابي فقال : ما تعمدون البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلة ^(١) الكلام

ربيعة الرأي
وأعرابي

(١) في بعض الأصول : حذف .

وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم !
فكأنما ألقمه حجرا .

شبيب وأعرابي شبيب بن شيبه قال : لقيت أعرابيا في طريق مكة ، فقال لي : تكتب ؟
قلت : نعم . قال : ومعك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كفه ، ثم
قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عجيل الطائي
لأُمِّهِ لَوْلُوَّة : إني أعتقك لوجه الله واقتحام العقبة ، فلا سبيل لي ولا لأحد
عليك إلا سبيل الولاء ، والملة علىّ وعليك من الله وحده ، ونحن في الحق سواء
ثم قال : آكتب شهادتك .

روى أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس ، فسمع عنده قارئاً يقرأ : ﴿ وَكُنْتُمْ
عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ : فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها
وهو يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب قيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قل : يكفيك من القلادة
ما أحاط بالعنق .

وقيل لأعرابي : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : نَعْمُ لَيْلَةٍ وَأَدِيمُ يَوْمٍ .
✓ وقال آخر : سوادُ ليلةٍ وبياضُ يومٍ .

✓ وقيل لأعرابي : كيف كتبتك للسرا ؟ قال : ما صدرى له إلا قَبْرٌ .

معاوية وأعرابية قال معاوية لأعرابية : هل من قِري ؟ قالت : نعم . قال : وما هو ؟ قالت :
خُبْزٌ خَمِيرٌ ، وَلَبَنٌ فَطِيرٌ ، وَمَاءٌ نَمِيرٌ .

✓ وقيل لأعرابي : فِيمَ كُتِمَ ؟ قال : كُنَّا بَيْنَ قِدْرٍ تَفُورُ ، وَكَأْسٍ تَدُورُ ،
وَحَدِيثٍ لَا يَحُورُ .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : شِدَّةَ الرِّعْدَةِ ، وَقِرْفَاءَ الْقِعْدَةِ ،
وَذَرْبَ الْمَعْدَةِ .

وقيل لأعرابي : مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث . قيل له : ما معناه ؟
قال : إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى !

وقال : أضل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى : فرفع رأسه
إليه متشكراً فقال : ما أدري ما أقول لك وما أقول فبك : أقول رفعتك الله !
فقد رفعتك : أم أقول : نورك الله ! فقد نورك : أم أقول : حسنك الله ! فقد
حسنك : أم أقول : عمرك الله ! فقد عمرك : ولكنني أقول : جعلني الله فداك !
وقيل لأعرابي : ما تقول في ابن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

وقيل لأعرابي وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعها : صف لنا ناقتك . قال :
ما طلبتُ عليها قط إلا أدركتُ ، وما طلبتُ إلا فُت . قيل له : فلم تبعها ؟ قال :
لقول الشاعر :

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ عاصِرٍ ٥ كرائِمَ من ربِّ يَهِنُ ضنينِ

وقيل لأعرابي : كيف ابك ؟ وكان به عاقا : قال : عذابٌ لا يقاومه الصبر ،
وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليقتني قد استودعته القبر .

قيل لشريح القاضي : هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابا ؟ قال ما أعلمه
إلا أن يكون أعرابيا خاسم عندي ويشير بيديه ، فقلت له : أمسك ، فإن لسانك
أطول من يدك ! قال :

أسامري أنت لا تُمس

وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : حُرُّ الوحش لا تحتاج
لبعض الأعراب إلى يطار .

وقال أعرابي يصف خاتما - فقال : سُيْفٌ تدوير حَلَقَتُهُ ، ودُورٌ كُرِمِي فُضْتُهُ ،
وأحْكَمُ تَرْكِيبُهُ ، وأَقْنَعُ تَدْبِيرُهُ ، فِيهِ يَتَمُّ الْمَلِكُ ، وَيَنْفُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ
ويشرف المكتوب إليه .

وقال آخر يصف خاتماً :

وأيضُ أَمَا جِسْمُهُ فَمُنَوَّرٌ ۚ وَأَمَا رَأْسُهُ فَمُعَارُ
وَلَمْ يُكُنْسَبْ إِلَّا لَتَسْكُنَ وَسَطُهُ ۚ بَزِيْعَةٌ رَأْسٍ مَا عَلَيْهِ خَمَارُ
لَهَا أَخَوَاتُ أَرْبَعٌ هُنَّ مِثْلُهَا ۚ وَلَكِنِهَا الصُّغْرَى وَهْنٌ كِبَارُ

قوله في المناكح

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال : تزوج رجل من
الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب
القديمة فتقول :

وَمَا يَسْتَوِي الرَّجُلَانِ رَجُلٌ صَحِيحَةٌ ۚ وَرَجُلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ

ثم مرت بعد أيام فقالت :

وَمَا يَسْتَوِي الثَّوْبَانِ ثَوْبٌ بِهِ الْبِلَى ۚ وَثَوْبٌ بِأَيْدِي الْبَائِعِينَ جَدِيدٌ
فَخَرَجَتْ إِلَيْهَا جَارِيَةُ الْقَدِيمَةِ فَقَالَتْ :

نَقَلَ قَوَادِكُ حَيْثُ شِدَّتْ مِنَ الْهَوَى ۚ مَا الْقَلْبُ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٌ فِي الْأَرْضِ بِأَلْفِهِ الْفَتَى ۚ وَحَبِيدُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

الأصمعي قال : أخبرني أعرابي قال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة
فزوجوه : فقال رجل لولي المرأة : تعمّم لكم فلان فزوجتموه ! فقالوا : ما تعمم
لنا حتى تبرقنا له .

أبو حاتم عن الأصمعي قال : قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكن
من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بدينين وكلين وغيرين ورّحين ، فيلبّ الثيسان ،
وينق العيران ، وينج الكلبان ، وتدور الرحبان ، فيعجّ الوادي : والشقية
من يتزوجها الحضري ، فيكسرها الحرير ، ويطعمها الخبز ، ويحملها ليلة
الزفاف على عود - تعني : سرجا .

الأصمعي قال سمعت أعرابياً يشار امرأته ، فقالت لها أخته . أما والله أيام شرخه

بن جارية

أعرابي وولي
امرأة

لأعرابية تنصع
بنات عمها

إذ كان ينكتك كما ينكت العظم عن مخه ، لقد كنت له تبوعا ، ومنه سمعنا ؛ فلما
لان منه ما كان شديدا ، وأخلق منه ما كان جديدا ، تغيرت له ! وإيم الله لن
كان تغير منه البعض . لقد تغير منك الكل .

لأعرابي في
زوجته

وقيل لأعرابي : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش
فقدت يدها إلى صدري ، فوددت والله أن أجرة خزت من السقف فقدت يدها
وضلعين من أضلاع صدري ! ثم أنشأ يقول :

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي • ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا • وعذبها فيه نكير ومنكر

لآخر في مثله

وتزوج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت في السن ،
فقال له : ألم تكن تُرضى إذا غضبت ، وتُعيب إذا عتبت ، وتُشفق ^(١) إذا آيبت ؛
فا باللك الآن ؟ قال : ذهب الذي كان يُصلح بيننا .

الاصمعي
وأعرابي مطلق
زوجته

الاصمعي قال : كنت أخلف إلى أعرابي أقبس منه الغريب ، فكنت إذا
استأذنت عليه يقول : يا أمانة ، إيذني له . فقول : ادخل . فاستأذنت عليه مرارا
فلم أسمع يذکر أمانة ؛ فقلت له : يرحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمانة منذ حين !
قال : فوجم وجهه ندمت على ما كان مني ؛ ثم قال :

طعنت أمانة بالطلاق • وتجوت من غل الوثاق
بانن فلم يألَم لها • قلبي ولم تدمع مآقي
ودواء ما لا تشتهي • النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب بي • بن اثنين في غير اتفاق
لو لم أرَح بفراقها • لأرحت نفسي بالإباق

٢٠

لأعرابي طلق
امرأته

الاصمعي قال : تزوج أعرابي امرأة فأذنته وافدى منها بحمار وجبة ، فقدم
عليه ابن عم له من البادية ؛ فسأله عنها ؛ فقال :

(١) في بعض الأصول : « وتسعد » .

خَلَّتْ إِلَى الشَّيْطَانِ لِلْحَيْنِ بَنَتْهُ . فَأَدْخَلَهَا مِنْ شِقْوَتِي فِي جِبَالِيَا
فَأَقْبَضَنِي مِنْهَا حِمَارِي وَجُبَّتِي . جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جُبَّتِي وَحِمَارِيَا

الأصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعرابي ؛ فقال :
أصلح الله الأمير ؛ إن خيرَ عُمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ويثوب حله ،
ويجتمع رأيه ؛ وإن شرَّ عُمر المرأة آخره ؛ يسوء خلقها ، ويحد لسانها ، وتقم
رحمها ؛ قال له : صدقت ، اسفع يدها .

لأعرابي بين
بدى زمانه

قال : وذكرْتُ أعرابية زوجها وكان شيخاً ؛ فقالت : ذهب ذفره ، وبقي
بخره ، وفتر ذكره .

لبعض الأعراب
في مثله

الأصمعي قال : كان أعرابي قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقيل له : أيَّ ضرب
تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتي ولدها في جمالها وطول . فتزوجها
على تلك الصفة ، فجاء ولدها في قصرها وقبحه ؛

قدم أعرابي من طيِّ فاحتلب لبناً ثم قدم مع زوجته ينتجعان ، فقالت له :
من أنعم عيشاً ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاماً ،
إلا أنا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا أنا نحن أظهر منهم ليلاً .

الأصمعي قال : خاصم أعرابي امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟
قال : خيراً ، كُتِبَ اللهُ لوجهها ولو أمر بي إلى السجن ؛

الأصمعي قال : استشارت أعرابية في رجل تزوجه ، فقيل لها : لا تفعل
فإنه وُكَّلهُ مُنْكَلَةٌ ، يأكل خِلَلَهُ أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تَخَلَّلَ .
قال أبو حاتم : هو الخلالة . ووكله نكله : إذا كان يكل أمره إلى الناس
ويتكل عليهم .

٢٠

العتي قال : خطب إلى أعرابي رجل موسر إحدى آبنيه . وكان للخاطب
امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ؛ قال أبوها : ولم ؟ قالت : يومٌ عتاب ،
ويوم اكتاب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ؛ قالت الصغرى : زوَّجنيه ؛ قال لها :

على ما سمعت من أهلك ؟ قالت : نعم ، يوم تَزِين ، ويوم تَسْمُن ، وقد تفر فيها بين ذلك الأعين .

لأعرابية ترقص
طفلا

الأصمعي قال : رأيت امرأة تُرَقِّص طفلا لها ، وتقول :
أحبه حُبَّ الشَّيْخِ ماله * قد كان ذاقَ الفقرَ ثمَّ ناله
إذا أرادَ بذلهَ بدأ له

٥

أعرابية فقدت
زوجها

الأصمعي قال : هلك أعرابي ، فأدمنت امرأته البكاء عليه . فقال بعض بنينا :
أَتَفْقِدِينَ من أَيْنَا غَيْرَهُ * أَتَفْقِدِينَ نَفْعَهُ وَخَيْرَهُ
أراكِ ما تبكينِ إِلَّا أَيْرَهُ
فأمسكتُ عن البكاء .

أعرابية وأعرابي
ينظر إلى ابنتها

حلس أعرابي إلى أعرابية ، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها ،
فأنشأت تقول :

١٠

وما نلتَ منها غيرَ أنكَ نائمٌ * بعينيك عينيها وأترك خائبُ

لبعض الأعراب

الرياشي قال : أنشدني العتي لأعرابي :

ماذا تظن بسلمى إن ألمَّ بها * مُرْجِلُ الرَّأْسِ ذُو بُرْدَيْنِ مَرَّاحُ
حُلُوٌّ فَكَاهْتُهُ خُرٌّ عِمَامَتُهُ * فِي كَفِّهِ مِنْ رُقَى إِبْلِيسَ مِفْتَاحُ

١٥

أعراب وامرأة
خطبها

أبو حاتم عن الأصمعي قال : خطب أعرابي امرأة ، فقالت : سل عني
بني فلان وبني فلان . قال لها : وما عليهم بذلك ؟ قالت : في كلهم نكحت
وكننت ، قال : أراكِ جَلَنَفَعَةً قد خزمتك الخزائم ، قالت : لا ، ولكن جَوَالَةَ
بالرجل عَنَتِيس .

٢٠

تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال ، فكان يصبر عليها
لما لها ، ثم ملأها وتركها ، وكتبَ إليه تسترده ، فكتب إليها يقول :
ليس بيني وبين قيس عِتَاب * غيرَ طعن الكلا وضرب الرقاب
فكتبَ إليه : إنه واقعه ما يريد قيسُ غير طعن الكلا !

أعرابي خاطب المفضل الضبي قال : خطب أعرابي امرأة ، فجعل يخطبها ويُنعظ ، فضرب ذكره يده وقال : مه ! إليك يساق الحديث . فأرسلها مثلاً .

أبو البداء علي بن عبد العزيز قال : كان أبو البداء عتيثاً ، وكان يتجلد ويقول لقومه : زوجوني امرأتين ! فيقال له : إن في واحدة كفاية . فيقول : أمتالي فلا ! فقالوا : تزوجك واحدة ، فإن كمتك وإلا زوجناك أخرى . فزوجوه أعرابية ، فلما دخل بها أقام معها أسبوعاً ، فلما كان في اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا البداء ، ما كان أمرك في اليوم الأول ؟ قال : عظيم جداً ! قالوا : ففى الثاني ؟ قال : أجل وأعظم ! قالوا : ففى الثالث ؟ قال : لا تسألوا ! فأجابت المرأة من وراء السر ، فقالت :

١٠ كان أبو البداء يَنزُو في الوَهْقِ . حتى إذا أُدخل في بيتٍ أبْقِ
فيه غزالٌ حَسَنُ الدَّلِّ خرق . مارسهُ حتى إذا أَرَضَ العرق
أَنكَسَرَ المِفْتَاحَ وَأَنَسَدَ الفَلَقَ

لأعرابي في امرأته كانت لأعرابي امرأة لا تُرْزِدُ يدَ لأمس ؛ فقيل له : مالك لا تفارقها ؟ قال : إنها حسنة ؛ فلا تُفْرِكُ ، وأم بنين فلا تُتْرَكُ .

١١ قال شيخ من الأعراب : ليبيح من الأعراب

أنا شيخٌ ولي امرأةٌ عجوزٌ * تُراوِدُنِي على ما لا يحوز
تريد أنيكها في كلِّ يومٍ ، وذلك عند أمشالي عزيزُ
وقالت دَقَّ أُرُكُ مُذْ كبرنا . فقلت لها بل اتَّسَعِ القفيزُ

الأصمعي قال : قال أعرابي في امرأة تزوجها ، وقد تزوجت قبله خمسة ، وتزوج هو قبلها أربعة ، فلاحته يوماً ، فقال فيها :

٢٠ لو لابس الشيطانُ ما أَلابِسُ . أو مارسَ النولُ التي أمارسُ
لأصبح الشيطانُ وهو عابِسُ . زوجها أربعةً عمارسُ
فانفلتوا منها ومات الخامسُ . وساقى الحين فهانا السادسُ

وقال فيها :

بُؤِزِلَ أَعْوَامٌ أَذَاعَتْ بِخَمْسَةِ • وَتَعْتَدُنِي - إِنْ لَمْ يَقِِ اللَّهَ - سَادِيَا
وَمَنْ قَبْلَهَا غَيَّبَتْ فِي التَّرْبِ أَرْبَعًا • وَأَعْتَدُهَا مُذْجَتُّهَا فِي رَجَائِيَا
كَلَانَا مُطْلٌ مُشْرِفٌ لِنَعِيمَةِ • يَرَاهَا وَيَقْضِي اللَّهُ مَا كَانَ قَاضِيَا

• وقال أعرابي :

أَشْكُرُ إِلَى اللَّهِ عِبَالًا دَرْدَقًا • مُقَرَّقِينَ وَعَجُوزًا شَمْلَقًا
الدردق : الصغار . والمقرقم : البطي . الشباب . والشملق السبته الخلق .

قولهم في الإعراب

الاصمعي قال : قلت لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء !
قلت له : أفنجر فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوى .
لبعض الأعراب
في معنى هذا
العنوان

وسمع أعرابي إماما يقرأ : وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، قَالَ • وَلَا إِنْ
آمَنُوا أَيْضًا ، لَا تَنْكِحُهُمْ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يَلْحَنُ ، وَلَيْسَ هَذَا يُقْرَأُ . فَقَالَ : أَخْرَوْهُ
قَبْضَهُ اللَّهُ ! وَلَا تَجْعَلُوهُ إِمَامًا : فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ .

وسمع أعرابي أبا المكنون النحوى وهو يقول فى دعائه يستسقى : اللَّهُمَّ رَبَّنَا
وإِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا : [اللَّهُمَّ] وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَاحْطُ
ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ كِاحَاطَةِ الْقَلَانِدِ بِأَعْنَاقِ الْوَلَانِدِ ، ثُمَّ أَرْسِخْهُ عَلَى هَامِسْتِهِ كَرُسُوخِ السَّجَّيلِ
عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفِيلِ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْنًا مَرِيئًا مَرِيئًا مُجْلَجِلًا مُسْحَفِرًا هَزْجًا سَخًّا
سَفْرُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُثْعَنَجِرًا صَخِيحًا نَافِعًا لِعَاقِمَتِنَا وَغَيْرِ ضَارٍ بِخَاصَّتِنَا . فَقَالَ
الْأَعْرَابِيُّ : يَا خَلِيفَةُ نُوحٍ ، [هَذَا] الطُّوفَانُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، دَعْنِي حَتَّى آوِي إِلَى
جَبَلٍ يَعْصَمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

الاصمعي قال : أصابت الأرض بجاعة : فلقبت رجلا منهم خارجا من
الصحراء كأنه جذعٌ محترق فعلت : أنقرأ فى كتاب الله شيئا ؟ قال : لا . قلت :
فأعملك ؟ قال : ما شئت . قلت : اقرأ (قل يا أيها الكافرون) . قال : كل بالأيها
[٨ - ٤]

الكافرون . قلت : [قُلْ] (قل يا أيها الكافرون) كما أقول لك . قال : ما أجد لسانى ينطق بذلك .

قال : ورأيت أعرابيا ومعه بُنَى له صغير ممسك بقم قربة ، وقد خاف أن تعلبه القربة : فصاح : يا أبت ، أدرك فاهما ، علبنى فوها ، لا طاقة لى بفيا !

قولهم فى الدين

قال أعرابى : الدين ذل بالنهار ومم بالليل .

لبعض الأعراب

وقال أعرابى فى غرماء له يطلبونه بدين :

لبعض الشعراء
فى غرء .

جاءوا إلى غضاباً يلفظون معاً . فقلت موعدم دار ابن هبار

وما أواعسدهم إلا لأذرائهم . عنى فيخرجنى نقضى وإمرارى

وما جلبت إليهم غير راحلة . تتخدى برحلى وسيف جفنه عارى

إن القضاء سياتى دونه زمن . فاطو الصحيفة واحفظها من النار

الأصمعى قال : كان لرجل من محضب على رجل من باهلة دين ؛ فلما حل دينه

هرب الأعرابى وأنشأ يقول :

إذا حل دين الیخصى فقل له . تزود بزاد واستعن بدليل

سيصبح فوقى أقم الریش واقعاً . بقالى قلاً أو من وراء ديل

الأصمعى قال : فأخبرنى رجل أنه رآه مقتولاً يقال قلاً وعليه نسر أقم الریش .

قال الأصمعى : اختصم أعرابيان إلى بعض الولاية فى دين لأحدهما على صاحبه ؛

ببداىي

فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعناق ، فقال له المدعى : دعنى من هذه الأيمان

وأحلف بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلماً يتبع ظلماً ؛

وحثك من أهلك ومالك حت الورق من الشجر ، إن لم يكن لى هذا الحق قبلك !

فأعطاه حقه ولم يحلف له .

الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها أعرابى أبداً : لا أورد الله لك صادرة ،

ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

قولهم في النوادر والملح

أبو العباس
وأعرابي

الشياني قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين منزهاً بالأنبار ، فأمن في
نزهته وانتبذ من أصحابه : فوافي خباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟
قال : من كنانة . قال : من أي كنانة ؟ قال : من أبنض كنانة إلى كنانة . قال :
فأنت إذاً من قريش ! قال : نعم . قال : فمن أي قريش ! قال : من أبنض قريش
إلى قريش ، قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ! قال : نعم . قال : فمن أي ولد
عبد المطلب ؟ قال : من أبنض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال :
فأنت إذاً أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ووثب إليه ، فاستحسن
ما رأى منه وأمر له بجائزة .

٥

الشياني قال : خرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلًا
له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي :
غشوم ظلوم ! لا حيّاه الله ! فقال : فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟
قال : فأظلم وأغشم ! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ الحجاج إلى
الأعرابي ، فأخذ ومُحِل : فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج !
فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ! قال : ما تشاء يا أعرابي ؟
قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ! قال : فضحك الحجاج وأمر
بتخليه سبيله .

١٠

١٥

يوسف بن عمر
ووال

الأصمعي قال : ولَّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابياً على عمل له :
فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ! أكلت مال الله !
قال الأعرابي : فقال مَنْ آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن
يعطيني فلساً واحداً فما فعل . فضحك منه وخلي سبيله .

٢٠

ابن جعفر
وأعرابية

الشياني قال : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد
دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي
كنت أدجنها وأعلفها من قوتي ! وألمسها في آناء الليل فكأنما ألمس بنتي زلت

عن كبدى ، فنذرت لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسة درهم .

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أُرِيتُموه لَتَمْسِكَنَّ منه بذياب عيش أغبر .

يرأعراب وقوم
في الهلال

الأصمعي قال : رأيت أعرابيا واقفا على ركبة ملحة ، فقلت : كيف هذا الماء يا أعرابي ؟ قال : يخطئ القلب ويصيب الاست .

بين الأصمعي
وأعرابي في ماء

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك . قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إني أسألك مينة كمينه أبي خارجة أكل بَذْجًا ، وشرب مُعْسَلًا ، ونام في الشمس ، فمات دَفَّانَ شَبْعَانَ رِيَّان .

بينه وبين
أعراب سمين

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبي هريرة رضى الله عنه قال : دخل أعرابي المسجد والبيُّ صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي : فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد حَجَّرْتَ واسعا يا أعرابي .

النبي صلى الله
عليه وسلم وبين
الأعراب

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول في الطواف : اللهم اغفر لأمي . فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : أبي رجل يخال لنفسه ، وأما أمي فبائسة ضعيفة .

ليس الأعراب

أبو حاتم عن أبي زيد قال : رأيت أعرابيا كأن أنفه كوز من عظمه : فرآنا فضحك منه ؛ فقال : ما يُضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفطس .

قال : وجرى بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم أقرموا كتابي . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة ؛ إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي .

وقيل لأبي المخش الأعرابي : أيسرك أنك خليفة وأن أمتك حزة ؟ قال :
لا والله ما يسرنى ! قيل له : ولم ؟ قال : لأنها كانت تذهب الأمة وتضيع الأمة .
اشترى أعرابي غلاما ، فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه
يول في الفراش . قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشا فليُبل فيه .

أخذ الحجاج أعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه : فلما قرعه بسوط قال :
يا رب شكرا ! حتى ضربه سبعة سوط ، فلقبه أشعب ، فقال له : أتدرى لم
ضربك الحجاج سبعة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك : إن الله
تعالى يقول : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ قال : وهذا في القرآن ؟ قال : نعم .
فقال الأعرابي :

١٠ يا رب لا تُشكر فلا تزدني . أسأت في شكرى فأعف عني
باعد ثواب الشاكرين مني

مرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له ، فقالوا له : صفه . قال : كأنه دينير !
قالوا : لم نره . ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جمل ، فقالوا :
هذا الذي قلت فيه كأنه دينير ؟ فقال : القرني في عين أمها حسناء .

١٥ والقرني : دوية من خشاش الأرض إذا مسها أحد تقبضت فصارت
مثل الكرة .

قيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله يا بني لأبغض الموت على
فراشي ، فكيف أن أمضى إليه ركضا .

وغزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما رأيت مع رسول الله
في غزائك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الحلة ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن
يضع النصف الباقي !

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السخيتاني ، فقيل له : يا أعرابي ، لعلك
قد درى ؟ قال : وما القدرى ؟ فذكر له محاسن قولهم : قال : أنا ذاك . ثم
ذكر له ما يعيب الناس من قولهم : فقال : لست بذلك . قال : فلعلك مثبت ؟

قال : وما الميت ؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم ؛ فقال : لست بذاك . قال أيوب : هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ من كل شيء أحسنه .

جرير وأعرابي

الأصمعي قال : سمع أعرابي جريراً ينشد :

- كاد الهوى يومَ سُلَمانٍ يَقتلني • وكاد يَقتلني يومَ بَنَعِمانِ
وكاد يَقتلني يومَ بذي خُشب • وكاد يَقتلني يومَ بسلَمانِ

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات لا يموت هذا أبدا .

الشياني قال : بلغني أن أعرابيين ظريفيين من شياطين العرب حطمتها سنة ، فأنحدرا إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان في السوق - واسم أحدهما خندان - إذا فارس قد أوطأ دابته رجلَ خندان ، ففقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذاً أرش الإصبع ، وكانا جائعين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصداً إلى بعض الكرايج ، فابتاعا من الطعام ما اشتيا ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :

فلا غَرَّةَ ما دام في الناس كُرْبُجٌ • وما بَقِيَتْ في رِجْلِ خُندانِ إصْبَعُ

أعرابية وابنها

وهذا شبيه قول أعرابية في ابنها ، وكان لها ابن شديد الغرام ، كثير القتال

- لناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فوائب مرة قتي من الأعراب ، ففقطع الفتى ١٥ أنفه ، فأخذت أمه دية أنفه ؛ لحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم وائب آخر ، ففقطع أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحسن الحال ؛ ثم وائب آخر ففقطع شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم والمتاع بجوارح ابنها ، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

- ٢٠ أَحِلِفُ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصِّفَا • أَنْكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعِصَا

فقلت لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجورا ، ثم يقطع الساجور أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد أشظّة .

الأصمعي قال : خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال :

لبعض الأعراب في الحج

أعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق . فرفع
الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك
أنت وتُخرب بيوتنا .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَتْ راحلتها ،
ه فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب ، أخرجني من بيتي إلى بيتك ، فلا
بيتى ولا بيتك !

الأصمعي قال : عُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة
وثلاثين ألفاً لم يَجِبْ على واحد منهم قتل ولا صلب ؛ وفيهم أعرابي أخذ يبول
في أصل سور مدينة واسط ؛ فكان فيمن أطلق ؛ فأنشأ يقول :

١٠ إذا ما خرجنا من مدينة واسط ٠ تحرينا وبلنا لا نخاف عقابا

لأعرابي في
الأولاد

ذُكِرَ عند أعرابي الأولاد والانتفاع بهم ؛ فقال : زوّجوني امرأة
أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجْرى الرهان ؛ والنزع عن القوس حتى
يصيب الحدق ، ورواية الشعر حتى يُفهم الفحول . فزوّجوه امرأة فولدت له
ابنة ، فقال فيها :

١٥ قد كنت أرجو أن تكون ذكراً ٠ فشقةً الرّحمن شقاً منكراً

شقاً أبى الله له أن يُجْبراً ٠ مثل الذى لاقها أو أكْبِراً

ثم حملت حملاً آخر ، فدخل عليها وهي في الطاق - وكانت تسمى ربابا - فقال :
أيا ربّ أبى طارقى بخير ٠ وطارقى بحُصْنِي وأزير
ولا تُرينا طرف البُظير

٢٠ ثم ولدت له أخرى ، فهجر فراشها وكان يأتي جارة لها ، فقالت فيه - وكان
يكنى أبا حمزة - :

ما لأبى حمزة لا يأتينا ٠ يظلّ في البيت الذى يلينا

غضبان أن لا نلذّ البنينا ٠ وإنما نأخذ ما أُعطينا !

فألانه قولها ورجع إليها .

وقال سعيد بن أبي الفرج : سمعت أعرابيا يطوف بالبيت وهو يقول :

لأعرابي يدعو

لَا هُمْ رَبُّ النَّاسِ حِينَ لَبَّيْوا • وَحِينَ رَاحُوا مِنْ مَتًى وَحَصَّبُوا

لَا سُقَيْتَ عَشْبَقَبْ وَعُغْبُ • وَالْمُسْتَزَارَ لَا سَفَاهَ الْكُوكَبُ

قلت : يا أعرابي ، ما لهذه المواضع تدعو عليها في هذا الموضع ؟ فنظر إلى

كالغضبان فقال :

• من أجل حماهن ماتت زينب •

قولهم في التلصص

أبو حاتم قال : أنشدنا أبو زيد الأعرابي ، وكان لصا :

لبعض العمراء

١٠ ثلاثِ خِلَالٍ لَسْتُ عَنْهِنَّ نَائِبًا • وَإِنْ لَأَمَنِي فِيهِنَّ كُلُّ خَلِيلٍ
فَنَهْنِ أَنِي لَا أَزَالُ مُعَانِقًا • حَمَاتِلِ مَاضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ
بِهَ كُنْتُ أَسْتَعِدِّي وَأُعْدِي صَحَابِي • إِذَا صَرَخَ الزُّخْفَانُ بِاسْمِ قَتِيلِ
وَمِنْهُنَّ سُوقُ النِّهْبِ فِي لَيْلَةِ الدَّجَى • يَحَارُ بِهَا فِي اللَّيْلِ كُلِّ دَلِيلِ
وَمِنْهُنَّ تَجْرِيدُ الْكَعَابِ ثِيَابَهَا • وَقَدْ مَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ كُلِّ تَمِيلِ

١٥ وهذا المعنى سبقه إليه الأول :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى • وجأك لم أحفل متى قام رامسُ
فنهْنِ سبق العاذلات بشرية • كأن أخاها مطلع الشمس ناعس
ومنهْنِ تقرب الجواد عنائه • إذا ابتدر الشخص الصق الفوارس
ومنهْنِ تجريد الكواعب كالدُّمَى • إذا ابتز عن أكهاهن الملابس

٢٠ وأول من قال هذا المعنى طرفة حيث يقول :

لطرقة

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى • وجدك لم أحفل متى قام عودي
فنهْنِ سبق العاذلات بشرية • كدنت متى ما تفل بالماء تزيدي

وَكَرَّى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا • كَسِيدَ النَّضَا نَبْهَتُهُ الْمُتَوَرِدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ وَالِدَجْنُ مُعْجَبٌ • يَبْهَكْنِي تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمُعَمَّدِ

قولهم في الطعام

الأصمعي قال : اصطعب شيخٌ وحدث في سفر ، وكان لهما قرص في كل
يوم ، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطيء الأكل ، وكان الحدث يطيش بالقرص
ثم يجلس يشتكي العشق ، ويتضور الشيخ جوعاً ، وكان يسمى الحدث جعفرًا ،
فقال الشيخ :

لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ جَعْفَرٍ أَنْ جَعْفَرًا • يَطِيشُ بِقَرْصِي ثُمَّ يَبْكِي عَلَى جُحْلِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْ مَسَّكَ الْحَبْلُ لَمْ نَبْتَ • بَطِينًا وَنَسَاكَ الْهَوَى شَرَّ الْأَكْلِ

الأصمعي قال : أنشدني أعرابي لنفسه : ١٠

أَلَا لَيْتَ لِي حُبْرًا تَسْرُبُ رَائِبًا • وَخَيْلًا مِنَ الْبَرْنِيِّ فُرْسَانَهَا الزُّبْدُ
فَأَطْلُبُ فِيهَا يَبْنَهُنَّ شَهَادَةً • بِمَوْتِ كَرِيمٍ لَا يُعَدُّ لَهُ لَعْدُ

الشيبياني عن أبيه قال : قال أعرابي : كنت أشتى ثريدة دكاء من الفلفل ،
رطاء من الحص ، ذات حفايين من اللحم ، لها جناحان من العراق ، أضرب فيها
كما يضرب وليُّ السوء في مال اليتيم ! ١٥

وقال رجل لأعرابي : ما يسرنى لو بت ضيفاً لك ! فقال له الأعرابي :
لو بت ضيفاً لي لأصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة .

حضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمر إلى ما بين يديه ، فقال
له الحاجب : مما يليك فكل يا أعرابي . فقال : من أجذب انتجع . فشق ذلك
على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعد إلينا . وشهد بعد هذا سفرته
أعرابي آخر ، فر إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك
فكل يا أعرابي . قال : من أخصب تخير . فأعجب ذلك سليمان ، فقربه وأكرمه
وقضى حوائجه .

أعرابي وقوم
من السكينة

مر أعرابي بقوم من السكينة في منزله لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده
يأكل معهم . فقالوا . أعرَفت فينا أحداً ؟ قال : بلى ، عرفت هذا وأشار إلى
الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكله :

• لم أرَ مثْلَ ثُرْطِه ومَطَّه •

قال الثاني : • وأَكَلُهُ دَجَاجُهُ يَبْطِئُهُ • ٥

قال الثالث : • وَلَفَّهِ رُقَاقُهُ يَأْقُطُهُ •

قال الرابع : • كَأَنَّ جَالِينُوسَ تَحْتَ إِبْطِهِ •

فقالوا للرابع : أما الذي وصفنا من فعله ففهموم ؛ فما يصنع جالينوس من

تحت إبطه ؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمعة ، يهضم بها طعامه !

١٠ وقال رجل من أهل المدينة لأعرابي : ما تأكلون وما تعافون ؟ قال له

الأعرابي : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حُجَيْن . قال المدنى : لِيَهَيِّئِ أُمَّ
حُجَيْن العافية .

أعرابي وولده قال رجل من الأعراب لولده : اشترُوا لِي لَحْمًا . فاشترُوا وطبخُوا لَهُ حَتَّى

تَهْرَأَ ، فَأَكَلَ مِنْهُ حَتَّى انْتَهَى ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَظْمُهُ ؛ وَشَرَعَتْ إِلَيْهِ عَيُونُ وَلَدِهِ .

١٥ فقال : مَا أَنَا مُطْعِمُهُ أَحَدًا مِنْكُمْ إِلَّا مِنْ أَحْسَنَ أَكْلِهِ . فقال له الأكبر : أَلَوْكُهُ

يَا أَبْتَ حَتَّى لَا أَدْعَ فِيهِ لِلذَّزَةِ مَقِيلًا . قال : لَسْتُ بِصَاحِبِهِ . قال الآخر : أَلَوْكُهُ

حَتَّى لَا يَدْرِي أَلْعَامُهُ هُوَ أَوْ لَعَامٍ أَوَّلُ ؟ قال : لَسْتُ بِصَاحِبِهِ . قال له الأصغر :

أَدْفُهُ يَا أَبْتَ وَأَجْعَلْ إِدَامَهُ الْمَخ . قال : أَنْتَ صَاحِبُهُ ، هُوَ لَكَ .

بلغنى عن محمد بن يزيد بن معاوية ، أنه كان نازلاً بحلب على الهيثم بن عدى ،
لغزى في حضر المسلمين

٢٠ فبعث إلى ضيف له من عذرة أعرابي ، فقال له : حدث أبا عبد الله بما رأيت

في حضر المسلمين من الأعاجيب . قال : نعم ، رأيت أموراً معجبة . منها أنى

دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالى ، وإذا أنا بدور متباينة ، وإذا خصاص يعضُّ

بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، وعليهم ثياب حَكُوا

بها أنواع الزهر : فقلت لنفسى : هذا أحد العبدین : الفطر أو الأضحى . ثم رجع

إلى ما عروب من عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في عقب صقر وقد مضى
العيدان قبل ذلك ! فينا أنا واقف أتعجب إذ أتاني رجل فأخذ يدي فأدخلني
بيتاً قد نُجِّدَ ، وفي وجهه فرشٌ مهده ، وعليها شاب ينال فرغُ شعره كنفه ،
والناس حوله سماطين ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسه
وجلوس الناس حوله . فقلت وأنا مائل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله ! قال : لجذب رجل يدي وقال : ليس بالأمير ، أجلس . قلت فمن
هو ؟ قال : عروس . قلت : وائكل أماء الرب عروس بالبادية قد رأيت
أهون على أصحابه من هـن أمه ! فلم ألبث أن أدخلت الرجال عليها هـنات مدورات
من خشب ، أما ما خف منها فيحمل حملاً ، وأما ما ثقل فيُدحرج : فوضعت
أماننا ونَحَلَّقَ القوم عليها حلَقاً ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت عليها : فهممت والله
أن أسأل القوم خِرقة منها أرفع بها قيصي ، وذلك أني رأيت لها نسجاً
متلاحماً لا يتبين له سدى ولا لحمة : فلما بسط القوم أيديهم ، إذا هو يتمزق
سريعاً ، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه : ثم أتينا بطعام كثير من حُلُو وحامض ،
وحارٍ وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبشم : ثم أتينا
بشراب أحمر في عِساس بيض : فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لي به : لأنني
أخاف أن يقتلني ! وكان إلى جانبي رجل ناصح لي - أحسن الله عنى جزاءه -
كان ينصحنى بين أهل المجلس : فقال لي : يا أعرابي ، إنك قد أكثرت من الطعام
فإن شربت الماء هَمَى بطنك . فلما ذكر البطن ، ذكرت شيئاً أوصاني به
الأشباخ ، قالوا : لا تزال حياً مادام بطنك شديداً ، فإذا اختلقت فأوص . فلم
أزل أتناول بذلك الشراب ولا أملهُ ، حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي
ولا عهد لي به ، واقتدارٌ على أمرى : وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي : فجملت
نفسى تحدثني بهتم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى : وأهم أحياناً أن أقول له :
يا ابن الزانية ! فينا نحن كذلك ، إذ هم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق
جعبة فارسية منتفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط ، وقد ألبست قطعة فرو ،

كأنهم يخافون عليها القر؛ ثم بدا الثاني فاستخرج من كفه هنة كفيشلة الحمار، فوضع طرفها في فيه فضرط فيها، ثم حَسَبَ على جَعْرَة فاستخرج منها صوتاً مُشاكلاً بعضه بعضاً؛ ثم بدا الثالث وعليه قبص وسخ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مِرَّآتان، فجعل يَمْرِي إحداهما على الأخرى؛ ثم بدأ الرابع عليه قبص قصير وسراويل قصيرة، فجعل يقفز صلبه، ويهز كفيه، ثم التبط بالأرض، فقالت: معنوهُ ورب الكعبة. ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي. ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتعنونا من لهُوكم. فبعثناهن إليهن، وبقيت الأصوات تدور في آذاننا؛ وكان معنا في البيت شاب لا آبه له، فعلت الأصوات له بالدعاء، ففرج فجاء بخشبة في يده، عينا في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه، ثم زَمَ الخيوط الظاهرة، فلما أحكمها عرك أذنها فنطق فوها، فإذا هي أحسنُ قينة رأيتها قط [وغنى عليها] فاستخفني حتى قت من مجلسي فجاست إليه فقالت: بأبي أنت وأُمي، ماهذه الدابة؟ قال: يا أعرابي، هذا البربط. قلت: فما هذه الخيوط؟ قال: أما الأسفل فزبر، والذي يليه مثنى، والذي يليه مثلك. والذي يليه بَمّ. فقالت: آمنت بالله.

١٥ وقال أعرابي: تمرنا حُنُسُ فطس، ينيب فيهن الضرس. كأن فاهما ألسن الطير، تقع التمرة منها في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك.

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك، فلما أتى بالفالودج جعل يسرع فيه، فقال سليمان: أمدري ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقاً هنيئاً، ومزجاً دَداً لينا، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه! قال: فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابي، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ، قال: كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل.

أعرابي على
سفرة سليمان

قال: ومررت بأعرابي يأكل في رمضان، فقالت له: ألا تصوم يا أعرابي؟ فقال:

وصائم هبّ يأحاني فقالت له: أعمد لصومك وأتركه وإفطاري

لأعرابي على
سفرة سليمان
أيضا

وأظلماً فإني سأروى ثم سوف ترى هـ من ذا يصيرُ إذا مِنّا إلى النار
وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شعرة في لقمة الأعرابي : فقال :
أرى شعرة في لقمته يا أعرابي ! قال : وإنك لُتراعيني مراعاةً من يُبصر الشعرة
في لقمته ؟ والله لا واكلك أبداً ! فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زلة ولا أعود
إلى مثلها . هـ

أخبار أبي مَهْدِيَة الأعرابي

أبو عثمان المازني قال : قال أبو مَهْدِيَة : بلغني أن الأعراب والأعراب هجاها
واحد . قلت : نعم . قال : فاقْرَأ : « الأعرابُ أشدُّ كفرًا ونفاقًا ، ولا تقرأ :
الأعراب . ولا يَنزَك العَرَبُ وإن صام وصلى .

١٠ وتوفي بُنَيٌّ لِأبي مَهْدِيَة صَخِير ، فقيل له : أبشر أبا مَهْدِيَة : فإننا نرجو أن يكون
شفيع صدق يوم القيامة ! قال : لا وكلنا الله إلى شفاعته ، إذاً والله يكون أعبانا
لسانا وأضعفنا حجة : لبته المسكين كفانا نفسه !

وقيل لِأبي مَهْدِيَة : أكنتم تتوضؤون بالباية ؟ قال : نعم والله ! لقد كنا نتوضأ
فتكني التوضئة الواحدة الرجل منا الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه
الحر - يعني الموالى - فجعلت نلبق أسنانهما كما تلاقى الدواة . ١٥

وقيل لِأبي مَهْدِيَة : أتقرأ من كتاب الله شيئا ؟ قال : نعم . ثم افتتح يقرأ :
﴿ وَالضُّعَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴾ حتى انتهى إلى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ فالتفت
إلى صاحب له فقال : إن هؤلاء العلوج يقولون : ووجدك ضالا فهدى . والله
لا أقولها أبداً .

٢٠ ولما سن أبو مَهْدِيَة وليَ جانباً من الثبامة ، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء
وجدة ، فأرسل إليهم فقال : ما عندكم في المسيح ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ! قال :
فهل غرمتكم دينته ؟ قالوا : لا . قل : إذاً والله لا تبرحوا حتى تغرموا دينته !
فأَرْضَوْه حتى كف عنهم .

وقيل لأبي مَهْدِيَّة : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو ؛ قال : كيف لا يصبر على البدو مَنْ طعمأه الشمس وشرابه الريح ؟

ونظر أبو مَهْدِيَّة إلى رجل يستنجي ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها ويحك ! أتريد أن تشرب فيها سويقا !

ومات طفل لأبي مَهْدِيَّة ، فقيل له : اصبر يا أبا مَهْدِيَّة ؛ فإنه فرط فقرطته ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته . فقال : بل ولدتُ دَفْنْتُهُ ، وتُكَلِّمُ تعجلته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص ، لا أفرحُ للزيد .

قال أبو عبيدة : سمع أبو مَهْدِيَّة رجلا يقول بالفارسية : زود زود . فقال : ما يقول هذا ؟ فقيل له يقول : عجل عجل . فقال : أفلا يقول : حيلا .

خبر أبي الزهراء

١٠

المعلّى بن المثنى الشيباني قال : حدثنا سويد بن منجوف قال : أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تحب ، وعليها ذلاذل وأطمار من تحق صوف ، قد اعتم بما يشبه ذلك ؛ من أشوه الناس منظرا وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول أَلَسَبَدَ ، أَلَا لَبَدَ أَلَا مُؤَو

أَلَا مُقَرِّ ، أَلَا سَعْدَى أَلَا يَرْبُوعَى ، أَلَا دَارِمَى ! هيهات هيهات ! وما يُغْنِي لأصل ١٥ حوض الماء صاديا مُعْنَى ! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحى ، قال : فسمعت سواديا يقول له :

يا عماء ، يا إبليس ! متى أُذِنَ لك بالظهور ؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا آبائكم وفتشوا أمهائكم ! قال : وكان معنا أبو حماد الحياط ، وكان من يطلب الناس

لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك ٢٠

مولى بني تميم ؛ فأتيته فأخبرته ؛ ففرج مبادرا كأنى قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها

إلى الصبيان ، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان . وهو يقول لأتانه :

- قد كنت بالأمم في خصب خصب • ما شئت من حوض وماء مُنكب
 فربك اليوم ذليل قد نُصب • يرى وجوهاً حوله ما ترتب
 ولا عليها نور إشراف الحسب • كأنها الزنج وعبدان العرب
 إلى عجل كالرعيل والسرب • ولو أمنت اليوم من هذا اللجب
 رمت أفرافاً قوميات النصب • الریش أولاها وأخراها العقب ٥
- قال : فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبيحله ، إلى أن أدخله منزله ؛
 فهد له وحطه عن أمانه ، ودعا باللف : فجعل الأعرابي يقول : أين الليف والنثيف
 والوساد والنجاد ؟ يعنى بالليف : الحصير : و بالنثيف عشبۃ عندهم يقال لها البهيمى
 والوساد : جلد عنز يسلم ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُنكأ عليه ؛ والنجاد :
 مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهرها قد دبر حتى
 أضرت بنا راحته : فجعل الأعرابي يتهد ويقول :
 إن تُنحصى أو تُدبرى أو تُزجرى • فذاك من دُوب ليل مسير
 أنا أبو الزهراء من آل الدبرى • مُشمخ الأنف كريم العنصر
 إذا أتيت حطة لم أقسر
- وكان يسمى الأعرابي صلتان بن عويجة من بني سعد بن دارم ، ويكنى بأبي
 الزهراء ، وما رأيت أعرابياً أعجب منه : كان أكثر كلامه شعراً ؛ وأمثلة أعرابي
 سمعته كلاماً ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانهما ؛ وكان من أضجر
 الناس وأسوهم خلقاً ، وإذا نحن سألناه عن الشيء قال : ردوا على القوس والأتان !
 يظن أنا تتلاعب به ، وكنا نجتمع معه في مجلس أبي حماد ، وما منا إلا من يأتيه
 بما يشتهي ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتياه يوماً بخبز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها
 تأملها طويلاً وجعل يقول : ١٥
- ٢٠

بدلت والدهر قديماً بدلاً • من قبض يرض القفر فقماً حظلاً

أخبث ما تُنبت أرض مأكلاً

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنى مرى ،

ونحن نبدو ك فيه إن شئت . قال : نخذوا منه حتى أرى ! فبدأنا نأكل وهو ينظر
لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فزرع أعلاها وقور أسفلها ،
فقلنا له : ما تريد أن تصنع يا أبا الزهراء ؟ فقال : إن كان السم يا ابن أخي ففيا
ترونا ! فلما طعمه استخفه واستعدبه واستعلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا
نأتيه بعد بنيره ، وجعل في خلال ذلك يقول :

٥

هَذَا طَعَامٌ طَيِّبٌ يَلِينُ ۝ فِي الْجَوْفِ وَالْخَلْقِ لَهُ سُكُونٌ
الشُّهُدُ وَالزُّبْدُ بِهِ مَعْبُودُونَ

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك في الحمام ؟ قال : وما الحمام
يا ابن أخي ؟ قلنا له : دار فيها آيات : حار ، وقار ، وبارد ؛ تكون في أيها شئت
يذهب عنك قشعر السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجابنا ،
فأتينا به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يدخل علينا أحداً ، فدخل وهو خائف
مترقب . لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار في داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه
بالتوبة ، وكان جلده أشعر كجلد عنز . فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛
فقلنا أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال : يا ابن أخي ، وهل بقي إلا أن
أندلخ كما ينسلخ الأديم في احتدام المعيط ! وجعل يقول :

١٥

وَهَلْ يَطِيبُ الْمَوْتُ يَا إِخْوَانِي ۝ هَلْ لَكُمْ فِي الْفُؤَيْسِ وَالْأَتَانِ
خَذُوهُمَا مِنِّي بَلَا أَثْمَانٍ ۝ وَحَلَّصُوا الْمُهْجَةَ يَا صِبْيَانَ
فَالْيَوْمَ لَوْ أَبْصَرْتَنِي جِيرَانِي ۝ عُرْيَانٌ بَلِ أَعْرَى مِنَ الْعُرْيَانِ
قَدْ سَقَطَ الشَّعْرُ مِنَ الْجَثَمَانِ ۝ حُسِبْتُ فِي الْمَنْظَرِ كَالشَّيْطَانِ !

قال : ثم خرج مبادراً ، وأتبعه أحداث لنا ، لولا هم لخرج بجانه تلك ما يستره
شيء : ولحقناه في وسط البوت ، فأتداه بماء بادر ، ومرب وصب على رأسه ،
فارتاح واستراح . وأبشأ يقول :

الْحَمْدُ لِلْمُسْتَحْمِدِ الْقَهَّارِ ۝ أَنْقَذَنِي مِنْ حَزَنِ بَيْتِ النَّارِ

إلى ظليل ساكن الأوار . من بعد ما أيقنت بالدمار

قال : فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه ، وأتينا به مجلس أبي حماد ؛ وكان أبو حماد يبيع الخنطة والتمر وجميع الحبوب ؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التمار ماهراً ؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي وأبا زيد ، جعل ينظر ، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل ؛ قلنا له : ما تقول يا أبا الزهراء ؟ فقال : يا ابن أخي ، إن كلامكم هذا لا يسد عوزاً مما تعلمونه له . فقال أبو الحسن : إن بهذا تعرف العرب صوابها من خطئها . فقال له : ثكَّلت وأثكَّلت وهل تخطئ الغرب ؟ قال : بلى . قال : على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك ؛ قال سويد : وكنت أحدثهم سناً (قال) فقلت : جُعِلْتُ فداك ، وأنا رجل من بني شيان وريعة ؛ ما تعلم أنا على مثل الذي أنت عليه من الإنكار عليهم ؛ فقال فيهم :

يُسائلني يِّباعُ تمرٍ وجردقي . وما زجُ أبوالٍ له في إنائه
عن الرِّفيع بعد الخفض ، لازل خافضاً . ونصبٌ وجزمٌ صيغ من سوء رائه
فقلت له هذا كلامٌ جهلته . وذو الجهل يروى الجهل عن نظرائه
فقال بهذا يُعرف النحو كله . يرى أنني في العُجم من نظرائه
فأما تميمٌ أو سليمٌ وعامر . ومن حلَّ غمر الضالِّ أو في إزائه
ففيهم وعنهم يؤثر العلم كله . ودع عنك من لا يهتدى لخطائه
فمن ذا الرؤاسي الذي تذكرونه . ومن ذا الكسائي صالحٌ في كسائه
ومن ثالثٌ لم أسمع الدهر باسمه . يُسمونه من لومه سيبوائه
فكيف يُخلُّ القول من كان أهله . ويهتدى له من ليس من أوليائه
فلستُ لبَّاعُ التَّميرات مُفضيلاً . على الضَّميم إن وافقت بعد عشائه^(١)

ولقد قلنا له : يا أبا الزهراء ، هل قرأت من كتاب الله شيئاً ؟ قال : إى وأبيك ، آيات مفصلات أرددهن في الصلوات ، آباء وأمهات ، وعمات وخالات

(١) في بعض الأصول : . إن راقبت فقد عدائه .

ثم أنشأ يقول :

قرأت قول الله في الكتاب • ما أنزل الرحمن في الأحزاب
لُعْظَم ما فيها من الثواب • الكفرُ والغُلظة في الأعراب
وأنا فأعلم من ذوى الألباب • أوْمَنُ بالله بلا آتِساب
في عرشه المستور بالحجاب • والموت والبعث والحساب
وجنة فيها من الثياب • ما ليس بالبصرة في حساب
وجاهم يلفح بالتهاب • أوْجَهْ أهل الكفر والسباب
ودفع رخل الطارق المتاب • في ليلة ساكتة الكلاب

ولما حضرناه ذات يوم جنازة ، فقلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت
الكوفة ؟ قال : يا ابن أخي ، حضرا حاضرا ؛ ومحلا أهلا ؛ أنكرتُ من أفعالكم
الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذه التلال
يا ابن أخي ؟ قلت له : أجداث الموتى ، فقال : أماتوا أم قتلوا ؟ قلت : قد ماتوا
بأجلهم ميات مختلفات . قال : فإذا تنتظر نحن يا ابن أخي ؟ قلت : مثل الذى
صاروا إليه ، فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول :

يا لهفَ نفسى أن أموت فى بلد • قد غاب عني الأهل فيه والولد
وكلُّ ذى رحمٍ شقيقٍ مُعْتَقَد • يكون ما كنتُ سقيما كالرمد
ياربِّ ياذا العرش وفقِّ للزَّند • ويسر الخير لشيخٍ مُخْتَضد
ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكنا لا نبارحه عاتدين
متفقدين ؛ فبينما نحن عده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول :

أبلغ بناتى اليوم أبلغ بالصوى • قد كنتُ بأملن إياي بالغنى
وقد تمنَّين وما يُعْنى المنى • بأن نفسى وردت حوض الردى
ياربِّ ياذا العرش فى أعلا السما • إليك قدمت صياحى فى الظما
ومن صلاتى فى صباحٍ ومسا • فعُدْ على شيخٍ كبيرٍ ذى آنحنا
يكفيه ما لاقاه فى الدنيا كفى

قلنا له : يا أبا الزهراء ، ما تأمرنا في القوس والآتان ، وفيما قسم الله لك عندنا
 من رزق ؟ فقال : يا ابن أخي ، أما ما قسم الله لي عندكم فردود إليكم ، وأما القوس
 والآتان فيبعوهما وتصدقوا بثمانهما في فقراء صليبة بني تميم ، وما بقي في موالهم .
 ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له
 حق إيمانه بك ، وتصديقه برسلك ، صليت عليهم وسلمت : اللهم إني جان مقترف
 وهائب معترف ، لا أدعى براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي ، وتجاوزك عني ؛
 اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب ، وكان في قضائك ، وسابق عليك
 قبض روحى في غير أهلى وولدى ، اللهم فبدل لى التعب والنصب رَوْحاً وريحاناً
 وجنة نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ،
 رحمه الله ؛ فما سمعت دعاء أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكياً وداعياً
 من جنازته ؛ رحمه الله .

* * *

لبعض الأعراب

وقال أعرابي يصف كساء .

من كان ذا بتّ فهذا بَتِّي • مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشْتِي
 نَسَجْتُهُ مِنْ نَعَجَاتِ بَيْتِ

وقال أعرابي : ١٥

قالت سُلَيْمَى : لَيْتَ لِي بَعْلًا يَمْنُ • يَفْصِلُ رَأْسِي وَيُسَلِّبُنِي الْحَزْنَ
 وَحَاجَةٍ لَيْسَ لَهَا عِنْدِي ثَمَنٌ • مَشْهُورَةٌ قَضَاؤُهَا مِنْهُ وَهَنْ^(١)
 قَلْبِي جَوَارِي الْحَيِّ : يَا سَلْمَى وَإِنْ • كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا ؟ قَالَتْ وَإِنْ !

وقال أعرابي :

جَارِيَتَانِ حَلَفْتُ أَمَّا مُمَا • أَنْ لَيْسَ مَغْبُونًا مِنْ اشْتَرَا مُمَا
 وَاللَّهِ لَا أَخْبِرُكُمْ إِسْمَا مُمَا • إِلَّا بِقَوْلِي هَكَذَا مُمَا مُمَا
 مُمَا اللَّتَانِ صَادَقَتْنِي مُمَا • حَيًّا وَحَيًّا اللَّهُ مِنْ حَيَّا مُمَا
 أَمَاتَ رَبِّي عَاجِلًا أَبَا مُمَا • حَتَّى مُتَّلَاقِي مُنْبِتِي مُنَا مُمَا

(١) الوهن : قريب من منتصف الليل .

وقال أعرابي :

إِنَّ لَنَا لَكُنَّةً ، مِعْنَةً ، مِغْنَةً ، مِغْنَةً
سَمْعُنَةً ، نَظْرُنَةً ، إِلَّا تَرَةً ، قَظُنَةً

السמעنة النظرة : المرأة التي إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً قظنت قظنيا .

وأنشد أبو عبد الله بن كبانة الأعرابي :

كَرِيمَةً يُحِبُّهَا أَبُوهَا ، مَلِيحَةً الْعَيْنَيْنِ عَذْبًا فُوهَا
لَا تُحْسِنُ السَّبَّ وَإِنْ سُبُّهَا

الأصمعي قال : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بدرة ، فقال : يا أصمعي ،
إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه البدرة . قلت : نعم يا أمير المؤمنين
بيننا أنا في صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابي قاعد على أجمة ، قد احتملت الريح
كسائه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ! فقلت له : يا أعرابي ، ما أجلسك وهنا
على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتها يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها . فقلت :
وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ قال : العجز يوقني عن أخذه . فقلت له : فهل قلت
في سلمى شيئاً ؟ قال : نعم . قلت له : أسمعتني الله أبوك ! قال لا أسمعتك حتى تأخذ
كسائي وتلقيه علي ! قال : فأخذته فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

الرشيد
والأصمعي

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِيَ بِسَلْمَى ، فَيَبْطِئُهَا وَيُلْقِيَنِي عَلَيْهَا

ويأتي بعد ذاك سحابٌ مُزْنٌ ، تُطَهِّرُنَا وَلَا نَسْعَى إِلَيْهَا

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البدرة لا بُورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابياً أتى عيناً من ماء صاف في شهر رمضان ، فشرب حتى

روى ، ثم أوماً بيده إلى السماء فقال .

إِنْ كُنْتَ قَدَرْتَ الصِّيا . م فَأَعْفُنَا مِنْ شَهْرِ آبٍ

أَوْ لَا فَإِنَّا مُفْطِرُوهُ . نَ وَصَابِرُونَ عَلَى الْعَذَابِ

خلا أعرابي بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له : فقالت له . قُمْ خائباً ! فقال .

الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكَلِّ له دقيق . فحجبت ولم تره جواباً .

٥

١٠

١٥

٢٠

كِتَابُ الْمَجِيبَةِ فِي الْأَنْجُوبَةِ

فرش الكتاب

- قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في كلام الأعراب خاصة ،
ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام كله مركباً ،
وأعزّه مطلباً ، وأغمضه مذهباً ، وأضيقه مسلكاً ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة
الفكرة ، واستعمال القريحة ، يروم في بديته نقض ما أبرم القائل في رويته ،
فهو كمن أخذت عليه الفجاجة ، وسدّت عليه الخارج ، قد اعترض الأسنة ،
واستهدف للرامي ، لا يدري ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما يفجأه من خصمه
فيقرعه بمثله ، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه
بعد أن روى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأي يغيب حتى
يختمر ؛ فقد كرهوا الرأي الفطير ، كما كرهوا الجواب الدبري ، فلا يزال في
نسيج الكلام واستثناسه ، حتى إذا اطمأن شأرده ، وسكن نافرده ، صك به
خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطئ ، وأسرع ولا تبطل ، تراه
يحاول من غير أناة ولا استعداد ، يطبق المفاصل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما
يرمى الجندل بالجندل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عُراه ، وينقض به
مرائره ، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبّدت بحجارة ؛ فلا شيء أعضل من
الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الآلد الذي يقرع صاحبه ، ويصرع
منازعه بقول كمثل النار في الخطب الجزل .

- لأبي الحسن قال أبو الحسن : أسرع الناس جواباً عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب .
 وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا ، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ .
 وكان يقال : اتقوا جواب عثمان بن عفان .
 في ابن عفان
 وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب : أخبرني عن الزبير بن العوف ،
 قال : مطاع في أذنيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، قال الزبير بن العوف :
 والله يارسول الله ، لقد علم مني أكثر من هذا ، ولكن حسدني . قال عمرو
 ابن الخطاب : أما والله يارسول الله ، إنه لزم المرءة ، ضيق العطن ، أحق
 الوالد ، لئيم الخال ؛ والله يارسول الله ، ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت
 في الأخرى ؛ رضى عن ابن عمر فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب ،
 وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب ؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام :
 إن من البيان لسحرا .

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

- لما قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقربه وقضى حوائجه
 وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : والله إن عليا غير حافظ لك ،
 قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية
 وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنه بالله ، إذ ساء به ظنك ،
 وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ ختم وأفسدتم وجرتتم ، فاكفف لأبالك ،
 فإنه عما تقول بمعزل .
 وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك علي . قال :
 صدقت ، إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت
 خير لي من أخى ، وأخى خير لنفسه منك .
 وقال له ليلة الهدير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر
 كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال :
 أَخُونُ مِنِّي وَاللَّهِ مَنْ سَفَكَ دَمَهُ بَيْنَ أَخِي وَابْنِ عَمِّي ، أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَمِيرًا !
 ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم
 قال له : أتمم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم ! قال : وأتمم معشر بني أمية
 تصابون في بصائركم !

ودخل عتبة بن أبي سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ،
 فقال عقيل : مَنْ هَذَا الَّذِي أَجْلَسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ قال : أخوك
 وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن كان أقرب إليك مني ، إني لأقرب لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض
 ونحن سماء . قال عتبة : أبا يزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا بما تحب أكثر
 مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب ! قال له
 عقيل ، وهذا معاوية عمته حمالة الخطب ! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار
 فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عنك حمالة الخطب ؛
 فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوما : ما أبين الشَّبَقَ في رجالكم يا بني هاشم ! قال : لكنه في نسائكم
 أبين يا بني أمية !

وقال له معاوية يوما : والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم . قال :
 وما هي ؟ قال : لين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعير
 يا معاوية ؟ أجل ، والله إن فينا لليناً من غير ضعف ، وعِزاً من غير جبروت ؛
 وأما أتمم يا بني أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كل هذا أردنا
 يا أبا يزيد . قال عقيل :

لَيْدِي اللَّبُّ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرِّعُ الْعَصَا . وَمَا عُلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُعْلَمَ

قال معاوية :

وإن سَفَاهَ الشيخ لا حِلَّ بعده . وإن الفتي بعدَ السَّفاهة يَحْلُمُ

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إني أمرؤُ مني التكزم شِيمَةً . إذا صاحبي يوما على الهون أضمر

- ثم قال : وآيمُ الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهْدَتِكَ مهَادَهَا ، وأظْلَكَ بِحِذَائِهَا
ومدت عليك أطناب سلطانها - ماذاكَ بالذي يزيدك مني رغبة ، ولا تخشعاً
لرغبة . قال معاوية نعتها أبا يزيد نعتاً هَسَّ لها قلبي ؛ وإني لأرجو أن يكون الله
تبارك وتعالى مارِداًني بَرْداء ملكها ، وحباني بفضيلة عيشها ، إلا لِكْرَامَةِ
أَذْخَرَهَا لي ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكاً ؛ وإنما هو المثال يُحْتَذَى
عليه ، والأمور أشباه ؛ وآيمُ الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريماً ، وإلينا
حييياً ، رما أصبحتُ أضمر لك إساءة .

بن عقيل وأسراء

ويقال إن امرأة عقيل وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل :
يا بني هاشم ، لا يحبكم قلبي أبداً ؛ أين أبي ؟ أين أخى ؟ أين عمي ؟ كأن أعناقهم
أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلت جهنم نخذي على شمالك .

١٠ جواب ابن عباس رضى الله عنهما

لمعاوية وأصحابه

- اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ؛
وكان جريئاً على معاوية حقاراً له ، فبلغه عنه بعض ما غمّه ؛ فقال معاوية :
رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميت في الحى
والحى في الميت ؛ استعملك على يا ابن عباس على البصرة ، واستعمل أخاك
عبيد الله على اليمن ، واستعمل أخاك تماماً على المدينة ؛ فلما كان من الأمر ما كان ،
هناؤكم ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعث غرائركم ، وقلت : آخذ اليوم
وأعطى غداً مثله . وعليت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت

بجلا فيكم وقيأتكم ما أكلتم . ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم : خذلتكم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتموني بصيفين ، ولعمري لبنو تميم وعدى أعظم ذنوبنا منا إليكم ؛ إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنة ؛ حتى متى أغضى الجفون على القذى ، وأحب الذبول على الأذى ، وأقول : لعل الله وعسى ... ما تقول يا ابن عباس ؟

قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين ؛ لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبي ؛ ولكن من هنا أباك يا خاء أبي أكثر من هنا أبي يا خاء أباك ؛ نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الإسلام ؛ وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت رجلا لهواك لا لنفسك ، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل ، وابن بشر ابن أرطاة على اليمن نخان ، وحبيب بن مرمرة على الحجاز فرّد ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحُصِب ؛ ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقتها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها . وأما خذلتنا عثمان فلو لزمنا نصره لصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حربنا إياك بصيفين فعلى تركك الحقّ وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتيمة وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها .

وسكت ، فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابنُ حربٍ عظيمَ القدرِ في الناس . حتى رماهُ بما فيه ابنُ عباسٍ
ما زال يُهَيِّطُهُ طوراً ويُصِغِدُهُ . حتى استقاد وما بالحقِّ من باسٍ
لم يتركنْ خُطَّةً مما يُذَلِّلُهُ . إلا كَوَاه بها في فُرُوةِ الراسِ

لابن أبي مليكة
في ابن عباس

وقال ابن أبي مليكة : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أفصح الناس ، وإذا تكلم فأعرب الناس ، وإذا ألقى فأفقه الناس . ما رأيت أكثر صواباً ولا أحضر جواباً من ابن عباس .

ابن عباس
ومعاوية

ابن الكلبي قال : أقبل معاوية يوماً على ابن عباس فقال : لو وليتُمونا ما أنيتُم
إلينا ما أتينا إليكم ، من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على
القليل ، وصبري على ما صبرتُ عليه منكم ، إني لا أريدُ أمراً إلا أظهأتُم صدره
ولا آتي معروفاً إلا صغرتُم خطره وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها
متكاهنين عليها : تقولون : قد نفص الحق دون الأمل : فأى أمل بعد ألف ألف
أعطيها الرجل منكم ، ثم أكون أسيراً بإعطائها منه بأخذها ؟ والله لئن اتخذت
لكم في مالي وذلك لكم في عرضي ، أرى اتخذاعى كرماً وذلي حليماً . ولو وليتُمونا
رضينا منكم بالانصاف ، ولا نسألُكم أموالكم ، لعلنا بحالكم وحالنا : ويكون
أبغضنا إلينا أحبنا إليكم أن نُنفِكم .

فقال ابن عباس : لو ولينا أحسننا المواساة ، وما ابتلينا بالآثرة : ثم لم نفِهم
الحى ، ولم نشتم الميت : فلمستم بأجود منا أكفاً ، ولا أكرم أنفساً ، ولا أصون
لأعراض المروءة : ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطي في الحق منكم
في الباطل ، وأعطي على التقوى منكم على الهوى : والقسم بالسوة والعدل في
الرعية يأتين على المنى والأمل ، ما أَرْضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتُم منا لم ترض
أنفسنا به لكم : والكفاف رضا من لا حق له : فلا تُبخلونا حتى تسألونا ،
ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

أبو عثمان الخزازي قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال :
يا بني هاشم ، والله إن خيرى لكم لمعنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح : فلا يقطع
خيرى عنكم علة ولا يوصد بابي دونكم مسألة : ولما نظرت في أمرى وأمركم
رأيت أمراً مختلفاً : إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي منى ، وإذا أعطيتكم
عطية فيها قضاء حقكم فلتُم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدرنا : فصرت
كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له : وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا
فتحت لنا باباً حتى قرعناه : ولئن قطعت عنا خيرك لله أوسع منك ولئن أغلقت

دوننا بابك لتسكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الغنيمة ، وحق في النية ؛ فالغنيمة ما غلبنا عليه ، والنية ما اجتنبناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأنك منا زائر يحمله خف ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاي ، فإنك تهز ولا تلتج .

٥ وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابيتها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفمالها ، وبنو تيم بصديقها وجوادها ، وبنو عدى بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم بأرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤي بفارسها وقربها ، فن ذابحلي في مضمارها ويجري إلى غايتها ؟ ما تقول يا ابن عباس ؟

١٠ قال : أقول : ليس حتى يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها ولا يساوون بها ولا يدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ؛ إن بنا فتح الأمر وبننا يُختم ، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك ، لانا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

١٥ أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فزجج الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هبة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتني وليتني انقصة ، وكان بين عينيكَ دبرة ، وإذا كنت في ملا من الناس كنت الهوة الهمة .

٢٠ فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقاً عليه ، وهم أعظم الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً ، دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا في بني هاشم رحلك ، ولا في بني عبد شمس راحلتك ، فأنت الأثيم الزنيم ، الضال

ابن عباس وابن العاص

المضل ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحمله ، وتسمو بكرمه .

فقال عمرو : أما والله إنى لمسرور بك ، فهل ينفعنى عندك ؟

قال ابن عباس : حيث مال الحق منا ، وحيث سلك قصدنا .

المدائنى قال : قام عمرو بن العاص فى موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية

- ابن أبى سفيان وبني أمية ، وتناول بنى هاشم ، وذكر مشاهدته بصفيين ، واجتمعت
قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال

يا عمرو ، إنك بعث دينك من معاوية ، وأعطيته ما يدك ، ومَنَّكَ ما يد غيره

فكان الذى أخذ منك أكثر من الذى أعطاك ، والذى أخذت منه دون الذى

أعطيته ، وكل راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر فى يدك كذرها عليك

- بالعدل والتقصص ، وذكرت مشاهدك بصفيين ، فوالله ما ثقلت علينا يومئذ وطأتك

ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان ، قصير السنان آخر

الخيال إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان ، يد لا تبسطها إلى خير ،

وأخرى لا تقبضها عن شر ، ولسان غادر ذو وجهين ، ووجهان وجه موحش

ووجه مؤنس ، ولعمري إن من باع دينه بدنياه غيره لَعَرَى أن يطول عليها ندمه ،

- لك يان وفيك خطل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك قدر وفيك حسد ، وأصغر

عيب فيك أعظم عيب فى غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما فى قريش أنقل على مسألة ، ولا أمر جواباً

منك ، ولو استطعت أن لا أجيئك لفعلت ، غير أنى لم أبيع دينى من معاوية ،

ولكن بعث الله نفسى ولم أنس نصيبى من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية

- وأعطيته ، فإنه لا تُعلمُ العوانُ الخمرَةَ ، وأما ما آتى إلى معاوية فى مصر فإن ذلك

لم يغيرنى له ، وأما خفة وطأتى عليكم بصفيين فلما استنقذتم حياتى ، واستبطأتم

وفاتى ، وأما الجبن ، فقد علت قريش أنى أول من يبارز ، وآخر من ينازل

وأما طول لسانى فإنى كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

لسانى طويل فاحترس من شداته • عليك وسيتى من لسانى أطول

وأما وجهي ولساني ، فإنني ألقى كل ذي قدر بقدره ، وأرى كل ناصح بحججه ،
فن عرف قدره كفاي نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسي ، ولعمري ما لأحد من
قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما ينغمي ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشم مالى أراكم كأنكم • في اليوم جهال وليس بكم جهل
ألم تعلموا أني جسر على الوغى • سريع إلى الداعي إذا كثر القتل
وأول من يدعو نزال طبيعة • جيلت عليها والطباع هو الجبل
وأنى فصلت الأمر بعد اشتباهه • بدومة إذ أغيا على الحكم الفصل
وأنى لا أغيا بأمر أريد • وأنى إذا تجت بكاركم خل

٥

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حبيب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا الأمر الذي نحن
فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ،
أبقت لنا هذه الحرب حياة ولا صبرا ، ولنا نقول : ليت الحرب عادت ! ولكننا
نقول : ليتنا لم تكن كانت ! فانظر فيما بقي بعين ماضى : فإنك رأس هذا الأمر
بعد علي ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو .

١٠

بجأوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير

١٥

الشعبي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أم المؤمنين ، وحواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأفتيت بتزويج المتعة .

فقال : أما أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سُميت أم المؤمنين
وكنا لها خير بنين ؛ فتجاوز الله عنها ؛ وقاتلت أنت أبوك عليا ، فإن كان عليا
مؤمنا فقد ضللتكم المؤمنون ، وإن كان عليا كافرا فقد بُؤتُم بسخط من الله
بفراكم من الزحف ؛ وأما المتعة فإن عليا رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم رخص فيها ، فأفتيت بها ؛ ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها ؛
وأول مجمر سطر في المتعة مجمر آل الزبير .

٢٠

مناظرة ومجلس
معاوية

دخل الحسن بن عليّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؛ فلما جلس الحسن قال معاوية : يا أبا محمد ، أيهما كان أكبر ، عليّ أم الزبير ؟ قال : فقال : ما أقرب ما بينهما ، عليّ كان أسنّ من الزبير ؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير : رحم الله الزبير ، فتبسم الحسن ؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب : دع عنك عليا والزبير ؛ إن عليا دعا إلى أمر فأتبع وكان فيه رأساً ، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة ؛ فلما تراءت الفتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه ، أو يدحض الباطل فيتركه ، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر ، فصرع عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه ، ومضى عليّ قدماً كعادته مع ابن عمه ونبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير ! فقال ابن الزبير : أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم ... قال : إنّ الذي تمزّض به يرغب عنك . وأخبرت عائشة عمقاتهما ، فرأى أبو سعيد بفنائها فنادته : يا أحول يا خبيث ! أنت القاتل لابن أختي كذا وكذا ؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً ؛ فقال : إنّ الشيطان ليراك من حيث لا تراه ! فضحكك عائشة وقالت : لله أبوك ! ما أخبرت لسانك .

الحسين ومعاوية

الشعبي قال : دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره ، وقال : ترى هذا القاعد - يعني ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبي عبد مناف .

فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لكن إن شئت أغليك فضل الزبير على أيك أبي سفيان فعلت ، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن عليّ فقال :

يا ابن الزبير ، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طلق اللسان رابط الجنان ؛ فإن نطق نطق بعلم ؛ وإن صمت صمت بحلم ؛ غير أنه كفّ الكلام ، وسبق إلى السنان ، فأقرت بفضل الكرام ؛ وأنا الذي أقول :

فمّ الكلام لسابق في غاية . والناس بين مُفَقَّر ومُبَدَّل

إِنَّ الَّذِي يَجْرَى لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ . يُنْمَى بغير مُسَوِّدٍ وَمُسَدِّدٍ

بل كيف يُدْرِك نورُ بَدْرِ ساطِعٍ . خيرُ الأنامِ وفرعُ آلِ محمدٍ

فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان : أكثر الله في موالى الكرام مثلك .

فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ،

أو لكففنا عن جوابه إجلالا له ؛ ولا جواب لهذا العبد .

قال ذكوان : هذا العبد خير منك ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مولى القوم منهم » ؛ فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن العوام

ابن خويلد ؛ فتحن أكرم ولاء وأحسن فعلا .

قال ابن الزبير : إني لست أجيب هذا ؛ فهات ما عندك .

فقال معاوية : قاتلك الله يا ابن الزبير . ما أعياك وأبغاك . أتفخر بين يدي أمير المؤمنين

وأبي عبد الله ؟ إنك أنت المتعدي لطورك ، الذي لا تعرف قدرك ؛ فقس شبرك

بفترك ؛ ثم تعرف كيف تقع بين عرائين بنى عبد مناف ؛ وأما والله لئن دفعت

في بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لقطعتك بأمواجها ، ثم لترمين بك في لججها ؛

فما بقاءك في البحور إذا غمرتك ، وفي الأمواج إذا بهزتك ؟ هنالك تعرف

نفسك ؛ وتندم على ما كان من جرأتك ، وتُسمى ما أصبحت فيه من أمان وقد

جبل بين العير والنزوان .

فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال أسألكم

بالله : أتعلمون أن أبي حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أباسفيان

حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ،

وأمة هند آكلة الأكباد ؟ وجدى الصديق ، وجدته المشدوخ بيد رأس الكفر ؟

وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الحطب ؟ وجدتي

صفية ، وجدته حمالة ؟ وزوج عتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج

عمته شر ولد آدم أبو لهب سيهلي نارا ذات لهب ؟ وغالتي عائشة أم المؤمنين ،

وغالته أشقى الاشقين ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية ؟

- وقال له معاوية : ويحك يا بن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رئاسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قُذِّناك وسُذِّناك قديما وحديثا ، لا تستطيع لذلك إنكارا ، ولا عنه فرارا ، وإن هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشا قد اجتمعت يوم الفخار على رئاسة حرب بن أمية وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته . غير مُنكرين لفضله ولا طامعين في عزِّه ، إن أمر أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية ؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتي لأسرتك ، وبنى أبي لابني أليك ، فجحدته قريش أشد الجحود ؛ وأنكرته أشد الإنكار وجاهدته أشد الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ؛ فما ساد قريشا وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفشتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا ؛ فهدَّيكم تحت راية مهدينا ، وضالَّكم تحت راية ضالِّنا ؛ فحنَّ الأرباب ، وأتمَّ الأذئاب ؛ حتى خلَّص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعصَّمه بالإسلام من عبادة الأصنام ؛ فكان في الجاهلية عظيما شأنه ، وفي الإسلام معروفا مكانه ؛ ولقد أُعْطِيَ يوم الفتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك ؛ وإن متادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمِن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمِن ؛ وكانت داره حرما ، لدارك ولدار أليك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر ؛ وفي الإسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصديق فتصديق عبد مناف سُمي صديقا لا بتصديق عبد العزى ، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ بيدى ، فلمعمرى لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفأوهم من بنى أبيهم ، ففضى الله منايهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك ؟ وأما عنك أم المؤمنين فبنا شرُفت وُسُمت أم المؤمنين ، وغالنت عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهي أدَّتْكَ من الظل ،

ولولا هي لكنت ضاحيا ؛ وأما ما ذكرت من عمك وخال أهلك سيد الشهداء ،
فكذلك كانوا رحمهم الله ، وغرهم وإرثهم لي دونك ، ولا غر لك فيهم ولا إرث
بينك وبينهم ؛ وأما قولك : أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أننا
أنجود في الإزم ، وأنحزم^(١) في القدم ، وأمنع للحرم ؛ لا والله ما أراك منتبيا
حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم بالذحول وقدم إليهم
الخيول ، وخدمهم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ
مددتم على نساءكم الشجوف وأبرزتم زوجته للحنوف ومقارعة السيوف ، فلما
التقى الجمع انكص أبوكم هاربا فلم يُنَجِّه ذلك أن طعنه أبو الحسين بكلكلة طعن
الحصيد بأيدي العبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن خشيتك برائته ونالتك مغاليبه ،
وآيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بشقافها ، أو تُصْبِحَ منها صباح أهلك بوادي
السباع ، وما كان أبوك المرهوب جانبه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أَكِيلَةَ سِرْحَانٍ قَرِيسَةَ ضَيْغَمٍ ۝ فَقَضَقَضَهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطَمًا

* * *

ابن الزبير
ومعاوية

نازع مروان بن الحكم يوما ابن الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع
مروان ؛ فقال ابن الزبير : يا معاوية ، إن لك حقا وطاعة ، وإن لك صلة
وحرمة ؛ فأطيع الله نطقك ؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ؛ ولا تطرق
إطراق الأفعوان في أصول السخبر .

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذكر له مروان - فقال : إن يطلب
هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ؛
وما أراكم بمُسْتَهْيِينَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا ترده مودة ،
يسومكم خسفاً ويوردكم تلفا .

قال ابن الزبير : إذا والله نُطْلِقَ عقال الحرب بكتائب تموز كرجل
الجراد ، حافاتها الأسل ، لها دوى كدوى الريح ، تتبع غطريفاً من قريش

(١) في بعض الأصول : وأمضى .

لم تكن أمه براعية ثلثة .

قال معاوية : أما ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلت ذروة السنام ، وشربت عنقوان المكرع ، وليس للأكل بعدى إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرثق .

٥ مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

ابن العاص
والحسن

وفد الحسن بن عليّ على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، إن الحسن لغةٌ ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم . ففعل ، فصعد المنبر وتكلم وأحسن : ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم أبناءً لنبيكم ما بين لآبئها لم تجدوه غيري وغير أخى . وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين . فسأه ذلك عمرأ وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : ١٠ أبا محمد ، أتصف الرطب ؟ فقال : أجل ، تلقعه الشمال وتخرجه الجنوب ، وتُنضجه الشمس ، ويصبغه القمر . قال : أبا محمد ، هل تنعت الخَرامة ؟ قال : نعم ، تُبعد المشى في الأرض الصُّحُح حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالقمّة والرّمة - يريد الروث والعظم - ولا تبُل في الماء الراكد .

II

مروان والحسن
في مجلس معاوية

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب . فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا مانحن فيه ! فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ؛ فإنى أسأله ما ليس عنده فيه جواب . قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم قد ألهموا الكلام وأذن له ؛ فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، ويقال إنّ ذلك من الخرق ١ ٢٠

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكننا معشر بنى هاشم أفواها عذبة شفاهاها ففساؤنا يُقبلن علينا بأنفاسهن وقبَاهن ؛ وأتم معشر بنى أمية فيكم بَحْر شديد ، ففساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداعكم ؛ فإنما يشيب منكم

موضع العذار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء .
قال : وما هي ؟ قال : الغلة . قال : أجل ، نُزعت الغلة من نساتنا ووضعت
في رجالنا ، ونزعت الغلة من رجالكم ووضعت في نساتكم ، فما قام لأمية
إلا هاشمي ! فنضب معاوية وقال : قد كنت أخبرنكم فأيتنم حتى سمعتم ما أظلم
عليكم يتنم وأفسد عليكم مجلسكم . ٥

نفرج الحسن وهو يقول :

وما رستُ هذا الدهر خمسين حجةً * ونحساً أُرَجِّي قاتلاً بعد قاتل
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جسيمها * ولا في الذي أهوى كدحتُ بطل
وقد أشرعتُ في المنايا أكفها * وأيقنتُ أني رهن موتٍ بعاجل

١٠ قال الحسن بن علي الحبيب بن مسلمة الفهرى : ربِّ مسير لك في غير
طاعة الله ! قال : أما مسيرى إلى أيك فلا ! قال : بلى ، ولكنك أطعت
معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ،
ولو كنت إذ فعلتَ شراً قلتَ خيراً كنت كما قال الله عز وجل : ﴿ تَخْلَطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا ﴾ ، ولكنك كما قال الله : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . ١٥

٢٠ قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان ، فقال له يحيى بن الحكم :
ما فعلتُ خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة
وتسميها خبيثة ؟ لقد اختلفتا في الدنيا وستختلفان في الآخرة ! قال يحيى : لأن
أموت بالشام أحب إليّ من أن أموت بها ! قال : اخترت جوار النصراني على
جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحيى : ما تقول في عليّ وعثمان ؟
قال : أقول ما قاله من هو خير مني فيمن هو شر منهما : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

ابن جعفر وابن
الحكم في مجلس
عبد الملك

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

معاوية والضحاك
وابن العاص

قال معاوية يوماً وعنده الضحاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو
ابن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

قال الضحاك بن قيس : إكدا؛ العاقل وإجداء الجاهل . وقال سعيد بن

- العاص : أعجب الأشياء ما لم دُرْ مثله . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء
○ غلبة من لاحق له ذا الحق على حقه . وقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطى
من لاحق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

معاوية وغوم
من قريش

حضر قوم من قريش مجلس معاوية ، فيهم عمرو بن العاص ، وعبد الله
ابن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ فقال عمرو : أخذ الله

- يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من ينضى على القذى ، ويتصام عن العوراء ،
١٠ ويجز ذيله على الخدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لمسنا إليه الضر أو ديننا
إليه الحمر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مال مصر . قال معاوية :
يا معشر قريش ، حتى متى لا تنصفون من أنفسكم ؟ . قال عبد الرحمن بن الحارث :
إن عمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك . لو أغضيتَ عن هذه . قال : إن عمراً لي
ناصر . قال عبد الرحمن : فأطعمنا مثل ما أطعمته ، وخذنا بمثل نصيحته ؛ إنا
١٥ رأيناك يا معاوية تضرب عوام قريش بأياديك في خواصها ، كأنك ترى أن بكرامها
جاروك دون لئامها ، وإنا والله لنفرغ من إناء فعم في إناء ضخم ، وكأنك بالحرب
قد حل عقابها عليك من لا ينظر لك . قال معاوية : يا ابن أخي ، ما أحوج أهلك
إليك ! فلا تفجعهم بنفسك ! ثم أزد :
٢٠

- أعز رجالاً من قريش تنازبوا ○ على سفه ، مني الحياء والتكرم

معاوية وابن
الزبير

وقال معاوية لابن الزبير : تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني ! قال :
لم لا أكون أحق به منك يا معاوية ، وقد اتبع ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الإيمان واتبع الناس أباك على الكفر ؟ قال له معاوية : غلظت يا ابن الزبير بعث الله ابن عمي نبيا فدعا أباك فأجابه : فما أنت إلا تابع لي ، ضالا كنت أو مهديا .

- العتيبي قال : دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له : أشر على في الحسين . قال : معاوية ومروان
وابن العاص في
الحسين
- ٥ تخرجه معك إلى الشام ، فقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه . قال : أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به ، فإن صبرت عليه صبرت على ما أكره ، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رجلي ! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص ، فقال له : يا أبا عثمان ، أشر على في الحسين . فقال : والله إنك ما تخاف الحسين إلا على من بعدك ، وإنك لتخلف له قرنا إن صارعه ليصرعه ، وإن سابقه ليسبقته : فذُر الحسين منبت النخله ، يشرب من الماء ، ويصعد في الهواء ، ولا يبلغ إلى السماء !
- ١٠ قال : فما غيبك عني يوم صفين ؟ قال : تحملت الحرم ، وكفيت الحزم ، وكنت قريبا لو دعوتنا لأجبنك ^(١) ، ولو نلت لرقعتك ! قال معاوية : يا أهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

مجاوبة بين بني أمية

- ١٥ قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان وليهم بعد الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان ، قال عمر بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة هو الذي أمر أهل المدينة بإخراجي : فأرسل إليه وتوثقه . فأرسل إليه معاوية ، فلما دخل عليه قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجي ؟ قال لا ورجحك أبا أمية ، ولا أمرت أهل الكوفة بإخراج أهلك : بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك ،
- ٢٠ إلا أن تكون عصيت الله فيهم ؟ إنك لتحل عري ملك شديدة عقدتها ، وتمتري أخلاف فيقة سريعة درتها ؛ وما جعل الله صالحا مصلحا كفاسد مفسدا !

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ،

معاوية وخالد بن
عبد الله في
أموال العراق

(١) في بعض الأصول : لا طعنك .

- وعند رجله أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ؛ لا ما فعل هذا - وأشار إلى خالد - استعملته على العراق فاستعمل كل مُلَطِّقٍ فاسق فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ؛ واستعملت هذا على خراسان - وأشار إلى أمية - فأهدى إلى رذونين حَطَمَين ، فإن استعملتكم ضيعتم وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا ؛ فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهله رجلاً : سامع مطيع مناصح ، وعدو مبغض مكاشح ؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنما جزبناه ليزداد ودّاً إلى هذه ، وأما المبغض المكاشح ، فإنما داربناه ضخته وسللنا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيك ؛ وإن هذا يجي الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ؛ فيوشك أن تثبت البغضاء
- ١٠ فلا أموال ولا رجال ؛ فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : هو والله ما قال خالد .

- قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام ، فألقى عمته آمنة بنت سعيد ابن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه فرآه فقال له : ما يقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه يعرض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح ، فسكحوا أمك ، وسلبوك ملكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجة ما لا تقدر عليه . يعني الكيمياء ، وكان يعملها .
- ١٥

خالد بن يزيد
ومحمد بن عمرو

- لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاه عبد الله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ما حشواُ جُبَّتَكَ يا عمرو ؟ قال : أما ؛ قال : قد علمت أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن اللقاح دَرَّتْ بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أعفتم أولادها .
- ٢٠

عثمان وابن العاص
بعد عزله عن مصر

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابن سليمان : بن عبد الملك كلام . فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان : إن شئت فأقل وإن شئت

ابن لعمر بن
عبد العزيز وابن
سليمان

فأكثر؛ ما كان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبي ! لأن سليمان هو ولي عمر
ابن عبد العزيز .

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان كانوا عند هشام ،
فذكروا الوليد بن يزيد ، فخمقوه وعابوه ، وكان هشام يبعضه ؛ ودخل الوليد ،
فقال له العباس بن الوليد : كيف حبك للروميات ؟ قال : إن أباك كان
مشغولاً بهن . قال : إني لا أحسن . [قال] : وكيف لا يُحببن وهن يلدن مثلك ؟
قال : آسكت ، فلست بالفعل يأتي عسبه بمثل . قال له هشام : يا وليد ، ما شراك ؟
قال : شراك يا أمير المؤمنين . وقام فخرج ، فقال هشام : هذا الذي تزعمون
أنه أحق .

وقرب إلى الوليد بن يزيد فرسه ، فجمع جراميزه ووثب على سرجه ، ثم
التفت إلى وليد هشام بن عبد الملك ، فقال : يحسن أبوك أن يصنع مثل هذا ؟
قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه في الجواب .

خطب عبد الملك بن مروان بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقالت :
والله لا تزوجني أبو الذباب ! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى :
أما والله لقد تزوجت أسوداً أفوه ! قال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت
منك ! وكان عبد الملك ردى الفم ، يدمى فيقع عليه الذباب ، فسمى
أبا الذباب .

الجواب المقاطع

فظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إني لأبغض هذه
الوجوه . قال له سعيد بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ! قال : صدقت ؛
ولكن الأنصار والمهاجرون قتلوا أباك !

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغضهم ! قال له : الحجاج وخارجي
أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة .

عمرو بن
معديكرب
وباهلي

وقال ابن الباهلي لعمرو بن معديكرب : إن مُهرَكَ لمُعرف . قال : هجينٌ
عرف هجيناً مثله .

الحجاج وخارجية

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأُعِدَّنكم عَدًّا ولأَحْصِدَنَّكم حَصْدًا !
قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق !

وَأَتَى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابها : ما تقولون فيها ؟ قالوا :
عاجلها القتل أيها الأمير ، قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من
وزرائك يا حجاج ! قال لها : وَمَنْ صاحبي ؟ قالت : فرعون ؛ استشارهم في موسى
فقالوا : أَرْجِهْ وأخاه !

زياد وخارجي

وَأَتَى زيادُ رجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين ؟
قال أما الذي تسميه أمير المؤمنين فهو أميرُ المشركين ، وأما أنت فما أقول في
رجل أوله لزنية وآخره لدعوة ! فأمر به فقتل وصلب .

الأشعث وشرح

قال الأشعث بن قيس لشرح القاضي : لشدّ ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت
ذلك ضربك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .

ابن الفضل
وبعض قرابته

نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث ، فقال له : يابن الزنديق ! قال له :
إن كان أبي كما تقول وأنا مثله . فلا يحل لك أن تنازعني في هذا الميراث ؛ إذ كان
لا يرث دينٌ ديناً .

الحجاج وخارجية

وَأَتَى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ، فقيل لها
الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إني لأستحي أن أنظر إلى من
لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .

عثمان وعلي

لقي عثمان بن عفان عليّ بن أبي طالب ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ، فسكت
عنه علي ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟ قال : له علي : ليس لك عندي إلا
ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت

الأحنف ؛ فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ؟ قال : أخافك إن صدقتُ وأخاف الله إن كذبتُ !

- ٥ قال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله فضل قريشاً بثلاث : فقال لنبية عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ، فنحن قومه ؛ وقال : ﴿ لَا يَلَافِ قُرَيْشٌ إِيْلَافَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ ، ونحن قريش ! فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾ ، وأنتم قومه ؛ وقال : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ وأنتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ، وأنتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك ! فأخذه .

- ١٥ وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

مجاوبة الأمراء والرد عليهم

- ٢٠ قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهوك على أهلك إذ سموك جارية . قال : ما كان أهوك على أهلك إذ سموك معاوية ، وهي الأثى من الكلاب . قال : لا أم لك ! قال : أمي ولدتي للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا . قال : إنك تهتدين ! قال : إنك لم تفتحنها قسراً ولم تملكنا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً وأعطيناك سمعاً وطاعة ، فإن وفيت لنا وفينا لك ، وإن فزعت إلى غير ذلك ، فإننا تركنا وراة رجالاً شداداً وألسنة حداداً .

قال له معاوية : لاكثر الله في الناس أمثالك . قال جارية : قلُ معروفًا وراعنا ؛ فإن شر الدعاء المختطب .

معاوية
والأحف

عقد معاوية بن أبي سفيان على الأحنف ذنوبًا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم ترد الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جواحننا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددت فترًا من غدر لنمذن باعًا من ختر ؛ ولئن شئت لنستصفين كدر قلوبنا بصفر حلك . قال : فإني أفعل !

معاوية وعدى

قال معاوية لعدي بن حاتم : ما فعلت الطرفات يا أبا طريف ؟ يعني أولاده ؛ قال : قتلوا ! قال : ما أنصفك ابن أبي طالب إذ قتل بنوك معه وبقى له بنوه ! قال : لئن كان ذلك لقد قتل هو وبقيت أنا بعده ! قال له معاوية : ألم تزعم أنه لا يُخنق في قتل عثمان عثر ؟ قال : قد والله خُنق فيه التيس الأكبر . قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها ! قال عدى : لا أبالك ! شِم السيف ، فإن سلَّ السيف يسُلَّ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال : اجعلها في كتابك فإنها حكمة .

الأحف وشاع
لعن عليا

الشياني عن أبي الجناح الكندي عن أبيه ، أن معاوية بن أبي سفيان بينما هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبًا ، فكان آخر كلامه أن لعن عليا ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إلى هذا القاتل ما قل آثما لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم ، فاتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقي ربه ، وأُفرد في قبره ، وخلا بعمله ؛ وكان والله - ما علنا - المبرز بسبقه ، الطاهر خلقه ^(١) ، الميمون نقيته ، العظيم مصيئته . فقال له معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت ما ترى ! وأيم الله لتصعدن المنبر فتلعننه طوعا أو كرها ، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين ، إن تعفني فهو خير لك ، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى فيه شفتاي أبدًا !

قال : قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفك في القول والفعل . قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني ؟ قال : أصدق المنبر فأحد الله بما هو أهله ، وأصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليا ، وإن عليا ومعاوية اختلعا فاقبلا ، وادع كل واحد منهما أنه بُغي عليه وعلى فئته ؛ فإذا دعوت فاقموا رحمكم الله . ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ؛ وآلعن الفئة الباغية ؛ اللهم العنهم لعنا كبيرا ؛ آمنوا رحمكم الله . يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسي ؛ فقال معاوية : إذا نُفّيتك يا أبا بجر .

معاوية وعقيل
في أمر علي

١٠ وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إن علياً قد فطمك ووصلتك ؛ ولا يرضيني منك إلا أن تلعه على المنبر ؛ قال : أفعل ، فأصعد ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فآلعه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل ، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بني وبينه . قال : والله لازدتُ حرفاً ولا تقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم . ١٥

الهيثم بن عدي قال : قال معاوية لأبي الطفيل : كيف وجدك على علي ؟ قال : وجدُ ثمانين مثكلاً ؛ قال : فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسى ، وإلى الله أشكو التقصير ؛

٢٠ وقال مرة أخرى : أبا الطفيل ؛ قال : نعم . قال : أنت من قنلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكنني من حضره ولم ينصره . قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره . قال : لقد كان حقه واجباً وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبي بدمه نصره له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان

كما قال الشاعر :

لأعرفك بعد الموتَ تَهْدِيَنِي ۝ وفي حياتي ما زودتني زاداً

معاوية وابن
الخطل

العبي قال : سعد معاوية المذبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن عمر ولاني أمراً من أمره ، فوالله ما غششتُه ولا خنتُه ثم ولاني الأمر من بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً ؛ فأحسنمت والله وأسأت ، وأصبت وأخطأت ؛ فئن كان يجهلني فإني أعزّفه بنفسي . فقام إليه سلمة بن الخطّيل العرجي ؛ فقال : أنصفت يا معاوية وما كنت منصفاً . قال فغضب معاوية وقال : ما أنت وذاك يا أحذب ؟ والله لكأني أنظر إلى بيتك بمهتمة ، وبُطْبُتَيْس ، وبطنب بهمة ، بفنائه أعز عشر ، يحنّلين في مثل فوازة حافر العير ، تهفو الريح منه بجانب ، كأنه جناح نسر . قال : رأيت والله ذاك في شر زماننا إلينا ، ووالله إن حشوه يومئذ لحسب غير دنس ؛ فهل رأيتني يا معاوية أكلت مالا حراماً أو قتلت امرأة مسلماً ؟ قال : وأين كنت أراك وأنت لا تدبُّ إلا في خمر ؟ وأى مسلم يمجز عنك فقتله ؟ أم أى مال تقوى عليه فأكله ؟ اجلس لا جلست . قال : بل أذهب حتى لا تراني . قال إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها . فضى ، ثم قال معاوية : ردّوه عليّ ، فقال الناس : يعاقبه ! فقال له : أستغفر الله منك يا أحذب ، والله لقد بررت في قرابتك ، وأسليت لحسن إسلامك ، وإن أباك لسيد قومه ؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد .

١٠

١٥

٢٠

الأوزاعي قال : دخل خريم الناعم على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أى ساقين . لو أنهما على جارية . قال في مثل عجزتك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادي أظلم .

معاوية وخريم
الناعم

دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أما وجدت لك أمك أسماً إلا عطاء ؟ قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتُه يا أمير المؤمنين ، ألا سمّيتني باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

عبد الملك وعطاء

قال معاوية لصحار بن العباس العبدى : يا أزرق . قال : البازى أزرق . قال :

معاوية وصحار

يا أحرر . قال : الذهب أحرر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس ؟ قال : نبي
يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد . قال : فما البلاغة عنكم ؟
قال : أن نقول فلا نخطئ ، ونجيب فلا نُبطئ .

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يابن عجل . قال : ذاك اسمها .
قال : يابن السوداء . قال : ذاك لونها . قال : يابن الأمة . قال : كل أثنى أمة فاقصد
بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإمام قد ولدناك .

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك :
ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك
قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على
من لم يشبه أباه . قال : من هو ؟ قال : من لم تُنضج الأرحام ، ولم يولد لتمام ،
ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف .
وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه ولد لستة أشهر .

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا تقعد فيه : فعلم أن
ذلك فعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد
يا أمر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد : إنه لا يكبر أحد فوق تقوى الله ، ولا يصغر
دون تقوى الله . قال له هشام : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛
إنك ابن أمة . قال : زيد : أما قولك إنني أحدث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب
إلا الله ؛ وأما قولك إنني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة
من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أخرج من صلبه
القردة والخنازير وعبد الطاغوت . قال له : قم . قال : إذن لا ترائي إلا حيث
تكبره . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حاجبه :
لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

وقال زيد بن علي :

شرّده الخوف وأزرى به . كذاك من يكبره حرّ الجلاذ

نَحْنِي الرُّجُلَيْنِ يَشْكُو الْوَجَا . تَقْرَعُهُ اطْرَافُ مَرْوٍ جَدَاذْ

قد كان في الموت له راحة . والموت حَتَمٌ في رقاب العباد

ثم خرج بخراسان ، قتل و صلب في كناسة . وفيه يقول سُديف بن ميمون في دولة بني العباس :

- واذكروا مَقْلَ الحسين وزَيْدًا . وقيلاً بجانب المهراس
يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأحد .

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان : فقال : زُيِّرِي . والله لا يحبك قلباً أبداً . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجوع من الحب النساء ، ولكن عدل وإنصاف .

عبد الملك
ورجل من قيس

- ١٠ وقال عمر بن الخطاب لأبي مرثد الحنفي قاتل زيد بن الخطاب : والله لا يحبك قلباً أبداً حتى تحب الأرض الدم . قال : يا أمير المؤمنين ، فهل تمنعني لذلك حقاً ؟ قال : لا . قال : لحسي .

عمر بن الخطاب
وأبو مرثد

- دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال : على امرئ أوطأك رسنَه وسلَّطك على الأمة لعنه الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والامرء مدبر عني ولو رأيتني والامرء مقل على لعظم في عينك ما استصغرت مني . قال : أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أهلك ، وأخيك فضعه من النار حيث شئت .

سليمان ويزيد
ابن أبي مسلم

وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغني أن كندة تدعيك . قال : لا خير فيمن لا يتقى رهبة ولا يدعى رغبة .

مروان وزفر

- ٢٠ قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلْجَة : إني أظنك أحق . قال : [أحق] ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه .

مروان وابن
دلجة

وقال مروان لحويطب بن عبد العزى ، وكان كبيراً مُسنّاً : أيها الشيخ ، تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث . فقال : الله المستعان ، والله لقد همدت بالإسلام

مروان
وحويطب

غير مرة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ، ويقول : يضع من قدرك أن
ترك دين آبائك لدين محدث ، وتصير تابعاً فسكت مروان .

عبد الملك وثابت
ابن عبد الله

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ما كان أعلم
بك حيث كان يشتمك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان يشتمني أني كنت أنناه
أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة ؛ فإن الله لا ينصر بهما ؛ أما أهل مكة فأخرجوا
النبي صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فأذوه حتى سيرهم - يعرض
بالحكم بن أبي العاص طريد النبي صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا
عثمان حتى قتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه . قال له : عليك لعنة الله .

معاوية والبراءة
من علي

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من علي ؛ فقال له رجل من بني تميم :
يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى زياد فقال :
هذا رجل فاستوص به .

معاوية
والأنصار

قال معاوية يوماً : يا معشر الأنصار ، بيم تطلبون ما عندي ؟ فوالله لقد كنتم
قليلاً بمعنى كثيراً معي علي ، ولقد فلتتم حدثي يوم صيفين حتى رأيت المنايا تنلطي
من أنسنتكم ، ولقد هجوتموني [في أسلافي] بأشد من وخز الأسل ، حتى إذا أقام
الله منّا ما حاولتم مثله ، قلتم آزع فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هيهات . يابني الحقيق العذرة .

فأجابه قيس بن سعد ، قال أما قولك جئتاك نطلب ما عندك ، فبالإسلام
الكافي به الله ماسواه ، لا بما نمت إليك به من الأحزاب ؛ وأما استقامة الأمر ،
فعلى كره منا كان ؛ وأما قلنا حدك يوم صيفين ، فأمر لا نعذر منه ؛ وأما عداوتنا
لك ، فلو شئت كففتها عنك ؛ وأما هجأؤنا إياك ، فقول يثبت حقه ويزول باطله ؛
وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمن بها يحفظها من بعده ؛
وأما قولك يابني الحقيق العذرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا ؛ فدونك أمرك
بامعاوية ؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر .

يا لك من قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ . خَلَّالِكَ الْجَوْ فَبِضَى وَاصْفِرِي

- سليمان وابن المهلب
وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة . قال سليمان : الذي تحالفتما عليه أعزُّ منكما .
- عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير
مرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، فقروا وثبت ابن الزبير : قال له عمر : كيف لم تفرَّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم فأخافك ، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسَّع لك !
- عبد الله بن الزبير وعدي بن حاتم
وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقتت عينك ؟ قال : يوم قتل أبوك ، وهربت عن خالتك ، وأنا للحقَّ ناصر ، وأنت له خاذل . وكان فقتت عينه يوم الجمل .
- الرشيد وابن مزيد
وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ؟ قال : نعم ، ولكن منابرهم الجدوع .
- يزيد بن معاوية واليسور
كان اليسور بن مخزومة جليلا نبيلًا ، وكان يقول في يزيد بن معاوية إنه يشرب الخمر : فبلغه ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلبه الخمر ، ففعل ، فقال اليسور في ذلك :
- أيشربها صِرْفًا يُفَضُّ خَتَمُهَا • أبو خالدٍ ويُجلَّدُ الخمرُ مِسُورُ
- المأمون وابن أكرم
قال المأمون ليحيى بن أكرم القاضي : أخبرني من الذي يقول :
- قاضي يرى الخمر في الزَّناء ولا • يَرى على مَنْ يَلُوط من بَاسٍ
- قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :
- لا أحسبُ الجورَ ينقضى وعلى الـ • أئمةٌ والـ من آلِ عباسٍ
- قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم . قال : يُنقى إلى السند . وإنما مرَّحنا معك .
- سليمان وابن الرقاق
قال سليمان بن عبد الملك لعدي بن الرقاق : أنشدني قولك في الخمر :
- كُمِيتَ إِذَا شَجَّتْ ، وفي الكأسِ ورْدَةٌ • لها في عِظامِ الشاربين دَيْبٌ *
تُرِيكَ القَدَى مِنْ دُونِهَا وهي دُونَهُ • لوجه أخيهَا في الإناء قطوب
- فأنشده ؛ فقال له سليمان : شربتها ورب الكعبة ! قال عدي : والله

يا أمير المؤمنين ، لئن رايتك وخصني لها قد رايتي معرفتك بها ١ فضاحا
وأخذا في الحديث .

الاصمعي قال : لما ولي بلال بن أبي بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان ، فقال :

بلال وخالد بن
صفوان

• سحابة سيف عن قليل تقشع •

• قبلغ ذلك بلالا فدعا به ، فقال : أنت القائل ؟

• سحابة سيف عن قليل تقشع ؟ •

• أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شوبوب برد ١ فضر به مائة سوط .

وكان خالد يأتي بلالا في ولايته ، وينشاه في سلطانه ، ويفتاه إذا غاب عنه .

ويقول ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في يدت أبي الزرد الحنفي من الجوهر .

١٠ وأبو الزرد رجل مفلس .

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله

عتبة وخالد
القمري

القمري بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرض به :

إن هاهنا رجلا يداينون في أموالهم ، فإذا فتيت يداينون في أعراضهم ١ فلم

القرشي أنه يعرض به : فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجلا تكون أموالهم

أكثر من مروءاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ؛ ورجالا تكون مروءاتهم أكثر

من أموالهم ، فإذا نفدت اذاتوا على سعة ما عند الله ١ ففجل خالد وقال :

أما إنك منهم ما علمت .

كان شريك القاضي يشلح الربيع صاحب شرطة المهدي لحمل الربيع

شريك والربيع

المهدي عليه ، فدخل شريك يوما على المهدي ، فقال له المهدي : بلغني أنك

وُلدت في قوصرة . فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان ، والقواصر هناك

عزيزة ، قال : إني لأراك فاطميا خبيثا ١ قال : والله إني لأحب فاطمة وأبافاطمة .

صلى الله عليه وسلم : قال : وأنا والله أحبهما ؛ ولكني رأيتك في منامي مصروفا

وجهك عني ، وما ذاك إلا لبعضك لنا ؛ وما أراي إلا قاتلك لأنك زنديق ١ قال :

يا أمير المؤمنين : إن الدماء لا تسفك بالأحلام ؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك بأن زنديق ، فإن للزنادقة علامة يُعرفون بها .
قال : وما هي ؟ قال : بشرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ،
وأنت خير من الذي حملني عليك .

عمر بن الخطاب
 وابن الناس

قال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد سرت
سيرة عاشق . قال : والله ما تأبطئني الإماء ولا حملني البنايا في عُبرات المآلى !
قال عمر : والله ما هذا جواب كلامي الذي سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص
في الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طرقتها . وقام عمر فدخل ،
فقال عمرو : لقد خش علينا أمير المؤمنين !

بين عبد الله بن
مسلم والحسين
ابن النضر

وتزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير
مثله ، وإلى آلات لم ير مثلها ، وأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليهم ،
ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بداري فقرشت وفي صحنها قدور
أشتات تترتق بالسلام ؛ فإذا الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد
أقبل والناس جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة : ائذن لي في كلامه . فقال : لا ترده فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله
إلا أن يأذن له . وكان عبد الله يَضَعُ ، وكان قد تسور حائطا إلى امرأة
قبل ذلك ؛ فأقبل على الحصين فقال : أين الباب دخلت يا أباساسان ؟ قال :
أجل ، ضعف عُمك عن تسور الحيطان ! قال : أرايت هذه القدور ؟ قال :
هي أعظم من أن لا تُرى . قال : ما أحسب بك بن وائل رأى مثلها . قال :
أجل ، ولا عيلان ؛ ولو كان رآها سُمى شعبان ، ولم يسم عيلان ! قال له عبد الله :
أتعرف الذي يقول :

٢٠

عزلنا وأمرنا ، وبكر بن وائل • تَجَزَّ خُصَاها تَبْنِي مَن مُّحَالِفُ

قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وَحْيِيَةٌ مِنْ يَحْيَى عَلَى غَيٍّ • وَبَاهِلَةٌ مِنْ يَعْصِرِ وَالرَّيَّابِ

يريد : يا خيبة من يَحْيَى .

قال : أنعرف الذى يقول :

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِصْمَعٍ . إِذَا عَرَقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

قال : نعم ، وأعرف الذى يقول :

قَوْمٌ قَتِيئَةٌ أَتْمَهُمْ وَأَبْوَهُمْ . لَوْلَا قَتِيئَةٌ أَصْبَحُوا فِي تَجْهَلٍ

- ٥ قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ منه الأكثر : (هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) . قال : فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أنَّ امرأة الحَضِينِ حُمِلَتْ إِلَيْهِ وَهِيَ حَبْلِي مِنْ غَيْرِهِ ! قال : فأنحزك الشيخ عن هيئته الأولى ؛ ثم قال على رِسله : وما يكون ؟ تله غلاماً على فراشى فيقال فلان بن الحَضِينِ ، كما يقال عبد الله بن مسلم ! فأقبل قتيئة على عبد الله فقال : لا يبعد الله غيرك !

والحَضِينِ هذا هو الحَضِينِ بن منذر الرقاشي ، ورقاش أتمهم ، وهو من بني شيبان بن بكر بن وائل ، وهو صاحب لواء علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول علي بن أبي طالب :

لَمَنْ رَايَةً سَوْدَاءَ يَخْفِقُ ظُلُمًا . إِذَا قِيلَ قَدَّمَهَا حَضِينٌ تَقَدَّمَا

يَقْدُمُهَا فِي الصَّفِّ حَتَّى يُزِيرَهَا . حِيَاضُ الْمَنَابِإِ تَنْطَرُ السُّمَّ وَالْدَّمَ

جَزَى اللَّهُ عَنِي وَالْجَزَاءُ بِفَضْلِهِ . رَيْبَةُ خَيْرًا مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

ابن الجارود
وابن العاص

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمر بن العاص : أى رجل أنت لو لم تكن أُمّك ! عن مى ؟ قال : أحمد الله إليك ؛ لقد فكرت فيها البارحة ، لجعلت أنقلها في قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس بيال .

ابن صفوان
ودارى

٢٠ قال خالد بن صفوان لرجل من بني عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من قريش - فقال له خالد : لقد هشمك هاشم ، وأثمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وجععتك جعج ، وسهمتك سهم ؛ فأنت ابنُ عبد دارها ، تفتح الأبواب إذا أغلقت ، وتملقها إذا فتحت .

جواب في هزل

- كان للمغيرة بن عبد الله الثقي وهو والي الكوفة ، جَدِّي يوضع على مائدته ،
لخضره أعرابي ، فديده إلى الجدى وجعل يسرع فيه ؛ فقال له المغيرة : إنك لنا كله
يحرِّد كأن أمه نطحتك ! قال : وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك .
- كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن
عنبسة بن سفيان بن العاص ، أحمر الجبة والمطرف والعمامة ؛ فقال إبراهيم : هذا
ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون ! قال : فضحك هشام ؛ قال له عبد الرحمن :
ما أضحكك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره بقول إبراهيم ؛ قال له عبد الرحمن : لولا
ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجبتُ ! قال : وما تخاف من غضبه ؟
قال : بلنتي أن الدجال يخرج من غضبه يعضها . وكان إبراهيم أعور ! قال إبراهيم
لولا أن له عندي يداً عظيمة لأجبتُ ! قال : وما يده عندك ؟ قال : ضربه غلام له
بمدي فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لا يدخل عليه بملوك إلا قال له : أنت
حُرٌّ ! فدخلت عليه عائداً له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لي : أنت حرٌّ ! قلت له :
أنا إبراهيم ! قال لي : أنت حُرٌّ ، فضحك هشام حتى استلقى .
- قال عبد الرحمن بن حسان اعطاء بن أبي سفيان بن ثابت : لو أصبت ركوة مملوءة
خمرًا بالبقيع ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أعزفها بين التجار ، فإن لم تكن لهم فهي
لك ! لكن أخبرني عن الفريضة أمي أكبر أم ثابت ، وقد تزوجها قبله أربعة ،
كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى ، فقيل لها : يا فريضة ، لم تطلقين وأنت
جيلة حلوة ؟ قالت : يريدون الضيق ضيق الله عليهم ... !
- ولقي رجل من قريش كان به وضع جارية من بدر وكان مفرماً بالشراب ؛ فقال
لها : أشعرت أنه بُعث نبيٌّ لهذه الأمة يُحل الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لا تصدق به حتى
يرئى الآكه والابرص !
- دخل الزبرقان بن بدر على زياد ، فسلم تسليمًا جافيًا ، فأدناه زياد وأجلسه

المغيرة وأعرابي
يؤكلهابن عنبسة
ولإبراهيم في
خضره هشام

ابن حسان وعطاء

جارية وفريضة

الزبرقان وزياد

معه ؛ ثم قال له : يا أبا عباس الناس يضحكون من جفائك ! قال : ولم يضحكوا ؟
فوالله إن منهم رجل إلا ودأني أبوه دون أبيه ، لغيته كان أو لرشدة !
دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من الجماعة يضحكون ، فقال :
يا أبا فراس ، أتدري مم يضحكون ؟ قال : لا أدري . قال : من جفائك . قال :
أصلح الله الأمير . حججت فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأة آخذة
بمزره وهو يقول :

أَنْتَ وَهَبْتَ زَائِدًا وَمِزِيدًا هـ وَكُهْلَةً أُولِجَ فِيهَا الْأَجْرَدَا ا

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : بمن الرجل ؟ قال : من الأشمريين . فأننا
أجني من ذلك الرجل ؟ قال : لا حياك الله ! فقد علمت أنا لا نفلت منك .

١٠ اجتمع كوسج مع رجل مسيل . فقال المسيل : لا إله إلا الله "طَيْبٌ يَخْرُجُ تَبَاتُهُ كَوْسَجٌ وَ...
يَاذَنٍ وَبِهِ ، وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَسِكْدًا" ! قال الكوسج : (لَا لَا يَسْتَوِي
الْحَيْثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَيْثِ) !

مر مسلة بن عبد الملك ، وكان من أهل الناس ، بموسس على مزيلة ؛ فقال
الموسس : لو رآك أبوك آدم لقرت عينه بك . قال له مسلة : لو رآك أبوك آدم
لأذهب سحنة عينه بك قرّة عينه بي . وكان مسلة من أحضر الناس جوابا . ١٥

خرج إبراهيم النخعي ، وقام سليمان الأعمش يمشي معه ؛ فقال إبراهيم : إن الناس
إذا رأونا قالوا : أعور وأعمش ! قال : وما غيبك أن يأممرا وتؤجر ؟ قال :
وما عليك أن يسلموا وتسلم ؟

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، فقلت : لمن انت يا أسود ؟ قال :
لسيد الحى يا أصلع ! قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لي : الحق أعضبك . قلت :
أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع . ٢٠

أدخل مالك بن أسماء السجن ، ومن الكوفة ؛ فجلس إليه رجل من بني مرة
فاتكأ عليه المرى يحدثه ؛ ثم قال : أأدري كم قتلنا منكم في الجاهلية ؟ قال : أما في
سجن الكوفة

الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام ! قال : ومن قتلنا منكم في الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتي بنتي إنبطيك !

نميرقني يوم ربح مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ربح ، فقال رجل منهم : إنها لرنحاء ! قالت : والله يا بني نمير ما أطعمتم الله ولا أطعمتم الشاعر ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقال الشاعر :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

قيل لشريح : أيهما أطيب : الجوزنيق أم اللوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب .

هشام بن القاسم قال : جمعني والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من الكهل ؟ قال : وما تعرفني ؟ قلت : لا ! قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس

قال : الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت : لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعلُه النساءُ عندنا يتشهون به كهيته السويق . قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نساءكم يتشهون بي !

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلابي : زوجني امرأة من كلب . فزوجه ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا في نساء كلب سعة ! قال : يا أمير المؤمنين ، نساء

كلب خلقت لرجال كلب .

وقال له يوماً وهو يتغذى معه : يا أبرش ، إن أكلتك أكلت معدتي قال : هيات ، تأبى ذلك قضاة .

عمارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامك . وذلك عند المهدي ؛ فقال شيطان

الطاق : لكن إمامك من المُنْظَرِينَ إلى يوم الوقت المعلوم ! فضحك المهدي من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

العتبي قال : حدثني أبي لما افتتح النجير ، وهي مدينة باليمن : سمع رجلاً من كندة رجلاً وهو يقول : وجدنا في نساء كندة سعة ! فقال له : إن نساء كندة مكاحل قعدت مراودها .

- ابن صفوان
والفرزدق
- لقى خاله بن صفوان الفرزدق ، وكان كثيراً ما يداعبه ، وكان الفرزدق
دعياً ؛ فقال له . يا أبا فراس ، ما أنت بالذي ﴿لما رأيتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾
قال له : ولا أنت أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ
خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ .
- ٥ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال للمشتري : أما والله لقد أخذتها
كثيرة المثونة قليلة المدونة . قال له المشتري : وأنت والله أخذتها بطينة الاجتماع
سريعة الاقتراق !
- واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك
الذراع بعشرة دنانير ! قال له البائع : وأنت لو صبرت لاشتريت منك
الذراع بدرهم !
- ١٠ وكان بارقة رجل يحدث بأخبار بني إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حنتمه :
كيف كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟ قال حنتمه ! فقال له رجل من ولد أبي موسى
الأشعري : أين وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص .
- وقال رجل للشعبي : ما كان اسم امرأة إبليس ؟ قال : إن ذلك نكاح
للشعبي
- ١٥ ما شهدناه !
- ودخل رجل على الشعبي ، فوجده قاعداً مع امرأة : فقال : أيكما الشعبي ؟ قال
الشعبي : هذه ! وأشار إلى المرأة .
- كان معن بن زائدة ظنياً في دينه ، فبعث إلى ابن عباس المتوفى بألف دينار
وكتب إليه : قد بعثنا إليك بألف دينار ، اشتريت بها منك دينك ؛ فاقبض
المال واكتب إلى بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعثتك به ديني
- ٢٠ خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه !
- ابن أبي بردة
والمرور
- بعث بلال بن أبي بردة إلى ابن أبي علقمة المرور ، فلما أتى قال : أتدري
لم بعثت إليك ؟ قال لا أدري . قال : بعثت إليك لأضحك بك ! قل : لقد
ضحك أحد الحكمين من صاحبه - يعرض له بمجده أبي موسى - فغضب بلال

وأمر به إلى الحبس ، فكلمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعطى ولا يحاسب .
فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأتى به في يوم سبت وفي كنه طرائف أنحف بها
في الحبس ؛ فقال له بلال : ما هذا الذي في كك ؟ قال : من طرائف الحبس .
قال : ناولني منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يُعطى فيه ولا يؤخذ ؛ يعرض
بعمه كانت له من اليهود .

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضى الله عنها فأنشدها :

حسان وعائشة

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزْنُ بِرَبِيَّةٍ ۝ وَتُصْبِحُ غُرَّتِي مِنَ الْحُومِ الْغَوَافِلِ

قالت له : لكنك لست كذلك ؛ وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك .

نظر رجل من الأزدي إلى هلال بن الأحوز حين قدم من قنديل وقد
أطافت به بنو تميم ، فقال : انظروا إليهم وقد أظافوا به إطفاء الحواريين بعيسى .
فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا ضد : عيسى كان يحيى الموتى ،
وذا يميت الأحياء .

ابن الأحوز
وأزدي

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبي عبد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف
عليه كل يوم في حلقة ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن ؛ من حلق لحيتك ؟
فلما أبرمته قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقة في جزء واحدة ، وأنت تحلقينها
في كل يوم .

ربيعة وبعض
النساء

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بمحصر في يوم مطر ، عليه طيلسان
وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : أفسدت ثوبك أبا عبد الله ؟
قال : وما يضرك ؟ قال : وددت أنك وهو في النار ؛ قال : وما ينفعك ؟

سعيد بن هشام
وبعض الرجال

قال : لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظيان
متوكلنا على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجل على ديني . فقال
له حصين بن المنذر الرقاشي : فهو إذا منافق ؛ قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ؛
قال له حصين : إذا يقتلك .

الحجاج وابن
ظيان

- ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ، فر الحجاج بخالد
ابن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف محلي وهو يخطر
متبخترا في المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا التخطارة ؟ فقال خالد :
يخرج هذا عمرو بن العاص ! فسمعه الحجاج ، فقال إليه فقال : قلت : هذا
عمرو بن العاص ، والله ما سرتني أن العاص ولدني ولا ولدته ، ولكن إن شئت
أخبرتك من أنا ! أنا ابن الأشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش ، والذي
ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أيك بالكفر وشرب الخمر ، حتى
أقروا أنه خليفة ! ثم ولي وهو يقول : هذا عمرو بن العاص .
- قال رجل من بني أبي لهب لوهب بن مُنبّه : ممن الرجل ؟ قال : رجل من
الين . قال : فما فعلتُ أمكم بلفيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ،
وأمكم حمالة الخطب في جيدها حبل من مسد !
- وقال رجل لابن سُبرمة : من عندنا خرج العلم إليكم . قال : نعم ، ثم لم
يرجع إليكم .
- نظر يزيد بن منصور خال المهدي إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو
يسجبه ، فقال : ليس عليك دزله ، فاسحب وجرا ! قال له : على آباءك عزله
وعلى سجه ! فشكاه إلى المهدي ، فقال : لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد
ابن مزيد !
- دخل أبو يقظان القيسي على يزيد بن حاتم وهو والي مصر وعنده هاشم بن
حُديج ، فقال له يزيد : حرّكه ! وعلى أبي يقظان حلة وشي وكساء خز ، فقال له
هشام : اخذ الله أبا يقظان ، لبستم الوشي بعد العباء ! قال : أجل ، تحوكون
ونلبس ، فلا عدتم هذا منا ، ولا عدنا هذا منكم .
- كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سُلَبي المُجاشعي يستهديه جارية وهو بهمان
فكتب إليه :

كُتِبَ إِلَى تَسْهِدِي الْجَوَارِي • لَقَدْ أَنْعَمْتَ مِنْ بَلَدٍ بِعِيدِ !

وقال رجل من العرب : رأيتُ البارحةُ الجنةَ في منامي ، فرأيتُ جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لي : للعرب ! قال له رجل من الموالي : أصعدتَ العُرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

قال عبد الله بن صفوان — وكان أمياً — لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبا جعفر ، لقد صرتَ حجةً لفتياتنا علينا ؛ إذا نهيناهن عن الملامى قالوا : هذا ابن جعفر سيد بني هاشم يحضرها ويتخذها ! قال له : وأنت أبا صفوان صرتَ حجةً لصدياتنا علينا ؛ إذا لمُناهن في ترك المكتب قالوا : هذا أبو صفوان سيد بني جمع لا يقرأ آية ولا يخطُّها .

ابن صفوان
وابن جعفر

قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لي إليك حاجة ! قال : بحاجة أقضيها يا أمير المؤمنين ؛ فسل حاجتك . قال : أريد أن تهب لي دورك وضياحك بالطائف . قال : قد فعلت ! قال : وصلتك رحم ! فسل حاجتك . قال : حاجتي إليك أن تردها علي يا أمير المؤمنين ! قال : قد فعلت !

معاوية وابن عامر

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لي إليك حاجة ! قال : وأنا لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : فقضيها ؟ قال : نعم . فلما توثق منه قل : فإن حاجتي إليك أن لا تسألني حاجة .

ثمامة وبعض
الرجال

جواب في فخر

سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد بن يزيد بن معاوية ، عند عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالي قريش : أفض بينهما . فقال الشيخ : كان سعيد بن العاص لا يعتَمُّ أحد في البلد الحرام بلون عمامته ؛ وكان حرب بن أمية لا يُبكي على أحد من بني أمية ما كان في البلد شاهداً ؛ فلما مات سعيدٌ وحربٌ شاهد لم يُبك عليه .

عمرو بن سعيد
وخالد بن يزيد
في حضرة
عبد الملك

قال الأبرش الكلبي لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك — وهما عند هشام بن عبد الملك — قال له خالد : قل . فقال له الأبرش : لنا رُبُع البيت — يريد الركن

الأبرش وخالد
ابن صفوان

اليماني - ومنا حاتم طي ، ومنا المهلب بن أبي صفرة ١ فقال خالد بن صفوان :
منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل ١ قال الأبرش :
لا فاخرت مضر يا بعدك .

٥ ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده
بقديهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال :
أخوال أمير المؤمنين . قال لا بد أن تقول . قال : وما أقول يا أمير المؤمنين ، وما أقول
لقوم هم بين حائك بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ؛ ملكتهم امرأة ، ودل عليهم
هدهد ، وغرقتهم فارة ؟
فلم يقم بعدها ليماني قائمة .

١٠ قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنته . قال له رجل من
قريش وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدن أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر . فقال له :
لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .

دخل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الملك بن مروان ، وعليه حبرة صدآء
عليها أثر الحماثل ، فقال له أمة بن عبد الله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص ، أي
رجل أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش ١ قال : ما أحب أني من غير
١٥ من أنا منه ؛ إن منا لسيد الناس في الجاهلية ، عبد الله بن جدعان ؛ وسيد الناس
في الإسلام ، أبا بكر الصديق ؛ وما كانت هذه يدي عندك . إني استنقذت أمهات
أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبالى ، فولدن في حجابك .

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة
على السواء لعلت . قال معاوية : إذا كنت أكون معاوية بن أبي سفيان ، منزلي
٢٠ الأبطح ينشق عني سَيْلُهُ ؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد ، منزلك أجياد أعلاه
مَدْرَة ، وأسفله عذرة .

تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر ؛ فقال الزبير : أنا
ابن حفية . قال عثمان : هي أذنتك من الظل ، ولولا ذلك لكنت ضاحياً .

هشام وقوم من
اليمن

الحجاج
وعبد الملك

عبد الرحمن بن
خالد ومعاوية

الزبير وعثمان

حد بن يوسف
وابن الفضل

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : يا هذا ، إنك تنطاول بهاشم كأنك جمعها ، وهي تعد في أكثر من خمسة آلاف . قال له : محمد بن الفضل : إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضل واحد .

زياد ومعاوية

نخر مولى زياد بزياد عند معاوية : فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلساني .

الأحوص
ومخزومي

وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصاري : أتعرف الذي يقول :
ذهبت قريش بالمكارم كلها . والذل تحت عمام الأنصاري ؟
قال : لا ، ولكني أعرف الذي يقول :

الناس كَنُوءٌ أباحكم . والله كَنَاءُ أباجهل

١٠

أبقت رياسته لأشرته . لؤم الفروع ورقة الأصل

قريش وقيس

سأل رجل من قريش رجلا من بني قيس بن ثعلبة : بمن أنت ؟ قال : من ربيعة . قال له القرشي : لا أثر لكم بيطحاء مكة . قال القيسي : آثارنا في أكاف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة : فأما مكة فسواء العاكف فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأخذه .

١٥

قال الأشعث بن قيس لشرح القاضي : لشد ما ارتفعت . قال : فهل ضرك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .

الأشعث وشرح

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العز بالبصرة ؟ قال : فينا وفي أحلافنا من ربيعة . قال له سليمان بن عبد الملك : الذي تحالفنا عليه أعز منكنا .

سليمان ويزيد
ابن المهلب

٢٠

قدم أعرابي البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلُفَانٌ وعمامة قد كورها على رأسه ، فرمى بطرفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومي فدنا منهم وفي الحلقة فرجة فطبقتها : فقال له عتبة : بمن أنت يا أعرابي ؟ قال : من مذحج . قال : من زيدها الأكرمين ،

أعتبة وأعرابي

أو من مرادها الأطينين ؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فن أيها ؟
 قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بني زيد . قال : فأخف عتبة حتى
 وضع قلنسوته عن رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابي : فأنت يا أصلع ، بمن
 أنت ؟ قال : أنا رجل من قريش . قال : فن بيت نُبوتها ، أو من بيت مملكتها ؟
 قال : إني من ريجاتها بني مخزوم . قال : والله لو تدري لم سُميت بنو مخزوم
 ريجانة قريش ، ماخرت بها أبداً ؛ إنما سميت ريجانة قريش لخور رجالها ولين
 نساها ؛ قال عتبة : والله لانازع أعرابياً بعدك أبداً .

وضع فيروز بن حصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد ،
 فقال : من هذا العبد ؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضرباك فما انتصرت ، ومثناً
 عليك فما شكرت .

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراده مالك ؛ فأرسل إلى
 بكر بن وائل ، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظييار ؛ فأنى عبيد الله فقال :
 يا أبا مسمع ، ما منعك أن ترسل إلي ؟ قال : يا أبا مطر ، ما في كنانتي سهم أنا أوثق
 به مني بك . قال : وإني لفي كنانتك ؛ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطولنّها ،
 ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقنّها .

نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما شرّفك قبرُ
 بُشَيْرٍ . قال شقيق : لكن وضعك قبر بالمشقر . وذلك أن مسمعا أبا مالك
 جاء إلى قوم بالمشقر ، فنبهه كلهم ، فقتله ، فقتلوه به ؛ فكان يقال له : قتيل
 الكلاب ، وأراد مالك قبر بجزمة بن ثور أخى شقيق ، وكان استشهد بُشَيْرٍ مع
 أبي موسى الأشعري .

قال قتيبة بن مسلم لطيرة بن مروح : أي رجل أنت لو كانت أخوالك من
 غير سلول . فبادل بهم . قال : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت وجئتني
 باهلة . وكان قتيبة من باهلة .

جواب ابن أبي دؤاد

قال أحمد بن أبي دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الوراق : أخوى ،
أى اسكت ، بالبطية ؛ فقال له : لماذا ؟ والله ما أنا ببطى ، ولا بدعى . قال له :
ليس فوقك أحد يفضلك ، ولادونك أحد تنزل إليه ؛ فأنت مطَّرح في الحالين جميعاً .

ابن أبي دؤاد
وابن الزيات

دخل أحمد بن أبي دؤاد على أشناس ، فقال له : بلغنى أنك فاسدت هذا الرجل
يعنى محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ؛ فأحب أن لا يأتينا . قال له ابن أبي دؤاد
أنت رجل صنعتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .

هو وأشناس

قال أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على الوراق ؛ فقال : ما زال قوم اليوم في
ثلبك ونقصك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم
والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؛ فآله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين
من ورائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حاطه ، ولا ذلٌّ من كنت ناصره ؛ فإذا قلت
لهم يا أمير المؤمنين ؟ : قال أبا عبد الله .

هو والوراق

وسعى إلى بغيب عزة نسوة . جعل المليكُ حُدودَهُنَّ فَعَالَهَا

وقال أبو العيناء الهاشمي : قلت لابن أبي دؤاد : إن قوماً تضافروا على . قال :
(يدُ الله فوق أيديهم) قلت : إنهم جماعة . قال : (كم من فتنة قليلة غلبت فتنة كبيرة
ياذن الله ، والله مع الصابرين) قلت : إن لهم مكرأ . قال : (ولا يحقُّ المكرُ
السِّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) قال أبو العيناء : فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال :
ما يرى ابن أبي دؤاد إلا أن القرآن إنما أنزل عليه .

هو وأبو العيناء

جواب فى تفحش

خطب خالد بن عبد الله القسرى فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم ،
وأغلظ معاشكم ، وأجنى أخلاقكم ؛ لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً . فقام
إليه رجل منهم دميم ، فقال : أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وغلظ طعامنا فهو
كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضرة فيكم ثلاث خصال هي شر من كل ما ذكرت .

خالد القسرى
وبدوى

قال له خاله : وما هي ؟ قال : تنقبون الدُّور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون
الذُّكور ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به !

أبو الحسن قال : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها ؛
فإذا امرأة جميلة لها هيئة : فنظر إلى رجل دميم يحىء ويذهب ويأمر وينهى في
الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل ؟ قالت : هو زوجي ! قال : (إنا لله وإنا إليه راجعون)
أما وجدت من الرجال غير هذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا
عبد الله ، لو استدبرك بمثل ما يستقبلني به لعظم في عينك .

أبو الحسن قال : قالت عائكة بنت الملاءة لرائض دواب زوجها في طريق
مكة : ما وجدت عملاً شراً من عملك ؛ إنما كنسبك بأسك ! فقال لها : جعلتُ
فذاك ! ما بين ما أكنسب به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ! قالت : ويلي
عليك ! خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ؛ فقاتهم ركضاً .

أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد في مجلس يونس النحوي ؛ وددت
والله أن بني تميم جميعاً في جوفى ؛ على أن يضرب وسطى بالسيف ! قال له شيخ
في ناحية المجلس ، حرمازى من بني تميم : ما هذا ، بكفيك من ذاك كمرّة حمارية
تملأ بها استك إلى لماتك !

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان وحوله قوم جلوس فقال : أصابنا سنة
ولى بضعة عشرة بنتاً ! فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء
صفحة من حديد ؛ وأما البنات فليت الله أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك
بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لمن كاسب غيرك ! قال : فنظر الأعرابي ملياً
ثم قال : ما أدري ما أقول لك ، ولكني أراك قبيح المنظر ، لثيم المخبر ؛ فأعضك
الله بيطور أمهات هؤلاء الجلوس حولك .

وسأل أعرابي شيخاً من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ، فقال : وددت والله
أن الأرض حصاء لا تنبت شيئاً ! قال : ذلك أيسر لجعر أمك في استها .

قال : عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزوجة بن خمرة الضمري : إني لو أدركتك

موسى بن مصعب
وامرأة

بنت الملاة
ورائض خيل

يونس النحوي
وأزدي

بين أعرابيين

يوم الأهازق لقطعت منك طابقاً شحياً ، قال : أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ! قال : البظر الذي بين إيسكتي أمك !

قال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم : متى فقت عينك ؟ قال يوم طعنك في استك وأنت مؤل .

- وقال الفرزدق : ماعيت بجواب أحد قط ماعيت بجواب امرأة وصي ونبطي ؛ فأما المرأة فإن ذهبت يغلتي أسقيها في النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزت البغلة حبقت ؛ فاستضحك النسوة ، فقلت لمن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملني أثى قط إلا فعلت مثلاً ؛ فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراط أمك مقبرة ، فقد حملتك في بطنها تسعة أشهر ؛ فما وجدت لها جواباً . وأما الصبي ، فإن كنت أنشد بجامع البصرة ، وفي حلقتي الكيت بن زيد وهو صبي ، فأعجبنى حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يائتي ؟ قال لي : حسن ! قلت : فسررك أني أبوك ؟ قال : أما أبي فلا أريد به بديلاً ، ولكن وددت أن تكون أُمي ! قلت : استرها على يا ابن أخي ، فما لقيت مثلاً ؛ وأما النبطي ، فإن لقيت نبطياً نبشرب ، فقال لي : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال أنت الذي يخاف الناس لسانك ؟ قلت : نعم . قال : فأنت الذي إذا هجوتني يموت فرسي هذا ؟ قلت : لا . قال : فيموت ولدي ؟ قلت : لا . قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا . قال : فأدخلني الله في حِرِّ آم الفرزدق ، من رجلى إلى عنقي ! قلت : ويلك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية !

- ولقي جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال أبا فراس : تحتل عني مسألة ؟ قال : أحتملها بمسألة . قال : نعم . قال : فسل عما بدا لك . قال : أي شيء أحب إليك يتقدمك الخير أو تتقدمه ؟ قال : لا يتقدمني ولا أنقدمه ، ولكن أكون معه في قران . قال : هات مسألك . قال له الفرزدق : أي شيء أحب إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو يد رجل على حِرِّها قال : قاتلك الله ! ما أقيح كلامك وأرذل لسانك .

بن جرير
والفرزدق

أبو الحسن قال : مر الفرزدق يوماً بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو
الفرزدق ومسجد
الأحامرة
المزرد الخنفي ، فقال له الفرزدق : يا أخا بني حنيفة ، ما شيء لم يكن ، ولا يكون
ولو كان لا يستقيم ؟ قال : لا أدري ! قال : يا أبا المزرد ، إنه سفيه ؛ فإن لم
تغضب أخبرتك . قال : فإني لا أغضب . فقال : حير أمك : لم تكن له أسنان ،
ولا تكون ، ولو كان لم يستقم !

أبو الحسن قال : لقي الفرزدق عمرو بن عفراء ، فعاتبه في شيء بلغه عنه ؛
الفرزدق وابن
عفراء
فقال له ابن عفراء وهو بالمريد : ما شيء أحب إلي من أن آتي كل شيء تكرهه !
قال له الفرزدق : بالله إنك تأتي كل شيء أكرهه ؟ قال : نعم ! قال : فإني أكره
أن تأتي أمك فأتها .

١٠ ضاف رجل قبيح الوجه ذق الحسب ، أبا عبد الله الجمار ؛ فجعل يفخر
بين الجمار
وضيف
ببيته ؛ فقال له الجمار : اسكت ، فقباحة وجهك ، ودناءة لفظك ^(١) ، ينعاننا من
سبك ! فأبى إلا التماذى في اللجاج ؛ فقال له الجمار :

لو كنتَ ذا عَرِيضٍ هَجَوْنَاكَ هـ أو حَسَنَ الوجهِ لِنَسْكُنَاكَ
جَمَعْتَ مع قُبْحِكَ لَوْ مَا فَلَا هـ قُبْحُج أو اللُّؤْمُ تَرْكُنَاكَ !

(١) في بعض الاصول : « ودنو حسبك » .

كِتَابُ الْوَاسِطَةِ فِي الْخُطْبِ

فرش الكتاب

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الأجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنتهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الخطب التي يتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب في مشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رؤس خلفائهم ؛ وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم . ووصلتها بصواتهم ، وخوطب بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيّرت لها المعاني .
- ١٠ اعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه ؛ فأول ما نبداً به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلّة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ؛ لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، كخطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا ؛ فإنها معدومة النظير ، منقطعة القرين ؛ وخطبة أبي حمزة اتى سمعها مالك بن أنس فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردد فيها المرتاب ، ثم نسمع بصدر من خطب البادية وقول الأعراب خاصة ؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

- قال عبد الملك بن مروان الخالد بن سلة القرشي المخزومي : من أخطب الناس ؟ قال : أنا ؛ قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام . يعنى روح بن زنباع ، قال : ٢٠

عبد الملك
 وابن سلة

ثم من ؟ قال : أخيفش ثقيف . يعنى الحجاج ، قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين !
وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا : والله لأزمننكم بالخطيب
المصنع . قم يا زياد !

وقال محمد كاتب المهدي - وكان شاعراً راوية ، وطالباً للنحو علامة - قال :
سمعت أبا دواد يقول - وجرى شيء من ذكر الخطب وتحرير الكلام - فقال :
تلخيص المعاني رفيق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية
نقص ، والنظر في عيوب الناس عي ، ومسح اللحية هلك ، والخروج عما بُني
عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعت يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الذريرة ، وحليها
الإعراب . وبهاؤها تخير اللفظ . والمحبة مقرونة بفلة الاستكراه .
وأشدن بيتاً له في خطباء إباد .

يرمون بالخطب الطوال وتارة . وحي الملاحظ خيفة الرُقاء
وأشدن في عي الخطيب واستعانة بمسح العثون وقتل الأصابع :
مليء بيهر والنفات وسفلة . ومسحة عثون وقتل الأصابع

مر بشر بن المعتز بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب ، وهو يعلم
فتيانهم الخطابة : فوقف بشر يستمع ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد ،
أو يكون رجلاً من النظارة : فقال بشر : أضربوا عما قال صفحا ، وأطووا عنه
كشعا . ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقة وتجبيره ، فيها :

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك
الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسابها ، وأحسن في الاستماع ، وأحلى
في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين من لفظ شريف ،
ومعنى بديع : واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدة
والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن
يكون مقبولا قصداً ، وخفيفا على اللسان سهلاً ، وكما خرج من ينبوعه ونجم

- من معدنه ؛ وإياك والتوعر ، فإن التوعر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنى كريماً فليلتبس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس إظهارهما ، وترهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما ؛
- فكن فى ثلاثة منازل : فأول ذلك أن يكون لفظك رقيقاً عذباً ، أو فخماً سهلاً ؛ ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إماماً عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإماماً عند العامة إن كنت للعامة أردت ؛ والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة ؛ وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال ؛ وكذلك اللفظ العامى والخاصى ؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة لفظك ، ولطف مداخلك ، وقدرتك فى نفسك - أن تفهم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تلتطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام .

١٥

فقال له إبراهيم بن جبلة : جعلتُ فداك ، أنا أحوج إلى تعلّى هذا الكلام من هؤلاء الغلبة .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى حجة الوداع

- ٢٠ إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضللّ لا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و [أشهد] أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعة الله ، وأستفتح
بالتى هو خير .

أما بعد : أيها الناس ، اسمعوا مني أئين لكم ، فإن لا أدرى لعل لا ألقاكم
بعد عامي هذا في موقفي هذا ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ،
إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل
بلغت ، اللهم أشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى أئتمنه عليها ؛ وإن ربا الجاهلية
موضوع ، وإن أول ربا أبدا به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ؛ وإن دماء
الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدا به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد
قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بغير ، فمن زاد فهو
من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضى
أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما الدنى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يُحَالُونَ عالمًا
ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في
كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ،
وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى
وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم أشهد !

أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حفا ، وإن لكم عليهن حفا : لكم عليهن
أن لا يُوطئن فرشكم غيركم ، ولا يَدْخُلْنَ أحدًا تَكْرَهُونه بيوتهن إلا بإذنكم ،
ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإن الله قد أدن لكم أن تعصوهن وتهجروهن
في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح ؛ فإن انتهين وأطعتمكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ؛ وإنما النساء عنكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ،
أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؛ فاتقوا الله في النساء
واستوصوا بهن خيرا [ألا هل بلغت ، اللهم اشهد !] .

أيها الناس ؛ إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لأمريئٍ مال أخيه إلا عن طيب
نفسه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ! فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم
أعتاق بعض ؛ فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلُّوا [بعده] كتاب الله
وأهل بيتي ، ألا هل بلغت اللهم آشهد .

أيها الناس ، إنَّ ربكم واحد ، وإنَّ أباكم واحد ؛ كلكم لآدم وادم من تراب ،
أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل
بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إنَّ الله قَسَمَ لكل وارث نصيبه من الميراث ؛ ولا يجوز لو ارث
وصية في أكثر من الثلث ؛ والولد للفراس وللعاقر الحجر ؛ من دُعِيَ إلى غير
أبيه ، أو تَوَلَّى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله
منه صَرفاً ولا عدلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطب أبي بكر

١٥

وخطب أبو بكر يوم السقيفة : أراد عمرُ الكلام ، فقال له أبو بكر : على
رِسْلِكَ . ثم حيد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ،
وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب ، وأمسهم
رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلنا قبلكم ، وقدَّمنا في القرآن عليكم ،
فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين
اتَّبَعُوهم بإحسانٍ ﴾ ؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في النِّية ، وأنصارنا على العدو ؛ آوَيْتُمْ وواسَيْتُمْ ، فجَزَأكم الله خيراً ،

٢٠

فمن الأمراء، وأتم الزوا، لاتدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ؛ فلا تنفسوا
على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أبناء الناس ، إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُمونى على حقٍ
فأعينونى ، وإرنى رأيتُمونى على باطل فسددونى ؛ أطيعونى ما أطيعُ الله
فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم . ألا إن أقوامكم عندى الضعيف حتى
أخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه ؛ أقول قولى هذا
وأستغفر الله لى ولكم .

وخطب أخرى . فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه عليه الصلاة
والسلام ، قال :

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك !

فرفع الناس رُؤوسهم ، فقال :

مالكُم أيها الناس ؟ إنكم لطمعون عجولون ، إن من الملوك من إذا ملك
زُهِدَ الله فيما بيده ، ورَغِبَ فيما يد غيره ، وانتقصه شطرَ أجله ، وأشرب قلبه
الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط على الكثير ، وبسأم الرخاء وتنقطع
عنده لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى اثقة ، فهو كالدرهم القسِى
والسراب الخادع ، جندل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ، ونصب
عُمره ، وضحا ظله ، حاسبه الله ، فأشدَّ حسابَه ، وأقلَّ عفوَه . ألا وإن الفقراء
هم المرحومون ! ألا إن من آمن بالله حكم بكتابِه وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم
وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدى مُلكا عضوضا ،
وملكا عَنودا ، وأمة شعاعا ، ودما مباحا ؛ فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق
جولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشثروا القرآن
واعتصموا بالطاعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ،
أى بلاد خَرُشَتَ إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أَدناها .

وخطب أيضا فقال :

- الحمد لله ، أحده وأستعينه ، وأستغفره وأؤمن به ، وأتوكل عليه وأستهدى الله
بألهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ؛ من يهد الله فهو
المهتدى ، ومن يضلل فلا تجد له وليا مرشداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، يعز من يشاء
ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
أرسله بألهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - إلى الناس
كافة ، رحمة لهم وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية ،
دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألف
بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون : فأطيعوا الله ورسوله ،
فإنه قال عز وجل : ﴿ من بطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك
عليهم حفظاً ﴾ .

- أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال
ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ،
من يكذب يفجر ، ومن يفجر يهلك ، وإياكم والفرار ؛ وما فخر من خلق من
تراب وإلى التراب يعود ، هو اليوم حي وغداً ميت ! فاعملوا وعدوا أنفسكم في
الموت ، وما أشكل عليكم فردوا عليه إلى الله ، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه
مخضراً ، فإنه قال عز وجل : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مخضراً وما عملت
من سوءٍ تود لو أن يذنها ويذنه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف
بالعباد ﴾ فاتقوا الله عباد الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه
لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ، صغيرها وكبيرها ، إلا ما غفر الله ، إنه
غفورٌ رحيم ، فأنفسم أنفسكم والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ إن
الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، أفضل ما صليت على أحد من خلقك ؛ وزكنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك ، وانصرنا على عدوك

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- ٥ أوصيكم بتقوى الله ، وأن تُشئوا عليه بما هو أهله ، وأن تُخلطُوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : (لأنهم كانوا يُسارعُونَ في الخيراتِ ويدْعُونَنا رَغَبًا وَرَهَبًا وكانوا لنا خاشعين) ثم أعلوا عباد الله أن الله قد آرتهم بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك موافقكم ، وعوضكم بالقليل الغاني الكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفتي عجائبه ، ولا بطفأ نوره ، فثَقُّوا بقوله ، وانتصِحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلة ، فإنه خلقكم لعبادته ، ووكل بكم الكرام الكاتين يعلمون ما تفعلون . ثم اعلوا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيبَ عنكم علمه ، فإن استطعتم أن [لا] تنقضى الآجالُ [إلا] وأنتم في عمل الله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله - فسايقوا في مهل بأعمالكم ، قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسهم] ، فأنهاكم أن تكونوا أ. نالهم ؛ فالوحي الوحي والنجاء النجاء ؛ فإن وراكم طالبا حثيثا مره ، سريعا سيره .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

وخطب عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

- ٢٠ أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ؛ فإن الله جعلني له خازنا وقاسما ؛ إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمطمين ، ثم المهاجرين

الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أَمَرَ عَ إِلَى الهجرة أسرع إِلَيْهِ العطاء ، ومن أَبْطَأَ عَنِ الهجرة أَبْطَأَ عَنْهُ العطاء ، فلا يُلَوِّمَنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُنَاحَ رَاحِلَتِهِ . وَإِنِّي قَدْ بَقِيتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَابْتَلَيْتُ بِكُمْ وَأَبْتَلَيْتُمُنِي ، وَإِنِّي لَنْ يَحْضُرَنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَكَلَهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجَزَاءِ وَالْأَمَانَةِ ، فَاتُّنَّحُوا لِأَحْسَنِّ إِلَيْهِمْ ، وَلَنْ أَسَاءُوا لِأَتَكَلَّنَ بِهِمْ .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ، وَرَحِمَنَا بِنَبِيِّهِ سَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ مِنَ الشَّنَاتِ ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى عَدُونَا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبِلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ ؛ ؛ فَاحْمَدُوا ٢٠
اللَّهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَةِ ، وَاسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ فِيهَا وَالشُّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكُمْ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْعَمَلَ بِالْمَعَاصِي وَكَفَرَ النِّعَةَ ، فَقَلْبًا كَفَرَ قَوْمٌ بِنِعْمَةٍ وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَّا سُلِبُوا عِزُّهُمْ وَسُلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ .
أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَمَعَ كَلِمَتَهَا وَأَظْهَرَ فَلَاحَهَا وَنَصَرَهَا وَشَرَفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى آلَائِهِ : جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ ١٥
مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أَيُّهَا النَّاسُ : تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ [تَعْرِفُوا بِهِ] ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مِنْ حَقِّ مَخْلُوقٍ أَنْ يَطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ [أَلَا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِمَنْزِلَةٍ وَإِلَى الْيَقِيمِ ، وَإِنْ اسْتَفْغَيْتُ عَفَّتْ ، وَإِنْ اقْتَرَفْتُ أَكَلْتُ ٢٠
بِالْمَعْرُوفِ ، تَقَرَّمُ الْبَهْمَةُ الْأَعْرَابِيَّةُ] ، الْقَضَمَ دُونَ الْخَضَمِ .

وخطبة له أيضا :

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَى زَمَانٍ وَأَنَا أَرَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ [لَانْمَا] تَرِيدُونَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عِنْدَهُ : [أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ] نُحِيلُ إِلَى أَنْ قَوْمًا قَرَأُوهُ

إذ ينزل الوحي وإذ رسول الله بين أظهرنا ينبأنا من أخباركم ؛ فقد انقطع الوحي وذهب النبي ، فإنما نعرفكم بما أقول لكم ؛ ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيراً وأحبناؤه عليه ، ومن رأينا منه شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه ؛ سراركم بينكم وبين ربكم ؛ ألا وإننا أبعث عمالاً ليعلموك دينكم وسُلتكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم ؛ ألا من رآه شيء من ذلك فليرفعه إلى ،
فوالذي نفسي بيده لا أقصنكم منه .

فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايت أن بعثت عاملاً من عمالك فأدب رجلاً من رعيك فضربه ، أتقصه منه ؟

قال : نعم ، والذي نفس عمر بيده لا أقصنه منه ؛ فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه .

وخطب أيضاً فقال : أيها الناس اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم ، وأمروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر ، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه ، فنظر إليه أصحابه فنعروه ، فقال : هو موضعي ولي أن أحكم فيه ، فإن أخذوا على يده سَلِمَ وسَلِمُوا ، وإن تركوه هَلَكَ وهَلَكُوا معه ؛ وهذا مثلٌ ضربته لكم . رحنا الله وإياكم .

وخطب عام الرمادة بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

أيها الناس ، استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك اللهم إني أتقرب إليك بعم نبيك وبقية آباءه وكبار رجائه ، فإنك تقول وقولك الحق ﴿ وأما الجدارُ فكانَ لِفَلامِينِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ؛ فحفظتهما لصالح أبيهما ؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه ؛ اللهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً ، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصنير ورق الكبير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم

السرّ وأخفى ؛ اللهم أغثهم بغيائك قبل أن يقتطوا فيهلكوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

فما برحوا حتى علقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون : هنيئا لك ياساقى الحرمين .

• وخطب إذ ولي الخلافة :

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، إني داعٍ فأمّنوا ؛ اللهم إني غليظٌ فليكني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلمٍ مني لهم ، ولا اعتداء عليهم ؛ اللهم إني شحيحٌ فسخني في نوائب المعروف ، قصداً من غير مَرَفٍ ولا تبذير ، ولا رياء ولا سمعة ، واجعلني أنتنى بذلك وجهك والدار الآخرة ؛ اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فألممني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين ؛ اللهم إني ضعيفٌ عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالية الحسنة التي لا تكون إلا بعونك وتوفيقك ؛ اللهم ثبّني باليقين والبرّ والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ؟ والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ؛ اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ؛ إنك على كل شىٍ قدير .

٢٠ وكان آخر كلام أبي بكر الذى إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :

اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألهاك .

وكان آخر كلام عمر الذى إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته :

اللهم لا تدعنى في غمرة ، ولا تأخذنى على غرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين .

خطبة عثمان بن عفان

رضي الله عنه

ولما ولي عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم أرنج عليه ؛ فقال :

أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإن أعش فستأنبكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

خطب علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال :

أيها الناس : كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فلا يدعين مدع إلا على نفسه ، شغل من الجنة والنار أمامه . ساع نجا ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار : [ثلاثة : واثان] : ملك طار بجناحيه ، ونبي أخذ الله بيده ، لا سادس . هلك من ادعى ، وردى من اقنم . اليمين والشمال مضلة ، والوسطى والجادة : منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة : إن الله داوى هذه الأمة بدواين : السوط والسيف ، فلا هودة عند الإمام فيهما ، استتروا بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم : فالمت من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمدين . أما إني لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب ، همت بطله ، ويله ! لو قص جناحه وقطع رأسه لكان خيراً له ! انظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرقت فآزروا ، حق وباطل ، ولكل أهل : ولئن أمر الباطل لقد يما فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل : ولقلنا أدبر شئ . فأقبل : ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه :

- ألا إن الأبرار عترتي ، وأطياب أرومتي ، أحلم الناس صفارا ، وأعلم الناس كبارا ؛ ألا وإنا أهل البيت من علم الله علينا وبحكم الله حكمتنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا] معناراية الحق ، من تبعها الحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن .
وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فُتح وبنا يختم .
وخطبة له أيضا :

— حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

- أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل ، وترك الأمل ؛ فإنه من فرط في عمله لم ينتفع بشيء من أمله ، أين التَّعب بالليل والنهار ،
المقتم للجج البحار ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال ، يصل الغدق بالرواح ، والمساء بالصباح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه .
منيته ، فعظمت بنفسه رزيقته ؛ فصار ما جمع بُورا ؛ وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسورا :

- أيها اللاهي الغاز بنفسه ، كأي بك وقد أنك رسول ربك ، لا يفرع لك بابا ،
ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بدिला ، ولا يأخذ منك كقبلا ، ولا يرجم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤديك إلى قعر مظلة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية ؛ أين من سعى واجتهد ؛ وجمع وعدد ، وبني وشيّد ؛ وزخرف وتَّجّد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتنع ؛ أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؛ أضحوا رفاتا تحت الثرى أمواتا ، وأتم بكأسهم شاربون ،
ولسيلاهم سالكون .

عباد الله ! فانقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال ، وتشقق السماء بالانمام ، وتطير الكتب عن الإيمان والشئائل ؛ فأى رجل يومئذ تراك ؛ أقاتل هاؤم اقرءوا كتابيه أم : ياليتنى لم أوت كتابيه أنسال من وعدنا بإقامة الشرائع جنته

أن يقينا سخطه ؛ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه ، واستوجه على جميع خلقه ، الذي
 ٥ ناصية كل شيء يده ، ومصير كل شيء إليه ، القوي في سلطانه ، اللطيف في
 جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، خالق الخلائق بقدرته ،
 ومسخهم بمشيئته ، وفي العهد ، صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ؛
 أحمدته وأستعينه على ما أنعم به مما لا يعرف كنهه غيره ؛ وأتوكل عليه توكل
 المسلم لقدرته ، المتبرئ من الحول والقوة إليه ؛ وأشهد شهادة لا يشوبها شك
 ١٠ أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة
 ولا ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن وكبره
 تكبيرا ، وهو على كل شيء قدير ، قطع ادعاء المذمى بقوله عز وجل :
 ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ؛ وأشهد أن محمداً صلى الله عليه
 وسلم صفوته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بالمعروف آمراً ،
 ١٥ وعن المنكر ناهياً ، وإلى الحق داعياً ؛ على حين فترة من الرسل ، وضلالة
 من الناس ، واختلاف من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تم به الوحي .
 وأنذر به أهل الأرض .

أرسيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيل إلى
 كل نجاة ؛ فكأنكم بالجثث قد زایلتها أرواحها ، وتضمنتها أجدائها ، فلن
 ٢٠ يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله ، وإنما دنياكم
 كفيء الظل أوزاد الراكب ؛ وأحذركم دعاء العزيز الجبار عبده ، يوم
 تعني آثاره ، وتوحش منه دياره ، ويئتم صغاره ، ثم يصير إلى حفير من
 الأرض ، متعفراً على خذّه ، غير موسد ، لا نهدي ؛ أسأل الذي وعدنا
 على طاعته جنته ، أن يقينا سخطه ، ويحببنا نعمته ، ويهب لنا راحته . إن أبلغ

الحديث كتاب الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أما بعد : فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورثه أجل : فمن أخلص في أيام أمه قبل حضور أجله ، نفعه عمله ، ولم يضره أمه : ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله وضره أمه : ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبا ، ولم أر كالنار نام هاربا : [ألا وإنه من لا ينفقه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى] : ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ، ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وخطبة له : قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزدي على الأنبار في خلافة على رضى الله عنه ، وعليها [ابن] حسان البكرى ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الحسف ، ومنعه النصف : ألا وإنى دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزؤهم قبل أن يغزؤكم ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتحاذلتم ، وثقل عليكم قولى فاتخذتموه وراكم ظهريا : حتى شئت عليكم الغارات : وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل ابن حسان البكرى : وأزال خيلكم عن مسالحها : وقتل منكم رجلا صالحين ، وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فيزعج حجلها وقلبها ورعاها ، ثم انصرفوا وافرين ما يكلم رجل منهم : فلو أن

رجلا مسلحا مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي ملوما ، بل كان به عندي
 جديرا ؛ فو اعجباً من جنة هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حَقِّكم ؛ قبيحاً لكم وترحاً
 حين صرتم غرضاً يُرمى ؛ يُنار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تُغزون ،
 ويُعصى الله وترضون ؛ فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحز ، قلتُم : حمالة
 القميط ؛ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحز ؛ وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء ،
 قلتُم : [صَبَاةُ الْقَرْ] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القَرْ ؛ كل هذا فراراً من الحز
 والقَرْ ؛ فأتُم والله من السيف أقر ؛ يا أشباه الرجال ولا رجال ؛ ويا أحلام
 أطفال وعقول ربات الحجال ؛ وددت أن الله أخرجني من بين أظهركم ، وقبضني
 إلى رحمته من بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعرفكم ؛ معرفةً والله جزت وهنا ؛ [لقد
 ملأتم قلبي قبحاً] وورثتم والله صدرى غيظاً ، وجرعتموني الموت أفضاساً ،
 ١٠ وأفسدتم على رأي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب
 شجاع ولكن لا علم له بالحرب ؛ الله أبوه ؛ وهل منهم أحد أشد لها مراساً وأطول
 تحربة مني ؟ لقد مارسها وأنا ابن عشرين ، فها أنا ذا الآن قد تيفت على الستين ،
 ولكن لا رأى لمن لا يُطاع ؛

١٥ وخطبة له رضى الله عنه ، قام فيهم فقال :

أيها الناس المجتمعمة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ؛ كلامكم يومى الصم
 الصلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم ؛ تقولون في المجالس كيت وكيت ؛ فإذا
 جاء القتال قلتُم : [حيدى] حياذ ما عرت دعوة من دعاكم ؛ ولا استراح قلب
 من قاساكم ؛ أعاليل بأباطيل ؛ وسألتوني التأخير ؛ دفاع ذى الدِّين الممطول ؛
 ٢٠ ألا [لا] يدفع الضيم الذليل ، ولا يُدرك الحق إلا بالجد . أى دار بعد داركم
 تمنعون ؟ أم مع أى إمام بمدى تقاتلون ؟ المغرور والله من غررتموه ؛ ومن
 فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ؛ أصبحت والله لا أصدق قولكم ؛ ولا أطمع
 فى نُصرتكم ؛ فزق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لى منكم ؛
 وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلاً من بنى فراس بن غنم ، صرف

الدينار بالدرهم ١

وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن
رضي الله عنهم ، فقام فيهم خطيباً فقال :

- الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر
المرسلين ، أما بعد ؛ فإن الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة ،
والناس في اختلاف ، والعرب بشر المازل ، مستنضيتون للثناءات بعضهم على
بعض ، فرأب الله به الثأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به
السبل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن الخشنة
للصدور ؛ ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ،
كريمياً عند ربه نُزله ؛ فيا لها مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الأقربين ؛ وولى
أبو بكر ، فسار بسيرة رضيها المسلمون ؛ ثم ولى عمر ، فسار بسيرة أبي بكر
رضي الله عنهما ؛ ثم ولى عثمان ، فقال منكم وناتم منه ، حتى إذا كان من
أمره ما كان أيتيموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقلت لي : يايعنا ! فقلت لكم :
لا أقفل ! وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتم كفي فجذبتموها ، وقتلتم :
لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ! وتذاككم على تذاكك الإيل الهيم
على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ؛
فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم مالينا أن استأذنانا للعمرة فسارا
إلى البصرة فقتلنا بها المسلمين وفعلنا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست
بدون واحد من مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قطعاً قرايتي ،
ونكثا يعني ، وألبا على عدوي ؛ اللهم فلا تُحكّم لهما ما أبرما ، وأرهما المساءة
فيما عملا وأملا !

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر : قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة
للتسليم على أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، فإني لجالس تحت منبره ، وعليه
عمامة سوداء ، وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فن دعا إليها فاقتلوه وإن كان

تحت عماق هذه ! فقال له عدى بن حاتم : قلت لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه .
وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ! والله ما ندرى ما نضع بك ؟ وقام إليه
رجل أحذب من أهل العراق فقال : أمرت بها أمس وتبى عنها اليوم ، فأنت
كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت . فقال على : إلى يقال هذا .

٥ أَصْبَحْتُ أَذْكَرُ أَرْحَامًا وَأَصِيرَةً ۝ بَدَلْتُ مِنْهَا هَوَى الرِّيحِ بِالْقَصَبِ

أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ،
حللتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا إذا كان فيه ، لكانت الوثقى
التي لا تفلح ، ولكن بمن ؟ وإلى من ؟ [أريد أن] أدأوى بكم [وأتم دأى] :
إنى والله بكم كفاش الشوك بالشوك ، ياليت لى بعض قومي وليت لى من بعد
خير قومي ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجميان أصمان أبكان ، اللهم سلط
عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ؛ ويل للزعة بأشطان الركي ! [أين الذين]
دعوا إلى الإسلام قبلوه ، وقرءوا القرآن فأحسوه ، ونطقوا بالشمر فأحكموه
وهيجوا إلى الجهاد فوهوا [ولَهَ] اللماح [إلى] أولادها ، وسلبوا السيوف
أغمارها ضربا ضرا ، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحفا زحفا ، لا يقباشرون
بالأحياء ، ولا يُعزّون على القتلى ولا يغيرون على العلى .

أُولَئِكَ إِخْوَانِي الْذَاهِبُونَ ۝ لَحِقَ الْبُكَاءُ لَهُمْ أَنْ يَطْيِيَا

رُزِقْتُ حَيِيًّا عَلَى فَاقَةٍ ۝ وَفَارَقْتُ بَعْدَ حَيِّبٍ حَيِيًّا ۝

ثم نزل تدمع عيناه ؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه ! فقال :

نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقومهم والله غدوة ويرجعون إلى عشية مثل ظهر

٢٠ الحية ، حتى متى ؟ وإلى متى ؟ حسبي الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء ، رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا من شيء . كان ولا من

شيء . خلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرة بان بها من الأشياء وبات الأشياء منه ،

- فليست له صفة تنال ، ولا حد يضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفته تحبير اللغات ، وضلت هناك تصاريف الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير ، وانقطعت دون علمه جوامع التفسير ، وحالت دون غيبه حجب تاهت في أدنى دتوها طامحات العقول ؛ فتبارك الله الذي لا يلانه بعدُ الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود ، ولا وقت محدود ، وسبحان الذي ليس له أول مُبتدأ ، ولا غاية منتهى ، ولا آخر يقنى ؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ؛ أحاط بالآشياء كلها علمه وأتقنها صنعه ، وذللها أمره ، وأحصاها حفظه ؛ فلا يعزب عنه غيوب الهوى ، ولا مكنون ظلم الدجى ، ولا مافى السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى ؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها الأحَدُ الصمد الذي لم تغيّره صروف الأزمان ، ولا يتكاده صنع شيء منها كان ؛ قال لما شاء أن يكون : كن ! فكان ؛ أتبدع ما خلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ؛ وكل عالم من بعد جهل يعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالآشياء كلها علماً ، ولم يزد بتجربتها خبراً ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينها ؛ لم يكن لها لتسديد سلطان ، ولا خوف زوال ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ند مكائر ، ولكن خلاق مبروبون ، وعباد آخرون ، فسبحان الذي لا يتوَدَّه خلق ما ابتدأ ، ولا تدبير ما برأ ، خلق ما علم ، وعلم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، لكن قضاء مُتَقَن ، وعلم محكم ، وأمر مُبرَم ، توحد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، فلبس العز والكبرياء ، واستخلص المجد والثناء ، واستكمل الحمد والثناء ؛ فأنفرد بالتوحيد ، وتوحد بالتجديد ؛ فجلى سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء ؛ فليس له فيما خلق يد ، ولا فيما ملك ضد ، هو الله الواحد الصمد ، الوارث للأبد الذي لا يبيد ولا ينفد ، ملك السموات العلى ، والأرضين السفلى ، ثم دنا

فعلا ، وعلا فدنا ، له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنی ، والحمد لله رب العالمین ؛
ثم إن الله تبارك وتعالى - سبحانه وبحمده - خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم
صفوته ، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وجهه ، وخزنة له على أمره ،
إليهم ينتهى رسله ، وعليهم ينزل وحيه ، جعلهم أصفياء ، مصطفين أنبياء ، مهديين
نجباء ؛ أستودعهم وأقرهم في خير مستقر ، تناخضهم أكارم الأصلاب ، إلى
مطهرات الأمهات ، كلما مضى منهم سلف انبعث لامره منهم خلف ، حتى انتهت
نبوة الله وأفضت كرامته إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرجه من أفضل المعادن
مختاراً ، وأكرم المغارس منبتاً ، وأمنعها ذروة ، وأعزها أرومة ، وأوصلها مكreme
من الشجرة التي صاغ منها أمناء ، وانتخب منها أنبياء ، شجرة طيبة العود ، معتدلة
العمود ، باسقة الفروع ، مخضرة الأصول والغصون ، يأنعة الثمار ، كريمة
المجتنى ، في كرم نبئت ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فامتعت ، حتى أكرمه
الله بالروح الأمين ، والنور المبين ، نغم به النبيين ، وأتم به عدة المرسلين ،
[وجعله] خليفته على عباده ، وأمينه في بلاده ؛ زينه بالتقوى وآثار الذكرى ؛
وهو إمام من اتقى ، ونصر من أهتدى ، سراج لمع ضوءه ، وزند برق لمعه ،
وشهاب سبط نوره ؛ فاستضاءت به العباد ، وأستنارت به البلاد ؛ وطوى به
الاحساب فأزجى به السحاب ، وسخر له البراق حتى صاغفه الملائكة ، وأذعنت له
الالسة ، وهدم به أصنام الآلهة ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ؛ وكلامه فصل ،
وحكمه عدل ؛ فصعد صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد
دعوته ؛ وأظهر في خلقه لا إله إلا الله ، حتى أذعن له [الخلق] بالربوبية ،
وأقر له بالعبودية والوحدانية ؛ اللهم غصص محمدًا بالذكر المحمود . والحوض
المورود . اللهم آت محمدًا الوسيلة والرفعة والفضيلة ، واجعل في المصطفين محلته ،
وفي الاعلين درجته ، وشرّف بنيانه وعظم برهانه ، واسقنا بكأسه ، وأوردنا
حوضه ، واحشرنا في زمرة ، غير خزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين

- ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين ؛ اللهم أعط محمدًا من كل كرامة أفضلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم أنمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكانًا ، ولا أحظى عندك منزلة ولا أقرب إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقًا - ولا شفاعة ، من محمد ؛ واجمع بيننا وبينه في ظل العيش ، وبرد الرُّوح ، وقرّة الأعين ، ونضرة السرور ، وبهجة النعيم ؛ فإننا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة . وجاهد في سبيلك . وأودى في جنبك ولم يخف لومة لائم في دينك . وعبدك حتى أتاه اليقين ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمام النبيين ، وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين ؛ اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ؛ بلغ محمدًا منا السلام ؛ اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكائنين ، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين .

وخطبته الزهراء :

- الحمد لله الذي هو أول كل شيء ووليّه ، وكل شيء خاشع له ، وكل شيء قائم به ، وكل شيء ضارعٌ إليه ، وكل شيء مستكين له ؛ خشعت له الأصوات ، وكُلت دونه الصفات ، وضلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار لا يقضى في الأمور غيره ، ولا يتم شيء منها دونه ، سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم سلطانه ؛ تُسبح له السموات العلى ، ومن في الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ، والملك والقدرة ، والحول والقوة ، يقضى بعلمه ويعفو بحلمه ؛ قوة كل ضعيف ، ومفرع كل ملهوف وعز كل ذليل ، وولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، وكاشف كل كربة .
- المُطلع على كل خفيّة ، المحصي كل سريرة ، يعلم ما تُكن الصدور ، وما تُرّخى عليه الستور ؛ الرحيم بخلقه ، الرؤف بعباده ؛ من تكلم منهم سميع كلامه ، ومن سكت منهم علم ما في نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رزقه ، ومن مات منهم فإليه مصيره ؛ أحاط بكل شيء علمه وأحصى كل شيء حفظه ، اللهم لك الحمد عدد ما نحي

وُثِّمَتْ ، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظ أبصارهم ، وعدد ما تجرى به الريح
وتحملة السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر والنجوم -
حمداً لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده : اللهم أنت قبل كل شيء ، وإليك مصير
كل شيء ، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى وبقي وبقي كل شيء ، وأنت وارث كل
شيء ، أحاط عليك بكل شيء ، وليس يُعجزك شيء ، ولا يتواري عنك شيء ،
ولا يقدر أحد قدرتك ، ولا يشكرك أحد حق شكرك ، ولا تهتدى العقول
لصفك ، ولا تبلغ الأوهام حدك : حارت الأبصار دون النظر إليك ، فلم ترك
عين فتجبر عنك كيف أنت وكيف كنت . لا نعلم اللهم كيف عظمته ، غير أنا
نعلم أمك حتى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يُدرِكك
بصر ، ولا يقدر قدرتك ملك ولا بشر : أدركت الأبصار ، وكنت الآجال ،
وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصي والأقدام . لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة
ملأت كل شيء عظمة ، فلا يُرد ما أردت ، ولا يعطي ما منعت ، ولا ينقص
سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك : كل مبرر عندك علمه ،
وكل غيب عندك شاهده ؛ فلم يستر عنك شيء ، ولم يشغلك شيء عن شيء ، وقدرتك
على ما تقضى . كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف
وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات ؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد ،
لا منجى إلا إليك ؛ يبدك ناصية كل دابة ، ويأذنك تسقط كل ورقة ؛ لا يعزب
عنك مثقال ذرة ؛ أنت الحي القيوم ؛ سبحانك ! ما أعظم ما يرى من خلقك !
وما أعظم ما يرى من ملكوتك ! وما أفلهما فيما غاب عنا منه ! وما أسبغ نعمتك
في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة ! وما أشد عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في
عقوبة الآخرة ! وما الذي نرى من خلقك ، ونعتبر من قدرتك . ونصف من
سلطانك فيما يغيب عما منه مما قصرت أبصارنا عنه وكانت عقولنا دونه ، وحالت
الغيوب بيننا وبينه ، فمن قرع سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك ، وكيف
ذرات خلقك ، وكيف خلقت في الهواء سمواتك ، وكيف مددت أرضك - يرجع

- طرقه حاسراً، وعقله مبهوراً، وسمعه والها، وفكره متعيراً؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرك، ولم يكن لها سواك؟ لا أحد شهدك حين فطرت الخلق، ولا أحد حضرك حين ذرات النفوس، فكيف لا يعظم شأنك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملا قلوبهم، من رعدٍ تفزع له القلوب، وبرقٍ يخطف الأبصار، وملائكة خلقهم وأسكنتهم سمواتك، وليست فيهم فرة، ولا عدم غفلة، ولا بهم معصية؛ هم أعلمُ خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقومهم بطاعتك، ليس ينشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول؛ لم يسكنوا الاصلاب، ولم تضمهم الأرحام؛ أنشأهم إنشاءً، وأسكنهم سمواتك، وأكرمهم بجوارك، واتممتهم على وحيك، وجنتهم الآفات، ووقيتهم السيئات، وطهرتهم من الذنوب؛ فلو لا تقويتك لم يقووا، ولو لا تثبيتك لم يثبتوا، ولو لا رهنك لم يطيعوا، ولو لاك لم يكونوا؛ أما إنهم على مكانتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطول طاعتهم إياك - لو يعانون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم، ولعلوا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك؛ فسبحانك خالفاً ومعبوداً ومحموداً، بحسن بلانك عند خلقك؛ أنت خلقت ما دبرته مطعماً ومشرباً، ثم أرسلت داعياً إلينا، فلا الداعي أجبن، ولا فيما رغبنا فيه رغبنا، ولا إلى ما شوقنا إليه اشتقنا؛ أقبلنا كنا على جيفة فأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضنا على بعض حرصاً لما يرى بعضنا من بعض، فافترضنا بأكلها واصطلحنا على حبها، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بأذان غير سمعية، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مالت أقبلوا إليها، وقد عابوا المأخوذين على الغرة كيف فجأتهم الأمور، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون، وقدموا من الآخرة ما كانوا يوعدون؛ فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور، وعرفوا ما كانوا فيه من الغرور؛ فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرة الفوت وحسرة الموت؛ فاعبرت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباههم، وتخصت أبصارهم، وبردت أطرافهم،

وحيل بينهم وبين المنطق ، وإن أحدهم لبين أهله ، ينظر بصره ، ويسمعُ بأذنه ؛
ثم زاد الموت في جده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت
عند ذلك حجته ، وعان هول أمرٍ كان مغطى عليه فأحدّ لذلك بصره ؛ ثم زاد
الموتُ في جده حتى بلغت نفسه الحلقوم ، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقياً
لا يجيب داعياً ، ولا يسمع باكياً ؛ فزعوا ثيابه وخاتمه ، ثم وضّوه وضوء
الصلاة ، ثم غسلوه وكفنوه إدراجاً في أكفانه وحنطوه ، ثم حملوه إلى قبره ،
فدلوهُ في حفرته ، وتركوه مخلى بمفضعات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير ،
مع ظلمة وضيق ووحشة قبر ، فذاك مثواه حتى يبلى جسده ويصير تراباً ؛ حتى إذا
بلغ الأمر إلى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاءه أمر من خالقه ، أراد به
تجديد خلقه - أمر بصوت من سمواته فسارت السموات مورا ، وفزع من فيها ،
وبقي ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر إلى الأرض ، والخلق رفات لا يشعرون
فأرج أرضهم وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبالها ونسفها وسيرها ، ودك بعضُها بعضاً
من هيئته وجلاله ، وأخرج من فيها لجدد ثم بعد ثلاثهم ، وجمعهم بعد تفرقهم ، يريد أن
يُخصِّصهم ويميزهم ، فريفاً في ثوابه ، وفريقاً في عقابه ، فخلد الأمر لأبده ، دائماً خيره
وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن
يجازي هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بجواره ، وحلول داره ،
وعيش رغد ، وخلود أبدي ، وبجاورة للرب ، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم ،
حيث لا ظعن ولا تغير ؛ وحيث لا نصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ؛
ولا تشخصهم الأسفار ؛ وأما أهل المعصية فخلدوا في النار ، وأوثق منهم الأقدام
وغلّ منهم الأيدي إلى الأعناق ؛ في لهب قد اشتد حره ، ونارٍ مطيقة على أهلها
لا يدخل عليهم بها روح ، همهم شديد ، وعذابهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضي ،
ولا أجل للقوم ينتهي .

اللهم إني أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليهما لا يليهما أحد
غيرك ، وأسألك باسمك للحرز والمكنون ، الذي قام به عرشك وكرسيك وسمواتك

وأَرْضُكَ ، وبِهِ ابْتَدَعْتَ خَلْقَكَ — الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ ، آمِينَ ؛ إِنَّكَ وَلِيُّ كَرِيمٍ .

وخطب أيضا فقال : أَيُّهَا النَّاسُ احْفَظُوا عَنِّي نَحْسًا فَلَوْ شِدَّدْتُمْ إِلَيْهَا الْمَطَايَا حَتَّى تُنَضَّوْهَا لَمْ تُظْفَرُوا بِمِثْلِهَا : أَلَا لَا يَرْجُونَ أَحَدُكُمْ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَسْتَعِي أَحَدُكُمْ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَعْلَمْ ، وَإِذَا سئَلَ عَمَّا لَا يَعْلَمْ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ ، ٥ أَلَا وَإِنَّ الْخَامِسَةَ الصَّبْرَ ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ : مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ ، وَمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ لَا جَسَدَ لَهُ : وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةِ إِلَّا بِتَدْبِيرٍ وَلَا فِي عِبَادَةٍ إِلَّا بِتَفَكُّرٍ ، وَلَا فِي حِلْمٍ إِلَّا بِعِلْمٍ ؛ أَلَا أَنْبَشَكُمْ بِالْعَالِمِ كُلِّ الْعَالِمِ ؟ مَنْ لَمْ يَزِنْ لِعِبَادِ اللَّهِ مَعَاصِيَ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مَكْرَهُ ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِهِ . لَا تُتَزَلُّوا الْمُطِيعِينَ الْجَنَّةَ وَلَا الْمَذْنُبِينَ النَّارَ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ بِأَمْرِهِ ؛ وَلَا تَأْمَنُوا ١٠ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ؛ وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

• • •

وَمِنْ كَلَامِهِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا فَرَّغَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ ، دَعَا بِأَجْرَتَيْنِ فَعَلَاهُمَا ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ١٥ ثُمَّ قَالَ :

يَا أَنْصَارَ الْمَرْأَةِ وَأَصْحَابَ الْبَهِيمَةِ ! رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ ؛ دَخَلْتَ شَرَّ بِلَادٍ [أَقْرَبَهَا مِنَ الْمَاءِ ، وَ] أَبْعَدَهَا مِنَ السَّمَاءِ . بِهَا يَغِيضُ كُلُّ مَاءٍ ، وَلَهَا شَرُّ أَسْمَاءٍ : هِيَ الْبَصْرَةُ ، وَالْبُصِيرَةُ ، وَالْمُؤْتَفِكَةُ ، وَتَدْرُسُ . أَيْنَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؟ فَدُعِيتُ . فَقَالَ لِي : ٢٠ مُرْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَلْتَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهَا الَّذِي أَمَرْتُ أَنْ تَقْرَأَ فِيهِ .

وَتَمَثَّلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ الْحَكَمَيْنِ :

زَلَلْتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَأَعْتَذِرُ . سَوْفَ أَكْسِبُ بَعْدَهَا وَأَشْتَمِرُ

وَأَجْعُ الْأَمْرَ الشَّيْئَتِ الْمُنْفَشِرِ

خطبة معاوية

قال القحذي : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرته ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ما ردت عليهم شيئاً حتى صعد المنبر : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أما بعد فإني والله ما وليتها بمحبة عليتها منكم ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسببي هذا مجالدة ، ولقد رُضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فتفرث من ذلك نفارا شديداً : وأردتها مثل ثلبيات (١) عثمان ، فأبت عليّ : فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ، ومُشاربة جميلة : فإن لم تجدوني خيراً كم فإني خير لكم ولاية : والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القاتل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبراً أذن وتحت قدمي : وإن لم تجدوني أقوم بحكمكم كله فاقبلوا مني بعضه ، فإن أناكم مني خيراً فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد غنى ، وإذا قل أغنى : وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكفر النعمة . ثم نزل .

خطبة أيضا لمعاوية

١٥ حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون (٢) فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يستخطون (٣) . ولست واسعاً كل الناس : فإن كانت بحمد فلا بد من مدّة ، فلو أن هواناً إذا ذكر غير : وإياكم والتي إن أخفيت
٢٠ أوبقت ، وإن ذكرت أوثقت . ثم نزل .

(١) في بعض الاصول : « على مسنيات » .

خطبة أيضا لمعاوية

- صعد منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى ، عليه ثم قال :
- يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خلقا خلق العراق ؛ يعيرون الشيء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعته نفسه ، فاقبلونا بما فينا فإن ما وراءنا شرٌ لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكراً زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالزمت خير من الفتى ، وفي كلِّ بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

خطبة لمعاوية أيضا

- قال العتيبي : خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
- ١٠ إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

- ١٥ قال ابن دأب : لما قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهاً عنه أنكره ، فجعل يتصدى له بخلوة ليسبر من رأيه ما كره أن يُشرك به عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطلاب وإشغال الخاصة واقتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه ، فظن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فسلم ووقف واجماً يتصفح وجوه القوم ، ثم قال :
- صريح العقوق مكاتمة الأذنين ، لا خير في اختصاص وإن قرأ ، أحمد الله

إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأواء ، وأستهديه من عمنى مجيئه ، وأستعينه على
عدو مرصده ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هوى ،
ومن غواية غاوى ، وصلوات الله على الزكى ، نبي الرحمة ، ونذير الآفة ، وقائد
الهدى ؛ أما بعد يا أمير المؤمنين ، فقد عسف بنا ظن فرع ، وفزع صدع ،
حتى طمع السحيق ، ويئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلهم متحفز
5 للمداوة ، وقد قلص الإزرة ، وشمر عن عطافه ، ليقول : مضى زياد بما
استلحق به ، وولّى على الدنية من مُستلحقه . فليت أمير المؤمنين سلم في دّعته ،
وأسلم زياداً في ضّمته ، فكان رب عاقته ، وواحد رعيّته ، فلا تشخص إليه
عين ناظر ولا أصبع مشير ، ولا تذلق عليه السنّ كلمته حيا ونبشته ميتا ؛ فإن
10 تكن يا أمير المؤمنين حايت زياداً بولاء رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك
زياد بجند قصور وعزم جسور ، حتى لانت شكائم الشّرس ، وذلت صعبة
الاشوس ، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المنيع ، وتقهر
بهما البزيع ، حتى مضى والله يغفر له ؛ فإن يكن زياد أخذ بحقّ فأنزنا منازل
الآقربين ، فإن لنا بعده ما كان له ، بدالة الرحم ، وقرابة الحميم ؛ فإنا يا أمير المؤمنين
15 نمشى الضّراء ونذب الخفاء ، ولنا من خيرك أكمله ، وعليك من حوبنا أثقله ،
وقد شهد القوم ، وما ساءنى قربهم ليُقزوا حقاً ، ويردوا باطلا ؛ فإنّ للحقّ مناراً
واضحاً ، وسبيلاً قصداً ؛ فقل يا أمير المؤمنين بأى أمر بك شئت ، فما نأرز إلى غير
جُحرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ، وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفّحهم بلحظه رجلا
20 رجلا وهو متبسم ، ثم اتجه تلقاه وعقد حبوته وحسر عن يده وجعل يومئ بها
نحوه ، ثم قال معاوية :

الحمد لله على ما نحن فيه ؛ فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ فكل
شئ خاضع له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، دلّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق
أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومصّدق المرسلين ، وحجة رب العالمين ،

صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ، أما بعد ، فرب خير مستور ، وشر
مذكور ، وما هو إلا السهم الأخبب لمن طار به ، والحظ المرغب لمن فاز به ،
فهما التفاضل ، وفيهما الثنا ، وقد صفقت يداي في أهلك صفقة ذي الخلة
من ضوارع الفضلان ، عامل اصطناعى له بالكفر لما أوليته ، فما رميت به
إلا انتصل ، ولا انتصيته إلا غلق جفنه ، وزأت شفرته ، ولا قلت إلا عائد ،
ولا قت إلا قعد ، حتى اخترمه الموت ، وقد أوقع بختره ، ودل على حقه ،
وقد كنت رأيت في أهلك رأيا حضره الخطل ، والتبس به الزلل ، فأخذ مني
بحظ الغفلة ، وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ؛ فما برحت هناة
أهلك تحطب في جبل القطيعة حتى انتكث المبرم . وانحل عقد الوداد . فيا لها
توبة توتنف من حوبة أورثت ندما أسمع بها الهاتف وشاعت للشامت ؛ فليها ١٠
الواصم ما به احتقر ؛ وأراك تحمد من أهلك جدا وجسورا : هما أوفيا به على
شرف التقم . وغمط النعمة ؛ فدعهما فقد أذكرتنا منه ما زهدنا فيك من بعده ،
وبهما مشيت الضراء وديت الخفاء ؛ فاذهب إليك ، فانت تجل الدغل ، وعثرة
الثغل ؛ والآخر شر .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إن للشاهد غير حكم الغائب ، وقد حضرك ١٥
زياد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظنى ، ولا تغيرها التهم ، وأهلوه
أهلك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فهافرت به الركب ، وسمعت به
أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا يتعجب يا أمير المؤمنين
ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

فانحرف معاوية إلى من معه فقال : هذا ، وقد نفس عليه بيعته ، وطعن ٢٠
في إمرته ، يعلم ذلك كما أعليه ؛ يا للرجال من آل أبي سفيان ! لقد حكموا وبذم
يزيد وحده .

ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا ابن أخى ، إنى لأعرف بك من أهلك ،
وكأن بك في غمرة لا يخطوها السابح ؛ فالزم ابن عمك ، فإن لما قال حقا .

تخرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عقبه أيا ما ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدي : لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المزي ، والضحاك بن قيس الفهري ، وقال لهما : أبلغا عني يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهذه ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم ، وإن عزل عامل واحد أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت تلبيه منهم : ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم بالشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدو ريب فآرمه بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يقيموا في غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ؛ ولست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير . والحسين بن علي ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع ، وأما الحسين فأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وحذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خب خب ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا .

ومات معاوية : فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال :
 إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ومحلون بينه وبين ربه : فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .

وصلى عليه الضحاك . ثم قدم يزيد ؛ فلم يقدم أحد على تعزيتة حتى دخل عليه عبد الله بن همام فأنشأ يقول :

أصير يزيد فقد فارقت ذا وقته * وأشكر جباء الذي بالملك حابا
 لارزء أعظم في الأفرام قد علوا * بما رزئت ولا عقي كعقبكا
 أصبغت راعي أهل الدين كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاكا

وفي معاوية الباقي لنا خلف ه أما نُعِيت فلا يُسَمَّعُ بِمُنْعَاكَ

قال فانفتح الخطاب بالكلام .

وخطبة أيضا لمعاوية

- ولما مرض معاوية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نُفَر من قريش يتباشرون بموتك ! قال : ويحك ! لم ؟ فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال :
- أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علينا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا ، فالتاس على أربعة أصناف : منهم من لا يمتنع من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره : ومنهم المصلت لسيفه ، المجلب برجله ، المعلن بشره : قد أشرط نفسه ، وأوبق دينه : لحطام ينزهره ، أو مقب يقوده ، أو منبر يفرعه ؛ ولئس المتجر أن تراهما لنفسك ثمنا ، وبما لك عند الله عوضاً - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا : قد طامن من شحمه ، وقارب من خطوه ، وشمر عن ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه ، وانقطاع سبيه ، فقصرت به الحال عن أماله : فتحلى باسم الفناعة ، وتزياً بلباس الزهادة ؛ وليس من ذلك في مراح ولا مغدى ؛ وبقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع ؛ فهم بين شريد باد ، وبين خائف منقمع وساكت مكعوم ، وداع مخاص ، وموجع ثكلان ؛ قد أخلتهم التقيّة ، وشملتهم الذلّة ؛ فهم في بحر أجاج ؛ أفواههم ضامرة ، وقلوبهم قريحة ؛ قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ؛ وقيلوا حتى قلوا ؛ فليست الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ ، وقراصة الجليد ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، وأرفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشغف بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، من شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض
ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان جبلاً من جبال الله ، مده ما شاء أن يمهده ،
ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ؛ وكان دون من قبله ، وخيراً مما يأتي بعده ،
ولا أزكىه عند ربه وقد صار إليه ؛ فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه ؛
وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أني على طلب علم ؛ وعلى
رسلكم إذا كره الله شيئاً غيره ؛ وإذا أحب شيئاً يسهره .

وخطبة ليزيد أيضاً

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي
له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
اصطفاه لوجه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فضله وفضله ، وأعزه وأكرمه ،
ونصره وحفظه ؛ ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال وحرم فيه الحرام وشرع
فيه الدين إعذاراً وإنذاراً ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويكون
بلاغاً لقوم عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه
وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرم دارها . ثم إنى أحذركم الدنيا .
فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفاني ، وتحببت
بالعاجل . لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن بجمعها ، أكالة عوالة غزارة . لا تَبْقَى
على حال . ولا يَبْقَى لها حال . لن تعدو الدنيا — إذا تناهت إلى أمانة أهل
الرغبة فيها . والرضا بها — أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم
مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ . نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا
ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فروع يومئذ آمنين .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

خطب بنى مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته : اللهم إن ذنوبي قد عظمت
وجلّت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني .

- ١٠ وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال فى خطبته :
- إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف — يعنى عثمان — ولا بالخليفة المداهن
يعنى معاوية — ولا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد .
- قال أبو إسحاق النظام : أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسبك
من هذا المداهن ؛ لكنت منها أبداً من العيوق . والله ما أخذتها بوراة ، ولا سابقة
ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملك

- ٢٠ لما مات عبد الملك بن مروان ، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل
منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس : الصلاة جامعة ! فصعد المنبر ، فحمد
الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، لا مؤخر إياكم الله ، ولا مقدّم ليما
أُتخّر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق عليه وما كتب على أنبيائه وحمله عرشه
من الموت ، موتٌ ولّى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يهدير إلى منازل الأبرار ،
للذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام

من منار الإسلام وأعلامه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ؛ فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وائيا ، ولا مفرطا ؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الغد ، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال : الحمد لله ، ألا إنّ الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك باكيا ، وتُبكي ضاحكا ، وتُخيف آمنا ، وتُؤمّن خائفا ، وتُفقر مثرى ، وتُثرى مقفرا مبالغة ، غرارة ، لغابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضوا به حكما . واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحلّو كيد الشيطان كما يحلّو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَسَسَ .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علائقكم ، وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أبّ حتى لمُعْرِق في الموت .

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة . فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرهبوا ورغبوا . ولا يطولن عليكم الأمد ، فتفسد قلوبكم وتنقادوا لعدوكم . فإنه ما بُسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد إمسانه أو يمسي بعد إصباحه . وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من آمن عواقبها . فإن من

يُداوِي من الدنيا كُلَّمَا أَصَابَتْهُ جَرَاخَةٌ مِنْ نَاجِيَةٍ أُخْرَى ، فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا ؟
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمْرِكُمْ بِمَا أَنْهَى عَنْهُ نَفْسِي ؛ فَتُخْصِرَ صَفْقَتِي ، وَتُظْهِرَ عَيْلَتِي ، وَتَبْدُو
مُسَكَّنَتِي ، فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ .
ثُمَّ بَكَى وَبَكَى النَّاسُ مَعَهُ .

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

شبيب بن شيبعة عن أبي عبد الملك قال كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ،
فكنا نقوم لهم ونبدؤهم بالسلام ؛ ففرج علينا عمر رضى الله عنه في يوم عيد
وعليه قبض كنان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فقلنا بين يديه وسلمنا عليه ، فقال :
مَهْ ! أَنْتُمْ جَمَاعَةٌ وَأَنَا وَاحِدٌ ؛ السَّلَامُ عَلَيَّ وَالرُّدُّ عَلَيْكُمْ ، وَسَلَّمٌ ، فَرَدَدْنَا ، وَقَزَبَتْ
لَهُ دَابَّتُهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَمَشَى وَمَشِينَا حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ ،
وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدِدْتُ أَنْ أَغْنِيَاءَ النَّاسِ اجْتَمَعُوا
فَرَدُّوا عَلَى فَقَرَائِهِمْ ، حَتَّى نَسْتَوِيَ نَحْنُ بِهِمْ ، وَأَكُونَ أَنَا أَوْلَهُمْ . ثُمَّ قَالَ : مَالِي
وَلِلدُّنْيَا ؟ أَمْ مَالِي وَلَهَا وَتَكَلَّمُ فَأَزِقُّ حَتَّى يَبْكِيَ النَّاسُ جَمِيعًا يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ قَطَعَ
كَلَامَهُ وَنَزَلَ ؛ فَدَنَا مِنْهُ رَجَاءُ بْنُ حَبِوَةَ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَتُ النَّاسِ بِمَا
أَرْقُ قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : يَا رَجَاءُ ، إِنْ
أَكْرَهَ الْمَبَاهَاةُ .

خطبة عبد الله بن الأَهمَم بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأَهمَم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يَفْجَأْ إِلَّا وَهُوَ
قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَكَلَّمُ : فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ وَقَالَ :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ؛ وَالنَّاسُ
يَوْمُئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ ، وَالْعَرَبُ بَشَرٌ تَلِكِ الْمَنَازِلُ ؛ أَهْلُ الْوَبَرِ وَأَهْلُ
الْمَدَرِ ، تُحْتَازُ دُونَهُمْ طَبِيبَاتُ الدُّنْيَا وَرِفَاقَةُ عَيْشِهَا ؛ مَيْتُهُمْ فِي النَّارِ وَحَيْهِمْ أَعْمَى ،
مَعَ مَا لَا يَحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ وَالْمَرْهُودِ فِيهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْشُرَ فِيهِمْ

رحمته ، بعث إليهم رسولا منهم عزيزا عليه ما عَنَتُوا حَرِيصا عليهم ، بالمؤمنين
 رؤوف رحيم ؛ فلم يمنهم ذلك أن جرحوه في جسمه ، واقبوه في اسمه ، ومعه
 كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى
 بطن غار ؛ فلما أمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لوته ، فأطبع الله حجته ، وأعلى
 كلمته ، وأظهر دعوته . وفارق الدنيا تقيا صلى الله عليه وسلم .

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله ؛ وارتدت
 العرب فلم يقبل منهم إلا الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتضى
 السيف من أغمادها ، وأوقد النيران في شعلها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ،
 فلم يرح يَفْصَل أوصالهم ويسقى الأرض دماهم ، حتى أدخلهم في الباب الذى
 خرجوا منه ، وقزّرم بالامر الذى نفروا منه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرا
 يرتوى عليه . وحبشية ترضع ولدا له ؛ فرأى ذلك غُصَّة في حلقه عند موته ،
 وثقلا على كاهله ، فأذاه إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه ، وفارق الدنيا تقيا
 نقيّا على منهاج صاحبه .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ففَصَّر الأمصار ، وخلط
 الشدة باللين ، وحسّر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأموار أقرانها
 وللحرب آلتها ، فلما أصابه قِنُ المغيرة بن شعبه ، أمر ابن العباس أن يسأل الناس
 هل يُبْتَنون قاتله ؟ فلما قيل له قِنُ المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه
 من له حق في النية ، فبيستحل دمه بما استحل من حقه ؛ وقد كان أصاب من مال
 الله بضعة وثمانين ألفا فكسر بها رباعه ، وكره بها كفالة أهله وولده ، فأذى ذلك
 إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيّا على منهاج صاحبه .

ثم إِنَّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا
 ولدتك ملوكها ، وألقمتك ثديها . فلما وليتها ألقيتها وأحييت لقاء الله وما عنده ؛
 فالحمد لله الذى جلا بك حوبتنا ، وكشف بك كُرْبتنا . امض ولا تلتفت ، فإنه
 لا يُغْنى عن الحق شيء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .

ولما قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ضلع أعوج . سكت الناس
كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت !

وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز

- قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخصامة خطبة لم يخطب بعدها
حتى مات ، رحمه الله : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
- أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تُتركوا سدى ؛ وإن لكم معادا
يحكم الله بينكم فيه ، تخاب وخير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ،
وحُرِّمَ جَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ؛ واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم
وباع قليلا بكثير ، وفانيا بياق ؛ ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها
من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين ؛ ثم إنكم في كل يوم
تُسَيِّعون غاديا ورائحا إلى الله ، قد قضى نَجْبَهُ ، وبلغ أجله ، ثم تغيبونه في صدع
من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسِّد ولا مُمَّهَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحياب
وواجه الحساب ، [مرتبها بعمله] ، غنيا عما ترك ، فقيرا إلى ما قدم ؛ وآيم الله
إني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما
عندي ، فأستغفر الله لي ولكم ، وما تبلغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها
ما عندنا إلا سدَدناها ، ولا أحد منكم إلا ووددت أن يده مع يدي ولحمي
الذين يلوتني ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ؛ وآيم الله إني لو أردت غير هذا
من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ؛ ولكنه
مضى من الله كتاب ناطق وشنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى
عن معصيته .

٢٠

ثم بكى ، فطلق دموع عينيه بردائه ، ونزل ؛ فلم يُرَ بعدها على تلك الأعواد
حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قتل الوليد بن يزيد

بقي بن مخلد قال : حدثني خليفة بن خياط ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم
قال : حدثني إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتل الوليد بن يزيد قام
خطيباً ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إني ما خرجت
أشراً ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ؛ وما بي إبطاء نفسي
ولا تزكية عملي ، وإني لظلم ل نفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكني خرجت غضباً لله
ودينيه ، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه ، حين درست معالم الهدى ، وطفي نور أهل
التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل الحرم ، والراكب البدعة والمغير السنة ؛
فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقطع ، على كثير من ذنوبكم وقسوة
من قلوبكم . وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيبه من
أجابه منكم ؛ فاستخرت الله في أمري ، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ؛ وهو ابن
عمي في نسي ، وكفني في حسي ؛ فأراح الله منه العباد ، وظهر منه البلاد ،
ولاية من الله وعوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته
وولايته وعونه .

أيها الناس ، إن لكم عليّ إن وليتُ أموركم أن لا أضع لية على لية ولا حجراً
على حجر ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخصاصة أهله] ، وأقيم
مصلحه ، بما يحتاجون إليه ويقرون به ؛ فإن فضل شيء ردّدته إلى البلد الذي
يليه وهو من أحوج البلدان إليه ، حتى تسقيم المعيشة بين المسلمين وتكونوا
فيه سواء ، ولا أجركم في بعوثكم فتفتنوا وتفتن أهابكم ؛ فإن أردتم بيعتي على
الذي بذلت لكم فأنالكم به ، وإن ملئت فلا يبعه لي عليكم ؛ وإن رأيتم أحداً
أقوى عليها مني فأردتم بيعته ، فأنال من يبايعه ويدخل في طاعته ؛ أقول قولي
هذا وأستغفر الله لي ولكم .

خطب بني العباس

العتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدى : خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمع أحسن منها ، وما دَرَيْنَا أَوْجُهَهُ كان أحسن أم كلامه ! قال : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون .

خطبة أبي العباس السفاح بالشام

- خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ، لما قُتل مروان بن محمد قال :
- ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبنس القرار ﴾ تكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان ، يتسكعون بكم الظلم ، ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يعطون بكم حرم الله وحرم رسوله . ماذا يقول زعمائكم غدا ؟ يقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتتهم عذاباً ضعفاً من النار !
- إذاً يقول الله عز وجل ﴿ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أما أمير المؤمنين فقد انتنف بكم التوبة ، واغتفر لكم الزلة ، وبسط لكم الإقامة ، وعاد بفضله على نقصكم وبجله على جهلكم ، فلنفرخ روعكم ولنطمئن به داركم ، وليقطع مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

خطب المنصور

- خطب أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي . لما قتل الأمويين ، فقال :
- أحرز لسان رأسه . انتبه امرؤ لحظه . نظر امرؤ في يومه لئلا يفتنى القصد وقال الفصل ، وجانب الهجر .
- ثم أخذ بقاتم سيفه ، فقال : أيها الناس ، إن بكم داء هذا دواؤه ، وأما زعيم لكم بشفائه : فليعتبر عبث قبل أن يُعتبر به : فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شَيْئَةً أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمٍ * مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
مهلاً مهلاً زوايا الإرجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفِّتُمْ ، والنخلى
إلى ما حُذِّرْتُمْ ، قبل أن تلتف نفوس ، ويقلَّ عدد ، ويدول عز ؛ وما أتم
وذاك ؟ ألم تجدوا ما وعد ربكم من إرث المستضعفين من مشارق الأرض
ومغاربها حقاً ؟ والجحد الجحد ، ولكن خب كامن ، وحسد مُكْمَد ، فبعداً
للقوم الظالمين .

وخطب أيضاً

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة ، الحمد لله
وأثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله ...
فقام إليه رجل فقال : أَذْكَرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنِي بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قال أبو جعفر : سَمِعاً سَمِعاً لِمَنْ فَهِمَ عَنْ اللَّهِ وَذَكَرَ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْكَرَ بِهِ
وَأَنْسَاهُ فَتَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ؛ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . وَأَمَّا أَنْتَ
- وَالتفت إلى الرجل فقال - وَاللَّهِ مَا اللَّهُ أَرَدْتَ بِهَا ، وَلَكِنْ لِيَقَالَ : قَامَ فَقَالَ
فَعُوقِبَ فَصَبَرَ ، وَأُهْوِنُ بِهَا [وَذَلِكَ] لَوْ كَانَتِ الْعُقُوبَةُ [فَاهْتَبَلَهَا إِذْ عَفَرْتُ] ؛
وَأَنَا أَنْذَرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَخْتَهَا ؛ فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا زَلَّتْ ، وَفِينَا انْبَثَتْ .
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْخُطْبَةِ .

وخطبة أيضاً للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه
وتسديده وتأيدده ؛ وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛
فقد جعلني الله عليه فقلاً ، إن شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم وقسم أرزاقكم ؛
فإن شاء أن يُقفلنى سلبها أقفلنى ؛ فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف
[٢١ - ٤]

الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ أن يوفقني للرشاد وللصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

• وخطبة لسليمان بن علي

- ﴿ ولقد كننا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .
 إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴾ قضاء مبرم ، وقول فصل ، ما هو بالهزل ؛
 الحمد لله الذي صدق عبده ، وأنجز وعده ، وبُعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا
 الكعبة غرضاً ، والقيء إرثاً ، والدين هزواً ، وجعلوا القرآن عِصِينَ ، لقد حاق بهم
 ما كانوا به يستهزئون ، فكانت ترى من برئ مُعْطَلَةٌ وتغير مشيد ؛ ذلك بما قدمت
 أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد ؛ أهملوا والله حتى نبذوا الكتاب ، واضطهدوا
 العترة ، ونبذوا السنة ، [وعندوا] واعتدوا ، واستكبروا ، وغاب كل جبار عنيد
 ثم أخذهم ، فهل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزاً ؟

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

- أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى
 قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ يا أهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم في الدين وأشباهكم في
 الأجسام ، فحذرهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَهِجَكَ
 أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
 عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْنَاهُمْ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا ﴾ . قاتلكم الله أني أنصرفون
 جثث مائلة ، وقلوب طائرة ، تشبون الفتن وتولون الدبر إلا عن حرم الله فإنه
 دريتكم ، وحريم رسوله فإنه منزاكم ؛ أما وحرمة النبوة والخلافة ، لتفرون خفافاً
 وثقالاً ، أو لأوسعنكم إرغاما ونكالا .

وخطب صالح بن علي

يا أعضاء النفاق وعُبد الضلالة ، أغرّكم لين إبسасы وطولُ إيناسي ؛ حتى ظن
جاهلكم أن ذلك لفلول حدّ ، وفنور جدّ ، وخور قناة ؛ كذبت الظنون ؛ إنها
العِرة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليتُم العافية فمندی فصال و فطام وسيف
يقد الهام ، وإني أقول :

أَغَرَّكُمْ أَنِّي بِأَكْرَمِ شَيْعَةٍ • رَفِيقٌ وَأَنَا بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَمَثَلِي إِذَا لَمْ يُجْزَأْ أَحْسَنَ سَعِيهِ • تَكَلَّمُ نُعْمَاهُ بِفِيهَا فَتَنْطَلِقُ
لِعَمْرِي ! لَقَدْ فَاحِشْتَنِي فَتَلَبَّنِي • هِنِيئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَرْفَقُ

وخطب داود بن علي بالمدينة

١٠ فقال : أيها الناس . حتّام يهتف بكم صريحُكم ؛ أما أن لرافدكم أن يهب من
نومه ؟ (كلا بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ! أغرّكم الإهمالُ
حتى حسبتموه الإهمال ؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوط في كفي
والسيف مُشهر :

حتى يُبَيِّدَ قَبِيلَةَ قَبِيلَةٍ • وَيَعُضُّ كُلُّ مُشَقِّفٍ بِالْهَامِ
وَيُقِمِّنَ رَبَاتِ الخُدُورِ حَوَاسِرًا • يَمَسَحَنَّ عُرْضَ ذَوَائِبِ الأَيْتَامِ ١٥

خطبة داود بن علي بمكة

وخطب داود بن علي بمكة : شكراً شكرياً ! والله ما خرجنا لنعفر فيكم نهراً
ولا لبنتي فيكم قصراً ، أظنّ عدوّ الله أن لن يُظفّر به ، إذ مُدّ له في عنانه ، حتى
عثر في فضل زمامه ! فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مشرقها ،
والآن تولّى القوس باربها ، وعادت النبل إلى النزعة ، ورجع الأمر إلى مُستقرّه ،
٢٠ في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة ، فاتقوا الله وأسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا
النعم التي أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُنتج هلكتكم ، وتزيل النعم عنكم .

خطبة المهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحده على آلائه ،
وأجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر
لبلائه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ،
ونبيه المجتبي ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء ،
وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أمية ، أهل عداوة
وتضامن ، وفرقة وتباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرناؤهم ،
فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يئس من أطاعه بالجنة وكرهم ثوابها ،
ويُنذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ
عَنْ بَيِّنَةٍ وَأَنَا اللَّهُ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ؛
وأحسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والالتناء إلى ما يقرب من
رحمته ويُنجي من سخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ؛ وجزيل المآب ؛
فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ؛ يوم
توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار ﴿ يَوْمَ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ . فَمَنْ شَقِيَ وسعياً ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأُيُوتِهِ ،
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ؛ ﴿ يَوْمَ
لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً ؛ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَلَا تُفَرِّتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ ؛ فإن الدنيا دار غرور ، وبلاء
وشُرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ؛ قد أفنت من كان قبلكم ، وهي
عامة عليكم وعلى من بعدكم ؛ من ركن إليها صرَعته ، ومن وثق بها خاتته ؛ ومن أمانها
كذبت ، ومن رجاها خذلت ؛ عزها ذل ، وغناها فقر ؛ والسعيد من تركها ، والشقي

- فيها من آثرها ، والمغبون فيها من باع حظّه من دارِ آخرته بها ؛ فآله الله عباد الله
 والتوبة مقبولة ، والرحمة مبسوطة ؛ وبادروا بالأعمال الزكية في هذه الأيام الخالية
 قبل أن يؤخذ بالكظم ، وتندموا فلا تقولون بالندم ، في يوم حسرة وتأسف
 وكآبة وتلهف ؛ يوم ليس كالأيام ، وموقف ضنك المقام ، إن أحسن الحديث
 وأبلغ الموعدة كتابُ الله ؛ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم
 بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر . كلاً سوف تعلمون .
 ثم كلاً سوف تعلمون . كلاً لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم . ثم لترونها عين
 اليقين . ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ .
- ١٠ . أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى
 لكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة هارون الرشيد

- الحمد لله ؛ نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على
 أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه مفوضين إليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعنه الله على فترة من
 الرسل ، ودروس من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ بشيراً
 بالنعيم المقيم ؛ ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد
 في الله ، فأدى عن الله وعده ووعدته حتى أتاه اليقين ؛ فعلى النبي من الله
 صلاة ورحمة وسلام .
- ٢٠ . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف
 الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ؛ وأحذركم يوماً تشخص فيه الأبصار ،
 وتبلى فيه الأسرار ، يوم البعث ويوم التغابن ، ويوم التلاقي ويوم التنادي ،
 يوم لا يُستعْتَب من سيئة ولا يُزْدَاد من حسنة ؛ ﴿ يوم الآزفة ، إذ القلوبُ

لنسى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؛ واتقوا يوماً ما ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون .

- عباد الله : إنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدىً ؛ حصنوا إيمانكم بالآمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ؛ فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا إيمانَ لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له . إنكم سَفَرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالآمانة ؛ فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهُداة للنبيين ؛ قال الله عز وجل وقوله الحق ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ ، فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ . وقال ﴿ وإني لنفأز لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ . وإياكم والآمانى ، فقد غزت وأوردت وأوقعت كثيراً حتى أكذبتهم منايام ، فتناوشوا التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون ؛ فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب الأمثال ، فرغب بالوعد وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائمه بالقرون الخوالى جيلاً لجيل ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والمشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلتْهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ .
- ٢٠ إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله عز وجل ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه مو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ . آمركم بما أمركم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأستغفر الله لى ولكم .

خطبة المأمون في يوم الجمعة

- الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجب على خلقه : أحده وأستعينه ؛
وأؤمن به وأتوكل عليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون . أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ،
والتجوز لوعده ، والخوف لوعيده ؛ فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له
وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ؛ وابتاعوا ما يبق
بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا ، فقد جئت بكم ، واستعدوا للبوت
فقد أظلكم ، وكونوا كقوم صبح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم
بدارٍ فاستبدلوا ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم سدى ،
وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها
اللحظة وتهددها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة . وإن غائباً يحذوه الجديدان
الليل والنهار لجدير بسرعة الآوبة ، وإن قادماً يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق
لأفضل العدة ، فاتق عبد ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته ، فإن أجله
مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبا ،
ويؤمنيه التوبة ليدسوها ، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها ، فيألفا حسرة
على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤذيه أيامه إلى شقوة ؛
نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصّر به عن طاعة ربه
غفلة ، ولا يحل به بعد الموت فزعة ، إنه سميع الدعاء ، يده الخير وهو على كل
شيء قدير ، فقال لما يريد .

خطبة المأمون يوم الأضحي

قال بعد التكبير والتحميم : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب
تشريفه ، وعظم حُرْمته ، ووفق له من خلقه صفوته ، وأبلى فيه خَليله ، وفدى

فيه من الذبح العظيم نبيّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومُقدّم
الأيام المحدودات من النفر ، يومٌ حرامٌ من أيام عظام في شهر حرام ، يوم الحج
الأكبر ، يومٌ دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عز وجل :
(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)
فقتربوا إلى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب
أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا
وَلَا دِمَاقُهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى
ثم ذكر الموت ، ثم قال :

وما من بعده إلا الجنة أو النار ، عظم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العاملين
وطالت مدة الفريقين ؛ الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِبُ ، والحق لا الكذب .
وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب
والعقاب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في
الجنة ، والشر كله في النار .

١٥ وخطبة المأمون في الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : ألا وإن يومكم هذا يومٌ عيدٌ وسنة ، وابتهاال
ورغبة ، يومٌ ختم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيته الحرام ، فجعله
[خاتمة الشهر ، و] أول أيام شهور الحج ، وجعله مُعَقِّباً لمفروض صيامكم ،
وَمُنْتَفِلاً قيامكم ، أحل الله لكم فيه الطعام ، وحرم عليكم فيه الصيام ، فأطلبوا إلى
الله حوائجكم ، واستغفروه بتفريطكم . فإنه يقال : لا كبير مع ندم واستغفار ،
ولا صغير مع تمادٍ وإصرار .

ثم كبر وحمد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبر والتقوى ،
ثم قال :

- اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم ولم يحضر الشك فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُستقال بعده عثرة ، ولا تُحظر قبله توبة ؛ واعلموا أنه لا شيء [قبله إلا دونه ، ولا شيء] بعده إلا فوقه : ولا يعين على جزعه وعَلَّزِه وكُرْبِه ، وعلى القبر وظلته ووحشته وضيقة وهول مطلعه ومسألة ملكيه . . . إلا العمل الصالح الذي أمر الله به ، فن زالت عند الموت قدمه ، فقد ظهرت ندامته ، وفاته استقالته ، ودعا من الرجعة إلى ما لا يحجب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه ؛ فالت الله عباد الله ، كونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها إذ مُنِعَها الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم ، إلا هذا الأجل المبسوط لكم : فاحذروا ما حذركم الله فيه ، واتقوا اليوم الذي يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فليُنظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل به وما يميل في صحيفته الحافظة لما عليه وله ؛ فقد حكى الله لكم ما قال المفرطون عند ما طال إعراضهم عنها ؛ قال جل ذكره :
- ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُتَجَرِّمِينَ مُشَفِّقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ : يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ؟ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ . وقال : *رَوَضُجُ الْمَوَازِينِ الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* فلا تظلم نفس شيئاً . وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ ١ ولست أنهاركم عن الدنيا بأكثر مما نهكم به الدنيا عن نفسها . فإن كل ما بها يحذر منها وينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائتها وزوالها ، ذم كتاب الله لها والنهي عنها ؛ فإنه يقول تبارك وتعالى : ﴿ فَلَا يَغُرُّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ . وقال :
- ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها وأدركوا الجنة بما يتركون منها

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بني ، أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهيّب لك مني لهم ! فقام عثمان في الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيبا ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ، فقال :

الحمد لله الذي أَلَّفَ بين قلوبنا وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذي لا يُجْعَد نعمائِهِ ، ولا يزول مُلكُهُ ؛ له الحمد كما حمد نفسه ، وكما هو أهله ، انتخب محمدا صلى الله عليه وسلم فاختره بعلمه ، واثمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعوانا قَذَفَ في قلوبهم تصديقه ومحَبَّته ، فأمنوا به وعزروه ووقروه وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابع ، وبقي منهم من بقي ، لا تأخذهم في الله لومةُ لائم .

أيها الناس . رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكما مع والي حافظ ، حَفِظَ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين ، ويخفض بنا في الظهائر ، ويتخذ الليل جلا ، يجعل الرِّحْلَةَ من المنزل الجذب ، ويطيّل اللبث في المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقة السلاح فأقنا أياما نجيمُ كُرَاعَنَا ! ونُصْلِحُ سِلَاحَنَا ؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ؛ فأقنا عليهم ثلاث عشرة ليلة . تنأناهم وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم ، قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت

بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجلاً من المسلمين ، فبتنا وباتوا
 وللمسلمين دَوِيٌّ بالقرآن كدوى النحل ، وبات المشركون في خمرهم وملاعيم ؛
 فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التي كما عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ،
 فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا
 غنائم كثيرة ، وقيناً واسعاً ، بلغ فيه الخمس ثمانمائة ألف : فصَفَقَ عليها مروان
 ابن الحكم ، فزكت المسلمين قد قرت أعينهم وأغنناهم النفل ، وأنا رسولهم إلى
 أمير المؤمنين أبشره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذل من الشرك : فاحدوا
 الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذي يُردُّ عن القوم المجرمين .
 ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عيبيه وقال : ذرية بعضها من بعض
 ١٠ والله سميعٌ عليهم . يا بُنَيَّ : ما زلت تنطق بلسان أبي بكر حتى صمت .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ؛ فجعل لونه يحمر مرة وبصفر
 مرة ؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ فوالله إنه لليب
 الخطاب ! قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير
 ملوم ! ثم تكلم فقال :
 ١٥

الحمد لله ، له الخلق والأمر والدنيا والآخرة ؛ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ،
 وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ . أما بعد :
 فإنه لم يُعْزَّزْ الله من كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأنامُ طَرّاً ؛ ولم يُذَلَّ
 من كان الحقَّ معه ، وإن كان فرداً . ألا وإن خبراً من العراق أتانا فأحزننا
 وأفرقنا ، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوى
 ٢٠ ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذي أفرقنا فإن قتل المصعب له
 شهادة ولنا ذخيرة ، أسله النعام المصلَّم الآذان ؛ ألا وإن أهل العراق باعوه
 بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقْتَلْ فقد قُتِلَ أخوه وأبوه وابن
 عمه ، وكانوا الخيار الصالحين . وإنا والله لآئمت حنفاً ، ولكن قعصاً بالرماح ،

وموتاً تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان ! ألا إنما الدنيا عارية
من الملك الأعلى الذي لا يبدد ذكره . ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقبل الدنيا على
لم آخذها أخذَ الأشر البطر ؛ وإن تُدبر عني لم أبك عليها بكاء الحريق المهين
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء

٥

قال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن عمار عن أبي بكر الهذلي قال : قدم
زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وضم إليه خراسان وسجستان ؛ والفسق
بالبصرة ظاهر فاش . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل
قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه .
اللهم كما زدتنا نعماً فألهنا شكراً .

١٠

أما بعد ، فإن الجهالة الجاهلاء ، والضلالة العمياء ، والعمى الموفى بأهله على
النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، يبت فيها الصغير
ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله
من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، في الزمن
السرمدى الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه
الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام
الحدث الذي لم تسبقوا إليه ، من ترككم . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة
المسلوبة في الهار المبصر ، والعدد غير قليل . ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن
دَلَج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ؛ تعتذرون بغير العذر ؛
وتفضون على المختلس ؛ كلُّ امرئ منكم يذب عن سفيهه ، صنيع من لا يخاف
عاقبة ولا يرجو معادا ؛ ما أنتم بالحلما ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ماترون
من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرَقوا وراءكم ،

٢٠

كنوساً في مكانس الرّيب ؛ حرامٌ علىّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض
هَذَا وإحراقاً .

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله ، : لين في غير
ضعف ، وشدة في غير عتف ، وإني أقسم بالله لأخذنّ الوليّ بالمولى ، والمقيم
بالمظان ، والمقبِلَ بالمدير ، والصحيح بالسقيم ؛ حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول
انجُ سعد فقد هلك سعيدي ! أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة الأمير بلفاء مشهورة
فإذا تعلقت على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . مَنْ نُقِبَ منكم عليه فأما ضامن
لما ذهب له ؛ فإياي ودلج الليل ، فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد
أجلتكم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم ؛ وإياي ودعوى
الجاهلية ، فإني لا أجد أحداً دعاها إلا قطعت لسانه . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن
وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً
أحرقناه ، ومن نقب بينا نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً ؛ فكفوا
عني أسننكم وأيديكم ، أكف عنكم يدي ولساني ؛ ولا يظهرون من أحد منكم رية
بخلاف ما عليه عافيتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين قوم إحْنُ فجعلت
ذلك دبراً أذني وتحت قدمي ؛ فمن كان محسناً فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً
فليزغ عن إسمائه ؛ إني لو علمت أن أحداً قد قتل السِّلَ من بُغْضِي لم أكشف له
قاعاً ولم أهيك له سيراً حتى يُبْدِي لي صفحته . فإن فعل ذلك لم أنظره ؛ فاستأنفوا
أموركم ، واستمعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتس بقدمونا سيئس ؛ ومسرور
بقدمونا سيئس .

أيها الناس ؛ إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعسكم ذادة ؛ نسوسكم بسلطان الله
الذي أعطانا ، ونذود عنكم بني الله الذي خولنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما
أحبينا ؛ ولكم علينا العدل فيما ولبنا ؛ فاستوجبوا عدلنا وفيتنا بمناصحتكم لما ؛
وآعلوا أني مهما أقصر عنه فلن أقصر عن ثلاث ؛ لست محتجبا عن طالب حاجة
ولو أتانى طارقاً بديل ، ولا حابساً عطاء ولا رزقا عن إبنائه ، ولا مجمرأ لكم بعثا ؛

فادعوا الله بالصالح لأنتمكم : فإنهم ساستكم المؤذون لكم ، وكهنكم الذى إليه
تأوون ؛ ومتى يصلحوا تصلحوا ؛ ولا تشربوا قلوبكم بغصهم ؛ فيشتد لذلك
أسفكم ، وبطول له حزنكم ، ولا تذركوا له حاجتكم ؛ مع أنه لو استجيب لكم
فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يُعين كلا على كل . وإذا رأيتموني أنفذ فيكم
أمراً فأنفذوه على أذلاله ، وآيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ
منكم أن يكون من صرعاي ، ثم نزل .

فقام إليه عبد الله بن الأهثم ، فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب ! قال له : كذبت ! ذاك داود صلى الله عليه وسلم .

فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما البناء بعد البلاء ، والحد بعد العطاء ،

وإننا لن نثنى حتى نبلى . قال له زياد : صدقت !

فقام أبو بلال [مرداس بن أدية] وهو يهيم ويقول : أنبأنا الله تعالى
بمخلاف ماقلت ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذى وفى ، أن لا تزر وازرة وزر
أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ . فسمعها زياد ، فقال : إنا لا نبليغ من
أصحابك ما تريد حتى نخوض إليهم الباطل خوفاً .

١٥ وخطبة لزياد

استوصوا بثلاث منكم خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ ، فوالله لا يأتينى
شيخٌ يحدث استخف به إلا أوجعته ، ولا يأتينى عالمٌ بجاهل استخف به إلا أئكلت به
ولا يأتينى شريفٌ بوضع استخف به إلا ضربته .

وخطبة لزياد

٢٠ خطب زياد على المنبر فقال :

أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تتنعموا بأحسن ما تستمعون منا ،
فإن الشاعر يقول :

أعمل يقولى وإن قصرت فى عملى • ينفعك قولى ولا يضرك تقصيرى

وخطبة لزياد

العتى قال : لما شهدت الشهود لزياد قام في أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

هذا أمر لم أشهدُ أوله ، ولا عِلْمُ لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ،
وشهدتِ الشهودُ بما سمعتم ، فالحمدُ لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ منا
ما ضيعوا ، فأما عُبَيْدٌ فإنما هو والله مبرور ، أو كافل مشكور .

خطبة لجامع المحاربى

وكان شيخا صالحا خطيبا لساناً ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط :
بنيها في غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك !

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقم مذهبهم وتسخط طريقتهم ، فقال
له جامع : أما إني لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ماشيتوك لنسبك ، ولا لذلك
ولا لذلك نفسك ، فدع عنك ما يُبعدُهم منك إلى ما يقربهم إليك ، واتمس العافية
من دونك ، تعطها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، وعيدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إني والله ما أرى أن أرد بنى الكعبة إلى طاعتي إلا بالسيف !
قال له : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج :
الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله . وغضب الحجاج
فقال : يا هناه ، إنك من محارب . فقال جامع :

والعربُ سُتْمِيَا وكَا مُحَارِبًا * إذا ما ألقنا أُمْسِي من الطَّعْنِ أَمْحَرَا

والبيت للخضري . قال الحجاج : والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب

٢٠ به وجهك !

قال جامع : إن صدقناك أغضبتناك ، وإن غشيناك أغضبتنا الله ، فغضب الأمير
أهون علينا من غضب الله ! قال : أجل .

وُسْغِلَ الحجاج ببعض الأمر ، فانسَل جامع ، فر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ؛ فلما رآوه أشرأبوا إليه وبلغتهم خروجه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك ! فقال : ويحكم أعموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التَّمَادِي ما عاداكم ، فإذا ظفرتُم [به] ترايجتم وتعاقتُم . أيها التميمي ، هو أعدى لك من الأزدى ؛ وأيها القيسي ، هو أعدى لك من التَّغْلِي ؛ وليس يظفر بمن ناواه منكم إلا بمن بقي معه .

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزفر بن الحارث .

١٠ خطبة للحجاج بن يوسف

خطب الحجاج فقال : اللهم أرني الغنى غنياً فأجتنبه ، وأرني الهدى هدى فأتبعه ، ولا تكلني إلى نفسي فأضلّ ضلالاً بعيداً ! والله ما أحب أن ماضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج

١٥ قال الهيثم بن عدي : خرج الحجاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السوق ، فراحه ذلك ، فصعد المبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وبنى المكعبة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإمام ، والفقع بالقرقر ؛ إني سمعت تكبيراً لا يُراد به الله وإنما يراد به الشيطان ؛ وإنما مثلي ومثلكم ما قال ابن بركة الحمداني :

٢٠ وكنتُ إذا قوّم غزوئي غزوئهم * فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم ؟
مئى تجمع القلب الذكي وصارماً * وأنفاً حياً تجنبك المظالم !
أما والله لا تفرع عصاً بعصاً إلا جعلتها كأس الدابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهل العراق فقال :

يا أهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم غلاط اللحم والدم والعصب والمسامع
والأطراف والأعضاء والشفاف : ثم أفضى إلى المخاخ والصماخ ، ثم ارتفع
فعمش : ثم باض وفرخ ، فحشاكم شقاقا ونفاقا ، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا
تبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظمكم
وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ ألسنتم أصحابي بالأهواز حيث رمتم
المكر : وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله تعالى يخذل دينه
وخلافته ، وأنا أرميكم بطرقي وأتم تسفلون لواذا : وتنهزمون سراعا : ثم يوم
الزاوية : وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم
ونكوص وليكم عنكم : إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى
أعطانها : لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم
السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجماجم : وما دير الجماجم ؟ بها كانت
المعارك والملاحم ، بضرب يُزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

يا أهل العراق والكفريات بعد الفجرات ؛ والغدرات بعد الحفرات ، والنزوة
بعد التزوات ، إن بعثكم إلى ثغوركم غلظتم وخنتم ، وإن أمتم أرجفتهم ، وإن
خفتم نافقتهم : لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة !

يا أهل العراق : هل استخفكم ناكث ، أو استغواكم غاي ، أو استفزكم عاص
أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع — إلا وثقتموه وآويتهم وعزرتهم
ونصرتهم ورضيتهم .

يا أهل العراق : هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو نعنق ناعق ، أو زفر
زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم
تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظلم الداب
عس فراخه : ينق منها المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكتئها من المطر ، وبحميا
من الضباب : ويحرسها من الدئاب ؛ يا أهل الشام ، أتم الجنة والرداء ، وأتم
العدة والحذاء .

وخطبة للحجاج

٥

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة ، فجلست قريبا من المنبر ، فصعد
الحجاج ثم قال :

امروا حاسب نفسه ؛ امروا راقب ربه ؛ امروا زور عمله امروا فكر فيما
يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه : امروا كان عند همه آمرا ، وعند هواه
زاجرا ؛ امروا أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة ، فإن قاده إلى حق
١٠ تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه . إننا والله ما خلقنا للفناء ، وإنما خلقنا
للبقاء ، وإنما تنتقل من دار إلى دار .

خطبة الحجاج بالبصرة

اتقوا الله ما استطعتم . فهذه لله وفيها متوبة . ثم قال : واسمعوا وأطيعوا .
فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان ، والله لو أمرت
١٥ الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره ، لكانت دماؤهم لي حلالا
من الله ، ولو قتل ريبة ومضر لكان لي حلالا . عذيري من هذه الحرام ، يرب
أحدكم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خير . والله لأجملكم
كأمس الدابر ؛ عذيري من عبث هذيل ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآن
٢٠ كأنه رجز الأعراب ؛ والله لو أدركته لقتلته .

خطبة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كفانا مشقة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة
فليتة كفانا مشقة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجُهالكم

لا يتعلمون ، وشراركم لا يتوبون ؟ ما لي أراكم تحرسون على ما كُفيتُمْ ، وتُضَيِّعون ما به أُمِرْتُمْ ، إن العلمَ يوشِكُ أن يُرفعَ ، ورفعه ذهابُ العلماء . ألا وإنّي أعلم بشراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرؤون القرآنَ إلا هُجْرًا ، ولا يأتون الصلاةَ إلا دُبْرًا ؛ ألا وإن الدنيا عَرَضٌ حاضِرٌ يأكل منها البرُّ والفاجر ؛ ألا وإن الآخرةَ أَجَلٌ مُستأخِرٌ يحكم فيه مَلِكٌ قادر ؛ ألا فاعملوا وأتمم من الله على حذر ، واعلموا أنكم ملاقوه (لِيَجْزِيََ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى) ألا وإن الخيرَ كُلَّهُ بِحِذَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ؛ ألا وإن الشرَّ كُلَّهُ بِحِذَائِهِ فِي النَّارِ ؛ ألا وإن من يعمل مثقالَ ذرةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شَرًّا يَرَهُ وأستغفر الله لي ولكم .

وخطبة للحجاج

١٠

خطب الحجاجُ أهلَ العراق فقال : يا أهلَ العراق إني لم أجِدْ لكم دواءَ أدوى لداائمكم من هذه المغازي والبُعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة الفقل ، فإنها تعقب راحة وإنّي لا أريد أن أرى الفرحَ عندكم ولا الرَّاحةَ بكم ؛ وما أراكم إلا كارهين لمقاتلي ، أنا والله لِرؤيتكم أَكْرَهُ ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَلْتُ نَفْسِي مُقَاسَاتِكُمْ وَالصَّبْرَ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ؛ والله أسألُ حُسْنَ العونِ عليكم ! ثم نزل .

١٥

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يا أهلَ العراق ، إني أردتُ الحج ، وقد استخلفتُ عليكم آبِي محمدا ، وما كنتم له بأهل ؛ وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الانصار ؛ فإنه أوصى أن يُقبلَ من محسنهم ويُتجاوزَ عن مسيئهم ، وأنا أوصيته أن لا يقبلَ من محسنكم ولا يتجاوزَ عن مسيئكم ؛ ألا وإنكم قائلون بعتدي مقالة لا يمتنعكم من إظهارها إلا خوفي ، تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ! وإنّي أعجلُ لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة ! ثم نزل .

٢٠

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر ركباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة [فجأة] حين انتشر النهار ، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثم بعمامة خز ، فقال : عليّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهموا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد ، قام ، ثم كشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلَا وطلّاعُ الشّيا . متى أضجَ العِمامةُ تعرفوني
صليبُ العودِ من سلّني رياح . كنصلُ السيفِ وضّاحُ الجبين
وماذا يبتغى الشعراءُ مني . وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين
أخو خمسينَ مجتَمِعُ أشدّي . وتَجَدّني مُداوِرةُ الشُّنون
وإني لا يعمودُ إلّى قِرَني . غداةَ العبءِ إلّا في قرين

أما والله إنى لأحمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ؛ وإنى لأرى
رءوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لأصاحبها ؛ وإنى لأنظر الدماء بين العمام
واللعي تترقق :

١٥ . قد شمرّت عن ساقها فشمّر .

ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدّ زيم . قد لفّها الليل بسواق حطّم
ليس براعى إبل ولا غنم . ولا بجزائر على ظهر وضم

ثم قال :

٢٠ قد لفّها الليل بعصاي . أروع خراج من الدوى
مهاجر لبس بأعرابي

ثم قال :

قد شمرت عن ساقها فشدوا • ما علتي وأنا شيخٌ إدا
والقوسُ فيها وتَرُّ عُرْدُ • مثل ذراعِ البكر أو أشدُّ

إني والله يا أهل العراق ، ومعدن الشقاق والفاق ، ومساوي الأخلاق ، لا يُعزِر
جاني كَنَفَازِ التَّينِ ، ولا يُقَعِّعُ لي بالشنان ؛ ولقد فُرتُ عن ذكاء . وقَتَّشتُ
عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية القصوى ؛ وإن أمير المؤمنين ترك كُناتِهِ بين يديه
ثم عجم عِدائِها ، فوجدني أمرها عوداً وأشدّها مكسراً ، فوجهني إليكم ، وروما كم بي ،
فإنكم قد طالما أوضعتُم في الفتن وسنتُم سنن النقي ؛ وآيم الله لألحونكم لحو
العصا ، ولأقرعنكم قرع المروة ، ولأعصبنكم عصب السَّلبَةِ ، ولأضربنكم
ضرب غرائب الإبل ؛ أما والله لا أعِدُ إلا وفيت ؛ ولا أخلق إلا قريت ؛
فإياي وهذه الشفعا ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً . وما يقولون ؛ وفيهم
أتم وذاك ؟ والله لتستقيمُنَّ على طريق الحق ، أو لآدَعُنَّ لكلَّ رجلٍ منكم سُغلاً
في جسده ! من وجدته بعد ثالثة من بئس المهلب سفكت دمه . وانتهيت ماله
وهدمت منزله .

فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب ؛ فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولي
العراق خيرُ ذكر .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه
فقال (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ؛ وقال (وما محمدُ إلا رسولٌ قد خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) ؟ فات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم
عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معارضة ؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي

جربته الامور ، وأحكمته التجارب مع الفقه وقرآنة القرآن ، والمروءة الظاهرة ،
واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزينغ ؛ فكان رابماً من الولاة المهديين
الراشدين ؛ فاختار الله له ماعنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شبيهه في العقل
والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ؛ فاسمعوا له وأطيعوه .

- ٥ أيها الناس ؛ إياكم والزينغ ؛ فإن الزينغ لا يَحِقُّ إلا بأهله ؛ ورأيتم سيرتي
فيكم ، وعرفت خلافتكم ، وقبَلتكم على معرفتي بكم ؛ ولو علمتُ أن أحداً أقوى
عليكم مني ، أو أعرف بكم ، ما وِلَيْتُكُمْ ؛ فإياي وإياكم ؛ من تكلم قتلناه ؛ ومن
سكت مات بدائه غما ! ثم نزل .

خطبة الحجاج

- ١٠ لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس ، مُحَمَّدَانِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ! أما والله لقد كنتُ أَحَبَّ أُنْهَمَا مَعِي
فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا أَرْجُو لَهَا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ ؛ وَآيَمَ اللَّهُ لِيُشَكِّنَ الْبَاقِي
مَنِي وَمَنْكُم أَنْ يَفْنَى ، وَالْجَدِيدَ مَنِي وَمَنْكُم أَنْ يَبْلَى ، وَالْحَيَّ مَنِي وَمَنْكُم أَنْ
يَمُوتَ ؛ وَأَنْ تُدَالَ الْأَرْضُ مِنَّا كَمَا أُدِلْنَا مِنْهَا ؛ فَتَأْكُلَ مِنْ لَحْمِنَا ؛ وَتَشْرَبَ
مِنْ دِمَائِنَا ؛ كَمَا مَشِينَا عَلَى ظَهْرِهَا ، وَأَكَلْنَا مِنْ ثَمَارِهَا ، وَشَرَبْنَا مِنْ مَائِهَا ؛ ثُمَّ
يَكُونُ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ .
ثم تمثل بهذين البيتين :

عَزَائِي نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ * وَحَسْبِي ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ

إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِياً * فَإِنْ سُرَّوَرِ النَّفْسِ فِيمَا هُنَاكَ

- ٢٠ خطب الحجاج في يوم جمعة فأطال الخطبة ؛ فقام إليه رجل فقال : إن
الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرُك ! فأمر به إلى الحبس ؛ فأناه آل الرجل
وقالوا : إنه مجنون ! فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليتُ سبيله . فقال
الرجل : لا والله لا أزعم أنه أبتلاني وقد عافاني .

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض فصرح أهل العراق : وقالوا : مات الحجاج ! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

يا أهل الشقاق والتفاق ! نفخ إبليس في مناخركم ققلم : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمة ؟ والله ما أحب أن لا أموت ! وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ، وما رأيت الله عز وجل رضى الخلود لأحد من خلقه ، إلا لأهونهم عليه : إبليس ؛ ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربه فقال (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) . ففعل ؛ ثم اضمحل كأن لم يكن .

خطبة للحجاج

١٠

خطب فقال في خطبته :

سوطى سبى ، ونجاده في عتقى ، وقائمه في يدي ؛ وذبابه قلادة لمن اغترنى ! فقال الحسن : بؤساً لهذا ! ما أغزه بالله .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ؛ ثم أتى زوجته ، فنعمته نفسها فأقى ابن مُبرمة يستفتيه ؛ فقال : يابن أخى آمض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرك أن تزنى .

هذا ما ذكرناه في كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقى منها فهي مستقصاة في كتاب القيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا في كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذى يُجتزأ منه بالقليل .

٢٠

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بني هاشم والقواد وغيرهم فقال :

- الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِيُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُنَزِعُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ؛ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ؛
- إِنَّ ظَهْرَ غَلَبَتِنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِنَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ — إِذْ جَعَلَهَا عَمُودًا لِدِينِهِ ، وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ — مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَعْبَائِهَا ، وَيَضْطَلِعُ بِحِمْلِهَا .

خطبة عبد الله بن طاهر

- خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج ؛ فقال : إِنَّكُمْ فَتَنَ اللَّهُ الْمُجَاهِدُونَ عَنْ حَقِّهِ ، الذَّابُونَ عَنْ دِينِهِ ، الذَّاكِرُونَ عَنْ مَحَارِمِهِ ، الدَّاعُونَ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ الْإِعْتِسَامِ بِحَبْلِهِ ، وَالطَّاعَةُ لِوَلَاةِ أَمْرِهِ ، الَّذِينَ جَعَلَهُمْ رِعَاةَ الدِّينِ ، وَنِظَامَ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَنْجَزُوا مَوْعِدَ اللَّهِ وَنَصَرَهُ بِمُجَاهِدَةِ عَدُوِّهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ، الَّذِينَ أَشْرَوْا وَتَمَرَّدُوا وَشَقُّوا الْعَصَا ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ ، وَمَرَقُوا مِنَ الدِّينِ ، وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فُسَادًا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ فَلْيَكُنِ الصَّبْرُ مَعْقِلَكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَلْجَثُونَ ، وَعُذَّتْكُمْ الَّتِي تَسْتَظْهِرُونَ ؛ فَإِنَّهُ الْوَزَرُ الْمُنْبَعِ الَّذِي دَلَّكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْجُنَّةُ الْحَصِينَةُ الَّتِي أَسْرَكَمُ اللَّهُ بِهَلْبِاسِهَا ؛ غَضُوا أَبْصَارَكُمْ ، وَأَخْفَتُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي مَصَافِكُمْ ، وَامْضُوا قُدُمًا عَلَى بَصَائِرِكُمْ ، فَارْغَبُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ إِذَا لَفِئَتُهُمْ فَتَةً فَانْبُتُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . أَيْدِكُمُ اللَّهُ بِعِزِّ الصَّبْرِ ، وَوَلِيَكُمُ بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ .

خطبة قتيبة بن مسلم

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أندرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثروان — يعنى هَبْنَقَةُ القيسى —
 كفى بأمير مزجاء وحكم قد أناكم يحكم فى أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم .
 ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ؟ لعن الله الأعراب ! جمعهم كما يُجمع
 فرخ الخزريق من منابت الشيع والقبصوم ومنابت الفلفل ، يركبون البقر ؛ وبأكلون
 الحديد ، فحملتهم على الخيل ، وألبسهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد ، وجي بهم
 الفىء . قالوا : مُرْنَا بأمرك . قال : غُرُوا غيرى .

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يا أهل العراق ، ألسنُ أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحمى من أهل العالية فتعم الصدقة ،
 وأما هذا الحمى من بكر بن وائل فعيلة بظراء لا تمنع وجليها ، وأما هذا الحمى من
 عبد القيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحمى من الأزدي فطوج خلق الله
 وأنباطه ؛ وآيم الله لو ملكك أمر الناس لنقشت أيديهم ، وأما هذا الحمى من تميم
 فإنهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسان .
 وقال الشاعر :

إذا كنت من سعدٍ وخالك منهم • بعيداً فلا يغررك خالك من سعدٍ
 إذا مادعوا كيسانَ كانت كهولهم • إلى الغدر أدنى من شياهم الرد

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يا أهل خراسان ، قد جزتم الولاية قبل ؛ أناكم أمية فكان كاسمه أمية الراى ،
 وأميه الدين فكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان لو كان فى مطبخه لم يكفه ؛
 ثم أناكم بعده أبو سعيد ثلاثاً ، لا تدرون أى طاعة الله أتم أم فى معصيته ؟ ثم لم يجب
 قتيلاً ، ولم يبلُ عدواً ؛ ثم أناكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة ؛ منهم ابن رثمة ،
 حصان يضرب فى عانة ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ! ثم أصبحتم وقد
 فتح الله عليكم البلاد [وأمن لكم السبل] حتى إن الظلمنة لتخرج من مرو إلى
 سمرقند فى غير جوار .

قوله أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة . وقوله : ابن رحة : يريد يزيد ابن المهلب .

خطبة ليزيد بن المهلب

- حمد الله وأتتني عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
- أيها الناس ، إني أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف : منها سبعة معي ، وأثنان عليّ ، وما مسلمة إلا جرادة صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس ، أناكم في بربرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط ؛ أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأثلاء اللحم ، والله ما لقوا قط حداً كحكمكم ، ولا حديداً كحديدكم ، أعيروني سواعدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم ؛ فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

خطبة قس بن ساعدة الإيادي

- ابن عباس قال : قدم وفد إباد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم يعرف قس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا يعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلك ! قال : ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جبل له أحر وهو يخطب الناس ويقول :

أسمعوا وعُوا : من غاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ؛ إن في السماء لحبراً ، وإن في الأرض ليعبراً ، سحاب تمور ، ونجوم تغور ، في ملك يدور . يُقسّم قس قسماً : إن لله ديناً هو أَرْضِي من دينكم هذا .

- ثم قال : مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا .

أيكم يروى من شعره ؟ فأشدد بعضهم :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارد ه للوث ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ه تمضي : الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ولا ه يبقى من الباقيين غير
أيقنت أني لا عسا ه له حيث صار القوم صائر

خطبة عائشة أم المؤمنين

٥

رحمها الله يوم الجمل .

قالت : أيها الناس صه صه : إن لي عليكم حق الأمومة ، وحق الموعدة ؛
لا يهتمني إلا من عصى ربه ؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نخري
ونخري ؛ فأنا إحدى نسائه في الجنة ، له أذخرني ربي وخلصى من كل بضع ؛
١٠ وبى مئير مؤمنكم من منافقكم ، وبى أرخص الله لكم فى صيد الأبواء ؛ ثم
أبى ثاني اثنين الله ثالثهما ؛ وأول من سُمى صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم راضياً عنه ؛ وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب جبل الدين بعده ؛
فسك أبى بطرفه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردة ، وأطفأ ما حششت
يهود ؛ وأنتم يومئذ جُحِظَ العيون ، تنظرون العذوة ، وتسمعون الصيحة ؛ فرأب
١٥ الثأرى ، وأود من الغلظة ، وامتاح من الهوة ؛ حتى أجتعى دفين الداء ؛ وحتى
أعطن الوارد ، وأورد الصادر ، وعَل الناهل ؛ فقصنه الله إليه واطننا على هامات
النفاق ، مذكياً نار الحرب للشركين ؛ فانتظمت طاعتكم بحبله ؛ فولى أمركم
رجلاً مُرْعِياً إذا رُكِنَ إليه ، بعيداً ما بين اللابتين إذا ضلّ ، عُرْكة للأداة بحنبه
صفوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل فى نُصرة الإسلام ؛ فسلك مسلك
٢٠ السابقه ؛ ففرق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نُصَبُ المسألة عن
مسيرى هذا ؛ لم ألتبس إثمها ، ولم أؤرث فتنة أوطئكموها ؛ أقول قولى هذا
صدقا وعدلا ، وإعذاراً وإنذاراً ؛ وأسأل الله أن يصلى على محمد ، وأن يخلفه
فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

خطبة عبد الله بن مسعود

- أصدق الحديث كتابُ الله . وأوثق العُرَى كلمةُ التقوى ، خير زاد ؛ وأكرم
 الملل ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم ،
 وشرُّ الأمور محدثاتها ، وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر
 وألهى ، لنفسٍ تحيها خير من إمارة لا تُحصيها . خير الغنى غنى النفس . خير ما ألقى
 في القلب اليقين . الخرج جماع الآثام . النساء جبال الشيطان . الشباب شعبة من
 الجنون . حبُّ الكفاية مفتاحُ المعجزة . شرُّ من الناس من لا يأني الجماعة إلا دُبراً ،
 ولا يذكر الله إلا هجراً . سبابُ المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكلُ لحمه معصية
 من يتألى على الله يكذبه ، ومن يغفر يُغفر له . مكتوب في ديوان الحسين : من
 عفا عني عنه . الشقُّ شقٌّ في بطن أمه . السعيدُ من وعِظَ بغيره . الأمور
 بعواقبها . ملاكُ الأمر خواتيمه . أحسنُ الهدى هدى الأنبياء . أقيح الضلالة
 الضلالة بعد الهدى . أشرفُ الموت الشهادة . من يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن
 لا يعرف البلاء ينكره .

خطبة لعنبة بن مروان

بعد فتح الأبله

- حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال :
 إن الدنيا قد تولت [حذاء مدبرة] ، وقد آذنت أهلها منها بصرم ، وإنما
 بقي منها صباية كصباية الإناء . بضطبها صاحبها ؛ ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ،
 فعارقوها بأحسن ما يحضركم ؛ ألا إن من العجب أني سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول : إن الحجرَ الضخمَ يرمى به في شفير جهنم فيهوى في النار سبعين
 خريفاً ، وليجهم سبعة أبواب ، بين كل بابين منها مسيرة خمسمائة عام ، وليأتين
 عليها ساعة وهي كظليظ بالزحام ؛ ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سابع سبعة ما لنا طعام إلا ورق البشام ، حتى قرحت أشداقنا ؛ فوجدت أنا وسعد

ابن مالك تمره فشققها بيني وبينه نصفين ، وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على
حصر ولأنه لم يكن نبوة قط إلا تناحنت ؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي
عظيما وفي أعين الناس صغيرا .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

٥ لما عقد معاوية ليزيد البيعة ، قام الناس يخطبون ؛ فقال [معاوية] لعمر بن
سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجل تأمنونه ؛ إن استضفتم إلى
حله وسعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده
أغناكم ؛ جذع قارح ، سويق فسق ، وموجد فيجد ، وقورع فقرع ؛ فهو خلف
١٠ أمير المؤمنين ولا خلف منه .

فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس .

وخطبة لعمر بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرغ الرياشي : حدثنا ابن عائشة قال : قدم عمرو بن
سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميرا ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فقعده عليه وغمض عينيه وعليه جبة مخزق قرمز ، ومطرف خز قرمز ، وعمامة
١٥ خز قرمز ؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجابا بها ، ففتح عينيه فإذا الناس
ينظرون إليه ؛ فقال :

ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلى أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا
بسيفكم ؟ أغركم أنكم فعلتم ما فعلتم فغفونا عنكم ؟ أما إنه لو أثبتتم بالأولى
٢٠ ما كانت الثانية ؛ أغركم أنكم قتلتم عثمان فواقتم ثأرنا منا رفيقا ، قد قى غضبه
وبقى حله ؟ اغتموا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقبل ، البعيد الأمل
الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد ، لين شديد

رقيق كيف ، رقيق عفيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر
ببصره ، واستقبله بأشره ، فهو إن عض نهم ، وإن سطا فرس ، لا يُقلِّل له
الحصى ، ولا تُفرع له العصا ، ولا يمشي السَّمَى .

قال : فما بقى بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قصمه الله .

٥ خطبة لعمر بن الخطاب

العتبي قال : استعمل سعيد بن العاص وهو وال على المدينة ابنه عمرو بن
سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن
نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حارِ ، ما الذى منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال :
ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به ؛ والله ما كنتني ، ولا أتممت اسمي ، وإنما
أنهك عن التكبر على أكفائك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك .
قال : والله ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذى رأيت مني
مُخلق . فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكنناها حِقْبَةً ، وخرجنا عنها رِفْعَةً ، ولذلك
كنا إذا رُفِعَتْ لنا لُحُوءَةٌ بعد لُحُوءَةٍ أَخَذْنَا أَسْنَانَهَا ، وَزَلْنَا أَعْلَانَهَا ؛ ثُمَّ شَدَخْ أَمْرُ
بَيْنِ أَمْرَيْنِ ، فَقَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا زَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا ، حَتَّى شَرِبَ الدَّمُ دَمًا ،
وَأَكَلَ اللَّحْمُ لَحْمًا ، وَفَرَعَ الْعَظْمُ عَظْمًا ؛ فَوَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ
إِيَّاهُ ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُ ؛ ثُمَّ وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ لِسَابِقَتِهِ وَفَضْلُهُ ؛ ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ ؛ ثُمَّ أُجِيلَتْ
قِدَاحُ نَزَعٍ مِنْ شُدْبِ حَوْلِ نَبْعَةٍ ، فَفَازَ بِحَظِّهَا أَصْلِبُهَا وَأَعْتَقَهَا ، فَكُنَّا بَعْضُ
قِدَاحِهَا ؛ ثُمَّ شَدَخْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، فَقَتَلْنَا وَقَتَلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَزَعْنَا وَلَا نَزَعْنَا
حَتَّى شَرِبَ الدَّمُ دَمًا ، وَأَكَلَ اللَّحْمُ لَحْمًا ، وَفَرَعَ الْعَظْمُ عَظْمًا ، وَعَادَ الْحَرَامُ حَلَالًا ،
وَأَسْكَتْ كُلُّ ذِي حَسٍّ عَنْ ضَرْبِ مَهْنَدٍ ، عَرَكَا عَرَكًا ، وَعَسَفَا عَسَفًا ، وَخَزَا
وَنَهَسَا ، حَتَّى طَابُوا عَنْ حَقْنَا نَفْسًا ، وَاللَّهِ مَا أَعْطَوْهُ عَنْ هَوَادَةٍ ، وَلَا رِضْوَانٍ
فِيهِ بِالْقَضَاءِ ؛ أَصْبَحُوا يَقُولُونَ : حَقْنًا غُلْبْنَا عَلَيْهِ ، لِحَزِينَةٍ هَذَا هَذَا ، وَهَذَا
فِي هَذَا .

يا أهل مكة ، أنفسكم أنفسكم ! وسفهاءكم سفهاءكم ! فإن معي سوطا نكالا ،
وسيفا وبالا ، وكل منسوب على أهله . ثم نزل .

خطبة للأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أتم إخواننا في الدين
وشركاؤنا في الصهر ، وأشقائنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ؛
والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من
تميم الشام ؛ فإن استشرف شئنا نكم وأبى حسد صدوركم ، ففي أحلامنا وأموالنا
سعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيبا فقال : اتقوا الله عباد الله : فكم مؤمل أمل لا يبلغه ، وجامع
مال لا يأكله ، ومانع عما سوف يتركه ؛ ولعله من باطل جمعة ، ومن حق منعة
أصابه حراما ، وأورثه عدوا حلالا ، فاحتمل إضره ، وباه بوزره ، وورد على
ربه أسفا لهما ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

خطبة لشداد بن أوس الطائي

حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا إن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر
والفاجر ؛ ألا إن الآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ؛ ألا إن الخير كله
بمخافه في الجنة ؛ ألا إن الشر كله بمخافه في النار ، فاعملوا ما عملتم وأتم في
يقين من الله ، واعلموا أنكم معروضة أعمالكم على الله ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
حَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ وغفر الله لنا ولكم .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري

صعد المنبر يوم جمعة وهو والى مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه
خيرا ؛ لما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب ساجان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم

الحجاج وذكّر عبوبه وإظهار البراءة منه : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن إبليس كان ملكاً من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً ، وكان قد علم الله من غشه وخبئه ما خفي على ملائكته فلما أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم ، فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبئه على ما خفي عنا ؛ فلما أراد [الله] فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، [فلعنه] ، فالعنوه لعنه الله !

خطبة لمصعب بن الزبير

- ١٠ قدم العراق فصعد المنبر ثم قال :
- بسم الله الرحمن الرحيم . (طسم تلك آيات الكتاب المبين ، تلو عليك من تباركنا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم ، إنه كان من المفسدين) وأشار بيده نحو الشام (ونريد أن نمنن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وأشار بيده نحو الحجاز (ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

- قال : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضيع والثلعب : أتيا الضب في جعره فقالا : أباحسل . قال : أجبتكما . قال : جتناك نختم . قال : في بيته يؤتى الحكم . قالت الضيع : فتحت عيني . قال : فعل النساء فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : حلوا اجتليت . قالت : فاخطفها ثعالة ! قال : لنفسه

بَعَى [الخَيْر] . قَالَتْ : فَلَعَلَّمْتُهُ لَطْمَةً ! قَالَ : حَقًّا قَضَيْتِ . قَالَتْ : فَلَطَمْنِي أُخْرَى
قَالَ : كَانَ حُرًّا فَانْتَصَرَ . قَالَتْ : فَاقْضِ الْآنَ بَيْنَنَا . قَالَ : حَدَّثَ امْرَأَةً حَدِيثَيْنِ ،
فَإِنْ أَبَتْ فَارْبَعٌ ، أَيْ : اسْكُتِ .

خطبة شبيب بن شيبه

٥ قيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ويستعدله ، فلو أمرته
أن يصعد المنبر لرجوت أن يفتضح ، قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد ،
فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم حق الصلاة عليه ؛ ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد
الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والريح الناضر ؛ فأما الأسد الخادر
١٠ فأشبه منه صولته ومضائه ، وأما البحر الزاخر فأشبه منه جوده وعطاءه ،
وأما القمر الباهر فأشبه منه نوره وضيائه ، وأما الريح الناضر فأشبه منه حسنه
وبهائه . ثم نزل عن المنبر وأثنأ يقول :

وموقفٍ مثلَ حدِّ السِّيفِ قُتُّ بِهِ . أُنْجِي الذُّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْعَدَقُ
فَمَا زِلْتُ وَمَا أُلْقَيْتُ كَاذِبَةً . إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلُّوا

خطب لعنبة بن أبي سفيان

١٥ بلغه عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه :

يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً ، فإن الله فيكم ذبيحا لعثمان
أرجو أن يولياني نسكته ؛ إن الله جمعكم بأمر المؤمنين بعد الفُرقة ، فأعطى كل ذي
٢٠ حقِّ حقه وكان والله أذكركم إذا ذُكِّرَ بخطة ، وأصفتحكم بعد المقدرة عن حقه ؛
نعمه من الله فيكم ، ومته منه عليكم ؛ وقد بلغنا عنكم نجم قول ، أظهره تقدُّم
عفو منا ، فلا تصيروا إلى وخشة الباطل بعد أنس الحق ، يا حياء الفتنة وإماتة

السُّنن ؛ فاطأكم لله وطأة لارمق معها ؛ حتى تنكروا مني ما كنتم تعرفون ،
وتستخشنون ما كنتم تسلبون ؛ وأنا أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين
وما تخفى الصدور .

وخطبة لعنبة بن أبي سفيان

- ٥ يا حاملِ الألام أنوف ، ركبت بين أعين ، إنما قلّمت أظفاري عنكم ليلين
مسيّ إياكم ، وسألنكم صلاحكم ؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أيتّم إلا الطعن
على الولاية ، والتنقّص للسلف ، فوالله لأقطعن على ظهوركم بطونَ السّياط ، فإن
حسّمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا
جُدتم لنا بالمعصية ، ولا أؤيسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التي هي أبرّ وأتقى .

١٠ وخطبة لعنبة بن أبي سفيان

- لما اشكى شكاته التي مات فيها ، تحامل إلى المنبر فقال :
يا أهل مصر ، لا غنى عن الرب ، ولا مهرب من ذنب ؛ إنه قد تقدّمت مني
إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الاجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ،
فليتني لا أكون آخرت دنيائى على معادى ، فأصلحتكم بفسادى ؛ وأنا أستغفر الله
منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خفت ما كنت أرجو نفعاً عليه ، ورجوت ما كنت
أخاف آغتيالاً به ، وقد شقي من هلك بين رحمة الله وعفوه ؛ والسلام عليكم ،
سلام من لا ترونه عائداً إليكم . قال : فلم يعد .

وخطبة لعنبة

- العنبي قال : سعد القصر : احتبست عناكب معاوية ابن أبي سفيان حين
أرجف أهل مصر بموته ، ثم قدم علينا كتابه بسلامته ؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب
في يده ، الحمد لله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وخطبات السيوف ،

حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسيغه حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها
 جفونكم ، ألحين اشتدت عرى الحق عليكم عقداً واسترخت عقدُ الباطل منكم
 حلاً ، أرجفتم بالخليفة ، فوآردتم تهوين الخلافة ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم
 عهدكم به حديث ، فأرجحوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم ؛ فهذا كتاب أمير المؤمنين
 بالخبر السار عنه والعهد القريب منه ؛ واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون
 قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا مآظهم ، نكلكم إلى الله فيما بطن ؛ وأظهروا خيراً وإن
 أضرتكم شراً ، فإنكم حاصدون ما أتم زارعون ؛ وعلى الله أتوكل وبه أستعين .
 ثم نزل .

خطبة عتبة في الموسم

١٠ سعد القصر قال : قال مولى عتبة بن أبي سفيان : دفع عتبة بن أبي سفيان
 بالموسم ستة إحدى وأربعين ، والناس حديث عهد بهم بالفتنة ، فقال بعد أن
 حمد الله وأثنى عليه :

١٥ إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضصف الله فيه للحسنين الأجر ، وللمسيئين
 الوزر ؛ ونحن على طريق ما قصدنا له ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع
 من دوننا ؛ ورب متمن حقه في أمنيته ، اقبلونا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها
 منكم ، وإياكم ولو أفاين لوأ قد أنعبت من قبلكم ، ولن تُرجح من بعدكم ؛ فأسأل الله
 أن يعين كلاً على كل .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة . قال : لست به ولم تُبعد
 فقال : يا أخاه فقال : أسمعته قُل .

٢٠ فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسننا
 فإن كان الإحسان لكم فإحقكم باستقامته ، وإن كان لنا فإحقكم بمكافأتنا .
 رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويختص إليكم بالخنولة ، وقد كثر

عياه ، ووطنه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .
 فقال عتبة : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْأَلُهُ الْعَوْنَ عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغَنَّاكَ ،
 فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومَ يَابِطَاتُنَا عَنْكَ .

خطبة لعتبة بن أبي سفيان

- ٥ سعد القصر قال :
- وَجَّهَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ابْنَ أَخِي أَبِي الْأَعْوَرِ السُّلَمَى إِلَى مِصْرَ فَمَنَعُوهُ
 الْخِرَاجَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عُتْبَةُ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ :
- يَا أَهْلَ مِصْرَ ، قَدْ كُنتُمْ تَعْتَدُونَ لِبَعْضِ الْمَنَعِ مِنْكُمْ يَبْعُضُ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ ؛ فَقَدْ
 وَلَيْكُمْ مِنْ يَقُولُ وَيَفْعَلُ ، وَيَفْعَلُ وَيَقُولُ ؛ فَإِنْ رَدَدْتُمْ رَدَّكُمْ يَسِدُهُ ، وَإِنْ
 ١٠ اسْتَعْصِمْتُمْ رَدَّكُمْ بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ رَجَا فِي الْآخِرِ مَا أَقْبَلَ فِي الْأَوَّلِ ؛ إِنْ الْبَيْعَةُ مُشَايَعَةٌ ،
 فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ ؛ فَأَيْنَا غَدْرٌ فَلَا ذِمَّةَ لَهُ عِنْدَ
 صَاحِبِهِ ، وَاللَّهِ مَا انْطَلَقْتُ بِهَا أَلَسْتُ حَتَّى عُقِدَتْ عَلَيْهَا قُلُوبُنَا ، وَلَا طَلِبْنَاهَا مِنْكُمْ
 حَتَّى بَدَلْنَاهَا لَكُمْ ، نَاجِزًا بِنَاجِزٍ ، وَمَنْ حَذَرَ كُنْ بِشَرٍّ . قَالَ فَنَادَوْهُ : سَمْعًا سَمْعًا ،
 فَنَادَاهُمْ : عَدْلًا عَدْلًا .

١٥ وخطبة لعتبة

- قَدِمَ كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عُتْبَةَ بِمِصْرَ : إِنَّ قَبْلَكَ قَوْمًا يَطْعَنُونَ عَلَى الْوَلَاةِ
 وَيُعَيِّبُونَ السُّلُوفَ . فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ :
- يَا أَهْلَ مِصْرَ ، خَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ مَدْحُ الْحَقِّ وَلَا تَفْعَلُونَهُ ، وَذَمُّ الْبَاطِلِ
 وَأَنْتُمْ تَأْتُونَهُ ، كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَصْفَارًا أَثْقَلَهُ حَمْلُهَا وَلَمْ يَنْفَعَهُ ثِقَلُهَا ، وَآيَمُ اللَّهِ
 ٢٠ لَا أَدَاوِيَكُمْ بِالسَّيْفِ مَا صَلَحْتُمْ عَلَى السُّوْطِ ، وَلَا أَبْلُغُ السُّوْطَ مَا كَفَتْنِي الدَّرَّةُ ،
 وَلَا أَبْطِئُ عَنِ الْأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْرِعُوا إِلَى الْآخِرِ ؛ فَالْزَمُوا مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ ،
 تَسْتَوْجِبُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْنَا ؛ وَإِيَّاكُمْ وَقَالَ وَيَقُولُ ، قَبْلَ أَنْ يُقَالَ

فعل ويفعل ؛ وكونوا خير قوس سهماً . فهذا اليوم الذى ليس قبله عتاب ، ولا بعده عتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا

٥ صعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة - وهو أحد بني مازن بن عمرو ابن تميم - فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أتابع ، فإنى أحذركم الدنيا ، فإنها حُلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغمرت بالآمال ، وتحلَّت بالآمانى وزينت بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن فجعتها ؛ غدارة ضارة ، وحائلة زائلة ، وناقذة بائدة ؛ لا تعدو - إذا [هى] - تناهت إلى أمنيَّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها - أن تكون كما قال الله عز وجل ﴿ كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مُقْتَدِرًا ﴾ . مع أن امرءاً لم يكن منها فى حيرة ، إلا أعقبته بعدها عبرة ؛ ولم يلق من سرائها بطناً ، إلا منعه من ضرائها ظهراً ؛ ولم تطلَّ منها ديمة رغاء ، إلا هطلت عليه مُرَّةٌ بلاء ؛ وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تسمى له خاذلةً متنكرة ؛ وإن جانب منها اعذوب واحلولى ، أمر عليه منها جانب فأوبا ؛ وإن أبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعماً ، أرهقته من نوائها غماً ؛ ولم يُمس امرؤ منها فى جناح أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ؛ غزارة ، غرورٌ ما فيها ؛ باقية ، فإن ما عليها ؛ لا خير فى شيء من زادها إلا التقوى ، من أقلَّ منها استكثر مما يؤمُّه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ، وزال عما قليل عنه ، واستكثر مما يوبقه ؛ كم واثق بها قد فجعته ، وذى طمأنينة إليها قد صرعته ، وكَم من ذى اختيالٍ فيها قد خدعته ؛ وكَم من ذى أبهة فيها قد صيرته حقيراً وذى نخوة فيها قد رذته ذليلاً ، وذى تاج قد كبته للبدن والفم ؛ سلطانها دول ، وعيشها

- رُتق ، وعدبها أجاج ، وحلوا مر ، وغذاؤها سمام ، وأسبابها رِمام ، وقطافها
 سَلَع ؛ حبها بمرَض موت ، وصحيفها بمرض سقم ، ومنيمها بمرض احتضام ؛
 مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وصحيفها وسليمها منكوب ؛ وحائزها
 وجامعها محروب ؛ مع أن من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهول
 المَطْلَع ، والوقوف بين يدي الحَكَم العدل ؛ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى
 • الذين أحسنوا بالحسنى .

- أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحُ آثَارًا ، وَأَعَدَّ
 عِدِيدًا ، وَأَكْتَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ، وَأَطْوَلُ عِمَادًا ؟ تَعْبُدُوا لِلدُّنْيَا أَيْ
 تَعْبُد ، وَآثَرُوهَا أَيْ إِثَار ، وَظَنُّوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ ؛ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
 سَمِعَتْ لَكُمْ نَفْسًا بَغْدِيَّةً ، وَأَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَمَلْتُمْ بِهِ بِخُطْبِ ١ بَلْ أَتَفَلْتُمْ
 بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعَضْتُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَقَرْتُمْ لِلنَّاخِرِ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِّ
 الْمَنُونِ ، وَعَقَرْتُمْ بِالْمَصَائِبِ ؛ وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ
 إِلَيْهَا ، حَتَّى ظَنُّوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْآبِدِ إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ . هَلْ زَوَدْتُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ ،
 وَأَحْلَلْتُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ تَوَرَّتْ لَكُمْ إِلَّا الظُّلْمَةُ ، وَأَعَقَبْتُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ أَهَذِهِ
 تُؤَثِّرُونَ ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ١٥
 ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ .
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ فَبُنِيتِ الدَّارَ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا ؛ أَعْمَلُوا
 وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ تَارِكُوها لَا بَدَّ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا نَعْتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لَعِبَ وَلُحُوْ
 ٢٠ وَزِينَةٍ وَتَفَاضَحُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . فَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ
 يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً يَعْشَوْنَ ، وَيَتَخَذُونَ مِصَانِعَ لَعَلَّهُمْ يَخْلَدُونَ ، وَبِالَّذِينَ قَالُوا
 ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ ؛ وَاتَّعِظُوا بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ كَيْفَ حُلُّوا إِلَى
 قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزَلُوا [الْأَجْدَاثَ] فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ
 مِنَ الضَّرْحِ أَكْأَنَ ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانُ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانُ ؛ فَهَمْ جِيرَةُ

لا يُجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضيماً ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا
لم يقنطوا ، جمعٌ وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناونون وهم يُزارون ولا يزورون ،
خلاء قد ذهبَتْ أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجئهم ،
ولا يُرجى دُفئهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى ﴿ فِتْلِكَ مَسَاكُنُهُمْ لَمْ تُمْسِكْ
مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسعة
ضيقة ، وبالأل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها حفاةً عُرَاةً فرادى ، غير أن ظعنوا
بأعالمهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كَأَبَدْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَغَدَاً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، فاحذروا ما حذركم الله ،
وانتفعروا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم
أداءً حقاً . ثم نزل .

خطاب لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشامي بمكة ، فصعد المبر متوكئاً على قوس عريية ،
فخطب خطبة طويلة ، ثم قال :

يا أهل مكة ، تميروني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ؟ نعم الشباب مكتهلين ، عَمِيَّةٌ عن الشر
أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجاهم ، قد نظرَ الله إليهم في آناه الليل مُشْتَبَةً
أصلابهم بمثنى القرآن ، إذا مرَّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا
مرَّ بآية فيها ذكرُ النار شقق شهقة كأن زفيرَ جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلالَ
ليلهم بكلالِ نهارهم ، أنضاء عِبَادَةٍ ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم ورُكَبَهُمْ ،
مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستفلون لذلك
في جنب الله ، موفون بعهد الله ، منجزون لوعده الله ، [حتى] إذا رأوا سهام
المدوّ قد فوقت ، ورماحهم قد أشرعت ، وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت
الكتيبة ورعدت بصواعق الموت - استهانوا بوعد الكتيبة لوعيد الله ، ففضي

الشباب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد وُملت محاسن وجهه
بالدماء ، وغر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير
السماء ؛ فكم من مُقَلَّة في منقار طائر ، طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من
كَفٍ بانت عن مِعصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ، وكم من خَدٍ عتيق
وجبين رقيق ، قد فُلق بعمد الحديد ! رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها
في الجنان .

ثم قال : الناس منا ونحن منهم ، الا عابد وثن ، أو كَفَرَة أهل الكتاب ،
أو إماما جائرا ، أو شاذّا على عضده .

وخطبة أبي حمزة بالمدينة

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر
وردت المرتاب ، قال :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،
وصلة الرحم ، وتعظيم ما صُنرت الجبارة من حق الله ، وتصغير ما عَظُمَت من
الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع
الله ويعصى العباد في طاعته ؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق ؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ،
ووضع الاختلاس في مواضعها التي أمر الله بها ؛ إنا والله ما خرجنا أشراً ولا بطراً
ولا لهوا ولا لعباً ؛ ولا للدولة مُلكٍ نريد أن نخوض فيها ولا لنارٍ قد نيل ، منا ؛
ولكننا لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجور قد ظهرت ، وكثر الادّعاء في
الدين ، وُعِجِل بالهوى ، وعُطِلت الأحكام ، وقُتِل القائم بالقسط ، وحُتِفَ الفاتل
بالحق — سمعنا منادياً ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعي الله ،
فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين في الأرض ، فأوانا الله وأيدنا بنصره ،
فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا

يا أهل المدينة ، أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر ؛ إنكم أطعتم قراءكم
وقضاهم فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بنأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛
فأصبغتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

يا أهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ما أصح
أصلكم ، وأسقم فرعكم ! كان آبائكم أهل اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر
النافذة ، والقلوب الواعية ؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة ؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم
والآمانى فأضلتكم ؛ فتح الله لكم باب الدين فسددتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا
ففتحتتموه ؛ سراعاً إلى الفتنة ، بطالة عن السنة ؛ عُنى عن البرهان ، صُمٌّ عن
العرفان ؛ عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ؛ نِعِم ما ورثكم آبائكم لو حفظتموه ، وبئس
ما تورثون أبناءكم إن تمسكوا به ! نصر الله آبائكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ؛
كان عدد آبائكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث ؛ اتبعتم الهوى فأرذلكم واللهم
فأسهاكم ؛ ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزددجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون ، سألناكم
عن ولايتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهم الذى يعدل ؛ أخذوا المال من غير حله ،
فوضعوه في غير حقه ؛ وجاروا في الحكم ، فحكوا بغير ما أنزل الله ؛ واستأثروا
بفئتنا ؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمتنا وحقوقنا في مهور النساء
وفروج الإماء . وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وحاروا
في الحكم فحكوا بغير ما أنزل الله . فقلتم : بلا تقوى على ذلك ، ووددنا أنا أصبنا
من يكفينا ، فقلنا : نحن فكفيناكم . ثم الله راع علينا وعليكم ، إن ظفركم لنُعطينَّ
كل ذى حق حقه ؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم
لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ؛ فوالله لو قلتم لا نعرف الذى تقول ولا فعله
لكان أعذر ؛ مع أنه لا عُذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم
ويأخذكم به في الآخرة .

ثم قال الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله ، أو
متبعين له ، أو راضين بعمله .

أسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنه على الخلفاء ، فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبي طالب رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز ، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفّر مَنْ بعدهما ، فلعنة الله عليه ؛ إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلاً أصغى إلى الملامى والمعاذف وأضاع أمر الرعية فقال : كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مضئع للدين والدنيا ، اشتري له بردان بألف دينار انتزر بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعد حبابة عن يمينه ، وسلامة عن يساره ، فقال : يا حبابة غنني ، وبسلامة اسقيني ؛ فإذا امتلأ سكرًا وازدهى طرباً شق ثوبيه وقال : ألا أظير ؟ فطُر إلى النار وبئس المصير ! فهذه صفة خلفاء الله تعالى .

وخطبة لأبي حمزة

- ١٠ أما بعد ، فإنك في ناشئ فتنة ، وقائم ضلالة قد طال جثومها ، واشتد عليك غمومها ، وتلوث مصايد عدو الله ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها ، فلن يهتد عمودها ، ولن ينزع أوتادها ، إلا الذي بيده ملك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم : ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا في ظلها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهها ؛ مصايح النور في أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ؛ ركبوا منهج السبيل ، وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يُصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ؛ طوى لهم وللدنصبين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج عليه في خطبته

- ٢٠ أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ؛ فقال : أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ؛ وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ؛ وسيجعل الله بعد عسر يسراً إن شاء الله .

ولما قدم يزيد بن أبي سفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ؛ فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال : يا أهل الشام

عثمان بن عفان

يزيد بن أبي
سفيان

عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيِّ ياناً ؛ وأتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قطنة منبر بجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرتج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

فإن لا أكن فيهم خطيباً فإني * بسيفي إذا جذ الوغى لخطيب

فقبل له : لو قلتها فوق المنبر لسكنت أخطب الناس .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولي ، فحير ، فقال : أيها الناس ، إني كنت أعددت مقالا أقوم به فيكم فوجبت عنه ؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ كما قال في كتابه ؛ وأتم إلى إمام عدل ، أحوج منكم إلى إمام خطيب ؛ وإني آمركم بما أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله ؛ وأستغفر الله لي ولكم .

وصعد خالد بن عبد الله القسري المنبر فأرتج عليه ، فكث ملها لا يتكلم ؛ ثم نهى له الكلام فتكلم ، فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يحى أحيانا ويعزب أحيانا ، فيسح عند مجيئه سنيبه ، ويمز عند عزوبه طلبة ؛ ولربما كوبر فاني ، وعولج فاني ؛ فالتأني لمجيئه ، خير من التماطى لآيئه ؛ وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ؛ وقد يُرْتَج على البليخ لسانه ، ويُخْلَج من الجريّ جنانه ؛ وسأعود فأقول إن شاء الله .

وصعد أبو العنيس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ... فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا . قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل .

فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر وقال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل .

فلما كانت الجمعة الثالثة قال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن

أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدري ، وبعضنا لا يدري . قال : فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري ! ثم نزل .

لهاشمي وأتى رجل من بني هاشم الإمامة ، فلما صعد المنبر أرتج عليه : فقال : حيّا الله هذه الوجوه وجعلني فداءها : قد أمرت طائفتي بالليل ألا يرى أحداً إلا أأتاني به : وإن كنت أنا هو ! ثم نزل .

لمالك بن عبد الله وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظنّ الناس أنه يصنع الكلام ، لعذوبة لفظه وبلاغة منطقه : فينا هو يخطب يوما إذ وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سبحان من الجرادة من خلقه ، أدمج قوائمه وطرفها وجناحيها ، وسلطها على ما هو أعظم منها .

عبد الله بن عامر خطب عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحي ، فأرتج عليه ، فكث ١٠ ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عيّا ولو ما . من أخذ شاة من السوق فهي له وتمنّها على .

عبد الملك قيل لعبد الملك بن مروان : يحجل عليك المشيب يا أمير المؤمنين . فقال : كيف لا يحجل وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين .

خطب النكاح

١٥

عنبسة بن أبي سفيان خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عنبسة بن أبي سفيان ابنه ، فأقعدته على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

أقرب قريب ، خطب أحب حبيب ، لا أستطيع له رداً ، ولا أجد من إسعافه بُداً : وقد زوجتكها وأنت أعز عليّ منها ، وهي ألصق بقلبي منك : فأكرهها يعذب على لساني ذكرك ، ولا تُهنّها فيصغرُ عندى قدرك ؛ وقد قرَّبْتُكَ ٢٠ مع قرَّبِكَ . فلا تُبعدْ قلبي من قلبك .

وخطبة نكاح

العتي قال : زوّج شبيب بن شبة ابنه بنت سوار القاضي ، فقلنا : اليوم
يحبُّ عُبابه ! فلما اجتمعوا تكلم فقال :
الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أما بعد ، فإن المعركة منا ومنكم بنا
وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة .

وخطبة نكاح

العتي قال : كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح ، بعد الحمد لله الحسن البصري
والثناء عليه :
أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ،
وجعل ذلك في سُنّة من دينه ومنهاج [واضح] من أمره ؛ وقد حَظب إليكم
فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردّوا
خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح

العتي قال : حضرتُ ابنَ الفُكَيْرِ حَظَبَ على نفسه امرأة من باهلة ، فقال :
وما حسنٌ أن يمدح المرء نفسه . ولكن أخلاقاً تُذمُّ وتُمدحُ
وإن فلانة ذكرت لي .

وخطبة نكاح

العتي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تقصيره :
خطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبي سفيان] إلى عمر بن عبد العزيز أخيه ،
فتكلم محمد بكلام طويل ، فأجابه عمر :

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد ، فإن
الرجبة منك دعيتك إلينا ، والرجبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسن بك ظناً من
أودعك كريمته ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله :
إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وخطبة نكاح

بلال خطب بلال إلى قوم من خنم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّين فهدانا الله ، عبيد فاعتقنا الله ، فقيرين
فأغنانا الله ؛ فإن تزوجونا فالحمد لله ، وإن تردونا فالمستعان الله .

١٠ عمر بن عبد العزيز وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :
قد زوجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين
خييراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفّيت المسألة .

نكاح العبد

١٠ خالد بن صفوان الأصمعى قال : زوج خالد بن صفوان عبده من أمته ، فقال له العبد :
لو دعوت الناس وخطبت ! قال : أدعهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم
خالد بن صفوان فقال :

إن الله أعظم وأجل من أن يُذكر في نكاح هذين الكلبين ! وأنا أشهدكم
أنى زوجت هذه الزانية ، من هذا ابن الزانية .

خطب الأعراب

٢٠ لبعض الأعراب الأصمعى قال : خطب أعرابي فقال : أما بعد ، فإن الدنيا دار ممر ،
والآخرة دار مقر ؛ فخذوا من مترككم لمترككم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى

عليه أصراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها
حيثم ، ولغيرها خلقتكم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ،
إن الرجل إذا هلك قال الناس : ماترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ فقدّموا
بعضاً يكون لكم قرضاً ، ولا تتركوا كلاً فيكون عليكم كلاً ، أقول قولي هذا
والمحمودُ الله والمصلّى عليه محمد ، والمدعوُّ له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر .
قوموا إلى صلاتكم .

وحطبة لأعرابي

الحمد لله الحميد المستعبد ، وصلى الله على النبي محمد ، أما بعد ، فإن التعق
في ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يثنى حتى يُثنى عنه ، والله تبارك وتعالى
لا يُدرك واصف كنه صفته ، ولا يبلغ خطيب متبهي مدحته ، له الحمد كما مدح
نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فضلى .

خطبة أعرابي لفومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء ، ما أقيح بمثل
أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويحذره ، وقد قال الأول :
ودع ما أمت صاحبه عليه * فذم أن يلومك من تلوم
ألهمنا الله وإياكم تقواه ، والعمل برضاه .

[إلى هنا ينتهى كتاب الواسطة في الخطب ، وقد ألحقت به في بعض الأصول
الخطبة الآتية للإمام على كرم الله وجهه ، وقد فات الناس أن يثبتها في موضعها
من الكتاب ، تلو خطبة المأمون في الفطر ، فألحقها بالكتاب في هذا الموضع] .

جاء رجل إلى على كرم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا ،
لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فنضب على كرم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس إليه حتى غمر المسجد بأهله : ثم صعد المنبر وهو مُغَضَّبٌ متغيرُ اللون : فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

- والحمد لله الذي لا يفرُّه المنع ، ولا يُكْذِبُهُ الإعطاء ، بل كلُّ مُعْطٍ ينقص سواه ؛ هو المنان بفرائد النعم ، وعوائد المزيد ؛ وبجوده ضمنت عياله الخالق ، ونهيج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال ، ولو وهب ما أنشقت عنه معادن الجبال ، وضججت عنه أصداف البحار ، من فلز اللجين ، وسبائك العقيان ، وشذر الدر ، وحصيد المرجان — لبعض عبادِه — ما أثر ذلك في ملكه ولا في جوده . ولا أتقذ ذلك سعة ما عنده ، فعنده من الأفضال ما لا يُنفِده مطلبٌ وسؤال ، ولا يحظر لكم على بال ؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاح الملحين بالخواارج وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون . فما ظنكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره ، سبحانه وبحمده .

- أيها السائل ، أعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل أحداً بعدى ؛ فإنني أكفيك متونة الطلب ، وشدة التعمق في المذهب ؛ وكيف يوصف الذي سألتني عنه ، وهو الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته ، وطولٍ ولهم إليه ، وتعظيمهم جلال عزته ، وقربهم من غيب ملكوته — أن يعلوا من عله إلا ما عليهم ، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه ، فقالوا : سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علماً ، وسُمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه رسوخاً ؛ فاقصر ٢٠ على هذا ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ؛ واعلم أن الله الذي لم يحدث فيمكن فيه التغير والانتقال ، ولم يتغير في ذاته بمرور الأحوال . ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالي — هو الذي خلق الخلق على غير مثال أمثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله : بل أَرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب

ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته ، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يفهمهم مبلغ قوته — ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته .

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متاهيا ، وما زال إذ هو الله الذي ليس كمثل شيء عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا ؛ وفات لعلوه عن الأشياء مواقع وهم المتوهمين ؛ وليس له مثل فيكون بالخلق مشبها ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشياء والأنداد منزها ، وكيف يكون من لا يقدر قدره مقدراً في رويات الأوهام ، وقد ضل في إدراك كيفيته حوأس الأنام ؛ لأنه أجل من أن تحذه ألباب البشر بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين . ١٠

ألا وإن الله ملائكة صلى الله عليهم وسلم . لو أن ملكا هبط منهم إلى الأرض لما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكته من سد الآفاق بجناح من من أجنحته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكته من السموات إلى حجزته وسائر بدنه في جرم الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبته . ومن ملائكته من لو اجتمعت الإنس والجن على أن يصفوه ما وصفوه ، لبعد ما بين مفاصله ، ولحسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف من سبعائة عام مقدار ما بين منكيه إلى شحمة أذنيه ؟ ومن ملائكته من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لحث دهر الداهرين ؛ فأين أين بأحدكم ؟ وأين أين أن يُدرك ما لا يدرك ،

كتاب المجتنب الثانية

في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب

فرش الكتاب

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الخطب وفضائلها لابن عبد ربه
- وذكر طوالها وقصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في
- التوقيعات ، والفصول ، والصدور ، وأدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، وفضل
- الإيجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسنا وأرفع قدرًا . وأعظمه من القلوب
- مَوْفَعًا ، وأقوله على اللسان عملاً : ما دل بعضه على كاه ، وكفى قليله عن كثيره ،
- وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك أن تقلّ حروفه وتكثر معانيه ؛ ومنه قولهم :
- رُبَّ إِشَارَةٍ أُبْلَغُ مِنْ لَفْظٍ . أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام ، وتبلغ ١٠
- ما يقصر عنه اللسان ؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسدّ الكلام ، كانت
- أبلغ : لحفة مؤنتها ، وقلة محلها .

- قال أبرويز لكاتبه : أجمع الكثير بما تريد من المعنى ، في القليل بما تقول .
- يحصنه على الإيجاز . وينهاه عن الإكثار في كتبه ، ألا تراهم كيف طعنوا على
- الإسهاب والإكثار ، حتى كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من الإسهاب ؛ ١٥
- قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المذهب الذي يتخال بلسانه تخالّ الباقر ، ويشول به
- شولان الرّوق .

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَبْذُكُمُ إِلَى الْاَثَرِثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ » يريد :
- أهل الإكثار والتّعير في الكلام .
- لأنني صلى الله عليه وسلم
- لم أجدهم أحدًا من السلف يذم الإيجاز ويقدر فيه ، ولا يعيبه ويطن عليه ٢٠
- الرب والإيجاز

وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهرها من التثقيب والنطويل، كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور، وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن لأن الحركة عمل والسكون راحة.

ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندهم أجد في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له، وقد تومن إلى الشيء فستغنى عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لمعة دالة.

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحروري كتاباً، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع في ظهره: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً.

جعفر وكنابه
لابن مسعدة

وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بعلام أسود، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلجأه ويمنه، فكتب وأكثر، فاستنقل ذلك مروان، وأخذ الكتاب فوقع في أسفله: أما إنك لو علمت عدداً أقل من واحد، ولو نأ شراً من أسود، لبعثت به.

مروان وكنابه
لغائد

وتكلم ربيعة الرأي فأكثر، وأعجبه إكثاره، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال له: ما تعدون البلاغة عندكم يا أعرابي؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب. قال: فما تعدون العي؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم أفكأنما ألقمه حجراً.

ربيعة الرأي
وأعرابي

أول من وضع الكتابة

أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب، آدم صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثمائة سنة: كتبه في الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الفرق، وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب.

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط

آدم عليه السلام

٢٠

بالقلم بعد ادم صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه .

إسماعيل عليه السلام

وعن عمرو بن شبة بأسانيد ، أن أول من وضع الخط العربي ، أبجد وهوز وخطى وكلين وسعفص وقرشت ؛ وهم قوم من الجبل الآخرة ، وكانوا نزولا مع عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس .

قوم من القدماء

وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفا في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهى : التاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحقن في حروف الجمل .

وعنه أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقندر .

بنو إسماعيل .

وحكوا أيضا أن ثلاثة نفر من طي اجتمعوا ببقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن جدرة ؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه قوم من الأنبار .

طي

١٥

وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنسانا ، وهم : على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وحويط بن عبد العزى . وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجهم بن الصلت ابن نخرمة

في الإسلام

٢٠

استفتاح الكتب

لشيبان إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تستفتح : باسمك اللهم ، حتى أنزلت سورة هود وفيها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ فكتب بسم الله ؛ ثم نزلت بسورة بني إسرائيل : ﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ آدْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ ، فكتب بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت بسورة النمل : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمرائه جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان .

وكذلك كانوا يكتبون إليه : يندمون بأنفسهم ؛ فمن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر ، والعلاء بن الحضرمي ، وغيرهما ؛ وكذلك كتب الصحابة والتابعين ؛ ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس بمثل ما يكتب به بعضهم بعضا ، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم رجع الأمر إلى رأى الوليد ، والقوم عليه إلى اليوم .

ختم الكتاب وعنوانه

١٥

سبب ذلك وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير معنونة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المنليس ، فلما قرأها ختمت الكتب وعنوانات ؛ وكان يؤتى بالكتاب فيقال : مَنْ عَنَى بِهِ ؟ فسمى عنوانا .

لحسن في عثمان وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَحُّوا بِأَسْمَحَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ۝ يُقَطَّعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا ٢٠

لبيض الشعراء وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد سمحت بها ۝ جعلها للذي أحببت عنوانا

لبعض المفسرين وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : (إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا) : أى مختموم : إذ كانت كرامة الكتاب ختمه .

تأريخ الكتاب

- سبب ذلك
- لا بد من تأريخ الكتاب : لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقرب عهد الكتاب وبعده إلا بالتأريخ ، فإذا أردت أن تورخ كتابك فانظر إلى ماضى من الشهر وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلة مضت من شهر كذا : وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان مضت : بَقِيَتْ .
- وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرخت إلا بما مضى من الشهر : لأنه معروف وما بقى منه مجهول : لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا .
- ١٠ ولا تجعل سحابة كتابك غليظة ، إلا فى كتب العهود والسجلات التى يُحتاج إلى بقاء خواتمها وطوايعها : فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عماله على العراق كتابا ، وجعل سحابه غليظة ، فأمر بإشخاص الكاتب إليه ، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عملك ، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها : ولا تعظم الطينة جدا ،
- ١٥ وطن كتابك بعد كتابك عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طيبت قبل العنوان فأدب متحل .

سحابة الكتاب
وطريقة لابن
طاهر

تفسير الأئمة

- فأما الأئمة فبجازه على ثلاثة وجوه : قولهم أئمة : منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال : رجل أئمة : إذا كان من أمة القرى ، قال الله تعالى : (لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) ، وأما قوله تعالى : (النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ) ، فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والأئمة فى النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة : لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده ؟

٢٠

قال المأمون لأبي العلاء المنقري : بلغني أنك أُمِّي ، وأنت لا تقيم الشعر ،
وأنتك تلحن في كلامك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لسان
بالشيء منه ، وأما الأُمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أُمِّيًّا ،
وكان لا يُنشدُ الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني
رابعاً ، وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة
وفيك وفي أمثالك نقیصة .

شرف الكتاب وفضاهم

فن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ علم بالقلم ،
علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كراماً كاتبين ﴾ ، وقوله : ﴿ بأيدي
سفرة كرام بررة ﴾ .

وللكتاب أحكام بينة كأحكام القضاة يُعرفون بها وينسبون إليها ويتقلدون
التدبير وسياسة الملك دون غيرهم ، وبهم يقام أودُ الدين وأمور العالمين .

فمن اهل هذه الصناعة : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان مع
شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحي ، ثم أفضت
عليه الخلافة بعد الكتابة ، وعثمان بن عفان - كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب
أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، يكتبان بين يديه .
في حوائجه .

وكان المغيرة بن شعبة ، والحصين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينوبان
عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يثوث ، والعلاء بن عتبة ، يكتبان بين
الهوم في قبائلهم ومياهم ، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء .

كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم

وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز .

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ؛ وقيل إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للمعلى وأفضى للحاجة .

وكان معيقب بن أبي فاطمة يكتب مغامم النبي صلى الله عليه وسلم .
وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صبي ، ابن أخى أكم بن صبي الأسدي ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ؛ فغاب عليه أسلم ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزمنى وأذكرني بكل شيء أنا فيه ؛ وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : ألق خالداً وقل له : لا تقتل ذرية ولا عسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرها ، فقالت فيه امرأة ؛ وحكى أنه من قول الجن وهذا محال :

يا عجب الدهر المحزونة * تبكى على ذى شئبة شاحب
إنّ تسألني اليوم ما شفتني * أخبرك قليلاً ليس بالكاذب
إنّ سواد العين أودى به * ونجدي على حنظلة الكاتب

لما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعدا إلى العراق وكتب إليه أن

يسَّعُ القبائل أسباعا ، ويجعل على كل سُبُع رجلا ، فعل سعد ذلك ، وجعل السُّبُع الثالث تيمًا وأسدًا وغطفان وهرازن . وأميرهم حنظلة بن الريع الكاتب . وكان أحد من سُرَّ إلى يزدجرد يدعوهُ إلى الإسلام .

وكان الحصين بن تمير من بنى عبد مناة شهيد بيعة الرضوان ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سهيل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا . فكتب على بن أبي طالب .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، حين صالح قريشا ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب له ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شئت ! فسمع ذلك رجل من الأنصار ، خلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربته ضرباً بالسيف ؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان — وكان بينهما رِضَاع — فقال : يا رسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا . فأعرض عنه ، والأنصارى مُطِيف به ومعه سيفه ، فدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصارى : لقد تَلَوَّمتُك أن توفيَ بنذرك ! فقال : هلا أوْمَضْتَ إلى ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لى أن أوْمِضَ .

أيام أبي بكر رضى الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت .

وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الريع كتب له أيضا . ولما تقلد الخلافة دعا يزيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا تهملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى : فتدَّيع القرآن فاجعه وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَنَ لِلْقَوَائِيْ بَعْدَ حَسَّانِ رَأْبُهُ . وَمَنْ لِلثَّانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن أرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعي — أبو طلحة الطلحات — على ديوان البصرة .
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبرة بن الضحاك ، فلم يزل عليه إلى أن
ولى عبيد الله بن زياد ، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيبي .

أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له
على ديوان المدينة ، وأبو حبرة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على
بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني همدان ، من
قيس بن عيلان — يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاه ، وحران مولاه .

أيام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني ، ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير ؛
وكان عبد الله بن جعفر يكتب له ؛ وروى أن عبد الله بن حسن كتب له ؛ وكان
عبد الله بن أبي رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

[أيام بني أمية]

١٥

وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان : سعيد بن أنس الغساني .
وكانت يزيد بن معاوية : سرجون بن منصور .
وكانت مروان بن الحكم : حميد بن عبد الرحمن بن عوف .
وكانت عبد الملك بن مروان : سالم مولاه ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ،
وهو عبد الحميد الأكبر .
وكانت الوليد بن عبد الملك : جناح مولاه .

٢٠

وكاتب سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر .
 وكاتبه عمر بن عبد العزيز : الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم ؛ وكتب له
 رجاء بن حيوة وخص به ؛ وإسماعيل بن أبي حكم مولى الزبير ؛ وسليمان بن سعد
 الحسني على ديوان الخراج . وكان عمر يكتب كثيراً بيده .
 ٥ وكاتب يزيد بن عبد الملك : عبد الحميد أيضاً ، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى
 أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية ؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أحكام
 البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

- فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر : أبا أيوب المورياني الأهوازي . كتاب بني العباس
 ١٠ وكاتب محمد المهدي بن المنصور : معاوية بن عبيد الله ، ثم يعقوب بن داود .
 وكاتب موسى الهادي بن محمد المهدي : إبراهيم بن ذكوان الحراني .
 وكاتب هارون الرشيد محمد المهدي : يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن
 الربيع ، ثم إبراهيم بن صبيح .
 وكاتب محمد بن زائدة - الأمين : الفضل بن الربيع .
 ١٥ وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد : الفضل بن سهل ، ثم الحسن
 ابن سهل ، ثم عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف .
 وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة :
 الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .
 وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم : محمد بن الملك الزيات أيضاً .
 ٢٠ وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم : إبراهيم بن العباس بن صول ، مولى
 لبني العباس .
 وكاتب المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، ابن المتوكل : أحمد بن الحنصيص .
 ثم كتب للمستعين : أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعيّه ما أسخطه عليه ،

ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجرجاني ، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل .

وكتب المهدي محمد بن الواثق : جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ؛ وكان سبب موته أنه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات .

وتقلد الوزارة للمعتضد : أحمد بن طلحة .

وللوفيق بن جعفر المتوكل : عبيد الله بن سليمان بن وهب .

وتقلد الوزارة للسكتي بالله أبي محمد علي بن المعتضد بالله : القاسم بن عبيد الله

ابن سليمان .

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله : علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مقله ، الذي يوصف خطه بالجودة ؛ ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبد الله بن أحمد الكلوزاني ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعبيد الدولة ، وكان يكتب على كتبه : « من عبيد الدولة أبي علي بن ولي الدولة » ، وذكر لقبه على الدنانير والدراهم ؛ ثم الفضل بن جعفر ابن محمد بن الفرات .

وتقلد الوزارة للقاهر بالله ماضي منصور محمد بن المعتضد : محمد بن علي بن مقله

ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصيني .

وتقلد الوزارة للرازي بالله أبي العباس محمد بن جعفر المقتدر : محمد بن

على بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير على بن عيسى ، ثم محمد
ابن القاسم الكرخي ؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم محمد بن يحيى
ابن شيرزاد .

وتقلد الوزارة للبتق بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر ؛ كاتبه أحمد بن محمد
ابن الأقطس ، ثم أبو إسحق القراربطي ، ثم على بن محمد بن مقلة .

وتقلد الوزارة للمستكن بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكنى بالله : الحسين
ابن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامري المكنى أبا الفرج ؛ ثم ولي
للمطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون .

أسماء من كتب لغير الخليفة

١٠ كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً
بعد ذلك .

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري — مع نبيله وفقهه وورعه وزهده —
كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان ، ثم ولي قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز
١٥ فقيل له : مَنْ وأيت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيد التابعين الحسن بن أبي
الحسن البصري .

وكان محمد بن سيرين - مع علمه وورعه - كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان زياد بن أبيه - مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية في ادعائه - يكتب
للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم
٢٠ لأبي موسى الأشعري ؛ فوجهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع
إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى فيه من الذكاء ، وقال له :
لا ترجع لأبي موسى . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعنّ خيانة صرقتني أم عن تقصير؟
قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن أحلّ فضلَ عتاك على الرعية !

ثم وليَ بعد الكتابة العراق .

وكان عامر الشعبي — مع فقهه وعلمه ونبله — كاتباً لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ، ثم ولي قضاء الكوفة بعد الكتابة .

- ٥ وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .
وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر بن عثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنهما .

- ١٠ وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .

وكان يزيد بن عبد الله بن زُمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

١٥ أشرف الكتاب

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

- كتب له عشرة كتّاب : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، ولَدَا سعيد ابن العاص ؛ وعمر بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء ابن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

من أشرف
الكتاب

- وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفة .
- وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ، ثم صار خليفة .
- وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتباً على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها .
- ٥ وكان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .
- وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتباً للريصع بن زياد الحارثي بخراسان .
- وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلاً .
- وكان زياد كاتباً للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس .
- ١٠ وكان عامر الشعبي كاتباً لعبد الله بن مطيع ، وهو والي الكوفة لعبد الله ابن الزبير .
- وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس .
- وكان قبيصة بن ذؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم .
- ١٥ وكان عبد الرحمن بن أبزي كاتباً نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .
- وكان عبيد الله بن أوس الغساني سيد أهل الشام كاتباً معاوية .
- وكان سعيد بن نمران الهمداني سيد همدان كاتباً على بن أبي طالب ، ثم ولي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير .
- ٢٠ وكان عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة .
- وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك .
- وكان يزيد بن عبد الله بن زهعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى

على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية ؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبيل بالكتابة وكان قبل خاملا

بعضهم سرجون بن منصور الرومي : كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ؛ إلى أن أسره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون يُدُلُّ علينا بصناعته ، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه في حسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحولتُ الحساب من الرومية إلى العربية . قال : افعل ، قال : أنظرني أعاني ذلك . قال : لك نظرة ما شئت . لحول الديوان ، فولاه عبد الملك جميع ذلك .

١٠

وحسان التَّبَطَّى كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبله بن عبد الرحمن ، وقحذم ، جد الوليد بن هشام القحذمي ؛ وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية .

ومنهم الفراء ، كاتب خالد بن عبد الله القسري .

ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المقفع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام الجُنْدَيْسابُورِي ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس الصولي ، ونجاح بن سلتة ، وأحمد بن محمد بن المدبر ؛ فهؤلاء تَبَلَّوْا بالكتابة واستحقوا اسمها .

٢٠

من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور كاتب الأنشين ، والفضل بن مروان ،

وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وأحمد بن الحصب :
فهؤلاء لعلخوا أنفسهم بالكتابة ومادانوها .

لبعض الشعراء
في ابن شيرزاد

وقال بعض الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حَمَزٌ فِي الْكِتَابَةِ يَدْعِيهَا ۝ كَدَغْوَى آلِ حَرْبٍ فِي زِيَادٍ

فَدَعُ عَنْكَ الْكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْهَا ۝ وَلَوْ غَرَقْتَ ثَوْبَكَ فِي الْمِدَادِ

لأبناؤهم
أم سليمان

وممنهم أبو أيوب بن أخت أبي الوزير . وهو القائل يرى أم سليمان بن

وهب الكاتب :

لَا مَ سَلِيْمَانَ عَلَيْنَا مُصِيَّةٌ ۝ مُفَاقَّةٌ مِثْلُ الْحَسَامِ الْبَوَاتِرِ

وَكُنْتُ سِرَاجَ الْبَيْتِ يَا أُمَّ سَالِمٍ ۝ فَأَضْحَى سِرَاجُ الْبَيْتِ وَسَطَ الْمَقَارِ

فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بي : ماتت أمي

فرثيت بمثل هذا الشعر ، ونُقل اسمي من سليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

الشَّيْبَانِي

قال إبراهيم بن محمد الشَّيْبَانِي : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصغر

الهامة ، وخفة اللهازم ، وكثافة اللحية ، صدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة

الشمائل ، وحسن الإشارة ، وملاحة الزَّيِّ : حتى قال بعض المهالبة لولده : تَزَيَّوْا

بِزَيِّ الْكِتَابِ : فَإِنَّ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ وَتَوَاضَعَ السُّوقَةِ .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كل آل الكتابة ، أن يكون الكاتب

نَقِيَّ الْمَلْبَسِ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ ، ظَاهِرَ الْمَرْوَةِ ، عَطِرَ الرَّائِحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ،

صَادِقَ الْحَسِّ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَائِشِ اللِّسَانِ ، حَلَوَ الْإِشَارَةِ ، مَلِيعَ

الِاسْتِعَارَةِ ، لَطِيفَ الْمَسَالِكِ ، مُسْتَفْزِزَ التَّرَكِيبِ ، وَلَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَضْفَاضَ الْجُنَّةِ ،

مُتَفَاوِتَ الْأَجْزَاءِ ، طَوِيلَ اللَّعِيَةِ ، عَظِيمَ الْهَامَةِ : فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةُ

لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا الذِّكَاؤُ وَالْفُطْنَةُ .

لابن حميد

وأنشد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس .

رَأَيْتُ لَهَا زِمَ الْكِتَابِ خَفْتُ هـ وَلِزِمَتَاكَ شَأْنُهُمَا الْقَدَامَةُ
وَكِتَابُ الْمُلُوكِ لَمْ يَأْنِ هـ كَمِثْلِ الدُّرِّ قَدْ رَصَفُوا نِظَامَهُ
وَأَنْتَ إِذَا نَطَقْتَ كَأَنَّ عَيْرًا هـ يَلُوكُ بِمَا يَقُوهُ بِهِ الْجَاهُ

لبعض الشعراء وقال آخر :

عَلَيْكَ بِكَاتِبٍ لَبِيقٍ رَشِيقٍ هـ زَكِيٍّ فِي شِمَائِلِهِ جِدَارُهُ
تُتَاجِيهِ بِطَرْفِكَ مِنْ بَعِيدٍ هـ فَيَفْهَمُ رَجْعَ لِحْظِكَ بِالْإِشَارَةِ

ولابن الحصيب : ونظر أحمد بن الحصيب إلى رجل من الكتاب فَنَدِمَ المنظر ، مضطرب الخلق ، طويل العُشُون ؛ فقال : لأن يكون هذا فطاس مركب ، أشبه من أن يكون كاتباً .

١٠ فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والأديب النحرير ؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقوص الجمال ، مُنْكَسِفُ الْحُسْنِ ، منحوس النصيب .

ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه

١٥ قال إبراهيم الشيباني : أول ذلك حسن الخط ، الذي هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعركة ، وأنس الإخوان عند الفرة ، ومحادثهم على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .
ولست أجده لحسن الخط حداً أقف عليه ، أكثر من قول علي بن رَبن النصراني الكاتب في الكاتب ، فإني سأله واستوصفته الخط ، فقال . أعليك الخط في كلمة واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك . فقال : لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف ، وتجمل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ثم تنتقل إلى ما بعده .

وإياك والنقط والشكل في كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المعضل الذي

تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجِه : فإني سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشكِّل الحرف على القارئ أحب إلى من أن يعاب الكتاب بالشكل .

وكان المأمون يقول : إياكم والشُّرْبِيز في كتبكم . يعنى النقط والإعجام .

ومن ذلك : أن يُصلح الكاتب آله التي لا بد منها ، وأداته التي لا تتم صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنعم ربها وإصلاحها ، وليتخير من أنابيب القصب أقله عقداً ، وأكفنه لحماً ، وأصلبه قشراً ، وأعدله استواءً ؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حاداً ؛ لتكون عوناً له على برِّي أفلامه ، ويربها من ناحية نبات القصبه ؛ واعلم أن محل القلم من الكاتب كمثل الرمح من الفارس .

١٠ قال العتاني : سألت الأصمعي يوماً في دار الرشيد : أي الأنابيب للكتابة أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما شِيف بالهجير ماؤه ، وسره عن تلويحه غشاؤه ، من التَّبريئة القشور ، الدُّربة الظهور ؛ الفضية الكسور . قال : فأى نوع من البري أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة ، التي عن يمين سنها قرنة تؤمن معها المجة عند المذة والمطة ، للهواء في شقها فتق ، والريح في جوفها تحريق ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتاني : فبقى الأصمعي باهتاً إلى ضاحكا لا يبحر مسألة ولا جواباً .

من صفات
الكاتب
ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره .
وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل أول البيت على قافيته ؛ فلا تطيلن صدر كتابك إطالة تخرجه عن حذو ، ولا تقصر به دون حذو ؛ فإنهم قد كرهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

وقيل للشعبي : أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة ، تجزأت في أبدان متفرقة .
فأما الكاتب المستحق أسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا

حاول صيغة كتاب ، سالت عن قلبه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت معادنها
وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب .

- بلغنى أن صديقا لكثوم العتابي أتاه يوما فقال له : اصنع لى رسالة . فاستمد
مدة ثم علق القلم ؛ فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له
العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت على المعاني من كل جهة ، فأحببت أن أترك
كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ؛ ثم أجتني لك أحسنها .

بين العتابي
وصديق له

- قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يملئ على
كاتب له ؛ فأجمل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن
تقييد إملائه ؛ فقال له : اكتب يا حمار ! فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ،
إنه لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافعت مسيوله على حرف القلم ، كل
القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ
من بلاغة يزيد .

بين يزيد
وكاتب له

وقال له يوما وقد مط حرقا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان

في القلم .

- فإن كان لابد لك من طلب أدوات الكتابة ، فنصفح من رسائل المتقدمين
ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ،
ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به متطققك ، وبطول به قلبك ؛
وأنظر في كتب المقامات والخطب ، وبجأوبة العرب ، ومعالي العجم ، وحدود المنطق
وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ، ووقائعهم ، ومكايدهم في حروبهم
بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب ، والوثائق والسور ، وكتب السجلات
والآمانات ؛ لتكون ماهرا ، تنتزع آى القرآن في مواضعها ؛ واختلاف الأمثال
في أماكنها ؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ؛ فإن تضمين المثل السائر ،
والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر

ما يحتاج إليه
الكاتب

فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء عيب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارض
للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد في أُنْبَهَتِهِ .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : لما رجع المعتصم من
الشعر وصار بناحية الرقة ، قال لعمر بن مسعدة : ما زلت تسألني في الرُّخْجِيَّ
حتى وليته الأهواز ، فقمعد في سرّة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه إلينا
بدرهم واحد ؛ أخرج إليه من ساعتك . فقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصير
مستعينا على عامل خراج ؟ ولكن لم أجد بذا من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت :
أخرج إليه يا أمير المؤمنين . فقال : أحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا .
فقلت له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرت ففرش لي زورق بالطبري وغُثِّي
بالسَّلْع ، وطرح عليه الكز ، ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هزقل ودير
العاقول ، إذا رجل يصيح : ياملاح ، رجل منقطع ! فقلت للبلاح : قرب إلى
الشط . فقال : ياسيدي ، هذا شحاذ ، فإن قد معك آذاك . فلم أنفت إلى قوله ،
وأمرت الغلمان فأدخلوه ، فقمعد في كوثل الزورق ، فلما حضر وقت الغذاء عزمت
أن أدعوه إلى طعامي ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بهامة ، إلا أنه نظيف
الآكل ؛ فلما رفع الطعام ، أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص :
أن يقوم فيغسل يده في ناحية ؛ فلم يفعل ، فغمزه الغلمان ، فلم يغمض فغسلت عنه
ثم قلت : يا هذا ما صناعتك ؟ قال : حائك ! فقلت في نفسي : هذه شر من
الأولى . فقال لي : جُعِلَتْ فداك ، قد سألتني عن صناعتى فأخبرتكَ ، فما صناعتُكَ
أنت ؟ قال : فقلت في نفسي : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن أذكر له الوزارة
فقلت : أقصر له على الكتابة ؛ فقلت : كاتب .

قال : جُعِلَتْ فداك ، الكتاب على خمسة أصناف : فكانت رسائل يحتاج
إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهاني والتعازي والترغيب والترهيب

والمقصود والممدود وجلا من العرية ؛ وكاتب خراج ، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشغال والطسوق والتقسيط والحساب ؛ وكاتب جند ، يحتاج أن يعرف مع الحساب الإطعام وشيات الدواب وحلى الناس ؛ وكاتب قاض ، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شرطة ، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والدييات ؛ فأيهم أنت أعزك الله ؟

قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني ، إذا كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، تزوجت أمه ، فكيف تكتب له : أنهيه أم تهزبه ؟

قلت : والله ما أقف على ما تقول . ١٠

قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول - أصلحك الله - وقد ولاك السلطان عملا فبئت عمالك فيه بجامك قومٌ يتظلمون من بعض عمالك ؛ فأردت أن تنظر في أمورهم وتنصفهم ؛ إذ كنت تحب العدل والبر ، وتؤثر حسن الأعدوة وطيب الذكر ، وكان لأحدهم قراح كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العطوف في العمود وأنظر ١٥ كم مقدار ذلك .

قال : إذا تظلم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة .

قال : إذا تظلم السلطان . قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فما تقول في رجلين ، اسم كل واحد منهما أحمد ، ٢٠ أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟

قال : كنت أكتب : أحد الأعم ، وأحد الأعلم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ،

فتظلم صاحب الآلف . قلت : والله ما أدري . قال : فلست بكاتب جند :
فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول - أصلحك الله - في رجل توفي
وخلف زوجة وسرية . وكان للزوجة بنت والسرية ابن ، فلما كان في تلك الليلة
أخذت الحرة ابن السرية فاذعته وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعتا فيه ، فقالت هذه :
هذا ابني . وقالت هذه : هذا ابني . كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي ؟

قلت : والله لست أدري ! قال : فلست بكاتب قاض ، فأيهم أنت ؟
قلت : كاتب شرطة . قال فما تقول - أصلحك الله - في رجل وثب على رجل
فشجّه شجة موضحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجة مأمومة ؟ قلت ما أعلم . ثم
قلت : أصلحك الله ، ففسّر لي ما ذكرت . قال : أما الذي تزوجت أمه ، فتكتب
إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجري بغير محابٍ المخلوقين ، والله يختار للعباد ،
نغار الله لك في قبضها إليه ، فإن القبر أكرم لها والسلام .

وأما القراح ، فتضرب واحدا في مساحة العطوف ، فإن ثمّ بابه .
وأما أحمد وأحد ، فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحد الأعم ؛ والمقطوع
الشفة السفلى : أحمد الأشرم .

وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان [لبها] أخفّ فهي
صاحبة البنت .

وأما الشجة ، فإن في الموضحة خمسا من الإبل ، وفي المأمومة ثلاثا وثلاثين
وثلاثا ، فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلاثا .

قلت : أصلحك الله ، فانزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لي كان عاملا على
ناعية ، فخرجت إليه فالفقته معزولا ، فقطع بي ، فأنا خارج أضطرب في المعاش .
قلت : ألسنت ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ، ولست بجائك الثياب .
قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره . وأدخل الحمام فطرح عليه شيئا من

ثياني ، فلما صرت إلى الأهواز ، كلمت الرَّحْجِيَّ ، فأعطاه خمسة آلاف درهم .
 ورجع معي ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك في طريقك ؟
 فأخبرته خبري ، حتى حدثته حديث الرجل ، فقال لي : هذا لا يُستغنى عنه ، فلا شيء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين
 البناء والمرمة ؛ فكنت والله ألقاه في المركب النبيل ، فينحط عن دابته ، فأحلف
 عليه فيقول : سبحان الله ! إنما هذه نعمتك وبك أودت بها .

فضائل الكتابة

- للجاحظ قال أبو عثمان الجاحظ : مارأيت قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء الكتاب ؛ فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا .
- لبعض المهالبة وقال بعض المهالبة لبيه ، تزيوا بزي الكتاب فإنهم جمعوا أدب الملوك
 ١٠ وتواضع السوقة .
- للمنصور وقوم وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر بجبسهم ؛ فرفعوا إليه
 من الكتاب رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :
- ونحن الكاتبون وقد أسأنا ه فهبنا للكرام الكاتبين
- ١٥ فغفا عنهم وأمر بتخليه سيلهم .
- للدؤيد وقال المؤيد : كتاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألستهم
 الناطقة ؛ والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة جليلة تحتاج
 إلى آلات كثيرة .
- لسهل بن هارون وقال سهل بن هارون : الكتابة أول زينة الدنيا ، التي إليها يتناهى الفضل ،
 ٢٠ وعندها تقف الرغبة .

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

لثياني قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك ، والوزراء ،
 والعلماء ، والكتاب . والمطباء ، والأدباء ، والشعراء ، وأوساط الناس وسوقهم ؛

مخاطب كلا على قدر أبعثته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته ؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام : منها الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأخر وهي دونها أربع . ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسم لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها .

٥ فالخذ الأول الطبقات العليا ، وغايتها القصوى الخلافة ، التي أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير .

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها ، الذين يخاطبون الخلفاء بعمولهم وأستهم ، ويرتقون الفتوق بآرائهم .

١٠ الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جنودهم ؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه وحظه ، وغنائه وجزائه ، واضطلاعه بما حل من أعباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم .

والرابعة القضاة ؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .

١٥ وأما الطبقات الأربع الأخر ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها .

والثانية وزراؤهم وكتابهم وأتباعهم ، الذين تفرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم .

والثالثة هم العلماء ، الذين يجب توقيرهم في الكتب بشرف العلم ، وعلو درجة أهلهم .

٢٠ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والآدب ، فإنهم يضطرونك بمجدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

واستغنيا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار ، باستغنائهم بمهنتهم عن هذه

الآلات ، واشتغالهم بمهنتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك إياهم في كتبك ، وتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعفته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه ؛ فلا تعتمد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً لا تقا بمن كاتبته ، ومُلامساً لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى — وإن صحَّ وشرف — لفظاً متخلفاً عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عادته ، تهجين للمعنى وإخلال بقدره . وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص ما يجب له ؛ كما أن في اتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً لمُذرم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم .

فن الالفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها في كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلاً ، وعمرَك مَلِيًّا . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاءك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلاً ؛ ولكمهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنه قدراً في المخاطبة ؛ كما أنهم جعلوا : أكرمك الله وأبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأدباء ، من : جُعِلْتُ فداك ، على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداء من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداء من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : أرم فداك أبي وأُمي ، لكرهنا أن يكتب بها أحد ؛ على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها مُجِّرام في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قام محمود الوراق :

كلُّ مَنْ حَلَّ سَرَّ مَنْ رَأَى مِنَ النَّاسِ * مَنْ قَدْ يُدْخِلُ الْأَمْلَكَ

لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَاتَلاً بِطَرِيقِ * قَالَ لِلْكَلبِ : يَا جُعِلْتُ فداك !

وكذلك لم يميزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمنع بك ؛ إلا في الابن .

والخادم المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهِدْتَ مِنْ أَدَبِكَ * أَمْ تَلْتَ مُلْكًا فَتَهْتَ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ الْإِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : وَأَمْتَعَ بِكَ ؟
أَتَعَبْتَ كَفِّكَ فِي مُكَاتَبَتِي * حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ فِي تَعَبِكَ
فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كَيْفَ أَتُخَوِّنُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَيِّئِكَ
أَتَكْرَهُ شَيْئًا فَلَسْتُ فَاعِلُهُ * وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطِئُ فِي كُتُبِكَ
إِنَّ بِكَ جَهْلُ أَتَاكَ مِنْ قَبْلِي * فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَيَّ مِنْ حَسْبِكَ
فَاعْفُ فَدَنْتُكَ النَّفْسُ عَزَّ رَجُلٌ * يَعْيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ
ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزن ، ينبغي للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ * مَذِقُ الْحَدِيثِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجَّلُوا قدر الملوك أن يُمدِّحُوا بما تَمْدَحُ به العوام ؛ لأنَّ صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح ، فهو واجبٌ على العامة ، والملوك لا يُمدِّحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إِنَّكَ لَا تَزْنِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ ، وَإِنَّكَ لَا تَخُونُ مَا اسْتَوْدَعْتَ ، وَإِنَّكَ لَتَصْدُقُ فِي وَعْدِكَ وَتَقِي بِعَهْدِكَ ؛ فَكَأَنَّهُ قَدْ أَثْنَى بِمَا يَجِبُ ؛ وَلَوْ قَصِدَ بَثْنَاهُ إِلَى مَقْصَدِهِ كَانَ أَشْبَهَ فِي الْمُلُوكِ .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين ؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا في الخلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلاً قلت : إنه لعاقِل
 كنتَ مدحته عند الناس ، وإن قلت : إنه لكَيْس كنت قد قصّرت به عن وصفه،
 وصغّرت من قدره ، إلا عند أهل العلم بالآفة : لأن العامة لا تلتفت إلى معنى
 الكلمة . ولكن إلى ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ؛ إذ كان استعمال
 العامة لهذه الكلمة مع الخدائاة والغرة وخساسة القدر وصغر السن .
 وقد روينا عن علي كرم الله وجهه أنه تسمى بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة ،
 فقال في ذلك :

أَمَّا تَرَانِي كَيْسًا مُكَيِّسًا * بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسًا
 حَصِينًا حَصِينًا وَأَمِيرًا كَيْسًا

وقال الشاعر :

* مَا يَصْنَعُ الْآحَقُّ الْمَرْزُوقُ بِالْكَيْسِ *

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء .
 كذلك روينا عن ابن عباس .
 وسمع سعد بن أبي وقاص ابن أخ له يُكَلِّبِي ويقول في تليته : لَبَّيْكَ يَا ذَا
 الْمَعَارِجِ . فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذا كما نلبي على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كما نقول : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ .
 وكان أبو إبراهيم المزني يقول في بعض ما خطب به داود بن خلف الأصهباني :
 « فَإِنْ قَالَ كَذَا فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الْمِلَّةِ وَالْحَدِّ اللَّهُ » فقص ذلك عليه داود ، وقال فيما
 رَدَّ عَلَيْهِ : نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ نُخْرِجَ أَمْرًا مُسْلِمًا مِنَ الْإِسْلَامِ ؟ وَهَذَا مَوْضِعُ
 اسْتِرْجَاعٍ ، وَلِلْعَمْدِ مَكَانٌ يَلِيقُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمَصِيبَةِ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ ﴾ .

فأمثل هذه المذاهب ، وأتجر على هذه القواعد ، وتَحَفُّظُ فِي صَدُورِ كِتَابِكَ
 وفصولها [وافتاحها] وخواتمها وَضَعُ كُلِّ مَعْنَى فِي مَوْضِعٍ يَلِيقُ بِهِ ، وَتَحْيِيرُ لِكُلِّ
 لَفْظَةٍ مَعْنَى يَشَاكُلُهَا ، وَلَيْسَ مَا تَحْتَمُّ بِهِ فَصُولُكَ فِي مَوْضِعِ ذِكْرِ الْبُلُوِي بِمَثَل :

نسأل الله دفع المحذور ، وصَرْفُ المكروه ؛ وأشباه هذا ؛ وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً ،
والشكر لله واجباً ، [وما يُشاكل ذلك] ؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب
أن يتفقدوها ويتحفظ فيها ؛ فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في
موضعه ، ويعلق كل لفظة على طبقها من المعنى .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أنت به آى القرآن من الاختصار
والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص ؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما]
خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه — جل ثناؤه — أمره ونهيه ومراده ؛
والرسائل إنما يخاطب بها أقوام دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .
وكذلك ينبغي للكاتب أن يجنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن
ذهب يكتب على مثل معنى قول الله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ
الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ، وكفوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ ، احتاج الكاتب
أن يبين معناه : أسأل أهل القرية وأهل العير ، وبلى مكرم بالليل والنهار ، ومثل
هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشورة ما يجوز في الأشعار
الموزونة ؛ لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك
أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ؛ واغضروا
فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ؛
وذلك كله غير سائغ في الرسائل ، ولا جائز في الملاحظات ، فمما أُجيز في الشعر
من الحذف مثل قول الشاعر :

• قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمَا •

يعنى الحمام ؛ وقول الآخر :

• صَفَرُ الْوِشَاحَيْنِ صُمُوتُ الْخُلُجَلِ •

يريد الخلخال، وكقول الآخر :

• دَارٌ لِسَلْسَى إِذِهِ مِنْ هَوَاكَ •

يريد إذهي ؛ وكقول الحطيئة :

فِهَا الرَّمَا حُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِقَةٍ • جَدَلَاءَ مَسْرُودَةٍ مِنْ نَسْجِ سَلَامٍ

يريد سليمان ؛ وقول الآخر :

مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ • وَالشَّيْخِ عُثْمَانَ أَبِي عَفَانٍ

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وَسَائِلُهُ بِشُعْلَبَةٍ بْنِ سَيِّرٍ • وَقَدْ عَلِقَتْ بِشُعْلَبَةِ الْعَلَوْقِ

وأراد ثعلبة بن سيّار ؛ وكما قال الآخر :

وَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَتَطِيعُهُ • وَلَاكَ أَتَقْنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلٍ

أراد ولكن .

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصَغَّرَ الاسمُ في موضع التعظيم ، وإن كان

ذلك جائزاً ، مثل قولهم : « دويبة » ، « تصغير داهية » ، « وجذيل » ، « تصغير جذل » ،

« وعذيق » ، « تصغير عذق » . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ • دُؤَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : أنا عَذَيْبُهَا الْمُرْجَبُ ، وَجُذَيْلُهَا

الْمُحَكَّكُ ، وقد شرحه أبو عبيد .

ومما لا يجوز في الرسائل وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كلت إِيَّاكَ ،

وأعنى إِيَّاكَ ، وهو جائز في الشعر :

وَأَحْسِنُ وَأُنْجِلُ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ • ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَأَيَّاكَ آسِرُ

وقال الراجز :

• إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ •

فتخير من الألفاظ أرجحها لفظاً وأجزلها معنى ، وأشرفها جرهماً وأكرمها

حسباً ، وأليقها في مكانها ، وأشكلها في موضعها ؛ فإن حاولت صنعة رسالة

فون اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرّضت ، وعابر الكلمة بمعيارها
 إذا سنّعت ؛ فإنه ربما مر بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : أنا
 فاعل ، أحسن من أن تكتب : أنا أفعل ، وموضع آخر ؛ يكون فيه : استغفلت ،
 أحلى من : فعلت ؛ فأدير الكلام على أما كينه ، وقلبه على جميع وجوهه ؛ فأى
 لفظه رأيتها أخف في المكان الذى نديتها إليه ، وأنزع إلى الموضع الذى راودتها
 عليه فأوقعها فيه ؛ ولا تجعل اللفظة قلقة في موضعها ، نافرة عن مكانها ؛ فإنك
 متى فعلت [ذلك] هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذى
 أردت إصلاحه ؛ فإن وضع الالفاظ في غير أماكنها ، وقصّدت بها إلى غير
 مصابها ، إنما هو كترقيق الثوب الذى لم تتشابه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاؤه ،
 ١٠ خرج عن حد الجودة وتغير حسنه ، كما قال الشاعر :

إن الجديد إذا ما زيد في خلقه • تبين الناس أن الثوب مرقوق

كذلك كلما أحولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه ، كان أسهل ولوجاً
 في الاسماع ، وأشد اتصالاً بالقلوب ، وأخف على الأفواه ؛ لاسيما إن كان المعنى
 البديع مترجماً بلفظ موق شريف ومُعَارِفاً بكلام عذب لم يسمه التكلم بميسمه
 ١٤ ولم يفسده التعقيد باستغلافه .

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبي الحسن ، وزور كلامه وجاوز المقدار في
 التنطع ؛ فوقع في أسفل كتابه :

أنى يكون بليغا • من اسمه كان عيّا

وثالث الحرف منه • أذ كُفيت مُسيّا

٢٠ قال : وبلغنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة ، فخرج
 عنه ومر باب الطاق ، فإذا بطير يدعى الشفانين ، فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب
 كتابا ينتطع في بلاغته ، وذكر : إنه يقال له شفانين ، أرجو أن يكون شفاء من
 أنين ؛ فوقع في أسفل الكتاب : والله لو عطست ضبّا ما كنت عندنا إلا نبطيا ،
 فأقصر عن تنطعك وسهل كلامك .

قوله : لو عطست ضباً ، يريد : أن الضباب من طعام الأعراب وفي بلدهم يقال : لو عطست فثرت ضباً من عطاسك ، لم تلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطياً .. وقد جاء في بعض الحديث : أن القط من نثرة عطسة الأسد ، وأن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ؛ فقال هذا : لو أن الضب من ثرتك لم تكن إلا نبطياً .

وفي هذا المعنى قال مخلد الموصلي يهجو حيدا :

لغله يهجو حبا

أنت عندي عَرَبٌ ۝ ليس في ذاك كلام
شمرُ ساقيكَ وفخرٌ ۝ ذِيكَ مُخْرَمِي وَثَمَام
وقدَى عينيك صَمْعٌ ۝ وتواصيك ثغام
وضلوعُ الصّدر من شِلْ ۝ وكِ نبع وبشام
لو تحركتَ كذا لَأَزْ ۝ جَعَلْتُ منك نعام
وظباء راتعات ۝ ويرايبعُ عظام
وحمام يتغنى ۝ حبذا ذاك الحمام
أنا ما ذنبِي لَأَنْ ۝ كَذَبَنِي فيك الأمام ؟
وفتي تحلف ما لَنْ ۝ عرقتُ فيه الكرام
ثم قالوا جاسمى ۝ من بني الأنباط حام
كذبوا ما أنت إلا ۝ عربى والسّلام !

وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفى بالروح الخفى ، واللفظ الظاهر بالجنان الظاهر ؛ وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقا ، وتضاءل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح ، كمنسأول الحسناء في الأظفار الرثة .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ؛ وقد ذكر له أرسطاطاليس صفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى

النَّصِيَّة ، والنَّصِيَّةُ الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بنير لفظ ، والمشييرة إليك بنير يد ؛ وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني وسافرة عن وجوهها .

٥ وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان : هما القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرْجُمان ؛ فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام ، إلى حد الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان ، الحيُّ الناطق .

وقال هشام بن عبد الملك : إنَّ الله رفع درجةَ اللسان فأنطقه بين الجوارح . لهشام

١٠ وقال علي بن عبيدة : إنما بين عن الإنسان ، اللسان وعن المودة العيان .

وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . لبعضهم

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

وما المرء إلا الأصغران : لسانه . ومخفوله ، والجسمُ خُلِقَ مصوِّرٌ

١٥ فَإِنَّ طُرَّةَ رَاقَتِكَ يَوْمًا فَرَبِّمَا . يَمُرُّ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة . ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامه في الإيضاح عند المشهد ويفضله عند المغيب ؛ لأنَّ الكتب تقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ؛ واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يندو سامعه ولا يجاوزه إلى غيره . ٢٠

البلاغة

قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة .

لسهل بن هارون

- لجفر وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير .
- لابن المقفع وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلة الحصر ، والجرأة على البشر . قيل له : فما المعنى ؟ قال : الإطراق من غير فكرة ، والتخنع من غير علة .
- لبعضهم وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تطويل القصير ، وتقصير الطويل .
- لأعرابي وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .
- لأرسطاطاليس وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاستعارة .
- لجالينوس وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المعضل ، وفك المشكل .
- للخليل وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه .
- لابن صفوان وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد للحجة .
- لإبراهيم وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق .
- لإبراهيم وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار في الكتب

- ١٥ وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه ، ففيه أدب يجب معرفته ، وقد تعلق العامة بكتاب القمّي والأصبهاني .
- الأصبهاني : وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لي منه أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك يمكن لكل إنسان ، غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حلياً فتكتب به في القِرطاس ، فيذو المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس ، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله ؛ وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج . وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السُلخفة .
- ٢٠

قولهم في الأقلام

- قالوا : القلم أحدُ اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرارِ القلوب على لغات
 مختلفة ، من معانٍ معقودة بحروف معلومة مؤلفة ، متباينات الصور ، مختلفات
 الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها التدبر ، تخرُس منفردات ، وتَنطق مزدوجات ،
 ٥ بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسُن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حرف
 باريه قَطَّته ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه
 ليعتبس المداد عليه ، فهناك استمد القلم بشقه ، وثر في القرطاس بخطه حروفا
 أحكمها التفكير ، وجرى على ألسِنه الكلام الذي سداه العقل ، وألمه اللسان ،
 ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء
 ١٠ شتى من صفات وأسماء .

أبو الحسن
 الهاشمي

- وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :
 وَأَسْمَرَ طَاوِي الكَشِيجِ أَخْرَسَ نَاطِقٍ • لَهُ ذَمْلَانٌ فِي بَطُونِ المَهَارِقِ
 إِذَا اسْتَعْجَلَتْهُ الكَفُّ أَمْطَرَ وَبَلَهُ • بِلا صَوْتِ إِرعَادٍ وَلا ضَوْءِ بَارِقِ
 إِذَا مَا أَحْدَا غُرَّ القَوَافِي رَأَيْتَهَا • مُجَلَّسَةً تَمْضِي أَمَامَ السَّوَابِقِ
 ١٥ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ دَجَى اللَّيْلِ حُلَّةٌ • إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ مُزْنُهُ بِالصَّوَاعِقِ
 كَأَنَّ اللَّالِي وَالزَّبْرَجَدَ نُطْقَهُ • وَتَوَمَّ الخَزَامِي فِي عَيُونِ الحِدَائِقِ

العلوي

وقال العلوي في صفة القلم :

- وَعُرْيَانٌ مِنْ خِلْعَةٍ مُكْتَسِ • يَمِيسُ مِنَ الوَشْيِ فِي يَلْمَقِ
 تَحْدَرُ مِنْ رَأْسِهِ رِبْقَةٌ • تَسِيلُ عَلَى ذِرْوَةِ المَفْرِقِ
 ٢٠ فِكَمٌ مِنْ أَسِيرٍ لَهُ مُطْلَقٍ • وَكَمْ مِنْ طَلِيقٍ لَهُ مُوْتِقِ
 يُقِيمُ وَيُوطِنُ غَرْبَ البِلَادِ • وَيَنْهِي وَيَأْمُرُ بِالمَشْرِقِ
 قَلِيلٌ كَثِيرٌ ضُرُوبُ الخَطِّ • ط وَأَخْرَسَ مُسْتَمْعُ المَنْطِقِ

يسير بِرُكْبٍ تَلَالٍ عَجَسَالٍ * إذا ما حدا الفكر في مهرقٍ

ابضهم في العلم وقال آخر في العلم :

لك القلمُ المطيعُك غير أنا * وجدنا اسمه غير المطاع

له ذوقان من أَرَى هِنِي * ومن شَرَى وبني ذى أمتناع

أحدُ اللفظِ ينطق عن سِواه * فيسمع وهو ليس بِذى استماع

إذا استسقى بلاغتك استهلكت * عليه سماء فكرِكَ باندفاع

وقال :

وبيتٍ بعلياء الفلاة بنيتُ * بأسمر مشقوق الحياشيم يُرْعَف

كَأَنَّ عليه مُلبساً جِلْدَ حَيَّةٍ * مقيم فما يَمْضِي ولا يتخَلَّفُ

جليلُ شُتونِ الخطبِ، ما كان راكباً * يسير ، وإن أَرَجَلْتُهُ فضعُف

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

حبيب

لَكَ القلمُ الأعلى الذى يَشْبَاهُ * يُصَابُ مِنَ الأَمْرِ الكلى والمفاصلُ

لعابُ الأفاعى الفاتلاتِ لعابه * وأَرَى الجنى أَشْنارُهُ أيدٍ عواسِلُ

له ريقَةٌ طُلَّ ولكن وقمها * بآثارِهِ فى الشرق والغربِ وأبل

فصيحٌ إذا اسْتَنْطَقْتَهُ وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبته وهو راجل

إذا ما أَمْتَلَى الخسَ الأَظْفارَ وأفرغت * عليه شعابُ الفكرِ وفى حوافل

أطاعته أطرافُ القنا وتقوضت * لِنَجْواه تقريضُ الخيامِ الجحافلُ

إذا استغزَرَ الذَّهْنَ الجلى وأقبلت * أعاليه فى القِرطاسِ وفى أسافل

وقد رفدته الخنصرانِ وسددت * ثلاثَ نواحيِ الثلاثِ الأنامل

رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ * ضَنَى ، وسميماً خطبه وهو ناحل

ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمى ، فقال لابن الزيات :

ما خُطِبَ القلمُ التى أنبیتُها * وردت عليك لشاعر مجودود

وأشد البحتري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

البحترى في قلم

وإذا تألق في النديّ كلامه • مصمتول خذت لسانه من عضيه
وإذا دجت أعلامه ثم أنتعت • برقت مصايح الدجى في كنبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده • منّا ، ويعبد نيله في قربه
حكم فسأحها خلال بنائه • متدفق وقلبيها في قلبه
وكانها والسمع معقود بها • شخص الحبيب بدا لعين محسه

٥

وأشد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب ويصف القلم :

لأبن أبي طاهر

قلم الكتابة في يمينك آمن • مما يعود عليه فيما يكتب
قلم به ظفر العدو مقلم • وهو الأمان لما يخاف ويرهب
يبدى السرائر وهو عنها عجب • ولسان حجبته بصمت يعرب

١٠

ومن قولنا في القلم :

لأبن عذوبه

بكفه ساحر البيان إذا • أداره في صحيفة سحرا
ينطق في عجمة بلفظنه • نصم عنه ويسمع البصرا
نوادير تفرع القلوب بها • إن تستينها وجدتها صورا
نظام دُرّ الكلام ضمنه • سلكا لحظ الكتاب مستطرا
إذا امتطى الخنصران أذكر من • سحبان فيما أطال واختصرا
يخاطب الغائب البعيد بما • يخاطب الشاهد الذي حضرا
ترى المقادير تستدف له • وتنفذ الحادثات ما أمرا
شعب ضليل لفعله خطر • أعظم به في ملية خطرا
تمج فكاه ريقه صغرت • وخطبها في القلوب قد كبرا
بواقع النفس منه ما حذرت • وربما جنبت به الخدرا
مهتفت تزدهى به صوف • كأنما حلت به دُررا

١٥

٢٠

كأنها تُرفع العيون بها • خلال روض مكل زهرا
 إن قُربت مرطت طوابعها • ما قُضَّ طين لها ولا كيرا
 يكاد عنوانها لروعته • يتيك عن سرها الذي أستترا

لنى الرمة

ومن أحسن ما شئت به الأقسام وشبه بها ، قول ذى الرمة :

• كأن أنوف الطير في عرصاتها • خراطيم أقلام تخط وتعم

لابن الرقاع

ومثله قول عدى بن الرقاع :

يخرجن من فُرُجات النقع دامية • كأن آذانها أطراف أقلام

ومن قوله في ولد البقرة :

تزجى أغن كأن إبرة روقه • قلم أصاب من الدواة مدادها

لدامون

• ومنه قول المأمون :

كأنما قابل القرطاس إذ مشقت • منها ثلاثة أقلام على قلم

لابن عبد ربه

ومثله قولنا فيه :

إذا أدارت بنائه قلماً • لم تدر للشبه أيها القلم

ومن قولنا في الأقلام :

• ومعشر تنطق أقلامهم • بحكمة تلقنها الأعين

١٥

تلفظها في الصك أقلامهم • كأنما أقلامهم ألسن

ومن قولنا في الأقلام :

يا كاتباً نقشت أنامل كفه • سحر البيان بلا لسان ينطق

إلا صقيل المتن ملوم القوى • حُزّت لهازمه وشق المفرق

٢٠

فإذا تكلم رغبة أو رهبة • في مغرب أصنى إليه المشرق

يدلي بريقة أريه أو شريه • ييكي ويضحك من نداء المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلم يخدم الإرادة ؛ ولا يمل

الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق ساكناً ؛ على أرض بياضها مظلم ،
وبسوادها مضيء .

وقال سليمان بن وهب وزير المهدي : كل قلم تطيل جلفته ؛ فإن الخط
يخرج به أوقص .

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

أما بعد ، فليكن قلبك بحرياً لا سمينا ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغلظ ، ضيق
النقب ، فأبره برية مستويا كتنقار الحمامة : أعطف قطنه ، ورقق شفرته ؛ وليكن
مدادك صافياً خفيفاً ، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه في الدواة ؛ وليكن قرطاسك
رقيقاً مستوي النسيج ، تخرج السحابة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ؛ فليست
تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر تمطيطك في طرف القرطاس
الذي في يسارك ، وأقله في الوسط ولا تمط في الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة
ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا فزقت القليل
كان قبيحاً ، وإذا جمعت الكثير كان سمجاً ؛ ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله ،
واخططه بعرضه ، واختمه بأسفله ؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطة
العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والدين والغين ، ورأس كل مرسل
برأس القلم ؛ واكتب الجيم والحاء والحاء والذال والذال والراء ، والمطة السفلى
من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والدين ، بالسن السفلى من القلم
وامشط بعرض القلم ، وامط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب
العاقل يقوى عليه أيضاً إلا بالنظر إلى اليد في استعمالها الحركة . والسلام .

وقال ابن طاهر لكاثبه : ألق دواتك ، وأطل سن قلبك ، وفزج بين السطور ،
وقرط بين الحروف .

وقال إبراهيم بن جبلة : مر بي عبد الحميد وأنا أخط خطاً رديئاً ، فقال لي :
أ [لا] تحب أن يكون خطك ؟ قلت : بلى . قال : أطل جلفه القلم وأسمنها ؛
وحزف قطنك وأيمنها . ففعلت فجاد خطي .

- وقال العتابي : يبكاء القلم بتبسم الكتب .
 العتابي
- وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم .
 لبعض الحكماء
- وقال حبيب الطائي :
 الحبيب
- لولا مُناشدةُ القُرْبى لَنادَرَكم • حصائدُ المُرهِفَيْنِ : السيف والقلم .
- وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سِنِّ أفلامهم .
 ٥ لأرسطاطاليس
- وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف ، فمر بي عليُّ بن أبي طالب
 لأبي حكيمة
- كرم الله وجهه ، فقال : أجلُّ قلبك . فقصمت من قلبي قصمة ، فقال : هكذا
 نوره كما نوره الله .
- وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مشفا ، وقال : أجود الخط أَيْدُهُ .
 لابن سيرين
- وقال سليمان بن وهب : زَيَّنُوا خطوطكم بِإِسْبَالِ ذَوَائِبِهَا .
 ١٠ لابن وهب
- وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليّة ، وربما ضاق
 لابن مسعدة
- عن العيون ، وقد ملأ أقطار الطنون .
- وذكر علي بن عبيدة القلم فقال : أصمُّ يسمع الذَّجْوَى : أغيا من باقل ، وأبلغ
 لابن عبيدة
- من سحبان وائل ؛ يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ؛ ويجعل الكتب بين الإخوان
 ألسنةً ناطقة ، وأعيننا لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن
 ١٥ عند المشاهدة .
- وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغواني في خدودهن بأحسن من
 لابن يوسف
- عبرات الأقلام في خدود الكتب .
- وقال العتابي : الأقلام مطايا الفِطَن .
 العتابي
- وتخار غلامان في بعض الدواوين ، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه
 ٢٠ لغلّامين
- خطوطهما ، فكره أن يفضّل أحدهما على الآخر ؛ فقال لأحدهما : أما خطُّك
 أنت فوشى مُحوك . وقال للآخر : وأما خطُّك أنت فذهب مُسْبوك ؛ تكافأتما
 في غاية ، وتوافيتما في نهاية .

وقال آخر : دخلت الديوان ، فنظرت إلى غلام بيده فلم كأنه قضيب عقيان ،
وعليه مكتوب :

وَأَبَى ۖ وَأَبَى ۖ مِنْ كَفٍّ مَنْ يَكْتُبُ بِي

وقال أبو هيفان يصف القلم :

وَإِذَا أَمَرْتُ عَلَى الْمَهَارِقِ كَمَهُ ۖ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلُنْ شَخْنًا مُرْهَفًا
وَمُقَصَّرًا وَمُطَوَّلًا وَمُقَطَّعًا ۖ وَمُوصَّلًا وَمُشْتَتًّا وَمُؤَلَّفًا
كَالْحَيَةِ الرَّقَشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ ۖ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
يَهْفُو بِهِ قَلَمٌ يَمُجُّ لُعَابَهُ ۖ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُتَقَفًا

وقال آخر في وصف الدواة :

وَمُسَوِّدَةُ الْأَرْجَاءِ قَدْ خُضَّتْ جَالَهَا ۖ وَرَوَّيْتُ مِنْ قَعْرِهَا غَيْرَ مُنْبَطٍ
تَحْيِصُ الْحَشَا يَرْوِي عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ ۖ أَمِينًا عَلَى سِرِّ الْأَمِينِ الْمَسْلُوطِ

وقال بعض الكتاب :

وَمَارَوْضُ الرِّيعِ وَقَدْ زَهَاهُ ۖ نَدَى الْأَسْحَارِ يَارْجُ بِالْغَدَاةِ
بِأَضْوَعٍ أَوْ بِأَسْطَعٍ مِنْ نَسِيمٍ ۖ تَوَدِّيهِ الْإِلَاقَةُ مِنْ دَوَاةِ

وقال آخر في وصف محبرة :

وَلُجَّةٌ بِحَرِّ أَجْمٍ الْعُبَا ۖ بِبَادٍ وَأُمُوجُهُ تَزْخُرُ
إِذَا غَاصَ فِيهِ أَخُو غَوْصَةٍ ۖ سَرِيعُ السَّابَحَةِ مَا يَفْتُرُ
فَأَنْفَسَ بِذَلِكَ مِنْ غَائِصٍ ۖ بَدِيعُ الْكَلَامِ لَهُ جَوْهَرُ
وَأَكْرَمُ يَبْحِرُ لَهُ لُجَّةٌ ۖ جَوَاهِرُهَا حَكَمُ

وقال ثمامة بن أثرس : ما أثرته الأفلام ، لم تطمع في درسه الأيام .

ونظر المأمون إلى جلارية من جواريه تخط خطًا حسنًا ، فقال فيها :

وَزَادَتْ لَدَيْنَا حُظُوءَ حِينَ أَطْرَقَتْ ۖ وَفِي إصْبَعَيْهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَصْمُ سَمِيعٌ ، سَاكِنٌ مُتَعَرِّكٌ ۖ يَنَالُ جَسِيمَاتِ الْمَنَى وَهُوَ أَجْفُفُ

لبعض الكتاب وقال بعض الكتاب :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً . يكاد يُصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع . كمثل اللآلى نظمها وثيرها

لابن المنذر قال بشر بن المعتمر : القلب معدن ، والحلم جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم صائغ ، والخط صيغة .

لابن هارون وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا رغب أعلن أسرارها وأبان آثاره . وقالوا : حُسن الخط يناضل عن صاحبه ، ويوضح الحجة ، ويمكن له ذلك البنية .
لبعضهم وقال آخر : الخط الرديء زمانة الأديب .

لابن وهب وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جودة برّي القلم ، وإطالة جلفته ، وتحريف قطته ، وحُسن التاني لامتطاء الانامل ، وإرسال المدة .
بقدر اتساع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .

لابن حميد وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلبه في أحسن أجزائه ، وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقه .

لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : كل كتاب غير مختوم فهو غفل .
وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَلْقِيَا إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ قال : مختوم .

لابن طاهر ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعجمها ، فقال : ما أحسن ما كتبت إلا أنك أكثرت سُوءَ نيزها .

لابن عبيدة وقال أبو عبيدة : لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهي زجاجة ، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خِوَان ؛ ولا قلم إلا إذا بُرّي ، وإلا فهي قصبه .

لبعضهم وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المخمّنين عند النخاسين ، وجلوس الطفيليين عند الطباخين .

وكتب على بن الأزهري إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه :

لابن الأزهري

أما بعد ، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم : خلقت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصخرية أسرع في الكواغد ، وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأشد لنصريف الخط فيها ؛ ونحن في بلد قليل القصب رديته ، وقد أحببت أن تقدم في اختيار أقلام بحرية ، وتتأق في انتقائها قبلك ، وتطلبها في مظائنها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تبصم في اختيارك منها الشديد المنحصر ، الصلبة المقصص ، النقية الجلود ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الجفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرقاق القضباني ، المقومات المتنون ، الملس المعاهد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكموب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبسا وهي قائمة على أصولها ، لم تعجل عن إبان ينعا ، ولم تؤثر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء ؛ وعفن الأنداء ؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رقيقا ؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بعديتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم في الخبر

قال بعض الكتّاب : عَطَّرُوا دِفَاتِرَ آدَابِكُمْ بِحَبِّدِ الْخَبَرِ ، فَإِنَّ الْأَدَبَ غَوَانِي

لبعض الكتاب

٢٠ والخبر غوالي .

ونظر جعفر بن محمد إلى قتي على ثيابه أثر المداد وهو بستره ، فقال له :

لجعفر بن محمد

لَا تَجَزَّعَنَّ مِنَ الْمَدَادِ فَإِنَّهُ عِطْرُ الرِّجَالِ وَحِلْيَةُ الْكُتَّابِ

وأتى وكيع بن الجراح رجلاً يمت إليه بجرمة ، فقال له : وما حُرْمَتُكَ ؟ قال له : وكيع وقريب له

كنت تكذب من مجبرتي عند الأعمش . فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنانير ، وقال له : أعذرُ فما أملك غيرها .

وفي الأقلام

أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاماً ؛ فكذب إليه ،

لابن الحرون

- إيه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظمَ الأمور ، وقوامَ الخلافة ،
وعمودَ المملكة ؛ خصصتُك من آلتها بما يخفُّ محله ، وتثقل قيمته ، ويعظم نفعه
ويجَلُّ خطره ؛ وهى أقلام من القصب الثابت فى الصخر الذى نشف فى حر
الهجير ماؤه ، وسرته من تلويحه غشاؤه ؛ فهى كاللآلئ المكنونة فى الصدف ،
والأنوار المحجوبة فى السدف ؛ تبرىء الفشور درية الظهور ، فضية الكسور ؛
قد كسستها الطبيعة جوهراً كالوشى المحبر ، وفرند الدياج المنير .

١٠

قولهم فى الصحف

نعمَ الأنيسُ إذا خلوتَ كتابٌ • تلهو به إن ملكَ الاحبابُ

ليس الشعراء

لأَمْفُشِيَا سِرّاً إذا استودعته • وتَفَادُ منه حكمة وصوابُ

وقال آخر :

١٥

ولِكُلِّ صاحبٍ لَذَّةٌ مُتَنَزِّةٌ • أبداً ، ونزّهةٌ عالمٍ كُتِبَ

وقال حبيب :

حبيب

مِدادٌ مثلُ خافِيةِ الغرابِ • وقِرطاسٌ كَرَقَاقِ السَّرابِ

وَالفَاقِظُ كَالْفَاقِظِ الْمُنَانِي • وَخَطٌّ مِثْلُ وَشْمٍ يَدِ الْكَعَابِ

كَتَبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوًى وَشَوْقاً • إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ

٢٠

وقال فى صحيفة جامة من عند الحسن بن وهب :

لَقَدْ جَلَى كِتَابُكَ كُلِّ بَيْتٍ • جَوْ وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرِّمَى

فَضَضْتُ خَنَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي • غَرَابِيهُ عَنِ الْحَبْرِ الْجَلِيِّ

وَكَانَ أَغْضَى فِي عَيْنِي وَأَنْتَى • عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ

وأحسن موقفاً عندى ومنى • من البشرى أنت بعد النعي
 وضمن صدره ما لم تضمن • صدور الغايات من الحلي
 فكأن فيه من معنى خطير • وكأن فيه من لفظ بهي
 فيا ثلج الفؤاد وكان رصفاً • ويا شيعي بروقه وربي
 فكأن فصحت عن برّ جليل • به ووأيت من وأي سني
 كتبت به بلا لفظ كريه • على أذن ولا خط قبي
 رسالة من تمتع منذ حين • ومتعنا من الأدب الرضي
 لن غربتها في أرض بكر • لقد زفت إلى قلب وفي
 وإن يك من هداياك الصفايا • فرب هدية لك كالهدي

١٠ وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوبة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة • من رأيه وندى كفيه عن منل
 من خط أعلامه خط القضاء على • أعداء الموت بين البيض والأسل
 لعابها علل في الصدر تنفثه • وربما كان فيه النقع للغال
 كأن أسطارها في بطن مهرقها • توتر يضاحك دمع الواكف الخضل

١٥ وقال البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرفت في الكتابة حتى • عطّل الناس فنّ عبد الحميد
 في نظام من البلاغة ما شء • لك امرؤ أنه نظام فريد
 وبديع كأنه الزهر الضا • حك في روتق الريح الجديد
 ما اغتدت منه في بطون القراطد • ميس وما حملت ظهور البريد
 حجاج تخرس الألد بالفا • ظي فرادى كالجوهر المعداد
 حزن مستعمل الكلام اختياراً • وتجنّبن ظلمة التعقيد
 كالعداري غدوّن في الحلال البه • من إذا رحن في الخطوب السود

٢٠

لابن أبي طاهر

البحتري

وقال علي بن الجهم في رقعة جامة بخط جيد :

مارُقعةَ جاءتك مَنيّةٌ • كأنها خدٌّ على خدٍّ
نثرُ سوادٍ في ياضٍ كاذ • زفتُ المسك في الوردِ
ساهمةُ الأسطر مصروقة • عن جهة الهزل إلى الجدِّ
يا كاتباً أسلني عتبه • إليك، حسي منك ما عدى ٥

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيباني : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق إلى
الفضل بن يحيى بن خالد ، رقعةً بأبياتٍ له يصفُ فيها قامته ، وكثافة لحيتيه ، وحلاوة
شماله ، وبراعة أدبه ، وبلاغة قلبه ؛ فقال :

أنا من بُغِيَةِ الأميرِ وكُتِّ • من كنوز الأميرِ ذو أرباج
كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ لبيبٌ • ناصحٌ زائدٌ على النصّاج
شاعرٌ مُفلقٌ أخف من الرِّيد • شتّى مما يكونُ تحت الجناح
لى فى النحرِ قِطنةٌ وفِقاذ • أنا فيه قِلادة بوشاج
لو رعى بى الأميرُ أصلحه الله • رماحاً صدمتُ حد الرّماح
ثم أروى من ابن سيرين فى الفقه • به بقولٍ مُنثور الإفصاح
لست بالضخم فى روائى ولا الفذ • لم ولا بالمجمع الدّجاج
لِحِيّةٌ كثةٌ وأنفٌ طويل • واتّفاذ كشملة المصباح
وكثيرُ الخديك من مُلج النّاء • يس بصيرٌ بخافيات مِلاج
كم قد خبأت عندى حديثاً • هو عند الأميرِ كالنّفاج
أيمَنُ الناس طائراً يومَ صيدٍ • فى غُدُوٍّ أو بُكرةٍ أو رواج
أعلمُ الناس بالجواريج والقصي • يد وبأخزذ الحسان الملاج
كلّ هذا جمعتُ والحمد لله على أني ظريف المزاج
لست بالناسك المشمّر ثوبين • به ولا ألفائك الخليج الوقاج
لو دعانى الأميرُ عابن مئى • شمرّاً كالبلبل الصّجاج

قال : فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له :
أجب . فأجاب بما في غرضه وأحسن ، فأمر له بألف ألف درهم ؛ وكنا نراه أول
داخل وآخر خارج ؛ وكان إذا ركب فركابه مع ركابه .

لأبي نواس

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعرُ أبا نُؤاس ، فقال :

أنتَ أَوَّلُ بِقَلَّةِ الحِظِّ مَنِيَّ * يامُسمَى بالبلبل الصَّدَاحِ ٥
قد رأوا منه حين غَنَى لديهم * أخرَسَ القولِ غيرَ ذِي إفصاحِ
ثم بالرَّيشِ شَبَّهَ النَّفْسَ في الحِجِّ * فَتَةً مَّا يَكُونُ تَحْتَ الجَنَاحِ
فإذا الشَّمُّ من شَمَارِيخِ رَضَوِي * خِفَّةَ عِنْدَهُ نَوَى المِشْبَاحِ
لم يَكُنْ فِلكَ غيرُ شَيْئَيْنِ مِمَّا * قَلَّتْ في نَفْتِ خَلْقِكَ الدَّحْدَاحِ
لَحِيَّةٌ جَفْدَةٌ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ * وَسِوَى ذاكَ ذَاهِبٌ في الرِّياحِ ١٠
فِلكَ ما يَحْمِلُ المُلُوكَ على السُّخَّرِ * فِى وَبَرِّى بِالْمَاجِدِ الجَنجَاحِ
بارِدُ الطَّرْفِ ، مُظْلِمُ اللَّبِّ ، تِيًّا * مُعْبِدُ الحَدِيثِ ، سَمِجُّ المَزَاحِ

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم ا فبعث إليه
أبو نواس : لو أعطيتني مائة ألف ألف درهم لم أجد بُدًّا من إذاعتها . فيقال :
إن الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبي نواس قال : لا حاجة لي في أبان ، لقد رُمِيَ ١٥
بخمسة في بيت لا يقبله على واحدة منهن إلا جاهل . فقيل له : كذب عليه .
فقال : قد قيل ذلك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبان بن
عبد الحميد اللاحق ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالا يفرقه في الشعراء ، ويعطى
كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبي نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إني
أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفر نصيبك عندي . فهجاه لذلك . ٢٠

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بيان بينه ، فوقَّع في أسفل كتابه : ابن ما يُكذِّك من المهاجر وأذى المطر .

ووقع إلى عمرو بن العاصي : كن لرعتك كما تحب أن يكون لك أميرك . ٥

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجع أعناقهم : ﴿ فَنَ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ووقع في قصة رجل شكَا عيلة عليه : قد أمرنا لك بما يُقيمك ، وليس في مال الله فضل للسرف . ١٠

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله : في بيته يؤتى الحكم .

ووقع في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضى الله عنه : رأى الشيخ خير من مشهد^(١) أغلام .

ووقع في كتاب سلمان الفارسي - وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة ؟ - : ١٥
يُحَاسَبُونَ كما يُرْزَقُونَ ..

ووقع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة :
بقية السيف أنمى عددا .

وفي كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله ؟

وفي كتاب صمصمة بن صوحان يسأله في شيء : قيمة كل امرئ ما يحسن .

معاوية بن أبي سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه ، فوقع في أسفل كتابه : بيت
أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الإسلام ، فأنت تراه .

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقَطِّعه مالا بالطائف : عشر رجلاً
تَرَ عَجَبًا .

وفي كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته : إن
أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسلّاح واحد ، وذلك حلف لا يتخله
سوء أدبك .

وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة
بأثنى عشر ألف جذع : أدارك في البصرة ، أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستمحه لرجال من خاصته : أحكم لهم
بأعمالهم إلى منتهى آجالهم . فحكم [لهم] بتسعمائة ألف ؛ فأجازها .

وكتب إليه مسلم بن عقبة المري بالندي صنع أهل الحرة ، فوقع في أسفل
كتابته : ﴿ فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ .

وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه في الخراج : قليل
العتاب يُحكّم مرائر الأسباب ، وكثيره يَقْطَع أواخى الانتساب .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان : القرابة واشجة ،
والأفعال متباينة ؛ فخذ لرحمك من فمك .

وإلى عبيد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك ، فاحرص أن
تكون كلها .

عبد الملك بن مروان

وقع في كتاب أناه من الحجاج [يشكو إليه نقرأ من بني هاشم ويُغريه بهم]
جنتني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب .

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ، ويستأذنه
في قتل أشrafهم ، فوقع له : إن من يُمن السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن
شؤمه أن يختلف به المؤتلفون .

وفي كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضغفك قوى ، وبخرقك طلع .
ووقع في كتاب ابن الأشعث :

فا بال من أسعى لأجبر عظمه . حفاظاً ، وينوى من سفاهته كسرى ؟

ووقع أيضاً في كتاب :

كيف يرجون سقاطي بعدما . شيل الرأس مشيب وصلع

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، ينكر ذلك
عليه ويعرفه أنه على غير صواب ، فوقع في كتابه : لأجمعن المال جمع من يعيش .
أبدا ، ولا فرقته تفريق من يموت غدا .

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز ، قد رأب الله بك الداء ، وأوذم بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهذه بالخلع ، فوقع في كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مريباً . أبشر بطول سلامة يارب

ووقع في كتابه أيضاً : العاقبة للمتقين .

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مَرَمَة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : آيها بالعدل ، ونقّ طُرُقها من الظلم . ٥

وإلى بعض عماله في مثل ذلك : حَسِّنْهَا وَنَفْسَكَ بِتَقْوَى اللَّهِ .

وإلى رجل ولاة الصدقات ، وكان دميماً فعدل وأحسن : ﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً ﴾ .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : أرض لهم ما ترضى لنفسك ، وخذ بجرانهم بعد ذلك . ١٠

وإلى عدى بن أرطاة في أمر عاتبه عليه : إن آخر آية أنزلت ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ .

وإلى عامله على الكوفة - وكتب إليه أنه فعل في أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب - : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبإدهم اقتده ﴾ .

وإلى الوليد بن عبد الملك - وعمر عامله على المدينة - فوقع في كتابه : الله أعلم أنك لست أول خليفة تموت . ١٥

وأناه كتاب عدى يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل عليّاً ، وكان إماماً مرضياً .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعطيه موضعاً بينه ، فوقع : كن من الموت على حذر . ٢٠

وفي قصة متظلم : العدل أمامك .

وفي رقعة محبوس : نُبْتُ تُطَلَّقْ .

وفي رقعة رجل قتل : كتاب الله بيني وبينك .

- وفي رقعة متصحّح : لو ذكرت الموت شغلَكَ عن نصيحتك .
 وفي رقعة رجل شكّا أهل بيته : أتما في الحق سيّان .
 وفي رقعة امرأة حُبِس زوجها : الحقُّ حَبْسَه .
 وفي رقعة رجل تظلم من ابنه : إن لم أنصِفك منه فأنا ظلمتُكَ .

يزيد بن عبد الملك

٥

- وقع إلى صاحب خراسان : لا يفرّك حسنُ رأي ، فإنما تفسدُهُ عشرة .
 وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقبل .
 وفي قصة متظلم : ﴿ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .
 وفي قصة متظلم شكّا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صَفَحْتَ عنه
 واستوصلتني .

١٠

هشام بن عبد الملك

- في قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقاً ، وحلّ بك النكال إن كنت
 كاذباً : فتقدّم أو تأخر .
 وفي قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما أدّعيتم عليه عزلناه وعافيناه .
 وإلى صاحب خراسان حين أمره بمعاربة الترك : احذر لياليَ الليّات .
 وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار : أحفظ فيهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهبهم له .
 وقع في رقعة محبوس لزمه الحَد : نزل بحَدِّكَ الكتابُ .
 ووقع في قصة رجل شكّا إليه الحاجة وكثرة العيال وذكر أن له حرمة :
 لعبالك في بيت مال المسلمين مهم ، ولك بحرمتك منّا مثلاه .
 وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضَع سيفك في كلاب النار ، وتقرب
 إلى الله بقتل الكفار .

٢٠

وإلى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم : لَنُفَوِّضْنَكُمْ فِي خَصْمِكُمْ دُونَكُمْ .
 وفي كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده : مُرُّهُمْ بِالْإِسْتِفْقَارِ .
 وإلى سهل بن سيار : خَفِيَ اللَّهُ وَإِمَامُكَ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

٥ وقع إلى مروان [بن محمد] : أَرَاكَ تُتَقَدَّمُ رَجُلًا وَتُؤَخَّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ
 كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى آيِهِمَا شَتَّ .
 وإلى صاحب خراسان في المسوِّدة : نَجْمٌ أَمْرًا أَنْتَ عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ
 أَوْ مَنِّي بِسَالِمٍ .

مروان بن محمد

١٠ كتب إلى نصر بن سيار في أمر أبي مسلم : تَحَوَّلَ الظَّاهِرُ يَدِلُّ عَلَى ضَعْفِ
 الْبَاطِنِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .
 ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان : الْأَمْرُ مُضْطَرِبٌ ، وَأَنْتَ نَائِمٌ ،
 وَأَنَا سَاهِرٌ :
 وإلى حوثر بن سهيل جين وجهه إلى قحطبة : كُنْ مِنْ يَاقَاتِ الْمَسَارَةِ
 عَلَى حَذَرٍ . ١٥

ووقع حين أتاها غَرَقُ قحطبة وانتهزام ابن هبيرة : هَذَا وَاللَّهُ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا
 فَمَنْ رَأَى مَيِّتًا هُزِمَ حَيًّا ؟

وفي جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيزَ الْجَمْرِ • وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
 الْحَاضِرِ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبِ ، فَاحْصِمِ التَّوَلُّولَ . ٢٠
 فكتب نصر : التَّوَلُّولُ قَدْ أَمْتَدَّتْ أَغْصَانُهُ ، وَعَظُمَتْ نَكَائِيتهُ .
 فوقع إليه : يَدَاكَ أَرْكَنَا وَفُوكَ نَفْخُ .

توقيعات بنى العباس

السفاح

- كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أُخِذَتْ منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أُسِّس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم .
- ووقع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حُلِّكَ أفسد عِلَّكَ ، وتراخيك أثر في طاعتك ، نخذل منك ، ولك من نفسك .
- ووقع إليه في ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : لست منك ولست مِنِّي إن لم تقتله .
- ١٠ وجاءه كتاب من أبي مسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذْلك لك .
- ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك في النعمة . ثم أمر بأرزاقهم .
- وإلى عامل نُظِّلَ منه : ﴿ وما كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمَاضِينَ عَصْدًا ﴾ .
- ١٥ وفي قوم سُكِّرُوا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة : ﴿ وقيل بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

أبو جعفر

- وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه : لا تجعل للأيام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها .
- ٢٠ ووقع إليه أيضا : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الدِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عداوة كأنه وليّ حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ فاجعل الحظ لك دوني يكن لك .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان : شكوت فأشكيناك ، وعتبت
فأعتبناك ، ثم خرجت عن العامة فتأهب لفراق السلامة .

وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونون يؤمر عليكم

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ .

وفي قصة رجل شكى عيلة : سل الله من رزقه .

٥

وفي قصة رجل سأله أن يبنى بقربه مسجداً فإن مصلاه على بعد : ذلك

أعظم لثوابك .

وفي قصة رجل قطعت عنه أرزاقه : ﴿ ما يفتح الله للناس من راحة فلا

تمسك لها وما يمسك فلا يرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ .

وفي قصة رجل شكى الدين : إن كان دينك في مرضاة الله قضاء .

١٠

وإلى صارورة سأله أن يحج : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع

إليه سيلاً ﴾ .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهر عسكرك من الفساد

يعطك النيل القياد .

وإلى عامله على حمص ، وجاء منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكاتبك

١٥

وإلا استبدل بك .

وإلى صاحب أرمينية : إن لي في قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ؛ ولهما

أربع آذان .

وإلى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله .

وفي كتاب أتاها من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه ، وكسروا

٢٠

أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ولو وقيت

لم ينتهبوا .

المهدى

وقع في قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق
كما يقاد الجمل الخشوش . يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : ﴿ خذ العفو
وأمرٌ بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ .

وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفي قصة قوم أصابهم قحط : يقدر لهم قوت سنة القحط ، والسنة التي تليها .

وإلى شاعر — أظنه مروان بن أبي حفصة — : أسرفت في مديحك فقصرنا
في جباتك .

وفي قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دينك
وتقر به عينك .

وفي قصة رجل شكى الحاجة : أذاك الغوث .

وإلى رجل من بطانته استوصل : ليت إسرأنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إثنخاصه إلى بابه : قد أنصف القارة

من رامها .

وفي قصة رجل حبس في دم : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ .

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذهم بالعدل في

المكيال والميزان .

وإلى يوسف البرم حين خرج بخراسان : لك أمانى ومؤكّد أيمانى .

موسى الهادى

كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه : قد أنكرتاك منذ لزمنا

أبا حنيفة : كفناه الله .

وإلى صاحب أفريقية في أمر قَرَطَ منه : يابن اللخناء أنى تَمَرَس .

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحَكَ لا يتسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أن تُخْرَبَ خِزَانَتِي وخزانة أخى يوسف فيأتبك

٥ منى ما لا قِبَلَ لك به ، ومن الله أكثر منه .

ووقع في قصة رجل من البرامكة : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كن منى على مثل ليلة البيات .

وإلى عامل خراسان : إن الملوك يؤثر عنهم الحزم .

وإلى خزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية :

١٠ لا أُم لك ! تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟

وفي قصة مجبوس : من لجأ إلى الله نجا .

وفي قصة متظلم : لا يجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السند إذ ظهرت العصية : كل من دعا إلى الجاهلية تعجل

إلى المنية .

١٥ وإلى عامله على خراسان : كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز ، وكان بالمنظلم عارفا : قد وليتاك

موضعه ، فتنكب سيرته .

وفي كتاب بكار الزبيرى إليه : يخيره بسر من أسرار الطالبين : جزى الله

الفضل خير الجزاء في اختياره إياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك .

٢٠ وإلى محفوظ صاحب خراج مصر : يا محفوظ ، اجعل خرج مصر خرجاً

واحداً ، وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضع رجلك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطالوا

ليلي بالسهاد ، ونفوا عن عيني لذيد الرقاد .

ووقع إلى السندی بن شاهك : خَفِ الله وإمامك ، فهما نجاتك .

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق
استحييت بشيخ ولده المنصور ، أن يهرب عن ولده كندة وطني ؛ فهلا قابلتهم
بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك ، وبذلت لهم نصيحتك ، وكنت كروان ابن عمك
أذ خرج مصلناً سيفه متملاً بيت الجحاف بن حكيم :

مُتَقَلِّدِينَ صَفَاتِهَا هَدِيَّةً • يَتَرَكْنَ مِنْ ضَرْبِهَا كَنْ لَمْ يُولَدْ
فخالده به حتى قُتل : لله أمٌ ولدته ، وأبٌ أنهضه .

وكتب منملك الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجه نحوك بكل صليب
في ملكتي ، وكل بطل في جندى . فوقع في كتابه : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَاْفِرُ لِمَنْ
عُقِيَ الدَارِ ﴾ .

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدم الخصم إلى
موقف الفصل ، وأنت بالآثر ، والله الحكم العدل ، وستقدم فتعلم . فوقع فيه .
الرشيد : الحكم الذي رضيته في الآخرة لك ، هو أعدى الخصم في الدنيا عليك ،
وهو من لا يُردُّ حكمه ، ولا يُصرف قضاؤه .

المأمون

وقع إلى علي بن هشام في أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يظلم من
فوقه ، ويظلمه من دونه ؛ فأى الرجلين أنت ؟
وإلى هشام : لا أدنيك ولك يبابي خصم .

وإلى الرستمى في قصة من تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آيتك
من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ وجارك طاو .

وفي قصة من تظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، عمر نعمتك بالعدل ؛ فإن
الجور يهدمها .

وفي قصة من تظلم من أبي عباد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .

وفي قصة لمتظلم من حميد الطوسي : يا أبا غام ، لا تغتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده في الحق سيان .

٥ وإلى طاهر صاحب خراسان : أحمد أبا الطيب ، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فقالك موضع تسمو إليه نفسك إلا وأنت فوقه عنده .

وفي كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدت الله في مناجاتي إياه .

وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فدك حين أمره بردها : قد أرضيت خليفة الله في فدك ، كما أرضى الله رسوله فيها .

١٠ وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي : قد احتملنا بذاهك وشكاسة خلقتك ، فأما ظلك للرعية فإننا لا نحتمله .

ووقع إلى بعض عماله : طالع كل ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها .

١٥ وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : إن غفرت بفضلك ، وإن أخذت فبحقك . فوق في كتابه : القدرة تذهب الحفيظة ، والندم جزء من التوبة وبينهما عفو الله .

ووقع في رقعة مولى طلب كسوة : لو أردت الكسوة لزلزمت الخدمة ، ولكنك آثرت الرقاد فخطك الرؤيا .

٢٠ ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الأموال : يؤمر له بخمسمائة ألف لطول همته ، وثمامة بن أشرس بثلاثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه ، ولأبي محمد اليزيدي يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللعلی بخمسمائة ألف لصحيح سنته ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقته ، ولأحمد بن أبي خالد بألف ألف لمخالفة شهوته ،

ولإبراهيم بن بويه كذلك سرعة دمعته ، وللرئيسي بثلاثمائة ألف لإسباغ وضوئه ،
ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

- ٥ وقع إلى بعض عماله : قد كنت على الذُّعَار وإخالك ذاعرا .
وكتبت إليه عائشة في وصاة رجل ، فوقع في كتابها : هو يَبِينُ أبويه .
وإلى صاحب خراسان في أمر خالفه فيه : استر بعض دينك ببعض ،
وإلا ذهب كله .

- وإلى عامله بالكوفة أَمِطِ الحدودَ عن ذوى المروءات .
١٠ وفي قصة متظلم : أنا معك .
وفي قصة قوم رفعوا على عامل ربيعة : من أماله الباطل قَوْمَهُ الحق .
وفي قصة مستمنح : لك المواساة .
وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة : النساءُ تحاربُهم دونك .
وفي قصة سارق : القطع جزاؤك .
١٥ وفي قصة امرأة حبس زوجها : حُكْمُهُ إلى الله .
وفي قصة قوم نقبوا : تَنْقَبُ ظُهُورُهُمْ .
وفي قصة نباش : يُدْفَنُ حياً في قبره .
وفي قصة متظلم : الحقُّ يَسْعُكَ .
وفي قصة متصح : مهلا فقد أبلغت إسماعى .
٢٠ وفي قصة متظلم : كُفِّيتَ .

وَن قصة رجل شكَا إليه عقوقَ ابنه : ربما كان عقوقُ الولد من سوء

تأديبِ الوالد ١

- وفي قصة رجل شكا الحاجة : لك في مال الله نصيب أنت آخذه .
 وفي قصة رجل جرح : الجروح قصاص .
 وفي قصة مجوس : النائب من الذنب كمن لا ذنب له .
 وفي قصة قوم شكروا غرق ضياعهم : لا تعرض فيما تفرد الله به .
 وفي قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لاحكم فيما استأثر الله به . ٥

الحجاج بن يوسف

- وقع في كتاب أناه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد ، وذهاب الغلات ،
 وما حل بالناس من القحط : إذا أَرِفَ خراجك فانظر لرعيك في مصالحها ،
 فبيت المال أشدُّ اطلاعا لذلك من الأرملة واليتيم وذى العيلة .
 وفي كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لا تخاطر بالمسلمين
 حتى تعرف موضع قدمك ، ومرى سهامك .
 وفي كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم :
 ما ظنك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه ؟
 وفي قصة مجوس ذكروا أنه تاب : ﴿ ما على المؤمنين من سبيل ﴾ .
 وإلى قتيبة : خذ عسكرك بتلاوة القرآن ، فإنه أمنع من حصونك . ١٥
 وفي كتابه إلى بعض عماله : إياك والملاهي حتى تستنظف خراجك .
 وفي كتاب إلى ابن أخيه : ماركب يهودى قبلك منبرا .
 وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مسلم : أنت أبو عيدة هذا القرن .

أبو مسلم

- وقع في كتاب سليمان بن كثير الخزازي : ﴿ لكل نيا مستقر وسوف تلبون ﴾ . ٢٠
 وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة : قل طريق سهل تلقى فيه الحجارة
 إلا عاد وغرأ ؛ والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة أبدا .

- وإلى ابن قعطبة : لا تنس نصيبك من الدنيا .
 وإليه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ .
 وإليه : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ .
 وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ .
 وكتب إليه قعطبة : إن بعض قواده خرج إلى عسكر بن ضبارة راغبا . فوقع
 في كتابه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ
 جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْدَسُ الْقَارُ ﴾ .
 وإلى عامله يبلخ : لا تؤخر عمل اليوم لغد .
 وإلى أبي سلمة الخلال حين أنكر نيته : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
 وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ .

١٠

جعفر بن يحيى

- وقع في قصة محبوس : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ .
 وفي مثله : العدل يُوبقه ، والتوبة تطلقه .
 وفي قصة متنصح : بعضُ الصديق قبيح .
 وفي رجل شكك بعضُ عماله : قد كُثر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما عدلت ؛
 وما اعتزلت .
 وفي قصة رجل شكك بعضُ خدمه : خذ بأذنه ورأسه فهو مالك .
 وإلى عامل فارس في رجل كذب إليه بالوصاة : كن له كأييه لو كان مكانك .
 وإلى عامل مصر في رجل من بطانته يوصيه : إنه رغب إلى شعبك فارغب
 في اصطناعه .

٢٠

- وفي قصة متظلم من بعض عماله : إني ظلمتكَ دونه .
 وفي قصة محبوس : الجنابة حبسته والتوبة تطلقه .
 وإلى قوم : عَيْنُ الخليفة تكلؤكم ونظره يَعْمُكم .

وفي رقعة ضرورة استأذنه في الحج : من سافر إلى الله أنجح .
 وفي قصة رجل شكوا عزوبة : الصوم لك وجاء .
 وفي رقعة رجل سأل ولاية : لا أولى بعض الظالمين بعضا .
 وفي قصة رجل سأل أن يُقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه : غيبة يوسف
 صلى الله عليه وسلم كانت أطول . ٥

وفي قصة رجل تظلم من عماله : إنا لمثلُه حتى نُصِفك .
 وفي قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته : يرحل عنكم .
 وفي قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دج الضرع يدرُ لغيرك كما در لك .
 وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابُ غمّه وكربه : كثرة ملاحاة الأوداء ،
 رُبما أراقت الدماء . ١٠

وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لم نزرعك لنحصدك .
 وإلى بعض عماله : اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا .
 وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضمك .
 ووقع إلى متصل من ذنب : حكم الفلنات خلاف حكم الإصرار .

الفضل بن سهل

١٥

كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما يبيت خليفة الله إلا على ذكرك .
 وإلى طاهر : لخير ما آتضعت .
 وإلى : لشر ما ستموت .
 وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يُحَلُّ ما عقدت .
 وفي قصة منظم : كفى بالله للظلوم ناصرا .
 وفي قصة نقب يبت المال : يُدرأ عنه الحد إن كان له فيه سهم .
 ووقع إلى حاجبه : تمهل وتمهل . ٢٠

وإلى صاحب الشرطة : تَرَفَّقْ تُوفِّقْ .

وإلى رجل شكَا غلبة الدِّين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسَنَشْفَعُها بِمَثَلِها ،
ليرغب المستمنحون .

وفي قصة متظلم : طِبَّ نَفْساً فَإِنَّ اللهَ مَعَ المَظْلُومِ .

وإلى رجل شكَا إليه الدِّين : الدِّينُ سَوَاءٌ يَهِيضُ الأَعْنَاقَ ، وقد أمرنا بقضائه . ٥

وفي قصة قوم قطعوا الطريق : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وفي أمرئٍ قاتِلٍ شَهِدَ عَلَيْهِ العَدُولُ فُشِّعَ فِيهِ : كُتِبَ اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ . ١٠

وفي قصة رجل شَهِدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ : يُضْرَبُ دُونَ الحَذِّ
وَيُشْهِرُ ضَرْبُهُ .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وَقَعَ فِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ : يُنْظَرُ فِيْمَا رَفَعَ ، وَإِنَّ الحَقَّ مُنِيعٌ ، وَإِلَّا فُشِّعَ السَّقِيمُ
دَوَاءُ السَّقِيمِ . ١٥

وفي قصة قوم تظلموا من وإلِهِم : الحَقُّ أَوَّلَى بِنَا ، وَالْعَدْلُ بُغْيَتُنَا ، وَإِنْ
صَحَّ مَا ادَّعَيْتُمْ عَلَيْهِ صَرَفْنَاهُ وَعَاقَبْنَاهُ .

وفي قصة امرأة حُبِسَ زَوْجُهَا : الحَقُّ يَحْبِسُهُ وَالْإِنصَافُ يُطْلِقُهُ .

وفي رقعة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق
الكفاية مع الاقتصاد . ٢٠

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَساً هـ وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِّي دَنَانِيرُ

فقال قوم لهم فهم ومعرفة . رأيت خيراً وللأحلام تعبير
 رؤياك فسر غداً عند الأمير تجدد . تعبير ذاك وفي النوم التبشير
 فوق في أسفل كتابه (أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين)
 وأطلق له ما التمه .

- ٥ ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مزوان فأنشده :
- أغفيت عند الصبح نوم مسهد . في ساعة ما كنت قبل أنامها
 فرأيت أنك رُغنى بوليدة . رُغوبة حسرت على قيامها
 ويصدرت حلت إلى وبغلة . دهماء مُشرقة يصل لجامها
 فدعوت ربى أن يُثيبك جنة . عوضاً يُصيك بردها وسلامها
 ١٠ تلك المنابر يابن مروان الندى . أضحى وأنت خطيبها وإمامها
- فقال له : أبشر في كل شيء أصبت إلا البغلة ، فإنى لا أملك إلا شهباً ،
 فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتها إلا شهباً ، إلا أنى غلظت .

طاهر بن الحسين

- ١٥ وقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبيب : طلبت الحق في
 دار الباطل .
- وفي قصة رجل طلب قبالة بعض أعماله : القبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت
 صلاحاً ما كنت لها موضعاً .
- وإلى السندی بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه : عيش ما لم أرك .
 وإلى خزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصنعة باستدامتها وإلى الغاية
 ٢٠ ما جرى الجواد ، فعمد الساق وذم الساقط .

وإلى العباس بن موسى الهادي واستبطأه في خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجات من بات نائماً . ولكن أخوها من يبيت على رحل

وفي رقعة متصح (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) .

وفي قصة محبوبس : يُطَلَّقُ وَيَعْتَقُ .

وفي رقعة مستوصل : يُقَامُ أَوْدُهُ .

- وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم
أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع في كتابه : أرفع علم الحق
٥ يتبعك أهله .

توقيعات المعجم

- وقع أردشير في أزمة عمت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملك ورعيته
محزونون . ثم أمر ففرق في الكور جميع ما في بيوت الأموال .
- ١٠ ووقع رجل إلى كسرى بن قباد رقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد
فسدت نياتهم وخبئت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان : فوقع في أسفل كتابه : إنما
أملك ظاهر الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وألخص عن
الأعمال لا عن السرائر .
- ووقع كسرى في رقعة مدح : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحقا ،
وللداعي إذا كان للإجابة أهلا .
- ١٥ وكتب إليه متصح أن قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة ، فخابروه وثلبوه ،
فوقع : لئن كانوا نطقوا بالسنه شتى لقد اجتمعت مساوئها على لسانك فجرحك
أرغب ، ولسانك أكذب .
- ورفع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم ، فوقع :
٢٠ ما أنصفكم من إلى الشكينة أحوجكم . ثم فرق بينهم ما وسعهم وأغنام .
- ووقع أنوشروان إلى صاحب خراجته : ما استغزر الخراج بمثل العدل ،
ولا استغزر بمثل الجور .
- ووقع في قصة رجل أعظم منه : لا ينبغي لذلك الظلم ومن عنده يلتبس

العدل ، ولا ييخل ومن عنده يُتوقع الجود . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدي الموبذ

ووقع في قصة محبوبس : من رَكِبَ مَأْنِيَّ عنه حبل بينه وبين ما يشتهي ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف كذبه ، فوق : إن الله خفف ظهرك فَثَقُلْتَهُ ، وأحسن إليك فَكَفَّرْتَهُ فنب إلى الله يَتَّبِعْ عليك .

ووقع في قصة رجل سعى إليه بباطل : باللسان أحفظ رأسك . ووقع في قصة رجل ذكر أن بعض قرابة المالك ظله وأخذ ماله : لاتصلح العامة إلا ببعض الحيف على الخاصة : فإن كنت صادقاً أَتَجَنُّكَ جميع ما يملكه . فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

فصول في المودة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل : أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد علمت أني استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تستدعه ، واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم توله .

وفصل لأبي علي البصير : قد أكد الله بيننا من الود ما نأمن الدهر على حل عقده ونقض مِراره ، وما يستوى منه ثقتنا بأنفسنا لك وثقتنا بما عندك . وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنس والثقة ، وبسط اللسان بالاستزادة : وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعنا حبها ، والصناعة تولفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ في لقاء ، أو تخلف في مكاتبة ، موضوع بيننا ، يوجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبُّ إليك ، سامي الطرف نحوك ، وذكرك
ملصقٌ بلساني ، وأسمك حُلُوٌّ على لهواتي ، وشخصك مائلٌ بين عيني ، وأنت أقرب
الناس من قلبي ، وآخِذُهم بمجامع هواي .

وفصل له : لنحن أحقُّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة ، إلا أنك أحقُّ
بالفضل الذي سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إني أهديت مودتي رغبةً إليك ، ورضيت بالقبول
منك مثوبةً ، فصرتَ بقبولها قاضياً لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت بالتمسرع إلى
الهدية ، والتنظر للثوبة ، مرتين اللسان بالجزاء ، واليد بالوفاء .

وفصل له : إني صادفت منك جوهرَ نفسي ، فأنا غير محمود على الانقياد لك
بغير زمام ، لأن النفس يقودها بعضها بعضاً .

وقال أبو العتاهية :

وللقلب على القلب • دليل حين يلقاه

وللناس من الناس • مقاييس وأشباه

وفصل له : لسانى رطبٌ بذكرك ، و[مكانك من قلبي] معمورٌ بمحبتك ،

حضرت أو غبت ، سررت أو أقمت . كقول أخى أبي دلف :

لعمري لئن قربت بِقربِكَ أعينٌ • لقد سخَّتْ بالبينِ منكَ عيونُ

فَسرُّ أو قَفِّ ، وقفتَ عليك مودتي • مكانك من قلبي عليك مَصون

وفصل لإبراهيم بن المهدي : كتابي إليك كتاب مخبر وسائل ، فأما الإخبار

فمن تصرف الخطوب بما يوجب العذرَ عند صديق العزيز على في إبطائي بالعتدله ،

وأما السؤال فمَن إمساك هذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك وإن العذر

كاشف ما سلف ، مصلح لما استأنف .

فصول في الزيارة

- كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
- نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تُضاحك الشمس حسنا ، قد باتت السماء
تكلها ، فهي شرقة بمائها ، حالية بنوارها ، فبادر إلينا لنكون على سواء من
استمتاع بعضنا ببعض ؛ فكتب إليه :
- هذه صفة لو كانت في أقاصى الأطراف لوجب انتجاعها ، وحث المطي في
ابتغائها ؛ فكيف في موضع أنت تسكنه ، وتجمع إلى أنيق منظره ، حُسن وجهك
وطيب شماتك ! وأنا الجواب !
- وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى أحمد بن يوسف في المصير إليه
وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدي ؛ فكتب :
- عندى من أنا عنده ، وحُجَّتنا عليك إعلامنا إياك .
- وفصل : إنه من ظمئ شوقه من رؤيتك ، استوجب الرى من زيارتك .
ثم كتب تحت هذا :
- سر إلينا تفديك نفسى من السوء ، فقد طال عهدنا بالتلاق
واجعلن ذاك - إن رأيت - جوابي . فلقد خفت سطوة الإشتياق
- وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرط الحزن من فراقك ،
وظلم الأيام بعدك ؛ وأقول كما قال بعض المحدثين :
- غضارة دنيا أظلم العيش بعدها . وعند غروب الشمس يُعرف فقدها
- وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التي حسنت بك كأنها أعياد ، وقصرت كأنها
ساعات - يُفَوَّت الصفاء ؛ وما يجتذده ويكثر دواعيه ، تصاقب الديار ، وقرب
الجوار ، ثم الله لنا العمة المجددة فيك ، بالنظر إلى الغرة المباركة التي لا وحشة
معه ، ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلنا أعزك الله في قرب تجاورنا وبُعد تراورنا ، ما قيل في
أهل القبور :

مُ جيرة الأحياء ، أما مرارُهم ه فدان ، وأما الملتقى فبعيد !
وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ، لاشغف بك ، والثقة بحسن
نيتك ؛ وسنأخذ بقول أبي قيس بن الأسلت :

وَيُكْرِمُهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرُّنَهَا ه وَتَعْتَلُ عَنْ إِيَابِنِهَا فَتُعْتَذِرُ

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العُمير أقل من أن تحتل
الهجر والسلام .

فصل : كتب أحمد بن يوسف : لانبوز قطيعة الصديق : لأنها لا تخلو
من أحد وجهين إما ضعف في نفس الاختيار ، وإما ملل ؛ وكلاهما حجة فيه .
وفصل : طال العهد بالاجتماع حتى كدنا تتناكر عند الالتقاء ؛ وقد
جعلك الله للسرور نظاما ، وللأنس تَمَاما ، وجعل المشاهد موحشة إذا
خلت منك .

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :
أوجب العذر في تراخى اللقاء ه ما توالى من هذه الأنواء
فسلام الإله أهديه منى ه كل يوم لسيد الوزراء
لست أدري ماذا أقول وأشكو ه من سماء تعوقني عن سماء
غير أني أدعو على تلك بالشك ه لي وأدعو لهذه بالبقاء
وقال آخر :

أزور محمداً فإذا التقينا ه تكلمت الضمائر في الصدور
فارجع لم أله ولم يلنى ه وقد رضيت الضمير عن الضمير

فصول في وصاة

- كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص :
- كتابي إليك خططته يميني ، وفزغت له ذهني ، ففاظنك بحاجة هذا موقعها مني ،
أتراني أقبل العذر فيها ، وأقصر في الشكر عليها ؟ وابن أبي الشيص قد عرفته
ونسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدنا إلى غيرنا ، فاكف بهذا منا .
وفصل : كتابي إليك كتاب مقني بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ،
ولن يضع بين الثقة والعناية حامله .
- وفصل : كتب العتابي فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار ، فكتب :
حامل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا والسلام .
- وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكك إياك
في أمره ، فإن الصنعة حرمة البصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنعه ، فبسط الله
يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .
- وفصل له : موصل كتابي إليك أنا ، فكن له أنا ، وتأمله بعين مشاهدتي
وخلتي ، فبلسانه أشكر ما أتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول في عتاب

- كتب أحمد بن يوسف :
- لولا حسن الظن بك - أعزك الله - لكان في إغضائك عني ما يقبضني عن
الطلبة إليك ، ولكن أمسك برقي من الرجاء على برأيك في رعاية الحق ، وبسط
يدك إلى الذي لو قبضتها عنه ، لم يكن له إلا كركبك مذكراً ، وسوددك شافعا
- فصل : أما بعد البرء من مريض دائره في دوائه ، وعلته في حيمته أنا منك
كالغاص بالماء لا مساغ له .

وكا قال الشاعر :

كنت من كُرْبتي أفرُّ إليهم ، وهم كُرْبتي ، فأين الفرار ؟

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنين : عُنِّي تكون منك ، أو عُنِّي
تغني عنك !

فصل : أما بعد ، فقد كنت لنا كُلُّك ، فأجعل لنا بعضك ، ولا نرضى
إلا بالكل لك منا .

فصل : أنا أبقى على وُدِّك من عارض يغيِّره ، أو عتاب يقده فيه ، وآمل
عائداً من حسن رأيك ، يغني عن اقتضائك .

فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل . لو أن كل من
نازع إلى الصرْم قلَّدناه عِنان الهجر ، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن نُرْدُّ عليك
من نفسك ونأخذ لها منك .

فصل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين :
أما بعد ، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك : ابتدأتني بلطف
عن غير خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ؛ فأطمعني أولك في إغاثتك ، وآيسني
آخرك من وفائك ؛ فسيحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك ؛
فأقننا على اتلاف أو افترقنا على اختلاف !

فصل : إذا جعلت الظنَّ شاهداً تعدل شهادته بعد أن جعلته حكماً يحيف في
حكومته ، فأين الموثل من جَوْرِكَ ؟ ولست أسلك طريقاً من العتب عليك إلا شدة
ما أنطوى عليه من مودتك ، ولا سبيل إلى شكائك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ،
وما أحقَّ من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سبباً !

وقال الشاعر :

مَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ ، ومن طول وُدِّك ، أني ذَهَبُ
وأعجبُ من ذَا وذا أني * أراك بعين الرضا في الغضب !

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى . مع عتبك على من اللوم وإن إمساكى
عنها فى حال ضرورة إليها مع على بكرمك فى السخط والرضا ، لعجزى ؛ غير أنى
أعلم أن أقرب الوسائل فى طلب رضاك ، مساء لك ما سنع من الحاجة ؛ إذ كنت
لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

٥ وفصل : لو كانت الشكوك تخرجنى فى صحة مودتك وكريم إغاثك
ودوام عهدك ، لطال عتبى عليك ، فى تواتر كنى وأحتباس جواباتها عنى ؛ ولكن
الثقة بما تقدم عندى ، تعذر وتحسن ما يقبّحه جفاؤك ، والله يديم نعمته
لك ولنا بك .

١٠ وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتفريع اللطيف ؛
فلولا ما غلب على من السرور بسلامتك ، لنقطعت غماً بعتابك ، الذى لطف
حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة ، وغلاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ؛
فلا أعدمى الله رضاك مجازياً به على ما استحقّه عتبك ، فأنت ظالم فيه ، فهو
ولى المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : إعتاب الأخ خير من فقده .

١٥ وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ • ويبقى الودُّ ما بقى العتابُ

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ • وتعتب فى كلِّ يومٍ عليّ

طلبتُ رضاك ، فإن عزّنى • عدّدتُك مِيتاً وإن كنت حيّاً

٢٠ ولا تُعجبن بما فى يدك • فأكثر منه الذى فى يدىّ

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب : فليكن إيقاعك بعد وعيدك ،

ووعيدك بعد وعدك .

وفصل : قد حميت جانب الأمل فىك ، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلنى

الأس منك إلى العزاء عنك ؛ فإن ترغب من الآن فصصح لا تثريب معه ، وإن
تماديت فهجر لا وصل بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيم أمل فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنباً عظيماً
ولا متممداً ، ولعل فلتة لم ألتى بالآ ، فأوطئ لها اعتذاراً ، وإلا تكن قنفشة
حاسد زخرفها على لسان واشٍ ، نبذها إليك في بعض غزائك ، أصابت مني مقتلاً
وشفت منه غليلاً .

وفصل : ليس يُزيلني عن حسن الظن بك فعل حالك الأعداء عليه ، ولا يقطعني
عن رجائك عتب حدث علي منك ؛ بل أرجو أن تنقضي كرمك إنجاز وعدك ،
إذ كان أبلغ الشفعاء إليك ، وأوجب الوسائل لديك ،

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء
على ذنب لم أجنه بيد ولا لسان ، بل جنه على لسان واشٍ ، فأما قولك : إنك
لا تسهل سبيل العذر ؛ فأنت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأعرف بالشرف وأحفظ
لذماته من أن ترد يد مؤمك صفرًا من عفوك إذا التمسه ، ومن عذرك إذا جعل
فضلك شافعاً فيه وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت
بالمذنب معذرتة .

وفصل : يا أخى ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام على ، وسوء أثر الدهر
عندي ، وأنى معلق في حباتل من لا يعرف موضعي ، ولا يحلو عنده موقعي ،
أطلب منه الخلاص فيزيدني كلفاً ، وأرتجى منه الحق فيزداد به ضناً ، فالثواء ثواء
مقيم ، والنية نية ظاعن والزماح زماع مرتحل : ما أذهب إلى ناحية من الحيلة
إلا وجدت من دونها مانعاً من العوائق ؛ فأحمل الذنب على الدهر وأرجع إلى الله
بالشكوى ، وأسأله جميل العقب وحسن الصبر .

فصول في حسن التواصل

للفَضْل أن يخص بفضله من شاء ، وله الحمد فيما أعطى ، ولا حجة عليه فيما منع : وكن كيف شئت ، فيني قد أوليتك خالصة سربرقي ، أرى ببقائك بقاء سروري ، وبدوام النعمة عندك دوامها عندي .

٥ وفصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك : لأن حسن الظن بالله فيك ، وتأميل نبح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك .

وفصل : قد أفردتك برجائي بعد الله ، وتعجلت راحة اليأس بمن يجود بالوعد ويضن بالإنجاز ، ويحب أن يفُضِّل ويَزهد في أن يُفَضِّل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .

١٠ وفصل : ضَعْنِي — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعت نفسي من رجائك . أصاب الله بمعروفك مواضعه ، وبسط بكل خير يدك .

وفصل : لا أزال — أبقياك الله — أسأل الكتاب إليك ، فرة أتوقف توقف الخفف عنك من المثونة ، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المِثَقَة ؛ لا أعدنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا هيجتها بك ولا أخلانا من الصنع لك ؛ فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعماً إلا في ظلك ؛ ولئن كانت الرغبة إلى بَشَرٍ من الناس خسارة وذلاً ، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزاً ؛ لأنك لا نعرف حُرّاً قعد به دهره ، إلا سَبَقَتْ مسألته بالعطية وَصَلَتْ وجهه عن الطلب والذلة .

٢٠ وفصل : لي عليك حق التأمل والشكر ، بما ابتدأت من المعروف ، ولك عليّ حق الاصطناع والفضل ، والتنويه بالاسم والشكر ؛ وليس يمنعي عليك بزيادة حقك على ما أبلغه من شكرك ، من مساملك المزيّد ؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود ، وخرجت من منزلة الإضاعة واللتقصير ، وإذ كنت تسمع بالحق عليك ، وتطيب نفسك عن حقك اليسير ، ولا تكذب أحداً شكرك على الكثير .

فصل : لك - أصلحك الله - عندى أباد تشفع لى إلى محبتك ، ومعروف
يوجب عليك الرب والإتمام .

فصل : أنا أسأل الله أن يُنجز لى ما لم تزل الفِرَاسَةُ تعدنيه فبك .

فصل : قد أجلَّ اللهُ قدرَكَ عن الاعتذار ، وأغناكَ فى القول عن الاعتلال ،
وأوجب علينا أن نقنع بما فعلت . ، ونرضى بما أتيت ، وصَلت أو قطعت . ٥

فصول فى الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر
الخراسانى ، فكان فى فصل منه :

لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ،
أو زيادة منتظرة له ، لكفى . ١٠

ثم قال لمحمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما
وجهٌ حسن .

وفصل للحسن بن وهب : من شَكَركَ على درجة رفعته إليها أو ثروة
أقدّره إياها ؛ فإن شكرى لك على مهجة أحبيتها ، وحُشاشة أبقيتها ، وورق
أمسكت به وقمت بين التلف وبينه ؛ فلكل نعمة من نعم الدنيا حد يُنتهى ١٥
إليه ، ومدى يُوقفُ عنده ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف ، خلا
هذه النعمة التى قد فاقت الوصف ، وطالت الشكر وتجاوزت قدره . وأنت
من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنت الحسود ؛ فنحن
نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكف كريم : فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ
جهدُ المجتهد ؟ ٢٠

وقال إبراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

رددت مالى ولم تَمُنْ عليَّ به . وقبل ردك مالى قد حقنت دمي
فأين منك وقد جللتني نعمًا . هي الحياتان من موت ومن عدم

فلو بَذَلْتُ دَمِي أَتُبْنِي رِضَاكَ بِهِ . وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ . إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَلَى الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي . فِيمَا أَتَيْتُ فَلَمْ تَعْتَبْ وَلَمْ تَلَمْ
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي يَحْتَجُّ عِنْدَكَ لِي . مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ خَيْرٌ مُتَّهِمٍ .

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وصل كتابك ، فما رأيت
كتاباً أسهل فنوناً ، ولا أملس متوناً ، ولا أكثر عيونا ، ولا أحسن مقاطع
ومطالع منه : أنجزت فيه عدة الرأي ، وبشرى الفراسة ، وعاد الظن يقيناً ، والأمل
مبلوغاً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

فصل : الكلام كثيرة فنونه ، قليلة عيوبه ؛ فنه ما يُمكنه الاستماع ، ويُؤنس
القلوب ، ومنه ما يُحمل الأذان ثقلاً ، ويملا الأذهان وحشة .

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا اتهموا إليك أقروا لك
ويتنافسون في المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ؛ فزادك الله وزادنا بك وفيك
وجعلنا من يقبله رأيك ويُقدِّمه اختيارك ؛ ويقع من الأمور بموقع موافقتك ،
ويجري فيها على سبيل طاعتك .

وفصل له : إن من النعمة على المثني عليك ، أن لا يخاف الإفراط ، ولا يأمن
التقصير ، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد
فضلاً تجاوزها ، ومن سعادة جدك أن الداعي لا يقدم كثرة المشايخين له
والمؤمنين معه .

وفصل : إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عندك ، ويزيدني بصيرة في العلم
بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحقها ، واستوجبها بما فيك من أسبابها ؛ ومن

شأن الأجناس أن تتآلف وشأن الأشكال أن تتعارف ، وكل شيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ونزل في مغربيه ، ضرب بعرقه ، وستمى بفرعه ، وتمكن تمكن الإقامة . وتفتك تفتك الطيعة .

- وفصل : إني فيما أتعاطى من مدحك ، كالخبر عن ضوء النهار ، والقمر الباهر ، الذي لا يخفى على كل ناظر ؛ وأيقنت أني حيث انتهى بي القول ، منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فأنصرفت من الشاء عليك إلى الدعاء لك ؛ ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

- وفصل لمحمد بن الجهم : إنك لزم من الوفاء طريقة محمودة ، وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها ؛ فتنافس الإخوان فيك ، يتدرون ودك ، ويتمسكون بحبك ؛ فن أثبت الله له عندك ودًا فقد وضعت خُلقته موضع حِرْزها .

- وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدا استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جِدته ويظهر فرندُه ، للين طبيعته ، وكرم جهره ؛ ولم أضف نفسي لك عجبًا ، بل شكرًا .

- وفصل له : زاد معروفك عندي عظمًا أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا • أَنَّهُ عِنْدَكَ مُسْتَوْرٌ حَقِيرٌ

تَنَاسَأُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ • وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

- وفصل للعتابي : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل بيتك ، المسدود به ثلهم ، المجدد به قديم شرفهم ، والمُعيا به أيام سعيهم . وإنه لم يخجل من كست وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ، ولا آتحت أعلام من خلفته في رتبته .

فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف :

أما بعد ، فإنى لا أعرف للمعروف طريقا أو عَرَ من طريقه إليك ، فالمعروف
لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايبتك في المعروف أن تحقره ،
وفى وليه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

أما بعد ، فإنى توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ،
فراراً من الفقر ، ورجاء للثنى ، فازددت بهما بُعْداً مما فيك تقرّبتُ ، وقرباً
بما فيه تبعدت ، وقد قسمتُ اللائمة بينى وبينك ؛ لأنى أخطأتُ في سؤالك ،
وأخطأتُ في منعى ؛ أمرتُ باليأس من أهل البخل فسألتهم ، ونهيت عن منع
أهل الرغبة فنعتهُم ؛ وفى ذلك أقول :

فررتُ من الفقر الذى هو مُذْرِكى . إلى بُخْلِ محظورِ النوالِ مَنوع
فأعقنى الحِرمانَ غِبَّ مطامعِ . كذلك من يلقاه غيرَ قنوع
وغيرِ بديعٍ منعُ ذى البُخْلِ ماله . كما بذلُ أهلِ الفضلِ غيرِ بديع
إذا أنتَ كَشَفْتَ الرِّجالَ وجَدْتهم . لإعراضهم من حافِظٍ ومُضِيعٍ

وفصل لإبراهيم بن المهدي : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنبته
شَيْنَ القبيح ، ورأيتك آثرُ القولِ عندك ما يضرُّك فكنت فيما كان منك ومنا ،
كما قال زهير بن أبي سلمى :

وذى خطَلٍ فى القولِ يَحْسَبُ أَنَّهُ . مُصِيبٌ فَا يُلِمْ بِهِ فَهوَ قَاتِلُهُ
عبأتُ له حِلْماً وأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ . وأعرَضْتُ عنه وهوَ بِأَدِ مَقَاتِلُهُ

فصل : إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار ، تميل معهما وتصرف في
آثارهما ؛ وقد كنت أجلُّ مودتك بالحل النقيس ، وأنزلها بالمنزل الرفيع ، حتى
رأيت ذلك عند القلة ، وضرعتك عند الحاجة ، وتذيرك عند الاستغناء ، وأحارحك

لإخوان الصفاء ؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذري في قطيعتك ، عند من يتصفح
أمرى وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى ، ولا ترى القبيح حسنا .

فصل للعتابي : تأتينا إفاقتك من سكرتك ، وترقبتنا انتباهك من رقذتك ،
وصبرنا على تجويع الغيظ فيك ، حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف لنا الصبر
عن وجه الغلظ فيك ؛ فها أنا قد عرفتك حق معرفتك في تعذيبك لظورك ،
وأطراحك حق من غلظ في اختيارك .

فصول في الأدب

كتب سعيد بن حميد :

إن من أمارات الخزم صحة الرأي في الرجل : يترك الناس ما لا سبيل إليه ،
إذا كان ذلك داعية لغنى لا عزة له ، وشقاء لا درك فيه ؛ وقد سمعت في أمر
تخبرك أوائله عن أواخره ، ويُنذرك بدوئه عن عواقبه ، لو كان لهذا المخبر
الصادق مستمع حازم . ورأيت رائد الهوى قد مال بك إلى هذا الأمر ميلا
أيأس من رغب فيك ، ودل عدوك على معاييك ، وكشف له عن مقاتلك ؛
ولولا علمي بأن غلظ الناصح يؤدي إلى نفع في اعتقاد صواب الرأي ، لكان غير
هذا القول أولى بك ، والله يوفقك لما يحب ، ويوفق لك ما تحب .

وفصل : أنت رجل لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ؛ فقدّم على
نفسك من قدّمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين ، كان أحرى أن يُخطئ
في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينام دون
الظفر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما نسمع لما نلم ، ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق
من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال يرضى بها حز ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مَعْتَمٍ ، وأنا دافع مغرم ، فإن كنت شاكرًا لما مضى ، فاعذر فيما بقى .

وفصل للعتابي : أما بعدُ ، فإن قريبك من قرب منك خَيْرُهُ ، وابن عمك من عمك نفعه ، وعشيرك من أحسن عِشْرَتِكَ ، وأهدى الناس إلى مودتك مَنْ أهدى برّه إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالى - أكرمك الله - فى الاغتمام بعلتك حالَ المِشَارِكِ فيها بأن ينالنى نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل اجتمع على منها أنى مخصوص بها دونك ، مؤلم منها بما يؤلمك ؛ فأنا عليل مصروف العناية إلى عليل كَأَنى سليم ؛ فأنا أسأل الله الذى جعل عافيتى فى عافيتك ، أن يخصنى بما فىك ، فإنها شاملة لى والى .

وفصل : إن الذى يعلم حاجتى إلى بقائك ، قادرٌ على المدافعة عن حوائتك ؛ فلو قلتُ إن الحق قد سقط عنى فى عيادتكَ لأنى عليل بعلتك ، لقام بذلك شاهد عدلٍ فى ضميرك ، وأثرٌ باقٍ فى حالى لنفيتك ؛ وأصدق الجبر ما حققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتكَ بالعدر الواضح من العلة ، لمّا أغفل قلبى ذكرك ، ولا لسانى غصّاً عن خبرك فحَصَّ مَنْ تقسّم جوارحه وصَبُّكَ ، وزاد فى ألمها أَلَمُكَ ؛ ومن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء ، ولما بلغتْ إقامتك كُتِبَ مهتناً بالعافية ، مُعْفِياً من الجواب إلا بنَجْهِر السلامة إن شاء الله .

ولاحد بن يوسف : قد أذهب الله وصَبَّ العلة ونَصَبَهَا ، ووَفَّرَ أجرَهَا

وثوابها ، وجعل فيها من إرغام العدو بعُقبها ، أضعاف ما كان عنده من السرور
بقبح أولائها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

- ٥ يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنت به فكرتك فسا هو إلا سعيد يوتر
أوشق يوتر .

- كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود
السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة ، محمود النقية ، مؤفياً
بما أخذ الله عليه ، مضطماً بما حمله منه ، مؤذياً إلى الله حقّه ، مقراً له
بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلاً ؛ ولا يتنطق إلا فصلاً عنباً لدينه
وأمانته ؛ كافاً ليده ولسانه .

- وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حقّ الأولياء على السلطان : تنفيذ
أمرهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدم محسنهم ،
ويؤخر مسيئهم ؛ ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم .
- ١٥ وفصل له : إن من أعظم الحقّ حقّ الدين ، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين ؛
تحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له حسب ما راعاه
الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

- وفصل له : إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ،
ولعبده على خلفائه بسط العدل والرأفة ، وإحياء السنن الصالحة ؛ فإذا أدى كلُّ
إلى كلِّ حقّه ، كان ذلك سبباً لتتمام النعمة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ،
٢٠ ودوام الألفة .

وفصل : ليس من نعمة يجتدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة ، إلا اتصلت
برعيته عامة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم

شكره عليها : لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتيديره وذّبه عن دينه حفظ حريمهم ، وبحياطته حقن دماثهم وأمن سيلهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مؤيداً بالنصر ، معززاً بالتمكين ، موصول بالبقاء للعجم المقيم .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معدود النية بطاعته ، منطوى القلب على مناصحتهم ، مشحود السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفر ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً .

وفصل : أفعال الأمير عندنا معسولة كالآمانى ، متصلة كالأيام ؛ ونحن نواتر الشكر لكرم فعله ، ونواصل الدعاء له مواصلة بره ؛ إنه الناهض بكلنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ، ليس في واحدة منهما عنر يوجب حجة ولا يزيل لائمة : إما تقصير في عملك دعاك للإخلال بالحزم والتفريط في الواجب ، وإما مظاهره لأهل الفساد ومداهمة لأهل الريب ؛ وأية هاتين كانت منك لمحلة التكر بك ، وموجة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ؛ وفي حسن ما أقلت من عظيم العثرة ، ما يوجب اجتهادك في تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدي :

أما بعد ، فإنه عزيز على أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ؛ غير أنه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغني فقليل ما كتبت به كثير لك ^(١) ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ؛ وقد كتبت في أشغل كتابي أبياتاً فتدبرها :

(١) في بعض الأصول : « فكثير ... قليل » .

- رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلَقَ فِرْصَتُهُ . جَهْلُ رَمَى بِكَ بِالْإِقْعَامِ تَغْرِيرُ
 أَهْوَى بَدْنِيَا يَصِيبُ الْمُخْطِئُونَ بِهَا . حَظُّ الْمَصِيبِينَ ، وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
 فَازَرَعَ صَوَابًا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حِيطَهُ . فَلَنْ يُذْمَ لَأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرَتْ مَصِيبًا أَوْ هَلَكَتْ بِهِ . فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرَتْ عَلَى جَهْلٍ قَفِرَتْ بِهِ . قَالُوا جُهُولُ أَعَاتِهِ الْمَقْسَادِيرُ !
 فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتِمَّ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، الْهَادِي
 إِلَى شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ مِنَ
 الْفَضَائِلِ مَا فَرَّقَهُ فِي الرُّسُلِ قَبْلَهُ ، وَجَعَلَ تَرَاتُّبَهُ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخُلُقَاتِهِ ،
 وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

فصول لعمر بن بحر الجاحظ

١٠

منها فصول في عتاب :

- أما بعد ، فَإِنَّ الْمَكَافَأَةَ بِالْإِحْسَانِ فَرِيضَةٌ ، وَالتَّفَضُّلُ عَلَى غَيْرِ ذَوِي
 الْإِحْسَانِ نَافِلَةٌ .
 أما بعد فليكن السكوت على لسانك إِنْ كَانَتْ الْعَافِيَةُ مِنْ شَانِكَ .
 أما بعد ، فَلَا تَزْهَدْ فِي مَا رَغِبَ إِلَيْكَ ، فَتَكُونَ لِحَظِّكَ مَعَانِدًا ، وَلِلنِّعْمَةِ جَاحِدًا
 أما بعد ، فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْهَوَى ضِدَانٌ ، فَتَقْرِينُ الْعَقْلِ التَّوْفِيقُ ، وَقْرِينُ الْهَوَى
 الْخُذْلَانُ ، وَالنَّفْسُ طَالِبَةٌ ، فَأَيُّهُمَا ظَفِرَتْ كَانَتْ فِي حَزْبِهِ .
 أما بعد ، فَإِنَّ الْأَشْخَاصَ كَالْأَشْجَارِ ، وَالْحَرَكَاتُ كَالْأَغْصَانِ ، وَالْأَلْفَاظُ كَالثَّمَارِ .
 أما بعد ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ وَالْعُقُولُ مَعَادِنٌ ، فَمَا فِي الْوَعَاءِ يَنْفَدُ إِذَا لَمْ
 يَمْتَدِّهِ الْمَعْدِنُ .
 أما بعد ، فَكُنْ بِالتَّجَارِبِ تَأْدِييَا ، وَبِتَقْلُبِ الْأَيَّامِ عَظَةً ، وَبِأَخْلَاقِ مَنْ عَاشَرْتَ
 مَعْرِقَةً ، وَبِذِكْرِكَ الْمَوْتَ زَاجِرًا .

٢٠

أما بعد ، فَإِنْ أَحْتَمَلَ الصَّبْرُ عَلَى لَذَعِ الْغَضَبِ ، أَهْوَى مِنْ إِطْفِائِهِ بِالشَّمِّ وَالْقَذَعِ .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولوا الاستعداد للنواب ؛ وما عظمت
نعمة امرئٍ إلا استغرقت الدنيا همته ، ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام
مطايا عمله والآخرة مقيلَ مُرَّحِلِهِ .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد في الرزق والاجل ، والاستغناء غير
ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلم أمسك ، وقد يستجهل الحلیم حتى يستخفه الهجر
أما بعد ، فإن أحبيت أن تتم لك المقة في قلوب إخوانك فاستقل كثيرا
بما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة ، من لطف حتى كفى حرب عدوه
بالصفح والتجاوز ، واستلحقته بالرفق والتعجب .

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه :

أما بعد ، فلوكففت عنا من غربك لكننا أهلا لذلك منك ، والسلام .
فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقيح .

وله فصول في وصاة :

أما بعد ، فإن أحق من أسعفته في حاجته ، وأجته إلى طلبته ، من توسل
إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبح الاحدوثة من مستمنح حرمة ، وطلب حاجة رددته ،
ومثار حجبته ، ومنبسط إليك قبضته ، ومقبل إليك بعنائه لويت عنه ، فثبتت
في ذلك ولا تطع كل حلاف مهين ، هُماز مشاء بنعيم .

أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك
عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن
رأيك ، ويكون مكافأة لحقه علينا

أما بعد ، فقد أتانا كتابك في فلان ، وله لدينا من الذمام ما يلزمنا مكافأته

ورعاية حقه ، ونحن من العناية بأمره على ما يُكافئُ حرمة ويؤدي شكره .

وله فصول في استنجاز وعد :

أما بعد ، فقد رَسَمْنَا في قيود مواعيدك ، وطال مقامنا في سجون مَظْلُك ، فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غمّها بنعم منك مشمرة أو [لا] مريحة .

- أما بعد ، فإن شجرَ مواعيدك قد أوردت ، فليكن ثمرها سالماً من جوائح المظل .
 أما بعد ، فإن سحاب وعدك قد برقت ، فليكن وبلها سالماً من صواعق المظل والاعتلال .

وله فصول في الاعتذار :

أما بعد ، فنعلم البديلُ من الزلة الاعتذار ، وبئس العوضُ من التوبة الإصرار .

- أما بعد ، فإن أحق ما عطفَ عليه بحبك من لم يتشفع إليك بغيرك .
 أما بعد ، فإنه لا عوض من إغاثتك ، ولا خلف من حُسن رأيك ، وقد انتقم مني في زلتي بحفائلك ، فأطلق أسير تشوقي إلى لقائك .

أما بعد ، فإنني بمعرقى ببلوغ حلك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك .

- أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذب نفسه بما يبدو للناس منه .

أما بعد ، فقد مسنى من الألم مالم يشفيه غيرُ مواسلتك ، مع حبسك الاعتذار من هفوتك ؛ ولكن ذنبك تغفره مودُّتك ، فامن علينا بصلتك ، تكن بدلا من مساءتك ، وعوضا من هفوتك .

- أما بعد ، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهفات الإخوان .

أما بعد ، فإن أولى الناس عندي بالصفح ، من أسلمه إلى ملكك التماس رضاك من غير مقدرة منك عليه .

أما بعد ، فإن كنت ذممتني على الإساءة ، فلم رضيت لنفسك المكافأة

وله فصول التمازى :

أما بعد ، فإن الماضى قبلك الباقي لك ، والباقي بعدك المآجور فيك (ولمّا يوفى الصّابرون أجرهم بغير حساب) .

أما بعد ، فإن فى الله العزاء من كل هالك ، والخلف من كل مصاب ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة . ٥

أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزع يعقبه الهلع ؛ فتمسك بحظك من الصبر ، تنل به الذى تطلب ، وتدرك به الذى تأمل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظا ، ولنوى الآل باب زاجرا ؛ فليكن بال تلاوة تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية .

صدور إلى خليفة

١٠

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده ، وأيده وأصلح به ، وعلى يديه .
أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر ، وأيده بالنصر فى دوام نعمته ، وحاط
الرعية بطول مدته .

صدور إلى ولى عهد

متّع الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعل الجليل ، ١٥
وأنس بولايته المؤمنين .

مد الله للأمير النعمة ، وأسعد بطول عمره الأمة ، وجعله غياثا ورحمة .
أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنعمة والسلامة ، وتّسع به الخاصة والعامة .
متع الله بسلامتك أهل الحرمة ، وجمع لك شمل الآمة ، واستعملك بالراقة والرحمة

صدور إلى والى شرطة

٢٠

أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيدك بالثبّت ،
ووفقك للصواب .

- أرشدك الله بالتوفيق ، وأطلقك بالصواب ، وجعلك عصمة للدين ، وحصناً للمسلمين
 أعانك الله على ما قلدك ، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فعلك .
 سددك الله وأرشدك ، وأدام لك فضل ما عودك .
 رادك الله شرفاً في المنزلة ، وقدرًا في قلوب الأمة ، وزلفة عند الخليفة .
 نصر الله بعدلك المظلوم ، وكشف بك كربة الملهوف ، وأعانك على أداء الحقوق .

صدور إلى قاض

- أهملك الله الحجة ، وأيدك بالتثبيت وردّ بك الحقوق .
 أهملك الله الاعتصام بحبله بالعلم ، والتثبت في الحكم .
 أهملك الله الحكمة وفصل الخطاب ، وجعلك إماماً لذوى الألباب .
 زين الله بفضلك الزمان ، وأنطق بشكرك اللسان ، وبسط يدك في اصطناع المعروف .
 أدام الله لك الإفضال ، وحقق فيك الآمال .

صدور إلى عالم

- جعل الله لك العلم نوراً في الطاعة ، وسبباً إلى النجاة ، وزلفة عند الله .
 تفع الله بعلبك المستفيدين ، وقضى بك حوائج المتجرّمين ، وأوضح بك سنن
 الدين ، وشرائع المسلمين .
 أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأتمنك
 مكروه العواقب .

صدور إلى إخوان

- منع الله أبصارنا برؤيتك ، وقلوبنا بدوام ألفتك ، ولا أخلاناً من جميل
 عشرتك ، ووهب لك من كريم نفسك ، بحسب ما تنطوى عليه مودتك ، وأبهج
 الله إخوانك بقربك وجمع ألفتهم بالأنس بك ، وصرف الله عن ألفتنا عواقب
 القدر ، وأعاذ صفراً إخواننا من المكدر ، وجعلنا بمن أنعم الله عليه فشكر .

- مَنْ الله علينا بطول مدتك ، وآنس أيا مَنَّا بمواصلتك ، وهنأنا النعمة بسلامتك .
 قُرب الله منا ما كنا نأمل منك ، وجمع شمل السرور بك .
 نَزَّهَ الله بقربك القلوب ، وبرؤيتك الأبصار ، وبحديثك الأسماع .
 أَقبل الله بك على أودائك . ولا ابتلاهم بطول جفائك .
 أزال الله حَرَدَنَا من قُتورك عنا ، ورَغَبْنَا عنك من تَقْصيرك في أمورنا .
 حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقدَه ، ورَدَّ إلينا ما كنا نألفه ونعْهده .
 رحم الله فاقة الحنين إليك ، وما بى من تباريح الحزن عليك ، وجمل حرمتنا
 منك الشفيع لديك .
 يَسِّرَ الله لنا من صفحك ما يسع تقصيرنا ، ومن حلك ما يردُّ سخطك عنا .
 زين الله ألفتنا بمعاودة صلتك ، واجتماعنا بزيارتك .
 أعاد الله علينا من إغائك وجميل رأيك ما يكون معهوداً منك بالوفاء لك .

صدور في عتاب

- أنصف الله شوقنا إليك من جفائك لنا ، وأخذ لبراً بك من تقصيرك عنا .
 وكتب^(١) معاوية إلى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر : وفَّقك الله لرشدك ؛
 بلغني كلامك ، فإذا أوله بَطَرٌ ، وآخره خَوَرٌ ؛ ومن أبطره الغنى أذلَّه الفقر ، وهما
 ضدان مخادعان للبر من عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يبين له الداء ، والسلام .
 فأجابه : طاولتك النعم وطاولت بك ؛ علو إنصافك يؤمن سطوة جورك ؛
 ذكرتَ أنى نطقت بما تكره وأنا مخدوع ، وقد علمت أنى ملت إلى محبتك ولم
 أُخدع ، ومثلك شُكْرُ مَنْسَعِي مُعْتَذِر ، وعفا زُلَّةُ مُعْتَرِف .

تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، ويليهِ إن شاء الله الجزء الخامس
 وأوله : كتاب السجدة الثانية في الخلقاء وتواضعهم وأيامهم

(١) يلاحظ أن هذا وما بعده ليس من فصول الجاحظ .

صحيفة

كتاب المسجدة في كلام الأعراب

- ١ خالدة بن صفوان وأعرابي .
- ٢ قول الأعراب في الدعاء . لعمر بن عبد العزيز .
- ٣ لأعرابي في الطواف ٥ لأعرابي بعرفات
- ٤ لأعرابي بنى . لآخر في فلاة .
- ٥ لأعرابية تودع ابنها . لأعرابي مات ابنه .
- ٦ قولهم في الرقات .
- ٧ لأعرابي في حوته على ولده . لآخر في ذهاب
- ٨ شبابه . لآخر في تحول جسمه . لآخر في الكبر
- ٩ لأعرابي في القطيعة . لآخرين في تغير الديار .
- ١٠ لأعرابية ترى ابنها . لأعرابي في وصف بلد .
- ١١ قولهم في الاستطعام . ممن بن زائدة وأعرابي .
- ١٢ المهدي وأعرابية في الطواف . بين عتبة بن أبي
- سفيان وأعرابي .
- ١٣ أعرابي أغير على إله . بين خالد القسري وأعرابي .
- ١٤ ابن طوق وأعرابي .
- ١٥ أعرابي في حلقة بونس
- ١٦ لأعرابية مع عبد الرحمن بن أبي بكر . شعر
- لبعض الأعراب .
- ١٧ الأصمعي يروي بعض أخبار الأعراب .
- ١٨ هشام وأعرابي .
- ١٩ المأمون وأعرابي . أعرابي في جماعة .
- ٢٠ قولهم في المواعظ والزهد . هشام وأعرابي .
- ٢١ لأعرابي يعظ أخاه . ٢٢ لابن عباس .
- ٢٣ أخبار متفرقة للأعراب . ٣٠ قولهم في المدح .
- ٣٥ قولهم في الدم . قولهم في الغزل .
- ٤٧ قولهم في الخيل . قولهم في القيث .
- ٤٩ قولهم في البلاغة والإيجاز .
- ٥٠ قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه .
- ٥٢ قولهم في المناكح . ٥٧ قولهم في الإعراب .

صحيفة

- ٥٨ قولهم في الدين . قولهم في النوادر والملح .
- ٦٤ قولهم في التلصص . قولهم في الطعام .
- ٦٩ أخبار أبي مهبدة الأعرابي .
- ٧٠ خبر أبي الزهراء ٧٥ لبعض الأعراب .
- ٧٦ الرشيد والأصمعي .
- ٨٨ كتاب المجنب في الأجوبة
- ٧٨ جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه .
- ٨٠ جواب ابن عباس لمعاوية وأصحابه .
- ٨١ ابن أبي مليكة في ابن عباس .
- ٨٣ ابن عباس وابن العاص .
- ٨٥ مجاورة بني هاشم وبني عبد شمس لابن الزبير
- ٨٩ ابن الزبير ومعاوية .
- ٩٠ مجاورة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه .
- ٩٢ مجاورة بين معاوية وأصحابه .
- ٩٣ مجاورة بين بني أمية . ٩٥ الجواب القاطع .
- ٩٧ مجاورة الأمراء والرد عليهم . معاوية وابن قدامة
- ٩٨ معاوية والاحنف . معاوية وعدى . الاحنف
- وشامى لعن عليا .
- ٩٩ معاوية وعقيل في أمر علي .
- ١٠٠ معاوية وابن الخطل . معاوية وخريم الناعم .
- عبد الملك وعطاء . المضحك
- ١٠١ عبد الملك بن مروان وابن ظبيان . هشام بن
- عبد الملك وزيد بن علي
- ١٨٢ عمر بن الخطاب وأبو مريم .
- ١٠٣ معاوية والآنصار .
- ١٠٤ عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير . الرشيد
- وابن مزيد . المأمون وابن أكرم
- ١٠٥ عتبة بن عبد الرحمن وخالد القسري .
- ١٠٦ عمر بن الخطاب وابن العاص .
- ١٠٧ ابن الجارود وابن العاص .

- ١٠٨ جواب في هزل . المغيرة وأعرابي يؤاكلة . ابن عتبة وإبراهيم بن عبد الله في حضرة هشام .
- ١٠٩ مسلمة بن عبد الملك وموسوس . النخعي والأعشى . ابن أسماء في سخن الكوفة .
- ١١٠ هشام بن القاسم والفرزدق .
- ١١١ خالد بن صفوان والفرزدق . معن بن زائدة وابن عباس المتوفى .
- ١١٢ حسان وعائشة . الحجاج وابن ظبيان .
- ١١٣ خالد بن يزيد والحجاج . وهب بن منبه . ولهي . يزيد بن منصور وابن مزيد . الفرزدق وعبد الجبار والمجاشعي .
- ١١٤ ابن صفوان وابن جعفر . معاوية وابن عامر جواب في غرر . الأبرش وخالد بن صفوان
- ١١٥ / هشام وقوم من اليمن . الحجاج وعبد الملك . عبد الرحمن بن خالد ومعاوية الزبير وعثمان بن عفان
- ١١٦ أحمد بن يوسف وابن الفضل . زياد ومعاوية قرش وقيس . عتبة وأعرابي .
- ١١٧ فيروز ورميلة . بن مسمع وشقيق . قتبية بن مسلم وهيرة
- ١١٨ أجوبة لابن أبي دواد جواب في تفحش .
- ١١٩ موسى بن مصعب وامرأة مدنية يونس النحوي ورجل من الأزدي . بين أعرابيين
- ١٢٠ للفرزدق . بين جرير والفرزدق .
- ١٢١ الفرزدق ومسجد الأحامرة . بين الجاهل والضعيف
- كتاب الواسطة في الخطب
- لابن عبد ربه . عبد الملك وابن سلبة .
- ١٢٣ لمعاوية في زياد . لابي دواد . بشر بن المعتمر وابن جبلة .
- ١٢٤ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
- ١٢٦ خطب أبي بكر .
- ١٢٩ خطب عمر بن الخطاب .
- ١٢٣ خطبة عثمان بن عفان . خطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- ١٢٤ خطب معاوية .
- ١٢٨ عبيد الله بن زياد عند معاوية .
- ١٥٣ يزيد بن معاوية بعد موت أبيه .
- ١٥٤ خطبة لعبد الملك بن مروان . خطبة للوليد بن عبد الملك .
- ١٥٥ خطبة لسليمان بن عبد الملك ومعن . خطب عمر بن العزيز .
- ١٥٦ خطبة لعبد الله بن الأعمى بن يزيد عمر بن عبد العزيز
- ١٥٩ خطبة ليزيد بن الوليد .
- ١٦٠ خطبة للسفاح بالشام . ومن خطب المنصور .
- ١٦٢ خطبة لسليمان بن علي . خطبة لعبد الملك بن صالح
- ١٦٣ خطب لصالح بن علي . ومن خطب داود بن علي .
- ١٦٤ خطبة المهدي . ١٦٥ خطبة هارون الرشيد من خطب المأمون
- ١٦٧ من خطب عبد الله بن الزبير
- ١٧٠ الخطبة لآرامزياد ١٧٥ خطب للجامع المحاربي من خطب الحجاج
- ١٧٦ خطب لظاهر بن الحسين . خطبة عبد الله بن طاهر . خطبة قتبية بن مسلم .
- ١٨١ خطبة ليزيد بن المهلب . خطبة قس بن ساعدة الإيادي
- ١٨٧ خطبة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل
- ١٨٨ خطبة لعبد الله بن مسعود . خطبة لعنتية بن مروان من خطب عمرو بن سعيد الأشدق
- ١٨٩ خطب للأخنف بن قيس . خطبة ليوسف بن عمر . خطبة لشداد بن أوس الطائي .
- خطبة لخالد بن عبد الله القسري
- ١٩٢ خطبة لمصعب بن الزبير . خطبة للنعمان بن بشير
- ١٩٣ خطبة لثيب بن شيبة . من خطب لعنتية بن أبي سفيان

٢٥٨ توقيع عبد الملك بن مروان . توقيع الولد سليمان بن عبد الملك	١٩٧ من خطب الخوارج . خطبة لقطري بن الفجاءة في ذم الدنيا
٢٥٩ توقيعات عمر بن عبد العزيز	١٩٩ من خطب ابن أبي حمزة
٢٦٠ توقيعات يزيد بن عبد الملك . توقيعات هشام بن عبد الملك	٢٠٢ من أخرج عليه في خطبته
٢٦٠ توقيعات مروان بن محمد .	٢٠٤ خطب النكاح ٢٠١ خطب الأعراب
٢٦٢ . السفاح . توقيعات المنصور .	٢٠٧ خطبة لعل كرم الله وجهه
٢٦٤ . المهدي . توقيعات موسى الهادي .	٢١٠ كتاب المجنبات الثانية
٢٦٥ . هارون الرشيد . ٢٦٦ المأمون .	لابن عبد ربه . للنبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٧ . الأمراء والكبراء . توقيعات زياد .	٢١١ أول من وضع الكتابة
٢٦٩ . الحاجب بن يوسف . توقيعات أبو مسلم	٢١٢ الكتابة في الإسلام
٢٧٠ توقيعات جعفر بن يحيى .	٢١٣ استفتاح الكتب . ختم الكتاب وعنوانه
٢٧١ . الفضل بن سهل . ٢٧٢ الحسن بن سهل	٢١٤ تاريخ الكتاب تفسير : الأئمة
٢٧٢ . طاهر بن الحسين . ٢٧٤ المعجم .	٢١٥ شرف الكتاب وفضلهم . كتاب النبي ﷺ
٢١٥ فصول في المودة .	٢١٧ كتاب أبي بكر رضي الله عنه
٢٧٧ . في الزيادة .	٢١٨ كتاب عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .
٢٧٩ . في وصاة . فصول في عتاب .	كتاب بني أمية
٢٨٢ . في التنصل .	٢١٩ كتاب بني العباس ٢٢١ من كتب لغز الخلفاء
٢٨٣ . في حسن التواصل .	٢٢٢ أشراف الكتاب
٢٨٤ . في الشكر .	٢٢٤ من نبيل بالكتابة وكان قبل خاملا . من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها
٢٨٥ . في البلاغة . فصول من المدح .	٢٢٥ صفة الكتاب
٢٨٧ . في الذم . ٢٨٨ في الأدب	٢٢٦ ما ينبغي للكاتب أن يأخذ به نفسه
٢٨٩ . إلى عليل .	٢٢٩ خبر حائل الكلام
٢٩٠ . إلى خليفة وأمير .	٢٣٢ فضائل الكتابة . ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز
٢٩٢ . لعمر بن بحر الجاحظ .	٢٤١ البلاغة . تعريف العلماء للبلاغة
٢٩٥ صدور إلى خليفة . صدور إلى ولي عهد	٢٤٢ تضمين الأسرار في الكتب
صدور إلى والي شرطة .	٢٤٣ قولم في الأفلام ٢٥١ قولم في الجد
٢٩٦ صدور إلى قاض . صدور إلى عالم .	٢٥٢ قولم في الصحف
صدور إلى إخوان .	٢٥٦ توقيعات الخلفاء عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
٢٩٧ صدور في عتاب .	٢٥٧ توقيع معاوية رضي الله عنه . توقيع يزيد ابنه

